أسرة أيوب ميخائيل

تقدم

جامعة الحياة

بقلم القمص : فيلوثاوس فرج

دكتوراة في علم الأديان

(أنا الجامعة كنت ملكاً، ووجهت قلبي للسؤال والتفتيش بالحكمة.)

الجامعة ١ : ١٢، ١٣

E-mail:fatherfilotheos@gmail.com

أسرة أيوب ميخائيل
تقدم

جامعة الحياة

بقلم القمص : فيلوثاوس فرج
دكتوراة في علم الأديان

E-mail:fatherfilotheos@gmail.com

فهرسة المكتبة الوطنية - السودان

08.1 القمص فيلوثاوس فرج

ف.ج

جامعة الحياة / القمص فيلوثاوس فرج - الخرطوم:

مطبعة الحياة الجديدة، 2008.

350 ص : 24 سم

ردمك : 7 - 9 - 890 - 99942 - 978

1. المقالات العربية .

أ. العنوان

الفهرس

المقدمات

١- أقباط كردفان

الأبيض عاصمة إن الأبيض هي عاصمة كردفان ، و كانت كردفان قبل التقسيمات مساحتها (٣٨٦ ألف كيلو متر مربع) و هي بوسط جمهورية السودان غربي النيل ، و تعد ثالثة مدن السودان وهي بلد ذات سهول رملية منبسطة و هي قليلة المطر و لكن عندما تمطر تزدان بجمال عجيب يتغني به الشعراء و بعد المطر تلبس المدينة حلة جميلة بلا أوحال لأن الرمال تخبئ المطر في أحشائها ، و اثناء المطر يخرج الناس و يقولون كيل يا ميكائيل بالمد الكبير ، إيمانا منهم بأن الملاك ميخائيل هو المسئول عن الأمطار أمام الله و من عند الله ، و كردفان منطقة رعوية جميلة تتكاثر فيها الثروة الحيوانية و تنمو ، و يزرع فيها الذرة و السمسم و الفول السوداني و القطن و تعد اكبر مناطق جمع الصمغ العربي وهي كما تقول الموسوعة العربية الميسرة الغلة التجارية الثانية بالسودان ، و في كردفان الكبابيش و البقارة ، و قد اعلن المهدي سنة (١٨٨١م) بدء الجهاد من جبل قدير و هزم حملتين أرسلتهما الحكومة و استولي علي الأبيض و بارا سنة (٣٨٨١م) ، و أمام قوة المهدي لم يجد غردون الانجليزي وسيلة الإ أن يعلن المهدي سلطانا علي كردفان في فبراير (٤٨٨١م)ولكن المهدي رفض لأنه يرغب في أن تشمل ثورتة كل بلاد السودان و جاء حتى الخرطوم و استولي عليها في ٦٢ يناير ٥٨٨١م .

و لقد عرفت عن الأبيض الكثير و أجمل ما عرفت عنها إنها موطن المواطن القبطي السوداني يوسف ميخائيل ذلك الرجل الذي عاصر التركية و المهدية و الحكم الثنائي في السودان و كتب مذكراته المهمة في تاريخ السودان وهو لم يكن مؤرخا و لم يقصد ان يكون مؤرخا و لكن الظروف جعلته هكذا فلقد كان يدير مع شقيقة طاحونة في الأبيض و كان المفتش الانجليزي يقصده دوما ليسمع منه عن تاريخ المهدية و التركية و كان يحكي قصصا ممتعة و ذات مرة ذهب المفتش الانجليزي الي نواحي كردفان و غاب يومان ورجع ليمر علي أقسام البوليس ففوجئ بأن وجد يوسف ميخائيل و زوجته في الحراسة و كان السبب في أنه ضبط في حملة خمور و وجد عنده عرقي بلح و عرض الأمر علي القاضي الذي سمع لمرافعة زوجته بأنة مريض وأن هذا العرقي علاج و [إن الخمر أساسا مهم لفم المعدة و لم يهتم

القاضي بحيثيات مرافعتها فحكم علي يوسف بالسجن لمدة شهر مع النفاذ و علي زوجته لمدة شهر مع عدم النفاذ وقضي الأمر ، و حاول كثيرون أن يخففوا الحكم و يحكم علية مثل حكم زوجته و لكن القاضي أصر إصرارًا ، و هنا تدخل المفتش الانجليزي و أحضر له في السجن أوراق و أقلام و قال له هذه فرصة لكتابة مذكراتك عن التركية و المهدية و كتب يوسف ميخائيل مذكراته و طبعها مركز عبد الكريم الثقافي ، تقديم و تحقيق دكتور أحمد إبراهيم ابو شوك ، و الذي سار علي الشوك لكي يحقق هذه المذكرات المهمة ، وقال أن هذا الكتاب سلط الضوء علي الواقع السياسي و الإجتماعي و الإقتصادي في كردفان قبل إندلاع الثورة المهدية في السودان و يعكس السمات العامة لذلك المجتمع الذي ولد فيه يوسف ميخائيل و عاش أيام صباه الأولي ثم يتناول طبيعة العلاقة السياسية الروحية التي نشأت بين الداعية الصوفي المهدي و نفر من أعيان مدينة الأبيض و صلحائها و قد قال المهدي و أيضا الخليفة التعايشي أجمل ما قيل عن الأقباط مواطنة و شهامة و مساندة للثورة المهدية ، و كلما ذكر اسم يوسف ميخائيل يقولون جزاه الله هو والأقباط خيرا ؛ و قدم الكتاب لاحداث الثورة المهدية في كردفان بدءا بهجرة المهدي الي جبل قدير و إنتهاء بحصار الأبيض و تحريرها علي يد الأنصار ، و يوثق الكتاب لفترة حكم الخليفة عبدالله التعايشي وما كانت تعج به من صراعات ، و يعد هذا الكتاب مرجعاً مهماً فقد ذكر مالم يذكرة الآخرون و علي الأخص في محاولات إمبراطور الحبشة وزيارته لإرساء علاقات طيبة بين البلدين ، و قد زار يوسف ميخائيل البطريرك في مصر ليطمئنة علي الأقباط ، وقد قدم أبوه ضمن أربعين كاتبا من مصر و وزعوا علي أقاليم السودان و كان من نصيبه الأبيض و يبدوا أن يوسف ميخائيل كان ملما بخيوط اللعبة السياسية في الدولة المهدية مما أكسبه ود الأمير يعقوب كما أختاره الخليفة ألتعايشي كاتما لإسراره .

أول زيارة كانت اول زيارة تمتعت بها الي كردفان في عام (١٩٦٥م) و كنت وقتها متخرجاً من كلية اللاهوت في مصر و التي تسمي الكلية الاكلريكية و ذهبت إلي هناك لتقديم بعض عظات في كنيسة الأبيض و قد وهبني الله هذه النعمة و امتلأت الكنيسة بالناس و ضاقت مساحتها بالحاضرين فقرر أعضاء الجمعية القبطية توسيع الكنيسة و بدأت الإجراءات أثناء حضوري و كانوا مصممين أن أحضر

وضع حجر الأساس تكريما لي و لعظاتي التي جذبت كثيرين و كانت جمعية الأبيض القبطية تضم رجالا اقوياء و تجار ناجحين من بينهم برسوم ملطي مؤسس نادي الخريجين بالأبيض و بوندي مرقس و صليب طوبيا وطلعت بولس و حكيم سلامة و كان العم ايوب ميخائيل ناظر الكنيسة و مهتما باحتياجاتها و قد استقبلني في بيته أكثر من مره ، و وجدت نفسي موضع حفاوة الجميع رغم صغر سني و كنا في كل وليمة نناقش اموراً روحية و نحفظ الترانيم مع الأطفال ، و في كل ليلة نقيم لقاءاً روحيا في الكنيسة يحضرة كل الناس تقريباً ، و لقد دعيت لزيارة أغلب بيوت الأبيض مرعي ميخائيل و سعد ميخائيل مكين إسكندر، رزيق منير و حلمي روفائيل و فصيح القمص و هو خريج كلية لاهوت و لكنة لم يرسم كاهناً فلقد اعتذر عن هذا و حتي الآن احتفظ بأجمل الذكريات عن كردفان الجميلة الحلوة بلد الخير و النعمة التي كانت و لم تزل مركزاً تجارياً كبيراً يربط كل بلا د الغرب معاً و كان باسيلي بشارة هو أول من مهد طرقا و مواصلات بين كل أرجاء كردفان بدأ بسائق تاكسي ثم أعطاه الله ليكون أول من ربط البلاد بوسائل نقل كان يتابعها ، ارجو لكل اهل كردفان الان كل تقدم و نعمة وبركة و ازدهار و أثمار وإكثار .

و أذكر هنا هذا الرجل أيوب ميخائيل و قد احاطني بعطفه و اهتمامه و أسعدني بأبوته في رحلتي الأولي الي الأبيض و كنت قد فقدت ابي و لما افتقدته وجدته في أيوب ميخائيل الذي عاش في كردفان حتي أنفاسة الأخيرة و جاء أبناؤة الي الخرطوم و نجحوا في بناء اقتصاد السودان و هم الآن يديرون مصنع أيوب للبوهيات أكراما لجدهم أيوب ميخائيل و أقام ادوار اسعد التاجر الناجح مصنعا للحديد بأسم مصنع الأسعد تكريما لأبية الوقور المحترم و قد أخذت هذه الأسرة بركة جدهم أيوب ميخائيل وهم يقدمون كتاب جامعة الحياة إليكم و هذا الكتاب هدية من خريج جامعة الحياة أيوب ميخائيل الي قراء العربية الأذكياء وإلي أبناء السودان الخلصاء و أهل كردفان الأتقياء و طن الخضرة و النماء .

بسم الله الرحمن الرحيم

٢- بطل السودان من خلال سطور الكتاب

الأب فيلوثاوس فرج ،إنسان سودانى حتى النخاع ، فهو محب لوطنه لدرجة الوله ، لذلك فهو حينما يكتب فى شتى مواضيع الكتابة ، نجد السودان بطل من خلال سطوره وجمله . فالوطن هو محور الأشياء فى حياته ،وكل محاور الكتاب عنده تدور فى محور السودان الوطن الواحد .

والكتابة عنده هواية وليست إحترافاً لذا ، ونحن نطالع كتاباته نجد الإنسانية والسلامة والمتعة فكل سطر يقودك للسطر التالى فى ترابط ونسيج أنيق الشكل المضمون ،والأب فرج وحدوى الأيديولوجية والمنحى ،وتطل شخصيته الدينية كداعية للإيمان المطلق لله الواحد الأحد ،وهو متصالح مع ديانات السماء ،ولعل شخصية المعلِّم التى عاشها فى بواكير شبابه أضفت على كتاباته ألق المعلم صانع الأجيال ،وهو رجل مجتمع دائم الحضور فى المناسبات الرسمية والشعبية . الشئ الذى أكسبه ، عمقاً معرفياً وعاصمتنا المثلثة شهدت وتشهد للأب فيلوثاوس فرج حضوراً ومعاصرة ،وفوق كل هذا فهو ومنفتح الثقافة بمعناها الشامل ، وقارئ حصيف عميق متنوع القراءات ،وله تاريخ عريق ومعاصرة للرموز الدينية من المسيحين والمسلمين ورجال الصوفية الحكماء ،والرموز العلمية والأكاديمية .

القارئ الكريم : حاولت أن أرسم صورة سريعة لمن سوف يقرأ له ،وهوذا سفره الجديد بين يديك ، فتنقل بقراءته ،ولك محبتى .

الدكتور / التجانى حاج موسى

مدير الإبداع بالهيئة الوطنية للفنون والإبداع

شاعر غنائى تغنى له أغلب الفنانين السودانيين

بسم الله الرحمن الرحيم

٣- هذة ومضات مضيئة فى الفكر والمعانى

هذة الجمالية الجديدة التى تلقيتها من الأب فيلوثاوس فرج نفذها بتقنية عالية وخاصة وميزها بخصائص الألوان ،فهى أقرب للفن التشكيلى الذى برز فى أوروبا أوائل القرن الماضى ،فهذة الومضات السريعة قدم فيها أحداثا تصويرية متنوعة ،وقد سجلت التقنية الخاصة فى ومضاته حبة للحياة الحركية وقد لامسها بذكاء هيكلية التنوع والتناغم الإيقاعى فإصبحت لوحة جامعة الحياة .

فهى أشبة بمدينة نقل فيها الواقع إلى قطاع الروح والسحر والأحلام ،فإصبحت أمراً مستقلا بذاته وكأنه يقول كل شئ يتحرك يركض ويتحول فى سرعة والمنظر أمامنا فى جامعة الحياة ليس جامدا قط بل هو يبدو ويغيب ،ويقول أيضاً أن الأشياء المتحركة فى تقلب دائم ومتغيرة فى تلاحقها كما ذبذبات متدافعة ،فى المدى الذى تجتازه ،ومن هنا كانت جامعة الحياة لوحة تشكيلية منها خلق الأب فيلوثاوس مناخاً خاصاً للأصفياء يفكك الأشياء ويذيب التفاصيل مستقلا كل موضوع عن الآخر . الأب فيلوثاوس فرج صاحب فن فكرى قاده إلى هذة اللوحة التى بيننا إلهاما وتقنية كلاسيكية وهذا احتراف له مقصدة .

هذة الأعمال الملونة تخبئ حساً حميماً وروحانية مجردة وأبهرنا فى هذا التواصل والتنقل وأبان لنا أنه لم تعد للحياة أى حصة وأن الحقيقة ليست فى حواسنا بل فى فكرنا .

بهذه الإنسانية التى تتمثل فى الخيال والتسامح والبساطة جاءت أشبه بعملية هضم للمعرفة وقد وظف الأب فيلوثاوس الخيال فى اهتمام ذكى وكانت كتاباته تنويرا وبلاغة أكسبته جمالا وتناغما ، وأحسب عن هذة الومضات فى أن تكون سلسلة من المحاضرات لاثراء الأفكار تجسيراً للعلاقات الأجتماعية بين النخب السودانية للمشاركة فى المعلومات لتؤسس لمبادئ نحو المستقبل تلهم الروح الفكرى ،وقد ذكرنى الأب فيلوثاوس بمحاضرات دار الثقافة السودانى

بالخرطوم فى أربعينات وخمسينات القرن الماضى والتى صدرت بعد جمعها وتوطئتها عن مركز عبد الرحيم ميرغنى الثقافى تحت عنوان آراء وأفكار من الخرطوم والتى ضّمت بين دفتيها سلسلة تلك المحاضرات القيمة التى أثرت الأفكار وشحذتها فأعطت حيوية عن المناخ الثقافى الذى استحدث آنذاك بهدف مد جسر من العلاقات الأجتماعية والثقافية بين رجال الإدارة البريطانية والنخبة السودانية الصاعدة والذى نجم كما جاء فى مقدمة آراء وأفكار من الخرطوم الإحساس بأهمية العامل الإنسانى خلال مناقشة القضايا المطروحة والمشاركة فى المعلومات المتاحة للتواصل إلى اتفاق أو حل وسط حول المبادئ التى تقود إلى المستقبل . فدار الثقافة السودانى آنذاك كان مكانا جميلا يتداول فية المتعلمون أفكارهم الإنسانية عبر الكتب والمحاضرات والمناقشات والحوار وتبادل الآراء فساهم فيها المصريون والسوريون واللبنانيون بالإضافة للموظفين البريطانيين والمثقفين والباحثين السودانيين من أعضاء دار الثقافة بدرجة كبيرة فى نجاحه أبان سنوات إنشاءه وقد أضطلع هؤلاء الموظفين بدور فاعل فى أستقلال السودان ،وكان الأب فيلوثاس فرج يستعيد لنا بهذة الومضات ذلك الزمن الجميل عن محاضرات دار الثقافة السودانى .

كل التقدير والإحترام للأب فيلوثاوس فرج على هذة الومضات المضيئة فى الفكر والمعانى والتى وضعت أولويات إحتياجات الإنسان للروح والأمن والإنتماء ومناقشة قضايا تصل بالحاجات الإنسانية المتمثلة فى الروح والقيم والأخلاق والمصالحة والسلام .

مع شكرى وتقديرى

عادل أحمد إبراهيم

رئيس مجلس إدارة مركز داناكوم

باحث وإعلامى صدر له العديد

من الكتب والأبحاث

بسم الله الرحمن الرحيم

٤- الأب فيلوثاوس فرج شكراً فقد أسريت

حينما يعيش الإنسان لحظات من حلو عمره لأبد أن يجد مكاناً لتفكير ونجد أن ألقلب يتجة إلى محبيه إلى من يشاركوه أفكاره ودواخله وما يحتمل به صدره . عودنا الأب فيلوثاوس بأن يتحفنا بين الحين والأخر بكل ماهو جديد باحثاً عن المعرفة حادياً والجاً لعالم الثقافة والتجربة الثره والكلمة النافذة ،والطريق المستقيم كما يظن البعض هو الطريق الدبلوماسى دائما حيث تعنى الدبلوماسية فى الوصول إلى الهدف بكثير من المنحنيات والطرق المختلفة وتغيير الإيقاع ،وكان هذا هو طريق الأب فيلوثاوس الذى ميزه وسار على دربة وحقق ماكان ينشد وماكان يعتمل به قلبه وفكرة ذلك يفضل وإيمانه باسلوب عمله الأدبى الرصين الذى أحبه وحبب إليه السودان أرضاً وبلداً وأهلاً وشعباً وذلك تقديراً وعرفاناً لجهده وعطائه وصفاء فكره رافعاً للحجب فهو على طبع مرتاح وصدر شرح وعزم نشيط .هو شخصية ولدت تحمل جينات المحبة والعطاء كما هو ولود سامى القيم والمحبة والسلام جامعة الحياة قد جمعت وعلى دربها خطى مشاها الأب فيلوثاوس عزفت بها خواطر أماله برؤية نقية تضئ لها النفوس .فهو رجل دائماً فى هاله من صحبة يجلسوه على عرش قلوبهم أذ نبتت محبته فى تلك القلوب كما تنبت الأصابع فى الراحتين .الأب فيلوثاوس مرة أخرى شكراً لك فقد أسديت وللمكتبة السودانية أعطيت وأشريت .

سيدى ليس لى مااقول سوى لك كل الذى لك عندى من مودة ومحبة وصادق إخاء.

فيلوثاوس : إن كانت الدنيا علاها علمها
فأنت الذكى الألمعى الطائل
وأن كانت الدنيا الرجال وقودها
فأنا شراره والشرار أوائل

السفير/ عوض حسين على

من مراسم الخارجية بالمعاش

بسم الله الرحمن الرحيم

٥-الإيمان والمحبة والسلام أطروحات وإهتمامات المؤلف

أرسل الله رسله وأنبياءه لهدايتنا إلى الطريق المسقيم وعبادة الله الواحد الأحد العلى القدير ولتنزيل قيم الحق والعدل والمحبة والسلام للناس جميعاً ومساواتهم فى الإنسانية من خلال الدين أن "ألالله الدين الخالص " "الزمر الآية ٣" " قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين " "الأنعام الآية ١٦١" " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوؤد زبوراً " "النساء ١٦٤ " ومن يرغب ملة إبراهيم إلا من سفة نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وأنه فى الآخرة لمن الصالحين أم كنتم شهداء حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلها واحداً "البقرة١٢٨ ١٣٣١"وقال جل جلاله "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وماأوتى موسى وعيسى وماأوتى النبييون من ربهم لايفرق أحد منهم "البقرة ١٣٦" . فالدين الذى أرسل به جميع الرسل والأنبياء دين واحد ولعباده إله واحد والإيمان به واجب والمحبة فية خالصة والسلام تحته طمأنينة ولكن الأسلوب والطريق الذى ينتهجه أو يتعبه المؤمنون بهذا الدين هو الديانة لإمكانية تعددها وإختلافها .أن كل الديانات مع اختلافها وإختلاف معتنقيها وأتباعها تدعو إلى التوحيد والإيمان . ولايقوم شأن الإنسان وتحقيق إنسانيته إلا بالأيمان وهذه واحدة من أهم أطروحات وإهتمامات أبونا الأب فيلوثاوس ويذكر وبعض علية بالنواجذ فى مقالاته وأحاديثة الدينية والسياسية وكل مايهم الإنسان فى شتى مناحى الحياة ويربط ذلك ربطاً وثيقاً ومحكماً والإيمان محله القلب وقال الله تعالى "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولم يدخل الإيمان فى قلوبنا " "الحجرات ١٤" ،وقال "ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم " "الحجرات ٧" ،ويقول الرسول الكريم (الإيمان ما وقر فى القلب وصدق العمل) .

وثانية موضوعاته الجذابة عن المحبة والإخاء فى الله وأهمية ذلك بين الناس وإرتباط المحبة بالإيمان وأنتفائها دون إيمان وقال تعالى " ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله " " آل عمران ١١٩" " قل إن كنتم تحبون الله فإتبعونى يحبكم الله " " آل عمران ٣١" ،وقال مخاطباً سيدنا موسى علية السلام " "وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى " "طه ٣٩" ،وقال "والذين تبواءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولايجدون فى صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون " "الحشر٩" ،ويقول الرسول الكريم (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخية مايحب لنفسه) وكذلك قوله (المؤمن أخو المؤمن لايظلمه ولايخذله ولايسلمه) وأيضا (المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشده بعضه بعضا) .

والثالثة هى السلام والذى أيضا لايتم ولاتنعم به أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات إلا بالإيمان بالله والمحبة فيه بعد إيمانها وأن الله الذى أنزل الدين الواحد وطالب الإنسان أن يؤمن به بالفعل تؤمن به كل الأديان فمن أسمائه السلام قال تعالى "هو الله الذى لاإله إلاهو الملك القدوس السلام " " الحشر ٢٣ " لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون " "الأنعام ١٢٧ ،ويدعونا رسولنا الكريم إلى إفشاء السلام بيننا . وهذة القيم ومعانيها ومفاهيمها والتعامل معها وبها والتى بها الديانات كلها يطرحها ويعالجها ويدعو لها أبونا الأب فيلوثاوس فرج من خلال الديانة المسيحية بأسلوب شيق ممتع سهل مستخدماً لغة لاتعقيد فيها ،لغة شعرية ساحرة ذات حركة وديناميكية لا يحس قارئها بالملل بل تدعوه لالتهامها متمتعاً متفهما دون عناء ،لغة يستطيع قراءئتها وفهمها وإستعابها أقل الناس معرفة بالقراءة لبساطتها وقربها من النفس والعقل ،لغة تنساب داخلك جسماً وعقلاً بسهولة ويسر .

فالكتاب الذى بين أيديكم أعزتى القراء يتناول أكثر من مائة مقال فى موضوعات شتى منها ماهو من صميم إختصاص الكاتب فى الوعظ والإرشاد وما هو مرتبط بالحياة اليومية وهموم الناس وما يشغل بالهم والأحداث المحلية والعالمية الدينية والسياسية والعلمية والإقتصادية والإجتماعية والتعليمية

والتاريخية والثقافية والقانونية وما يتصل بحقوق الإنسان وإستعراض الكاتب لها وتحليلها والوفاء للشخصيات الوطنية والدينية والإبداعية ،وقد جاء هنا التناول بالأسلوب واللغة التى حاولت وصفها آنفاً مكرساً وموضحاً المعانى والمفاهيم العليا والسامية للقيم التى أراد الكاتب إن يبينها ويدعوا لها ليعيش الناس مؤمنون متحابيين فى سلام دائم مراعين لحقوقهم تجاة بعضهم البعض وتجاة مجتمعهم أو مجتمعاتهم لا، قائمين بواجباتهم ولايتم ذلك إلا بالإيمان الصادق دون نفاق أو رياء لنعيش ونحيا فى سلام ومحبة .

كما إن الكاتب من فرط حبة لوطنه وإعتزازه بسودانيته لايمل الحديث عن التعايش السلمى بين الديانات فى السودان والتى يجمعها وتستظل كلها بوطن واحد وكذلك محبة السودانيين لبعضهم البعض ولمن يأتى إليهم ،وأحب هنا تأكيداً لذلك أن أشير إلى مثالين أثنين فقط فى واقع أم درمان المعاش أم درمان التى أحبها الكاتب وأحب شاعرها المرهف التجانى يوسف بشير وقد إحتوى الكتاب على مقالين حوله والوعد بأخريات ،والمثال الأول ولعله ورد فى عدد من الكتابات عن أم درمان وتأكيداً لذات المعنى هو قيام أحد الأقباط الأمدرمانيين بتأسيس خلوة لحفظ القرآن الكريم ،والمعروفة لإهل أم درمان بخلوة بولس بأبى روف وكان يقوم برعايتها وتوفير إحتياجاتها حتى وفاته وفى بيت من بيوته ،والثانى والذى أظن أن الكثير لايعرفونه وهو أن مدرسة الإقباط بأم درمان كانت تضم من بين معلميها مشايخ وعلماء من خريجي المعهد العالمى بأم درمان ،ولسنين طويلة ،ومشهود لهم بالعلم والتفقه فى الدين وبوضعهم فى المجتمع السودانى كله ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ /عوض عمر الإمام إمام جامع أم درمان الكبير وأخويه الشيخ الصديق عمر الإمام والشيخ حامد عمر الإمام الذى تولى إمامة جامع أم درمان الكبير بعد أخيه والشيخ الحاج النميرى المعروف بابى طراق النميرى والأستاذ/ محمد محمد الخير الغبشاوى .بل أن أحد أبناء العارف بالله الشيخ قريب الله أبا صالح كان مديراً لهذة المدرسة ولفترة ليست بالقصيرة هو الأستاذ الشيخ محمد الهادى ، الشيخ قريب الله .

إن الكتاب الذى بين أيديكم تجدون فيه ماتبتغون من معرفة وعلم وثقافة ودراية

بالتاريخ والأعراف والتقاليد والفلسفة والعلوم دون أن تحسوا أو يتبادر إلى الأذهان أن الكاتب يحاول أن يستعرض ملكاته أو معرفته أو أنه مجرد ناقل أو مقتبس ،بل تحس إحساساً طبيعياً وصادقاً بتغلغل هذة المعارف والثقافات والعلوم وفى كل ما يتناول أنها جزء من تكوينه المعرفى والدينى والثقافى والفلسفى وتجرى فى عروقة جنباً إلى جنب مع جريان الدم فية ،وتبهرك هذة الموسوعة العلمية عندما تقرأ له وهو يستدل بالآيات القرآنية أو يشير إليها أستدلال وإشارة العارف الفقية المتخصص فى علوم القرآن وتفسيره ولاعجب فى ذلك فإنه من الحفظة ولربما يخالجك الشك أهو مسلم أم مسيحى وذلك فى إعتقادى لتجرده فى التناول ونبل منصبه وحسن نيته فى نشر الدعوة إلى الإيمان بالمحبة والسلام بين الناس أيضاً وأنت تقرأ الكتاب لايفارقك خيال الكاتب وإن لم تكن تعرفه أو رأيته وتشعر كأنه أمامك يتحدث معك وجهاً لوجة ويبتسم لك أبتسامته المحببة الودودة المعهودة فى أريحية وصدق ،لأن مايقوله ويكتبه هو مايفعله ويقوم به بين الناس وتراه سائراً بيننا وليس مجرد كتابه تكتب أو أحاديث تقال فى المواعظ واللقاءات دون عمل بما تعلم ومن بين موضوعات الكتاب موضوع عنوانه «لم تقولون مالاتفعلون « وإستشهد بحق بقول الله جل وعلا « يايها المؤمنون لم تقولون ما لاتفعلون « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون « الصف» ٢ ٣١ ;.

الجامع والجامعة مكانان يدلان على جمع الناس فى مكان واحد للسمو بهم ورفعتهم

وقد وفق الكاتب أيما توفيق فى عنوان الكتاب فأسماه «جامعة الحياة» تيمناً بسفر الحياة الذى كتبه سيدنا سليمان عليه السلام المعروف بالحكمة والمعرفة بشئون الحياة وتجد مقالاً عنه فى الكتاب فيأتى العنوان إسماً على مسمى لما تجد فيه من المعرفة والحكمة والتجربة فى الحياة مايعين على السير فى دربها الوعر وما نحتاج أن نعرفه فى حياتنا الدنيا والآخرة . فالكتاب هو كل ما ذكرت دون مغالاة أو تنميق ،بل أرانى قد قصرت فى حق الكاتب والكتاب .

أحسبنى إيها القارئ قد أطلت عليك وحرمتك من الإستفادة من الكتاب ،وأصدقكم القول بأننى ما كنت أخالنى أستطيع الكتابة ولو سطراً واحداً عندما شرفنى أبونا الأب فيلوثاوس فرج بكتابه مقدمة لهذة الجامعة وقد خفت وتهيبت

عندما تصفحت الكتاب وإنتابنى إحساس بإننى لاأستطيع ولاقدرة لى بأن أكتب كلمة واحدة وذلك لقلة بضاعتى ومعرفتى وما أنا بالذى يقدم لمن فى قامة أبونا وعلمه ومعرفته ولكن تواضع العلماء والذين هم «ورثة الأنبياء « كما قال رسولنا الكريم علية أفضل الصلاة وأتم التسليم ،حدى بأبونا أن يشرفنى ويقلدنى هذة القلادة وأن يعلى من قامتى ،فله الشكر حتى يرضى وأسأله جل جلاله وتقدست أسماؤه أن أكون قد وفقت فى إعطائه القليل من حقه علينا وعلى المجتمع بمسلميه ومسيحيية ،وأن يوفق أبونا فى مساعيه وإجتهاداته ودعوته للايمان والمحبة والسلام وأن يجعلنا مؤمنين متحابين فى سلام دائم ،ولنهنأ به وطنا ومواطنين ونشكر الله على ذلك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

محمد الصديق عمر الإمام

المحامى ــ أم درمان

بسم الله الرحمن الرحيم

٦- هذة نفحات أدبية وثقافية عميقة الجزور

شرفنى الأب القمص فيلوثاوس أن أقدم كتابه الجامع «جامعة الحياة « الذى إستمتعت كثيراً لقراءته بل وخرجت منه بعبر وعظات جمة ،والكتاب الجامع هو فى مجمله كما يقول الكاتب مجموعة متميزة من المقالات المتنوعة التى تطوف بالقارئ من الشرق والغرب ومن الشمال والجنوب بأسلوب أدبى رفيع وكلمات منقاة تصب كلها لتخلق فى نهاية المطاف وحدة متكاملة لما يريد أن ينقله الكاتب إلينا.

والكتاب الذى يحتوى على أكثر من مئة مقال لايحصر نفسه فى موضوع معين بل يسبح بالقارئ من الموضوعات الدينية العميقة مثل «المسيحية وثقافة السلام « والتى قال عنها الأب فيلوثاوس أنه صار لها مساحة فى عالم الخصام والحروب المختلفة وما تفرزه من جهل وفقر ومرض وتسول ونزوح ولجوء وضياع ،إلى مقالات أخرى، عميقة المعنى مثل «النور هبة من الله « و»الظلمات والنور « التى أشار إليها المؤلف وقال عنها أن الله سبحانه وتعالى أودع فى

علمائه الذين يخافونه ويرهبونه سر النور الآلهى ،وبالتالى فإن رسالة المؤمن هى أن ينقل الناس من الظلمات إلى النور ،لأن الله ولى الذين آمنوا ،بجانب مقالات أخرى متعددة عن المسيحية .

والأب فيلوثاوس الذى عرف بمساهمته الكبيرة والمختلفة فى مجال الحياة العامة وفى سعيه لتمتين التآلف بين جميع السودانيين على إختلاف أعراقهم وأدياتهم ،واسع الصدر وغزير المعرفة وحلو الحديث وعندما يكتب فإنك تشعر أنه يتحدث إليك من القلب إلى القلب ،وهو يساهم بكتاباته الثرة فى جميع الصحف ،ويتحدث فى أجهزة الإعلام الأخرى من الأذاعة والتلفزيون ،ويحتفل مع المسلمين فى أعيادهم الدينية مثل عيد الفطر وعيد الأضحى .ليس هذا فحسب ، بل هو ينظم سنوياً مع بقية القساوسة إفطار رمضان المشهور والذى أحرص أنا كغيرى من الذين أعرفهم بحضوره لما له من معانى عملية عميقة ذات أثر فعال .

ويحتوى هذا الكتاب الممتع على نفحات أدبية وثقافية عميقة الجذور فهو يتحدث عن «إشراقة التيجانى « الذى وصف شاعره التيجانى يوسف بشير بأنه شاعر الروح والوجدان والخلود،ولم يكتف بقراءة ديوان شعره مرة واحدة بل مرات كثيرة وأعجبته أشعاره ألف مرة لأن التيجانى يوسف بشير صب فيها عصارة حسه الشاعرى المرهف وعواطفه الجياشة التى تسيل حباً وهياماً لكل ماهو جميل ومرهف .

من لم يقرأ هذا السفر الممتع فسيفوته الكثير والكثير فنصيحتى إليكم أن تقرأوه وأن تعيشوا ساعات فى خضمه الغزير ونفحاته الممتعة .

أبوبكر وزيرى

المدير الإعلامى لصندوق السكان

الأمم المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

٧- الكاتب له علائق طيبة مع جيرانه

بعد غربة دامت طويلاً فى الوطن عدت للحى الشعبى الذى ترعرعت فيه لقد تغير الحى ليس من حيث المبانى فقط فقد رحل عنه بعض من ولد فية وجاء إلية أناس جدد كان من الطبيعى أن أسال عن السكان الجدد وأحاول التعارف والأختلاط بهم وفى ذات مرة قيل لى أن «قساً» سكن حَّينا .هكذا كانوا يدعونه «القسيس» ويشيرون إلى منزله «بيت القسيس» .

بحكم محلى السابق كنت مداوماً على قراءة الصحف اليومية ، ولفت نظرى مقالات فى بعض الصحف بقلم» الأب القمص فيلوثاوس فرج « وأكتشفت أنه جارنا «القسيس» وبدأت أتعرف علية عبر مقالاته كان بدء المعرفة الشخصية عندما كتب عن شقيقى من خلال كتاباته ، وهو أديب واسع الأطلاع ولايبخل بنشر المعلومة كفائدة قرائه وعندما التقية قابلنى بكل ترحاب وأبتسام ، وبعد أيام قليلة كتب عن هذا الكتاب فى إحدى الصحف وقدم النصح فى مارأى إنه تقصير من المؤلف .

وعندما جاء عيد الفطر وإذا به يزورنى مهنئا بالعيد السعيد وعندما ذكرت ذلك لبعض الصحاب قالوا «ومالغرابة فى هذا إنها عادته يزور أهل الحى مشاركاً فى أفراخهم ومواسياً فى أحزانهم .

بعد ذلك توثقت صلتى بالأب الأديب المحب للناس وللمعرفة والسلام أرسل لى مسودة كتابه « الجامع « الذى أسماه « جامعة الحياة « وهو بالحق كتاب جامع يطرح الفكرة تاركاً لك متعة التأمل و من خلال أسلوبه الرشيق وعرضه الفلسفى الشيق .

عذراً لست بالنافذ أو الأديب الذى يستطيع تقديم هذا الكتاب ،ومهما طاوعنى القلم فلن أوفى هذة المقالات حقها سواء أكان نقداً أم ثناء ،ولكنى كقارئ عثرت بين سطورها على الكثير من المعرفة الحكمة والدعوة إلى الإخاء والمحبة بين البشر ،وقد يجد فيها غيرى أكثر مما وجدت وأود أن أخص بالذكر مقاله عن مرحلة «الأساس وشكاوى التلاميذ» فقد عبر من اراء الكثيرين من الأمهات والآباء ،وآملاً أن يناقش ويدرس هذا الأمر بصورة أعمق وأوسع عن قبل رجال التربية

والتعليم وأن يوليه من بيدهم الأمر عنايتهم ،فهو الأساس للأستفادة من «جامعة الحياة«.

قد يرى البعض أنى تحدثت من الرجل كثيراً وتناسيت المقالات ،ولكنى قصدت أن أرسم للقارئ صورة لهذا الرجل الذى سكن حينا الشعبى كان بدء معرفتي الشخصية به عندما قدمت إليه كتاب شقيقي عن الخرطوم عندها إلتقاني الأب بكل ترحاب وإبتسام وتعايش مع سكانه بكل صدق ومحبة ،تاركاً للقارئ نفسه مهمة الغوص فى المقالات لصيد اللؤلؤ الكاتب فيها .

لقد وصف الصحفى المصري حمدى رزق ،فى جريدة « الوطن «المصرية الرجل هذا فأجاد الوصف إذ قال «إنه من رهط المسيحين الحنفاء ،مضئ فى عالم شاحب الضوء محب فى عالم يحتاج إلى كثير من المحبة ،كريم العطاء ،بشوش بسام ،حلو اللقاء ، حليم حكيم ،مثقف ،وصحفى وأديب لبيب .

فيصل محمد أحمد

صحفى سابق وأحد سكان الديوم الشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم

٨- هذا كتاب يستحق التصفح بجد وإهتمام

والصلاة والسلام على خاتم الرسل الذى وصلنا بالأنبياء والمرسلين من لدن نوح وإبراهيم مروراً بموسى وعيسى عليهما السلام .

وصدق الحق عز وجل فى محكم تنزيله الذى قال آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)

سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

لقد طلب إلىّ الأخ الكريم القمص فيلوثاوس فرج أن أقدم لمسودة كتابه «جامعة الحياة « والذى هو جامعة الحياة بحق وحقيقة ،ولقد عجبت لهذا الطلب

الصعب لأنه لم يعرف عني يوماً علماً ولاأدباً .

على الرغم من ذلك لم أشأ أن أخيب ظنه الحسن بي وأرجو أن أوفق فى تسطير بعض الكلمات فى حق هذا السفر الكبير .

المتصفح لهذا السفر الكبير يقف على مدى معرفة الكاتب بمجتمعه السودانى الكبير المتنوع ،لذلك ركز فى كتابه على معان جامعة لهذا المجتمع مثل المودة والمحبة والسلام والإيمان والتسامح والتعايش وقبول الآخر .كما خاطب الكاتب الإنسان السودانى المؤمن فى قواسم مشتركه تتمثل ، فى الإيمان بالله واليوم الأخر والشركة فى الإنسانية وتكريم الله للإنسان ،مطلق الإنسان دون النظر إلى لونه ودينه وجنسه ولغته وجهته ،ثم ربط ذلك كله بقرب وبعد الإنسان عن ربه ،يشقى ويسعد وهذة كلها قيم إيمانية مشتركة بين المؤمنيين أتباع الديانات السماوية الخالدة .

على الرغم من أن الكتاب يشمل على أكثر من مائة مقالة مختلفة إلا أنها كلها ترتبط بالإيمان بالله وإثبات ربوبيته ولاغرو فى ذلك لأن الكاتب رجل دين محترم بدرجة قمص ومع ذلك هو مطلع على شئون المجتمع المختلفة ، الثقافية منها والإجتماعية والدينية ولا يخلُ من إهتمام بالسياسة إن لم يكن غارقاً فيها . خلاصة الأمر ، أن الكتاب يستحق القراءة والتصفح بشئ من الجد والإهتمام .

والسلام

أخوكم/ عبدالله دينق نيال

بروفسور جامعة جوبا

وزير الشئون الدينية الأسبق

بسم الله الرحمن الرحيم

٩- جدالة الأسلوب ورصانه التعبير فى هذا السفر

طلب إلى الأخ الكريم ،الصديق الودود ،الكاتب الأديب الأريب ،الأب فيلوثاوس فرج أن أكتب مقدمة لكتابه (جامعة الحياة) ،فأخذت أتصفح الكتاب فى شغف ،وقد تنوّعت موضوعاته فى أكثر من مائة عنوان ،متمتعاً من جذالة أسلوبه ورصانه تعبيره وحسن تناوله ،فله مني عظيم الثناء .

ولابد لى أن أشير إلى ماحبانى به الأخ العزيز ، بأهدائى جملة من مؤلفاته ،بينهما :خواطر قلم ،المسيحية فى عيون المسلمين ،شمس الأمل، دعوة محبة ،المؤمنون يتنافسون ،مساحات الود والإحترام بين المسيحية والإسلام ، والقادرون يحبون .

لقد أخترت أن أعلق على بعض ومضات كتابه جامعة الحياة ،فأبدأ بما كتبه بذات العنوان ،إذ يقول :»يحيا الإنسان تلميذاً مدى الحياة .كل يوم يمر يضيف إليه خبرة جديدة ، ودراية ،ومدرسة الحياة هى جامعة ،وتظل الحياة جامعة ،تجمع كل الناس ، وتقدم إليهم كل الدروس ،والإنسان الحكيم هو الذى يتعلم دوماً من مدرسة الحياة «.

وتحت عنوان أعياد السلام ،أجتزئ من حديثه هذة الكلمات النيرات :» والأعياد فى السودان ، على مستوى أعياد المسلمين والمسيحيين هى أعياد السلام فثقافة العيد أن يسأل الناس عن بعضهم البعض ،ويتصالحون مع بعضهم البعض « . ولايبرح الكاتب قضية السلام ،فيقول تحت عنوان «الدين والسلام « : « والدين هو باعث السلام ،وهو الذى ينشر المحبة والوئام «.

ويمضى الكاتب الأديب ليؤكد فى موضوع بعنوان «نحن وثقافة السلام» على حب السودانيين للسلام :»ونحن كشعب متدين أحب السلام وعشق المحبة ،ونبذ الخصام ،وكره الكراهية ويتعاظم دورنا بقدر تمدننا نحن شعب الثقافة هى ثقافة السلام والسلام فى السودان لحن شعبى يعزفه الناس بكل الأنغام ،ومن كل فئات المجتمع «

ويتناول الكاتب موضوعاً آخر ،يتحدث فيه عن إمارة شوقى للشعراء العرب

،فيقول :» لم يكن لقب أمير الشعراء الذى حظى به أحمد شوقى مجرد لقب ،ولكنه كان إجماعاً من عدد كبير من الشعراء .أجتمعوا معاً شعراء وأدباء ورجال دين ورجال سياسة ،ونصبوه (أميراً للشعراء) جاءت الوفود من كل فج وصوب ،وبدأوا الأحتفال فى ٢٧أبريل ١٩٢٧م ،وأستمر حتى مايو من نفس العام وكان الأحتفال نادياً للشعراء كل يدلى بدلوة معلناً ترحيبه بشوقى أميراً للشعراء وقدم شوقى قصيدته «تحية للبيع» التى جاء فيها:ـــ

كـــان شـــعرى الـــغناء فى فرح الشرق

وكـــان الـــعـــزاء فى أخـــر أنه

قد مضى الله أن يـــؤلـــفـــنا الـــجـــرح

وأن نـــلـــتـــقـــى على أشـــجـــانه

كـــلـــمـــا أن بالـــعـــراق جريـــح

لـــمس الـــشرق جـــنـــبـــة فى عـــمـــانه

وعلينا كما عليكم حديد تتنزى الليوث فى قضبانه

نحن فى الفكر بالديار سواء كلنا مشفق على أوطانه

*ويروح الكاتب فى (رحلة فى ديوان إشراقة) للشاعر السودانى الفذ التجانى يوسف بشير ،فيقول :» وديوان إشراقة هو رحلة إنسانية يمخر فيها الإنسان عباب بحر الإنسان نفسه فالإنسان الصوفى فيلسوف ،والشاعر يدخلنا إلى أعماق الفيلسوف إلى قلب الفيلسوف:ـــ

فى موضع السر من دنياى متسع

للحـــق أفتأ يرعانى ويرعاه

*ونواصل جولتنا وسياحتنا فى (جامعة الحياة) فنقف عند عنوان :» عبد الرحمن المهدى عظيم إبن عظيم « . أم درمان ،لنقرأ كلماته :» لم أر فى حياتى شخصاً أحب أم درمان مثلما أحبها زميل دراستى بروفيسور أحمد دياب يأتى أخر كتبه عن الإمام عبد الرحمن المهدى سيرة وأسرة وعلاقة بالشقيقة مصر ثم صور

ووثائق يكتب ليس كناقل ،وإنما يحلل التاريخ من نتائجه النعمائية يستخلص رؤية مستقبلية جديدة ونافذه كما قال الدكتور الباقى أحمد عبدالله فى تقديم الكتاب» .

*عزيزى القارئ : من المواقف التى تستحق التسجيل فى تاريخ الحياة الأدبية والسياسية فى السودان ،والتى تكشف لنا كيف كان التآزر بين المسلمين والمسيحيين ،وحيال مقضية نالت إهتمامهم جميعاً ،وأعتبروها مسألة وطنية تستوجب الوقوف معاً تجاة الحكومة المستعمرة وقتئذ ماسطره يراع أديب مسيحى من أدباء أهل السودان ،وهو الشاعر صالح بطرس حاثاً فى قصيدته على إتمام جامع أم درمان الكبير ،وبعد أن ماطلت الحكومة فى بنائه لاثنتى عشرة سنة إهمالاً وإغفالاً مقصوداً ،رغم ما تبرع به المواطنون .

فقال مخاطباً المسجد غير المكتمل : لوكنت تنطق بالشكاة لقلت :ـــ

مك العويل وأنة لاتكتم
منارة الدين الحنيف تحية
من شاعر لك قد غداً يترحم

فأجابه صديقه الشاعر الطيب السراج من قصيدة طويلة :ـــ

دار بأم درمان تنشأ مسجداً
للمسلمين كزعم من هو يزعمُ
أخذوا دراهمنا ليبنوها بهما
فاستنكفوا من ذلكم وتأثّمُوا
ولقد بكى قلبى فهّيج لى البكاء
جرّ يـــسوعىّ غــيور خـــضرمُ
هو صالح من بطرس من جرجس
أولى بشكر كالعصوب تنمتم
بروفسور /حديد الطيب السراج
أستاذ الإعلام جامعة أفريقيا

١٠-الكتاب والكاتب يدخلان إلى القلوب بدون إستئذان

القلم يخدم الإرادة ولايمل الأستزادة يسكت واقفاً وينطق سائداً على أرض بياضها مظلم وسوادها مضئ . أبن المعتز

الأب الأستاذ فيلوثاوس فرج تعرفت عليه متأخراً والحق يقال إنه موسوعة معارف شتى تمشى على قدمين بين الناس وسودانى مغرق فى السودانية وملم لكل تاريخها وأنسانها وأثارها وجغرافيتها وعواملها المحركة سواء أكانت روحية أو مادية ، مقالاته تدخل إلى قلوب وعقول الناس دون إستئذان قال عامربن عبد قيس ذات مرة «الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الأذان « وسئل راهب «مالك إذا تكلمت بكينا وإذا تكلم غيرك لم نبك ؟ فقال ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة « إن الإيجار هو تقليل الكلام من غير إخلال والبلاغة هى مأدى المعنى إلى القلب فى أحسن صورة من اللفظ والأب الأستاذ فيلوثاوس رجل أعطى تبع سلسال من المعارف يقدمها للكافة شطائر وأعناب وماء زلال غذاء متكامل لطلبة العلم والأدب والفن حاوى طرفيها تحف مشتمل على ظرف فية إيمانية وجرعة روحية عالية وكذلك قمة فى الآداب الأنسانية يجمع بينهما بجدارة وإستحقاق ومن هنا تأتى كتاباته مزيج بين كل هاتيك العوامل فتتميز وتتفرد مذاقاً واسلوباً فهى رشحات ولمعات وشمعات تنجذب لها الأرواح الظامئة إنه يعلمنا كيف نشحن النفس بقوى الإيمان وطاقاته فى مواجهة محن الزمان وأنه يدير من «الموحد» أن يكون عظيم النفس مهيباً فى سموه والأب الأستاذ بكيانه كله مع مجتمعه روح عظيم فياض بالمعارف الإلهية والدنيوية على حد سواء مدتقيا ذرى المعارف كما إنه مسئول عن إيمان أمتة وعن حياتها الروحية والحضارية فهو دائم الرواح بين الحق جل وعلا وبين خلقه بين السماء والأرض بين عرج وهبوط وهو دوماً مع أمته فى أوجاعها ومعاناتها وأفراحها وأتراحها أنه يريد من أولاد قلبة أن لايكونوا غنم السكين وكباش الفناء وخرفان العلق مخلدين إلى الأرض لاينظرون إلى السماء إلا لماماً .

قال صلى الله علية وسلم «لرد شارد إلى الله عز وجل خير من عبادة عابد سبعين سنة « .

وقال المسيح علية السلام «من يأكل هذا الخبز يحيا للأبد «(يوحنا٦ :٥٨).

نتمنى للأب الأستاذ فيلوثاوس العمر المديد لإكمال رسالته اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا بالسلام وأدخلنا دارك دار السلام بالسلام برحمتك ياذا الجلال والإكرام وعلى الأرض المسرة وبالناس السلام .

عميد/محمود عبده محمود

باحث مخضرم

باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين

عزيزى القارىء:

الحياة جامعة

مدرسة الحياة: إن الحياة مدرسة.. مدرسة هى الجامعة.. تجمع إليك كل خبرات الحياة.. وتجمع إليك كل الدروس والعبر.. ومن أراد أن يعتبر من الحياة هو تلميذ ناجح..والإنسان تلميذ فى جامعة الحياة..حتى تنتهى الحياة.. وتتراكم الخبرات والحياة اليومية ، ومنها تكون جامعة الحياة قد أدت دورها فى الحياة.. فى الكتاب المقدس سفر يسمى « الجامعة» ورسائل تسمى « الجامعة».. سفر الجامعة يحمل إلينا إختبارات سليمان الحكيم الذى كتبه فى أواخر أيام حياته ، لكى يحمل للناس مجموعة من التعاليم الجامعة التى يجتمع حولها الناس.. ويجمعون على أهميتها.. وخبرة سليمان الحكيم إن الحياة باطلة.. لقد تكلم عن بطل الحياة .. باطل الأباطيل الكل باطل.. إن الحياة عندما تقوم على اساس من المطامع والشهوات الدنيوية ، فهى ليست سوى الباطل ذاته.. وأى رأى دنيوى ، لا يهتم بمقاييس الروح ولا يرتفع فوق أفق الإنسان نفسه ، فهو رأى لا فائدة فيه.. إن المتعة الشخصية ليست أعظم ما فى الحياة.. والحكم على مثل هذا ليس سوى إنه باطل الأباطيل أى باطل بطلا كاملاً..

نحن نستمد حياتنا من خلال علاقتنا بالإله العظيم الذى هو ملجأ أبدى ، شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى..هو السند والعضد..وكل مساند العالم ، مساند واهية

ضعيفة.. إننا مربوطين بالسماء.. مرتبطون بالأبدية ، لأنه جعل الأبدية فى قلوبنا.. والتى بدونها لا ندرك العمل الذى نعمله من البداية إلى النهاية..

وفى جامعة الحياة ، لكل الأحياء، يوجد رجاء.. ولكل مجتهد يوجد نصيب.. ولكل زارع يوجد حصاد.. ومن يزرع بالشح، فبالشح أيضا يحصد.. ومن يزرع بالبركات، فبالبركات أيضا يحصد.. وفى الرسائل الجامعة نداءات روحية لجميع الناس.. الرسائل الجامعة تخص كل من على هذه الأرض، وتطالبهم أن يؤكدوا إيمانهم بالأعمال.. لأن إيمان بدون أعمال ميت..وأن يقدموا مشيئة الله.. ويسعوا لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل.. ويحب كل واحد أخاه لأن الله محبة..

عبر الجامعة: وفى كتابى هذا « جامعة الحياة « مجموعة عظات وعبر فى أسلوب أدبى ، أرجو أن يروق لك عزيزى القارىء.. وأن تستريح إليه.. وأن تأخذ ما يفيدك منه ، فالهدف هو أن نسعد جميعاً بالحياة مع الله.. وأن يكون الله هدفاً لنا فى تعاملنا مع الآخرين.. ونحن نتعلم من الله أولا لكى يكون الكل متعلمين من الله، ولكى ما لا تضيع ونفقد هويتنا بسبب عدم المعرفة.. ولأن معرفة الرب سوف تملأ كل الأرض.. وكلما مر بنا الزمن، كلما إزدادت معارفنا الروحية التى تختزل مسافات التباعد بين بعضنا البعض..

والتباعد يأتى بسبب عدم المعرفة.. عندما تعرف مقدار نفسك ، وقدر من حولك ، تتغير الأمور وتقترب المسافات.. عندما تعرف قدر شريك الحياة ، وإنه شريك وليس أجير.. وإنه مساوٍ لك ونظير.. وإنك ينبغى أن تحيا معه بقلب واحد وفكر واحد، تجمعكما جامعة الحياة.. إن معرفتنا وفهمنا سوف يقرب المسافات التى تباعدت بيننا ، وصرنا لا يحتمل الواحد فينا الآخر..الجامعة حياة.. والحياة جامعة.. تعلمنا أن نقترب إلى الآخر، ولا نغلق قلوبنا دونه.. ولا نحتقر محبته... ولا نزدحم بأفكار تزيد المسافات بيننا... وأولا هيا بنا نقترب إلى الله فيقترب الله إلينا.. إن سبب بؤس الإنسان ، هو تباعد المسافة كلما إزداد الشقاء.. وكلما قلّت ، كلما قلّ الشقاء.. حتى يأتى الوقت الذى فيه يلتقى الإنسان مع الله.. وتلتقى إرادة الإنسان مع إرادة الله ، وهنا فقط يتوقف الشقاء وتكون جامعة الحياة قد أعطت أجمل أثمارها..

قالوا عن المؤلف:

١- لأنكم أوقدتم شموع الأمل في ظلمات الإحتراب، و غرستم زهرة للسلام في زمان الحرب فأحلتم ليل الصراع إلي فجر يتنفس بالأمان و المحبة.

أفردتم للمكلومين والمحرومين و لضحايا الحرب أشرعة الإرادة و الإستقرار وعشق الحياة فغسلتم المرارات و ضمدتم الجراح.

هذه الوثيقة تبادلكم وفاء بوفاء، نهديها لصنّاع السلام بالكلمة الطيبة، و بنشر ثقافة السلام و تمتين عُري النسيج الإجتماعي.

مهرجان طبول السلام للمرأة و الطفل

سودانيز ساوند

يونيو - اغسطس ٢٠٠٥م

٢- الأب فيلوثاوس فرج هو هذا الرجل الطموح و المتواصل للتسامح و المواطن السوداني الأٍصيل الذي يحب السودان و يعشق و يبذل الجهد في سبيل رفعة بلاده، و كتاباته مراجع مهمة ذات موضوعات جيدة تحوي رصداً أميناً لآرائه و آراء مفكرين و باحثين مرموقين في بلادنا، و لقد حرص الأب كل الحرص علي إبراز تاريخ السودان القديم و التأمين علي عراقة السودان و فضله و فضل أهله علي العالمين، و تأتيك عبارات الكاتب منسابة ترجعك الي الوراء مذكرة بكبرياء الوطن و الاجداد، و تدفعك إلي الامام مستنهضة لمكونات قطر متفرد متعدد المكونات، متعدد الإثنيات ، متوحد الإرادة و الهدف.

الفاتح السيد الحاج حمد

نائب رئيس اتحاد الصحفيين

٣- عندما قرأت للأب القمص فيلوثاوس فرج تساءلت بيني و بين نفسي، كيف وجد الكاتب الوقت لسبر أغوار هذا الكم الهائل من الأحداث و الأخبار والمعلومات الدقيقة والمهمة و الغريبة في نفس الوقت، و لكن بالنسبة لي فإن الدهشة تزيلها معرفتي اللصيقة بالصديق فيلوثاوس فرج الذي خبرته باحثاً من الطراز الاول، و تلميذاً متواصل الإجتهاد في مجال المعرفة،كأنه

يؤكد حديث نبينا المصطفي صلي الله عليه و سلَّم» خذوا العلم من المهد إلي اللحد».

شئ آخر إستحوذ إعجابي لكتابات الأب فيلوثاوس وهو أن كتاباته تصدر من شخص له خبرته الطويلة في مجال العمل الإعلامي بشتئ ضروبه المقروءة والمسموعة و المرئية، فضلاً عن عمله الروحي و الديني كمسئول عن أكبر كنائس السودان، حيث عرفه قراء الصحف و مستمعو الإذاعة و مشاهدو التلفزيون، و خبـروا عطاءة منذ سنوات طويلة دون إنقطاع، و أهم من هذا و ذاك دخوله في حياة الناس البسيطة، فهو مشارك في كل الملمات و الأفراح للمسلمين قبل المسيحيين، و القليلون جداً يعرفون عطاءه السخي للعديد من الأسر التي تحتاج لمثل هذا العطاء في خفاء لا تدري فيه شماله ما فعلت يمينه،،

بروفسور عوض إبراهيم عوض

استاذ الإعلام جامعة

افريقيا العالمية

٤- إنني من قراء الأب فيلوثاوس فرج إيمانا مني بأن ما يكتبه هو جيد جاد يهدف منه إلي الإسهام بالرأي و الكتابة في خلق المجتمع المتسامح، و الذي هو نموذج صادق لهذا السودان الذي عُرف طوال تاريخه الناصع بالمحبة و السلام و التسامح بين أبنائه المتعددي الأعراق، المتنوعي الثقافة، والذين خلقوا هذا النسيج الفريد الذي عرف عند الناس بالسودان.

إن من يقرأ ما كتب الأب فيلوثاوس يدرك تماماً عظمة هذا الكاتب و الدور الذي قام به في توثيق عري الأخاء و الصداقة بين ابناء شعب و مجتمع كالمجتمع السوداني و يدرك أن رجل الدين أيا كان هذا الدين، يستطيع أن يسطع و يشع في مجتمعه متجاوزاً المسجد والكنيسة، فيضئ بكلماته و عباراته الطيبة ذلك الافق الواسع التي يعيش في فنائه وتحت لوائه شعب عظيم كشعب السودان، إن الأب فيلوثاوس أخ صديق حميم و نموذج لرجل الدين في السودان يذكرني بالراحل الانبا دانيال و الذي كان حضوراً في كل المناسبات الوطنية و الدينية للمسلمين والمسيحيين علي السواء،إن الأب فيلوثاوس يمثل قيادة واعية في مجتمع التسامح والتفهم للديانات

والعقائد كأقباط مصر الذين عرفناهم وطنية و حماسة لقضايا وادي النيل في مصر و السودان.

ان الاب فيلوثاوس فرج هو إستمرار لنماذج محترمة من الأخوة الاقباط الذين أثروا الساحة الوطنية السودانية منذ القرن التاسع عشر و حتي اليوم، و يمتاز الأب بإسهامته المتعددة في المجالات السياسية و الثقافية والدينية ، و في المجال الصحفي الذي يحمل عدداً من المقالات التي ترتبط بالمجتمع و تناقش قضايا تهم القارئ السوداني.

بروفسور علي محمد شمّو

رئيس المجلس القومي للصحافة

و المطبوعات الصحفية

٥- إن الكاتب الأب القمص فيلوثاوس فرج تلتفت كتاباته الي الاحداث اليومية والمناسبات القومية التي يسهم فيها بسهم وافر مشاركاً و مبتدراً و مقوّماً و موثقاً و لكنه في ذلك صاحب مشروع حضاري يملك فيه مهارة الباحث و عاطفة المحب المخلص لوطنه و لقيمه الدينية و الإنسانية، و هو حامل عطر ثقافي ينشره بين الناس، والكاتب صاحب روح متكاملة وعقل متفتح للمحاورة و حسبه أن يغرس في الناس المحبة و علي الأرض السلام

عبد الباسط عبد الماجد

وزير الثقافة السابق

٦- إن سماحة أبونا القمص فيلوثاوس فرج كما هو معروف للكثيرين، كاهن كنيسة الشهيدين بالخرطوم و قد مكنته معرفته العميقة بالدين المسيحي و مقارنة الأديان من فهم الترابط العميق بين هذه الأديان و إستخلاص السمات العامة المشتركة فيها دعوة طيبة للتسامح.

و منذ نيله بكالوريوس اللاهوت من الكلية الاكليريكية و بعدها ليسانس الآداب من جامعة القاهرة فرع الخرطوم عام ١٩٦٩م دخل إلي الحياة العملية و أصبح إماماً علي جمع من الناس، هم الحاصل الاجتماعي للمبادئ و الأفكار التي يؤمن بها سماحته والتي يستلهم قيمها النبيلة من مرجعيته الدينية والإنسانية ، و لعل خير وصف له ما قاله هو بنفسه عن نفسه في مقدمة كتابة دعوة محبة : كتاباتي قومية

من أبحار اللغة العربية، و ميولي ديموقراطية و أهدافي انسانية ، و قلبي ضد الإكراه و مع الحرية، و بكل هذه المحبة يقدم سماحته نموذجاً حقيقياً في التسامح، و من منّا لم يشهد إفطار رمضان المعظم في الكنيسة القبطية ؟ و لعل من أعظم ما يقوم به أبونا القمص هو تبسيطه للمعاني الإنسانية العميقة في عبارات سهلة التركيب، يسيرة الفهم علي القارئ العادي أو ما أسميناه بالحاصل الإجتماعي ، و قد ساعدته كتاباته اليومية في الصحف، و إحتكاكه اليومي بالقراء عبر زواياه المتعددة علي إستخدام أقصر الطرق و أيسرها تلك التي تقود القراء إلي المعني الذي يريد. كما أن شعبيته و طبيعة المناصب التي تولاها تجعل منه زعيماً شعبياً، فقد رُسم قساً عام ١٩٦٩ ثم قمصاً في ١٩٧١م، كما شغل منصب نائب برلماني بالمجلس الوطني لمرتين علي التوالي، حقا ما أحوجنا لقادة يتمتعون بمثل هذه الشعبية يقومون بدفع جماهيرهم للتعايش الجميل في ربوع الوطن الواحد.

و الحق أن الدينين المسيحية والإسلام قد عاشا معاً فترة من الزمن في تسامح و إنسجام، و هي الدعوة التي ما فتئ يتبناها أبونا، و أجدني هنا أُعلن لكم إستجابتي " لدعوة محبة" مع تباشير السلام الذي نرجو أن يعم ربوع بلادنا، فأرضنا تتسع للجميع، و كذا يجب أن تكون صدورنا،،

بروفسور يوسف فضل

أستاذ التاريخ جامعة الخرطوم

٧- نسأل الله أن يوفق الأستاذ الأب فيلوثاوس فرج لمواصلة الجهد و البحث في الحضارة السودانية و يواصل جهد جهده من أجل الأخوة والسلام و هو صاحب إطلاع واسع علي العديد من المراجع لعلماء آثار عملوا بالسودان و بعد جهد أبونا في كتاباته التاريخية ضمن إطار إهتمام الهيئة القومية للآثار والمتاحف بتاريخنا المجيد و نحن يجب أن نشكر و نقدر هذا الجهد العظيم و الكـبير الذي يقوم به الأب الأستاذ فيلوثاوس و الذي له العديد من الإصدارات الهامة و أتمني أن تلغي الأهتمام العالمي و الفائدة لكل الباحثين و القراء الكرام.

حسن حسين ادريس

مدير عام الهيئة القومية للآثار و المتاحف

٨- إن الأب فيلوثاوس قد كان منذ أن عرفته إبان فترة المجلس الوطني الإنتقالي

(١٩٩٢- ١٩٩٦) شجاعاً مقداماً ، أخُ إخوان، رجل دين من الطراز الاول متواضعاً محباً للآخرين من كُل الاجناس و القبائل و الديانات، و هذه صفات نادر وجودها في شخص واحد هذه الأيام، و ذلك لما يتمتع به من كرم و خصال فاضلة و لهذا كان و لم يزل محبوباً من الجميع، و أعماله الأدبية أعمالاً علمية كاملة جداً و شاملـــة جداً و أسأل الله الكريم، و رب العرش العظيم أن يمد في عمر أخونا و حبيبنا الأب القمص فيلوثاوس فرج لننعم جميعاً بعلمه و أخلاقه و عدم إنحيازه لا لعنصر و لا دين..

بروفسور محمد الأمين البصير

نائب رئيس المجلـــس

الوطني الانتقالي

٩- الصديق القمص فيلوثاوس فرج تعرفت عليه بواسطة رفيقي العقيد الاديب محمود عبده و كان المدخل هو الهم المشترك في تدوين تاريخ هذا الوطن في كافة مناحيه نظراً للإهمال الذي يعتريه ثم اعتماد الشفاهية بدلاً عن الكتابية .

الأب فيلوثاوس فرج رجل منفتح علي المجتمع مفتوح العقل متسامح محب للسودان و حضارة السودان و له علاقات واسعة من كافة مفاصل المجتمع السوداني في الرياضة و الفن و السياسة و الدين الإسلامي بكافة طوائفه دون حساسية او تعصب في صورة تحكي عظمة هذا الشعب الذي يعيش تسامحاً دينياً فريداً يدعو للفخر و الإعزاز.

أمس الأول كتب الأخ فيلوثاوس مقالاً بصحيفة أخر لحظة تحت عنوان « المكتبة السودانية العربية» وكان بحق دسماً و رائعاً لامس أوتاراً حساسة تستحق الإهتمام و خاصة عندنا في الوسط الرياضي.

جاء فيما كتبه الأب فيلوثاوس « تعد كتابة التاريخ عملاً حضارياً رائعاً و كانت الحوادث في العهد القديم تسجل علي الحجر او الخزف و ما تزال النقوش القديمة باقية حتي الآن تحكي عن الحضارات القديمة مثل حضارة الفراعنة و التي سبقت حضارة اليهود في مصر و التي بدأت بعد وصول سيدنا يعقوب أبان حكم أبنه سيدنا يوسف لها في عام ١٨٨٥م قبل الميلاد».

يقول الأب فيلوثاوس أن الدكتور مصطفي محمد مسعد أستاذ التاريخ بجامعة القاهرة فرع الخرطوم عندما جمع مواداً مكتوبة و مؤلفات عن المكتبة السودانية العربية ذكر بأنه أراد أن يكتب رسالته للدكتوراة عن الإسلام و ممالك النوبة في العصور

الوسطي و لكنه لم يجد المراجع السودانية فما كان منه إلا و أن التجأ إلي الكتب القديمة التي كتبت عن السودان مثل الواقدي في كتاب فتوح مصر و الاسكندرية و الفيض المديد في أخبار النيل السعيد لابن عبد السلام و غيرها من الكتب القديمة عندما أضناه البحث عن كتب سودانية.

فيلوثاوس لا أعرف معناها و لكن فيلوسوف تعني محب للحكمة و المعرفة في اللغة اليونانية و جاءت منها كلمة فيلسوف و علي كل الأحوال نجد أن صـــديقنا القمص يحب الحكمة و المعرفة.

ما أشار إليه صديقنا فيلوثاوس من ضرورة الإهتمام بتدوين التاريخ نجد انفسنا نحتاجه بشدة في الوسط الرياضي و الذي لم يكتب فيه ما يشفي الغليل و فتح باب الأقاويل و الشكوك في الحقائق السابقة.

إننا الآن نعمل بجد و إجتهاد لتدوين التاريخ الرياضي و قطعنا أشواطاً بعيدة في تدوين تاريخ المـــريخ فـــي مائة عام ١٩٠٨ ٢٠٠٨م و في مطلع العام الجديد سيري النور بعون الله و في الطريق كتب أخري نتركها لحينها.

في الساحة الآن إخوة كرام مهمومون بأمر التاريخ سواء أكان للهلال أو السودان لا يهم و لكن المهم هو ان تتضافر الجهود من أجل عمل يحفظ لهذا الشعب إرثه التاريخي من الضياع.

الأخ و الصديق صلاح التوم من الله و الذي يكتب بالزميلة « قوون» كان قد إقترح تكوين رابطة أو جمـــعية تهتـــم بتدوين التاريخ الرياضي كجهد جماعي و نحن معه نؤيد الفكرة و نعمل بها.

الإخوة عبده قابل و صلاح التوم من الله و محمد حسن نقد و مأمون أبو شيبه و عبد العزيز البصيري و الفكي بشير بريمة و علي الفكي و عبد الغفار عبد الرازق و سالم سعيد و أحمد الحبو يمكن ان يكونوا نواة لذلك العمل الجليل مع ايجاد رعاية و دعم لمشروع تدوين التاريخ الرياضي.

نعم سبق للأخ الوزير عبد القادر محمد زين تكوين لجنة و فرغت من جمع الموسوعة الرياضية و لكنا نعتقد بأن المجموعة أعلاه يمكن أن تقدم جهداً أخر يضيف للمكتبة السودانية.

ابو بكر عابدين

صحفي بجريدة المشاهد

٢٠٠٧/١٠/٧

وإلى المقالات:-

١- الإيمان.. والتأمين على الحياة

بوليصة تأمين: حديثى هذا هو ليس مناقشة لموضوع التأمين على الحياة.. وأنا لست ضد التأمين على الحياة ، فهو توفير وإستثمار له عائده.. ولكن حديثى عن أعظم بوليصة تأمين على حياة الإنسان، وهذه البوليصة ثمنها هو الإيمان ، فالإيمان بالله هو أعظم وأكبر بوليصة تأمين على الحياة.. لأنه يستثمر طاقة الإنسان الروحية.. ويدفع إرادته نحو الحياة.. ونحو النجاح .. ونحو العمل.. ويقاوم اليأس.. ويكافح الفشل.. ولا يستسلم ، إنما يجاهد جهاداً قانونياً لأن القوة التى فى داخل الإنسان ، هى قوة قادرة على إحتمال الألم.. ولأن إرادة الإستمرار هى التى تشفى أعصاب الإنسان، بل عضلاته أيضاً..

ولهذا نلاحظ أن الطبيب لا يأمر صاحب الساق المتالم أن ينام ، إنما يأمره أن يدوس عليها.. والطبيب أيضاً يطلب من كبار السن أن يمشون على أرجلهم.. ويبذلون مجهوداً وجهداً ، وهذا لأجل صحتهم ، حيث أن الأرقام فى المستشفيات تؤكد أن إرادة الشفاء هى نصف الشفاء.. وإرادة البقاء هى نصف الطريق إلى البقاء ، حرباً ضد اليأس.. وإحتمالاً للألم..

الإيمان والتأمين :إن الإيمان هو التامين على الحياة.. والإيمان هو طريق الأمان.. لأنه إن لم تؤمنوا ، فلا تأمَنوا.. والإيمان هو اليد المباركة التى تستطيع أن تصنع بها المعجزات.. ولو كان لكم إيمان مثل حبة الخردل ، (وهى حبة سمراء صغيرة جداً)..لكنتم تقولون لهذا الجبل إنتقل من هنا إلى هناك ، فينتقل..ولا يكون شئ غير ممكن لديكم (متى ١٧ :٢٠)..

ولقد تقدم شخص إلى السيد المسيح يطلب منه شفاء إبنه الذى كان به روح نجس.. وقال له :إن كنت تستطيع شيئاً فتحنن علينا، وأعنّا.. فقال له يسوع : إن كنت تستطيع أن تؤمن .. كل شئ مستطاع للمؤمن.. فللوقت صرخ الرجل أؤمن ياسيد فأعن عدم إيمانى (مرقس ٩).. وتم الشفاء لهذا الولد الأخرس ، الأصم ، بعد أن تأكد إيمان أبيه أمام يسوع.. بل أن معلمنا بولس الرسول يقول بوضوح الذين

إختبروا الإيمان : أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقوينى (فيلبى ٤ :١٣)..
المخترعون المؤمنون :وأصحاب أفضل الإختراعات ، كان قلبهم ممتلىء بالإيمان.. الإيمان بربهم.. والإيمان بهدفهم.. فالذين إخترعوا الطائرة.. وبنوا الخزانات.. وإجتازوا الفضاء وحلقوا فيه.. ونزلوا على سطح القمر.. وإكتشفوا ما إكتشفوا هناك.. والذين إخترعوا التليفون.. والقطار.. والعربة.. والكومبيوتر.. إنما كلهم علماء مؤمنون.. آمنوا بربهم.. وآمنوا بهدفهم..

غياب الإيمان :

وعندما يغيب منا الإيمان .. يكون نصيبنا الفشل فى الحياة.. والفاشلون الذين يرون السهل صعباً.. والحجر جبلاً.. ولا يخرجون إلى الحياة قائلين : إن الأسد فى الطريق.. ويرون الحفرة بئراً.. والحبل ثعباناً.. والنور ظلاماً.. ويعشقون كلمة مستحيل ، وهم بين جبان وكسلان ، وعديم إيمان...

الخائفون يتراجعون :

أراد الرب أن يعمل عملاً عظيماً على يد رجل مؤمن .. بل جبار بأس فى الإيمان.. والرجل هو جدعون.. وهو قائد عظيم.. بدأ حياته بقوة إيمان.. وهدم مذابح الآلهة الوثنية.. وقدم لله الواحد ذبيحة حب.. ولما علم أهل مديان الوثنية بفعلته ، قاموا ليحاربوه.. وجمع جدعون أهله وشعبه لمحاربة المديانيين.. وكان الذين إجتمعوا وصعدوا للحرب كثيرين.. فجاءه نداء الرب قائلاً : ناد فى آذان الشعب قائلاً : من كان خائفاً ومرتعداً فليرجع عائداً إلى بيته..فرجع إثنان وعشرون ألفاً. وبقى عشرة آلاف فقال له الرب: إنزل بهم إلى الماء فأنقيهم هناك.. والذى يجثو على ركبتيه ليشرب يرجع.. أما الذى يلغ الماء بلسانه فيحارب.. وكانت تصفية الكل إلى ثلثمائة رجل مؤمن قوى.. وتم بهذا العدد القليل الإنتصار على جيش كبير (قضاة ٧)..
عودة للتأمين :أليس إذن الإيمان هو أعظم بوليصة تأمين على الحياة.. إن نفراً قليلاً مؤمن بالله ، هو أقوى من أعظم الجيوش العاتية.. إن الإيمان هو أقوى سلاح للمؤمن.. فهل ترغب فى بوليصة تأمين الإيمان ؟.. آمن بالرب.. إثبت فى الإيمان.. كن رجلاً.. تقوى فى الإيمان..

٢- العودة إلى الطبيعة

حضارة أم تخلف:ينظر البعض العودة إلى الطبيعة على أنها تخلف ينبغى أن لا نمسك فى زمامه ، ولكننى أرى أن العودة إلى الطبيعة هى الحضارة ذاتها، وما تحمله إلينا الطبيعة ، هو الذى جعلنا نحيا الحضارة ، وجعل الحضارة تتحرك فينا ، نمواً وتعميقاً للجذور..

ومن بين ملامح العودة إلى الطبيعة ، الرضاعة الطبيعية ، وتفرغ الأم لتربية الأطفال ، والإتصال المباشر .. ولقد تركنا أطفالنا للرضاعة الصناعية ، وللمربيات، ولوسائل الإعلام ، لكى يعيشوا معها وقتهم ، بل لكى يقتلوا وقتهم فى غربة عن القيم الأصيلة.. وتأتى بعد هذا الآثار السلبية فى نفوس أطفالنا.. وتترك قافلة التثبيت آلام تطبعها فى فلذات أكبادنا.. ويكبرون وتكبر معهم هذه السلبيات ، فلا يعرفون كيف يتوافقون مع المجتمع..

وفى السودان تبذل جمعية الرضاعة الطبيعية .. وجمعية محاربة العادات الضارة، مجهوداً كبيراً فى الإتجاه نحو العودة إلى الطبيعة.. وهذه نقلة حضارية ، لها إحترامها ، وينبغى أن تدعم من المخلصين حتى نعمق الميراث القديم.. فنحن نملك ميراثاً ثقافياً ثرياً.. والطبيعة تحمل إلينا الغذاء.. والدواء .. والعزاء.. والغذاء الطبيعى ، غذاء كامل بلا كيماويات تهدد صحتنا..

والدواء فى أعشاب الأرض ، أما العزاء فهو فى السلام الذى نحياه ، وفى ثمار التأمل فى الطبيعة ، فما تلبسه زنابق الحقل من خضرة زاهية ، يفوق جمال وأناقة، ملابس الملوك والرؤساء.. وما تحيا فيه طيور الأرض من سلام ، وهى تغزل ولا تنسج ، إنما يعنى السلام الذى حرمنا منه...

وقد وجه السيد المسيح تابعيه إلى الطبيعة وقال : إن الحياة أفضل من الطعام.. والجسد أفضل من اللباس.. أنظروا إلى طيور السماء ، إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها ، ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ؟ (متى ٦)..

الرضاعة الطبيعية :يرى البعض أن الرضاعة الطبيعية هى عادة تقليدية قديمة ، تمارسها المجتمعات المتخلفة فى العالم الثالث.. ولكن الحق يقال : إن الرضاعة

الطبيعية هى الحضارة ذاتها.. وليس هناك بديل للرعاية الطبيعية غير الرعاية الطبيعية ، وعندما رأت إبنة فرعون موسى طفلاً فى اليم ، طلبت له مرضعة ، وشاءت إرادة الرب أن تكون أم موسى هى مرضعته..

ويحفل الفن المسيحى وعلى الأخص الفن القبطى بصورة السيدة العذراء وهى ترضع طفلها ، رضاعة طبيعية ، وقد وضعت وجنتها على وجنته ، وألقىَ بذراعه على كتفها فى حنان شديد، ولقد أعد الله المرأة لهذه الرسالة ، وميز خطوط اللبن من شرايين الدم ، بل أوجد القلب النابض للمرأة تحت الثدى الأيسر.. وما يحدث من رضا نفسى ومناعة طبيعية من الرضاعة الطبيعية ، لا توجده الرضاعة الصناعية..

ولم يزل حتى الآن ، وجه الأم مصدر أمان ، والتلامس معها ينبوع حنان ، فالطفل يتوقف عن البكاء عندما يتلامس جسده مع جسد الأم أو يرتمى فى أحضانها.. والمرأة هنا تسمو فوق كل سمو ، بعلاقة بذل وعطاء ، فهى تعطى حياتها لطفلها ، ولبن الأم قطرة لشفاء عين الأم ، عدا أنه غذاء كامل ..

والطفل ليس قطعة لحم كما يقولون: إنما هو كائن حى يؤثر ويتأثر ، فلقد شعرت أليصابات أم المعمدان أن الطفل جنيناً يتحرك بإبتهاج فى بطنها.. والطفل يبث للثدى شكواه.. وما يحدث مع الثدى من مناجاة وملاغاة وفرح وحزن ، يؤكد إن الرضاعة ليست مجرد غذاء، إنما هى عملية تربوية ، كاملة ، لها أبعادها النفسية ، والإجتماعية ، والروحية..

مراسم الإستقبال: وفى مراسم الإستقبال للطفل فى مجتمعاتنا الشرقية ، ما يؤكد رغبتنا فى أن يرتبط الطفل بالطبيعة.. وفى أعمال كل حواسه.. ويذكر لنا الكتاب المقدس أن إسم الطفل يتم إختياره فى إحتفال عائلى ، بهيج يحضره الأقارب والجيران ، مثلما حدث فى ميلاد المعمدان والسيد المسيح ..

وكان الختان يتم فى اليوم الثامن مع إختيار الإسم.. وفى يوم الأربعين للطفل يجرى طقس التطهير وتقدم ذبائح الشكر لله.. وعند الأقباط توجد صلاة «حميم الميلاد «وفيها يقام إحتفال لإختيار الإسم.. ويستحم الطفل بواسطة الأب الروحى كاهن الكنيسة والذى سوف يكون مسئولاً عن رعايته ، يستلمه من المهد حتى اللحد..

وفى هذه المناسبة والتى تقع فى اليوم السابع ، تضاء الشموع تقديساً لحاسة البصر.. وترنم الألحان تقديساً للسمع.. ويرفع البخور تقديساً للشم.. ويستحم الطفل طبيعياً بماء فيه ملح وزيت ، وكلاهما دواء ناجح..

الإتصال المباشر : ورغم تقدم وسائل التواصل الأن فى عصرنا الحالى ، فإن الإتصال المباشر بين الأم وطفلها لم يزل هو أرقى أنواع الإتصال، وأكثرها تأثيراً ، وأكبرها ثمراً ، ومهما تشاغل الطفل بالوسائل السمعية والبصرية ، فإن أذنه مفتوحة لسماع صوت أمه ، وعينيه مفتوحتان لها.. وهى تحكى أمامه ، فهو يحاورها ويتعلم منها فن الحوار.. وهو يؤمن بكلامها ، ويتعلم منها حياة الإيمان ، وينتقل الإيمان الساكن فى الأم من خلال ميراث الأباء والأجداد إلى الأبناء ، فتسير دورة التاريخ تحمل ميراثاً وثقافة تؤكد أن العودة إلى الطبيعة هى جزء من ثقافة السلام ، ولكم السلام ، وأنتم أهله..

٣- سباق العجائز نحو الشباب

عالم مجنون : عالم غريب هذا الذى نحيا فيه.. يولد الطفل صغيراً ، ويجاهد لكى يكون كبيراً.. وتصمم الأمهات على أن يعطين لأبنائهن غذاءً قوياً لكى يكبروا.. وفعلاً يكبر الطفل، ويصبح شاباً.. وتمتلئ حياة الشاب فى الأمل ، بالزواج وبداية أسرة سعيدة.. وتمر الأيام ويبدأ الشعر الأبيض يظهر وسط الشعر الأسود.. وهنا يحاول الإنسان أن يصنع شيئاً.. لكى يحافظ على شبابه.. ولا تقدر أصباغ العالم أن تجعل الأبيض أسوداً.. ويحاول الإنسان أن يوقف الزمن ، ولكن من فينا يقدر أن يوقف الزمن ؟..

تسير بنا الأيام نحو شباب يغيب ، وفجر شيخوخة تدركنا.. وعالمنا المجنون مشغول اليوم بدواء معالجة الكِبر ، إسمه» الفياجرا».. وبعد الفياجرا ، ظهرت حقن أخرى.. وإستضافت باريس فى شهر يونيو عام ١٩٩٩ مؤتمر لبحث أيهما أقوى حبوب الفياجرا أم الحقن ؟.. والحرب مفتوحة.. والمناقشة مثيرة.. والمناقشة حارة.. والمراهنة على ملايين بل بلايين الدولارات.. وتتم الدراسات المتعددة التى تؤكد هجرة البعض من الفياجرا إلى الحقن.. وآلاف العلب من الأدوية فى أمريكا ، وفى فرنسا..

أما فى مصر ، فقد وضعت تحفظات ضد الفياجرا.. ولكن هذه التحفظات لم توقف دخولها ، ولم تؤثر فى إنتشارها فى كل بلادنا الشرقية.. وفى تايلاند بدأ الناس يتداولون عقاراً جديداً من الأعشاب ، يقولون : إنه أقوى من الفياجرا ، ويباع العقار الجديد على شكل أقراص ، ويكلف القرص دولارين ، ولا يشترط صرف هذا العقار بروشتة الطبيب.. وتتوقع تايلاند أن توزع كميات كبيرة من هذا الدواء..

سباق العجائز :وما يحدث من إتجاه نحو هذه الحقن أو الحبوب التى ترجع الرجل شاباً قوياً ، إنما يؤكد سباق العجائز.. لكى يرجعوا شباباً.. وليت الشباب يعود يوماً.. ليرى ماذا فعل بنا المشيب ؟.. وأعتقد إنه يكفى فقط للشباب أن يرى ماذا فعل بنا المشيب ؟.. أما أن يرجعنا شبابنا بالمفهوم الحرفى ، فهذا أمر غير مقبول..

ويتحدث الناس عن شباب الإيمان.. وشباب العزيمة .. وهذه المنطلقات الروحية هى الحبوب الوحيدة التى تعيد إلينا شباباً روحياً.. وليس شباباً جسدياً.. لأن الحياة أعظم من أن تكون مجرد إشباع لشهوات جسدية .. ومن يعيش لله شعر بمعنى جديد للحياة.. ويتوق إلى الحياة الآخرى..

وفى الحياة الآخرى سوف نكون جميعاً شباباً ، قوياً ، فتياً.. سنكون فى قوتنا الكاملة ، ولكن بعد الموت ، وعلى الأخص فى رأى المسيحية نعيش فى السماء مثل ملائكة الله، الذين لا يتزوجون ولا يزوجون .. ولن يكون هناك مكان لرغباتنا الأرضية ولا لشهواتنا الجنسية ، إنما تكون لنا الحياة الملائكية الهادئة التى فيها نسبح الله ، وننشغل بتمجيد إسمه القدوس ، وبالتعرف على زملائنا فى الإيمان الذين عاشوا لله ، ومن ثم صار الملكوت من نصيبهم، وهو نصيب لا يفنى ولا يتدنس ، محفوظ لنا فى السموات..

مرحباً بالأمل : وأتمنى للذين يبحثون عن أمل جديد فى عودة الشباب أن يتمسكوا بالأمل.. وأن يحرروا هذا الأمل من عوائق الجسد.. ومن ربط المادة.. وأن يكون الأمل أملاً هادئاً مشرقاً ، يسعد البشرية بالسلام الإلهى الذى هو أعظم الآمال.. فالأمل فى الحياة مع الله فى الدنيا والآخرة هو تعزية كبيرة ، لكى تكون لنا تعزية قوية نحن الذين إلتجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا ، الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة (عبرانيين ٦:١٨،١٩)..

ونحن جميعنا نحيا فى إنتظار المجىء الثانى للسيد المسيح.. وفى إنتظار الحياة

الجديدة فى السماء الجديدة ، نحيا غير متكاسلين فى الإجتهاد ، حارين فى الروح ، عابدين الرب ، فرحين فى الرجاء ، صابرين فى الضيق ، مواظبين على الصلاة ، مشتركين فى إحتياجات القديسين ، عاكفين على إضافة الغرباء (رومية ١٢).. والرجاء دوماً فى إنتظار المؤمنين عندما يعدون قلوبهم للرب.. ويبتعدون عن الإثم ، ولا يسكن الظلم فى خيمتهم والمؤمن بهذا ينسى المشقة والكلام يتحول له ، ويطمئن لأنه يوجد رجاء (أيوب ١١)..

ونحن نحيا على رجاء مجيد ، وإذا كان للشجرة رجاء ، إن قطعت تخلف أيضاً ولا تعدم خراعيبها (أيوب ١٤:٧).. فكم وكم يكون رجاء المؤمن فى الله.. ولن تهبط آمالنا إلى مغاليق الهاوية.. ولن ترتاح طموحاتنا معنا فى تراب الأرض..

ولكن المهم أن يكون سباق العجائز ، هو سباق نحو شباب الروح ، وشباب الإيمان بدلاً من متاهات الجسد.. والتى لا تثمر سوى الموت فى عالم مجنون لا يفكر إلا فى إشباع ملذاته الأرضية.. وينسى أن هناك أمجاد سماوية أعدها الله له.. وهى فى إنتظاره..

٤ـ من الإحتراب إلى سلام الود والإقتراب

الحدث الحزين :فى أمسية الخميس الحزين تناقل الناس خبر تدمير مصنع الشفاء.. وكان الحدث مؤلماً ، ومؤسفاً ، وحزيناً ، وهو إفراز طبيعى للعداوة والإحتراب ، فمنذ أمد قريب أعلنت أمريكا حظر التعامل مع السودان إقتصادياً.. ووقتها بذلت دولتنا مجهوداً جباراً لإطفاء نار هذا الإحتراب .. وإهتم سفيرنا الحكيم مهدى إبراهيم، بإقامة علاقات طيبة مع الشعب الأمريكى.. وتمكن من النفاذ إلى الكونجرس الأمريكى ، ودعا أعضاء منهم لزيارة السودان..

وكان حريصاً أن ألتقى معهم ، وكانوا يحضرون إلى كنيسة الشهيدين التى أخدم فيها ، ضمن جولاتهم ، للتعرف على شئون أهل السودان.. وبدأ أعضاء الكونجرس يتفهمون الأمر ، ويكونون جبهة تدافع عن السودان ، بإعتباره دار سلام وأمان ، وليس تطرف وإرهاب..

ولكن أتى هذا الحدث لكى يوقف المسيرة ، فلقد تم سحب السفير السودانى فى واشنطن ، بل كل أركان السفارة ، وأنا أعتقد أن السفير السودانى بعد هذا ينبغى

أن يعود سريعاً ، لكى يستمر فى رسالته ولكى يؤدى دوراً فاعلاً فى الإنتقال من نار الإحتراب إلى سلام الود والإقتراب..

التوترات :

ولقد تزايدت التوترات كرد فعل طبيعى لهذا الإنفجار.. فلم ينفجر فقط مصنع الشفاء، ولكن إنفجرت فينا عروق المحبة لأن « الأسية « تقطع عروق المحبة.. ولكننى أثق أن لدينا من الحكمة والكياسة ما يجعلنا نضمد الجراح ، ونرتفع فوق مستوى التوترات فى علاقاتنا مع الآخرين..

وفى الأيام الأولى كان التوتر شديداً ، ولكن سريعاً ما عاد إلينا الوعى ، وبدأنا نتحدث عن تعاون أمنى ، بين أمريكا والسودان.. ومباحثات مشتركة نحو موقف موحد أزاء التطرف والإرهاب... ولا أدرى لماذا يتهم السودانى بالإرهاب وهو مواطن مسالم ؟.. من أهل العفو والعافية.. من المقتنعين بأن الله كريم.. وبأن هذا الإله الكريم يحل كل المعادلات الصعبة فى حياتنا الأسرية والإقتصادية..

حرب صليبية : ولقد إستمعت إلى الرئيس البشير وهو يتحدث عن أن هذا الحدث الحزين ، هو من تواطؤ الصهيونية مع الصليبية.. وأنا متأكد من نقاء قلب رئيس جمهوريتى ، وإنه عندما يتحدث عن الصليبية ، إنما يقصد تلك الحرب الضروس التى إتخذت من الصليب لها شعاراً ، وهى أبعد ما تكون عن الصليب..

وإن أهل أوربا فى ذلك الزمان أخفوا أطماعهم خلف راية الصليب المقدس، مثلما يخفى فى كل زمان أشرّ الناس أطماعهم خلف الإسلام، أو خلف المسيحية.. ولقد طالبت كثيراً بتجنب إستعمال تعبير الصليبيين ، لأن الصليب بالنسبة للإنسان المسيحى هو شعاره ، وهو فخره ، وزهوه.. وحبه وعلمه.. ويقول المسيحى من كتابه المقدس : حاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح..

ونحن نعلم تاريخنا أن أهل الشرق وعلى الأخص الأقباط ، لم يرحبوا بالحملات الصليبية ، التى أتت إليهم بعد خمسمائة عام ، من حكم العرب.. ولم يتعاونوا ولم يتعاطفوا ، لأنهم كانوا يعلمون أن القادمين من الشطآن الشمالية للبحر الأبيض المتوسط ، لم يحملوا إليهم خيراً ، ولا حملوا لهم حرية ، لهذا حُرِمَ الأقباط من دخول القدس فى زمان الصليبيين..

والحق يقال : إننى أتوقع من رئيس الجمهورية أن يوجه كل وسائل الإعلام

إلى تجنب إستعمال هذا التعبير ، إحتراماً لمواطنيه من المسيحيين ، ولأن الحرب ، ليست حرباً بين الإسلام والمسيحية ، إنما هو صراع بين نُظم سياسية مختلفة.. ولا يوجد دولة يمكن أن تسمى دولة مسيحية ، سوى الفاتيكان ، ذات الرقعة الصغيرة ، وذات علاقات الود مع المسلمين ومع كل الأديان..

نحو سلام الود : ونحن ومن منطلق لاهوتى ، نعتقد إنه قد آن الآوان ، لكى نبدأ رحلة العبور من دمار الإحتراب ، إلى سلام الود والإقتراب.. وهذه رحلة صعبة تحتاج منا إلى أن نكون كباراً.. ونحن فعلاً أكبر الكبار ، فى رغبتنا فى المحبة ، وتوقنا إلى السلام ، وشوقنا إلى علاقة دافئة حميمة مع كل دول العالم.. وعلى الأخص أمريكا لأن ما بين الشعب الأمريكى والشعب السودانى أكبر من أن يوقفه حدث مثل هذا مهما كان مؤلماً..

ونحن نرغب فى أن يكون لنا مساراً صحيحاً.. وإن لم يكن ، فلا مانع من تصحيح المسار عن طريق الحوار ، فنحن أهل الحوار.. ونحن جديرون بأن نحقق هذا الإنتقال من الإحتراب إلى سلام الود والإقتراب ، حتى نصنع سيوفنا سككاً .. ورماحنا مناجل .. وقنابلنا سنابل.. ودباباتنا جرارات ودبابين وطننا أهل زرع وضرع وبناء ونماء... وعندئذ سوف نبطل مفعول « غاز الأعصاب».. لأننا نحيا فى هدوء الأعصاب..

٥.الفجر الجديد في الأحد المجيد

الذكرى المجيدة: تطل علينا اليوم قيامة السيد المسيح من بين الأموات.. تطل علينا وسط أعباء الحياة التى سمحنا لها الأن أن تعصرنا عصراً ، حتى جعلت منّا تروساً صغيرة فى ماكينة ضخمة كبيرة.. وأصبحت حياتنا مجرد أرقام.. تحول كل واحد فينا إلى رقم فى مكان العمل ، وفى المؤسسات.. لأننا تروس صغيرة فى عجلة المجتمع الذى يشدنا بمباهجه ومغرياته.. حتى صرنا نجلس تائهين.. ونمشى واجمين.. ونحنى ظهورنا كإنسان فقد حريته..

نور الفجر : وتأتى إلينا قيامة السيد المسيح .. نوراً لفجر جديد ، يشرق على حياتنا ، بل يشرق على البشرية كلها.. البشرية الحائرة بين الحياة والموت.. ألسنا كلنا حيارى بين الحياة والموت ؟.. ألا يهرب كل واحد منا من إتجاه لآخر ؟.. ألا توقعنا

عجلة الحياة إلى ما يؤكد غريزة حبنا للحياة ؟.. ولكننا نسأل أنفسنا : لماذا نندفع إلى ما يشبع أهوائنا ؟.. ونسأل أنفسنا أيضاً : لماذا يضيع منا الهدف ؟.. وكأننا نأكل ونشرب لأننا غداً نموت..

وبينما نحن نندفع إلى شهوات الحياة ، يهجم علينا الموت ، كأسد كاسرٍ يحطم كل شيء، ويفسد الخطط التى رسمناها ، ويجردنا من المقتنيات التى إقتنيناها ، ويحرمنا من المتع التى كنا نعيش لها ، لأن كل شيء هو أمام الموت بلا جذور..

ونحن أيضاً نسأل أنفسنا لماذا ترتعش نبرة صوتنا عندما نتذكر الموت ، بينما ننتعش عندما نتذكر الحياة ؟.. ألا يؤكد هذا أن البشرية حائرة بين الموت والحياة ؟.. ثم لماذا يحاول المجتمع الإنسانى جاهداً ، بل يجند نفسه لأجل الحفاظ على الحياة ، فتجرى عربة الإسعاف سريعاً عبر الشوارع والطرقات لتنقذ نفساً بشريةً واحدةً من الموت والهلاك ؟.. وقد يكون الموت أسرع من عربة الإسعاف.. عندما تأتى شمس المغيب وتدق الأجراس ، اللحن النهائى ..

فجر الحياة الجديدة (يوم الأحد) : لقد أتى السيد المسيح لكى يهبنا الحياة.. لقد قال بفمه الطاهر : أتيت لتكون لكم حياة ، وليكن لكم أفضل.. إذا فالخوف من مجيء السيد المسيح ، هو الحياة الفضلىَ..وقبل أن يقوم السيد المسيح من الأموات أعلن بنفسه قائلاً: أنا هو القيامة والحياة ، من آمن بى ولو مات ، فسيحيا.. لقد قام السيد المسيح وصار باكورة الراقدين..

صار بكراً بين إخوة كثيرين ، هم نحن.. عندما نتطلع للحياة الأبدية ، وعندما يشرق الفجر الجديد على حياتنا ، وتحل القيامة المجيدة ، فتتحول أحزان يأسنا إلى وليمة فرح الأمل والرجاء.. لأن السيد المسيح قام من بين الأموات.. قام حقاً ويقيناً ، لأنه الطريق والحق والحياة..

لقد مات الموتُ بموتهِ.. وأصبح لنا الأمل فى القيامة بقيامتهِ.. لقد قام منتصراً لأنه هو القيامة ذاتها.. وصوته لم يزل يهمس فى آذاننا ، بل ويملأ كياننا الداخلى ، وهو يقول : أنا هو الأول والآخر، والحى ، وكنت ميتاً .. وها أنا حى إلى أبد الآبدين (رؤيا ١ :١٨)..

وفى قيامة السيد المسيح ، أصبحنا نفهم الحياة فهماً جديداً .. وهنا تضيع من أصواتنا نبرة الخوف من الموت.. ويعلو صوت الحرية التى نلناها بالمسيح ، مريداً

لنا أن نحيا الحياة الجديدة .. الحياة التى لا تسير ضد عقارب الساعة والزمن .. بل الحياة العظيمة التى فيها لا نقتل الوقت .. بل نفتدى الوقت لأن الأيام شريرة ، وتتفجر فينا ينابيع العظمة من أحشائنا.. ونرفض متع العالم ولذاته ، التى تريد أن تطحنا كالعجين..

ونرفض أيضاً أن يُسيّرنا العالم حسب أهوائه ، لأن لنا مبادئنا وقيمنا ، وأهدافنا ، وأعماقنا ، وجذورنا.. ولن نتمكن من أن نحيا مثل هذه الحياة إلا إذا تعرفنا على السيد المسيح، القائم من بين الأموات ، الحى إلى الأبد.. الذى أعلن إنه الحياة ، والذى كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان.. فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نوراً للناس (يوحنا ١:٣،٤)..

لقد أعطى السيد المسيح حياته لنا بالموت.. وضع حياته طوعاً من أجلنا.. مات عنا.. بذل ذاته لأجلنا حتى أن القديس « ترتليانوس» صرخ قائلاً : مَن مِن البشر قاطبة ، دفع ثمن موت غيره ، من حياته بل دفعها من ذاته ، سوى يسوع المسيح الذى إفتدانا لا بأشياء تفنى ، ليس بفضة أو ذهبٍ.. بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس (١ بطرس ١:١٨،١٩)..

ثمن الحياة الجديدة : لقد نلنا الحياة ، بقيامة المسيح الحى.. نحن لا نؤمن بمسيح ميت.. فالمسيح الميت لا يهب حياة.. أما مسيحنا فقد وعدنا أن يعطينا حياة أبدية ، ولكنه يطلب منّا ، لكى ننال هذه الحياة ، أن نسأل لكى نُعطى.. وأن نقرع الباب فى صبرٍ حتى يُفتح لنا.. وأن نطلب فى لجاجة حتى نجدُ ، وأن نبيع كل ما نملك ، لكى نشترى اللؤلؤة الواحدة الغالية الثمن.. التى هىّ الملكوت..

أن نجوع إلى البر.. حتى نمتلىء.. أن نعطش إلى الخير.. حتى نرتوى .. وعندئذ يتحقق هدف القيامة فى حياتنا.. ويضىء لنا المسيح لكى نعرفه وقوة قيامته ، وشركة آلامه، متشبهين بموته..

دعاء ورجاء: ونصلى إلى إله القيامة أن يعطينا نعمة الحياة الجديدة ، حياة الأبد المجيدة ، فلا يرعبنا الموت، بل نقول : أين شوكتك ياموت وأين غلبتك ياهاوية ؟.. ونحيا معاً حياة مجيدة فى أرض الشقاء ، حتى نصل إلى السماء.. وهناك فى السماء يحقق لنا الرجاء.. ونحيا حياة الأمجاد .. حيث لا حزن ولا بكاء ولا دموع.. ورب القيامة الذى أقام الإنسان بعد الموت ، يشرق بقيامته المقدسة على وطننا العظيم ،

السودان العظيم.. ويملأ بقاعنا خيراً ، ونعمة ، وبركة..

ومع نعمة الحياة الجديدة نبنى معاً السودان الجديد.. السودان المؤمن ، القوى فى الإيمان .. سودان المحبة.. سودان السلام.. الذى يجمع كل أبنائه تحت جناحيه فى محبة وحنان.. حتى يسود السلام والإطمئنان فى كل البلدان... ويتلاقى الأخوان لقاء المحبة.. تظللهم سماء السودان المشرقة الرحبة ، ويعيشون على أرض السودان الممتلئة خيراً .. والتى لا يمكن أن نتمتع بما فيها من جواهر ، ونفائس ، إلا إذا وضعنا أيدينا فى أيدى بعضنا البعض.. وسرنا معاً فى طريق السلام..

وإليكم جميعاً تهنئة العيد ، من قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث، بابا الإسكندرية ، وبطريرك الكرازة المرقسية ، وشريكيه فى الخدمة الرسولية ، نيافة الأنبا دانيال ، ونيافة الأنبا إسطفانوس.. وعيد سعيد عليكم ، وعلينا.. والمسيح بالحقيقة قام..

٦.المسيحية وثقافة السلام

ثقافة السلام : نشكر الله أن صار لثقافة السلام مساحة اليوم فى عالم الخصام.. فلقد كثر الحديث عن الخصومات والحروب ، وعن إفرازات هذه الخصومات من جهل وفقر ومرض وتسول ونزوح ولجوء وضياع لقيم أصيلة.. وإهدار لمبادىء نبيلة..

ونشكر القائمين على ندوة» ثقافة السلام « هذا الإهتمام.. وطالما هناك حديث عن ثقافة السلام ، فالأمل موجود والبداية بالكلام.. وليس الكلام أمر سهل ، لأننا جميعاً نؤمن بقوة الكلمة التى وصفها بولس الرسول بأنها قوية ، وفعالة ، وأمضى من كل سيف ذى حدين ، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ، ومميزة أفكار القلب ونياته (عبرانين ٤ :١٢)..

والكلمة عندما تكون كلمة الله ، يكون لها أكبر التأثير فى تغيير الإنسان.. ولقد تحدث الروح إلى ملاك كنيسة برغامس ، وكان كلامه ، هو كلام الذى له السيف الماضى ذو الحدين ، كما طالب المسئولين بالتوبة وكان تهديده لهم إنه سوف يأتى سريعاً ويحاربهم بسيف فمه (رؤيا ٢:١٢،١٦)..

والمسيحية تؤمن بقوة الكلمة وتعتبر الكلمة تعبير عن الله ذاته ، حيث يستهل

يوحنا البشير رسالته بقوله : فى البدء كان الكلمة ، وكان الكلمة عند الله، وكان الكلمة الله (يوحنا ١:١).. وبمشيئة الله طالما بدأ الكلام عن ثقافة السلام ، فهذه بداية طيبة وسوف يتحول الكلام إلى عمل ، وقلب الإنسان محب جداً للسلام.. وأحلام الإنسان كلها نحو السلام.. وسوف تتحقق فينا ثقافة السلام ، لأن الله هو السلام ، هو رئيس السلام ، وهو ملك السلام ، وهو صانع السلام فى أعاليه (أيوب ٢٥:٢)..

وكلمة السلام لها حضورها فى كل الأديان.. ولها من ينصرها فى كل المجتمعات.. ولها أيضاً من يحياها فى كل الثقافات ، حتى فى وسط القبائل المتناحرة يوجد من يدعو للسلام.. وفى ثقافة الحروب نفسها توجد أيضاً ثقافة السلام كمحاولة لإنهاء الخصام فى شكل علم يرفع طلباً للسلام أو فى شكل سفارة للسلام ووساطة لحل مشاكل الإحتراب..

مسيحية السلام : وثقافة السلام لها جذور عميقة فى المسيحية.. وعندما نتكلم عن المسيحية فى مولدها .. وفى إنتشارها.. وفى دستورها .. وفى قيمّها ، إنما أنت وبدون منازع تتحدث عن السلام .. والسيد المسيح مؤسس المسيحية ، هو مسيح السلام.. والذى صنع سلاماً بين الإنسان والله.. وبين الإنسان والإنسان.. وبين الإنسان ونفسه..

وتبدأ المسيحية من المزود الحقير ، البسيط ، فى بيت لحم ، الذى يحوى أسرة من النازحين ، فلقد نزح يوسف النجار ومريم العذراء من الناصرة إلى بيت لحم ، لكى يتم الإكتتاب بحسب أوامر أوغسطس قيصر، بأن يكتتب كل واحد فى مدينته..

وفى بيت لحم ، ولد يسوع ، وسمع العالم لأول مرة ترنيمة السلام ، وهى تعزف على ألحان الملائكة.. حيث ظهر للرعاة جمهور الجند السماوى ، يسبحون الله قائلين : المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة(متى ٢.. لوقا ٢)..

وبمولد السيد المسيح له المجد ، بدأ السلام يحل على الأرض.. وبدأ الناس ينبذون الحروب التى لم تنقطع ،حتى بات الإنسان مهدداً فى أمنه وسلامته.. وبدأ السيد المسيح فى نشر ثقافة السلام .. بدءاً بكرازته ، فلقد كان يكرز ويقول : توبوا لأنه قد إقترب منكم ملكوت السموات ..

ولا يقترب ملكوت السموات إلينا إلا عندما نحيا فى سلام الله ، ويملك الله على قلوبنا ، لأن السيد المسيح الذى إنتصر على الشيطان فى التجربة على الجبل ، بدأ بعد هذا يزرع بذور السلام بين الناس..

وفى أول خدمته تكلم عن السلام.. وفى أول أحاديثه تكلم عن السلام.. ففى أول خدمته جاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى ، ودخل حسب عادته يوم السبت ، وقام ليقرأ ، فدُفع إليه سفر أشعياء النبى ، ولما فتح السفر ، وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه : روح الرب علىّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى لأشفى منكسرى القلوب ، لأنادى للمأسورين بالإطلاق ، وللعمى بالبصر ، وأرسل المنسحقين فى الحرية.. وأكرز بسنة الرب المقبولة ، ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم ، وجلس وجميع الذين فى المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه..

وإبتدأ هو يقول لهم : إنه اليوم قد تمّ هذا المكتوب فى مسامعكم.. وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه (لوقا ٤ : ١٦-٢١).. ولا غرو فى هذا .. فكلام السيد المسيح ، هو كلام السلام ، وكان هو يتكلم بسلطان وليس كالأخرين..

كان عنده سلطان الكلمة الذى يهىء فى القلب سلاماً.. وعندما تحدث السيد المسيح عن دستور المسيحية فى العظة على الجبل ، إهتم أن يذكر صانعى السلام فى تطويباته ، فقال : طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعّون (متى ٥ : ٩)..

وصار السلام صناعة مجيدة.. وكم من المؤتمرات العالمية التى عقدت تحت عنوان «صناعة السلام «.. وبعد هذا تستمر المسيحية كمسيرة سلام فى ثقافة السلام ...

٧. نحن وثقافة السلام

سمنار ثقافة السلام : يعقد الأن فى الخرطوم ، سمنار السلام .. وتبذل جهود كثيرة وكبيرة ، لكى يؤدى هذا السمنار دوره فى المجتمع السودانى .. وتشارك فى المؤتمر دول أفريقية عديدة من أجل تعميق ثقافة السلام فى كل أفريقيا..

ويفتتح الرئيس البشير ، المؤتمر مبشراً كل أفريقيا بسلام عادل وشامل وكامل.. ويشارك الدكتور سالم محمد سالم ، أمين منظمة الوحدة الأفريقية.. والكل طموح

نحو فكر هادف إلى السلام.. وثقافة تدخل نسيج المجتمع كله ، وتشير نحو السلام ..

نحن وثقافة السلام : ونحن كشعب متدين أحبَ السلام ، وعشق المحبة.. ونبذ الخصام وكره الكراهية ، يتعاظم دورنا بقدر تديننا.. ويتعاظم دورنا بقدر تمدننا.. فنحن شعب ثقافته هى ثقافة السلام.. والسلام فى السودان لحن شعبى يعزفه الناس بكل الأنغام.. ومن كل فئات المجتمع.. فسلامنا.. وتعانقنا... وتوادنا.. وسؤالنا عن بعض.. وتعاطفنا مع بعض..

والعدد الهائل من الناس الذين يشاطرون الأحزان.. وصفوف السودانيين الذين يقفون على أبواب المستشفيات فى صبر مذهل ، يسألون عن مريض من أهلهم أو جيرانهم أو حلتهم.. إنما كل هذا يؤكد ثقافة السلام فى مجتمعنا.. وعندما نأتى إلى مجالس الود.. ولقاءات التصالح .. وطلب العفو والعافية ، نرى بصدق ثقافة السلام فى سودان السلام..

أعياد السلام : والأعياد فى السودان على مستوى أعياد المسلمين والمسيحيين ، هى أعياد للسلام... فثقافة العيد أن يسأل الناس عن بعضهم البعض.. ويتصالحون مع بعضهم البعض.. ويدخلون إلى البيوت فى مجموعات من الرجال.. وأخرى من النساء.. وأخرى من الأطفال.. كلهم يدخلون بهجة العيد إلى القلوب ويصبح العيد محطة من محطات السلام يقف المؤمن ، عندها كثيراً فعن طريق سلامه القلبى مع الله.. يسير خطوات فى طريق سلامه مع نفسه.. ويطرق أبواب الجيران يؤكد السلام من الآخرين وبهذا يتحقق السلام بكل ما فيه..

الدين والسلام :والدين هو باعث السلام.. وهو الذى ينشر المحبة والوئام.. لأن لقمة يابسة معها سلام ، خير من بيت ملآن ذبائح معها خصام.. ووطن يعيش فى السلام ، خير من وطن يحيا دمار الفرقة وشتات الإنقسام.. حتى لو كان هذا الوطن يعانى من أزمات إقتصادية طاحنة يحار فى حلها علماء الإقتصاد ، ولكنهم يعترفون أن الله يحقق موازنة غريبة داخل أسرنا.. فهو « الله الكريم».. الذى يغطى عجزنا.. لأن عجزنا الإقتصادى سببه الرئيسى ، هو الحرب التى تحرق الأخضر واليابس.. وتحرق أحلامنا الجميلة.. وتحطم طموحاتنا النبيلة..

مع ثقافة السلام: ونحن مع ثقافة السلام.. نحن صانعو السلام.. وطوبى لصانعى

السلام لأنهم أبناء الله يدعون.. ونحن مسلمون ومسيحيون نغنى أغنية جند السماء.. وهى ترنيمة خالدة تقول : المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.. والمسيحى يؤمن بإنجيله ، هو إنجيل السلام.. لأن إنجيل المسيح هو رسالة سلام من الله لنا.. سلام مع الله بربنا يسوع المسيح..

ومن ينادى بالإنجيل يبشر بالسلام والخيرات ، وهوذا ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام ، المبشرين بالخيرات.. والمسيح هو سلامنا الذى نقض حائط السياج المتوسط أى العداوة بين اليهود والأمم..

ويظل السلام بالنسبة للمؤمن ، هو عنصر هام فى ملكوت الله.. ذلك الملكوت الذى هو أمل المؤمن، عندما ينتهى هذا العالم بكل ما فيه.. ويبدأ زمان الأبدية الذى هو يوم كله نهار.. لا تلمس ظلمة ليل ، ولا يكون فيه ظلم.. ولا بكاء.. ولا نحيب ، إنما أبدية كلها سعادة..

أما بعد :كنت أريد أن أتحدث إليكم عن ثقافة السلام فى إنجيل السلام.. وسوف أترك هذا للقاء آخر.. ومرحباً بمؤتمر ثقافة السلام ، على أرض سودان السلام.. وسلام لكل المؤمنين..

٨- أوقفوا الحرب والخصام والتزموا بالحب والسلام

عهد السلام : يحلم المؤمنون أن يعيشون فى عهد السلام.. هم حالمون متفائلون.. متطلعون إلى الله وسط طبول الحرب ، وأصوات القذائف والرجمات.. وقلبهم ممتلىء بالأمل أن يحقق الله عهد السلام.. والأمر ليس صعب المنال.. ليس أمر عسير عند الله.. إنه ضابط الكل القادر على كل شىء..

وطالما نحن نطرق أبواب السماء ، فسوف تستجب السماء لنا ، ويعطينا الرب عهده ، عهد سلام ، كما تكلم الرب على فم موسى النبى ، لذلك قل: هأنذا أعطيه ميثاق السلام (عدد ٢٥:١٢).. وفى عهد السلام ، سوف تعود إلى الإنسان كرامته المهدورة.. وحقوقه الضائعة..

وعندما دخل السيد المسيح له المجد إلى الناصرة حيث تربى هناك.. دخل المجمع يوم السبت ، فدفع إليه سفر أشعياء النبى .. ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه : روح الرب علىّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين.. أرسلنى

لأشفى منكسرى القلوب.. لأنادى للمأسورين بالإطلاق، وللعمى بالبصر.. وأرسل المنسحقين فى الحرية، وأكرز بسنة الرب المقبولة (لوقا ٤)..

وهذه النبوة تأتى فى سفر أشعياء.. وهى نبوءة عن المسيا تؤكد إن رسالته الروحية فى تحقيق عهد السلام ، حيث قال الرب : إن عهد السلام ، هو عهد يعطينا الله فيه جمالاً عوضاً عن الرماد.. ودهن فرحاً عوضاً عن النوح ورداء تسبيح عوضاً عن الروح البائسة.. فيدعى المؤمنون أشجار البر غرس الرب للتمجيد.. ويبنون الخرب القديمة.. ويجددون المدن الخربة.. بهجة أبدية تكون لهم.. لأنى أنا الرب ، محب العدل ، مبغض المختلس بالظلم.. أقطع معهم عهداً أبدياً.. كل الذين يرونهم يعرفونهم أنهم نسل باركه الرب...

ويترنم المؤمن قائلاً: فرحاً أفرح بالرب ، تبتهج نفسى بالهى ، لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص.. كسانى برداء البر مثل عريس يتزين بعمامة ، وعروس تتزين بحليها.. لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها، وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها ، هكذا السيد الرب ينبت براً وتسبيحاً أمام كل الأمم (أشعياء ٦١)..

نداء السلام : ومن واقع الكتاب المقدس.. ومن خلفية لاهوتية روحية ، جاء نداء السلام الذى قدمته الكنائس الوطنية بالسودان إلى كل العالم.. وإلى كل المواطنين... جاء النداء يقول : أوقفوا الحرب والخصام وإلتزموا بالحب والسلام.. فلقد جربنا الحروب ودمرتنا الحروب.. وعشنا الخصام.. ومزقنا الخصام.. وصار الكل مقتنعاً بأن لقمة يابسة معها سلام ، خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام..(أمثال ١٧:١) فالخصام ليس من صفات الإنسان المؤمن، بل إن الخصام ، إنما يصير بالكبرياء ومع المتشاورين حكمة (أمثال ١٣:١٠).. ولأن المنتفخ يهيج الخصام والمتكل على الرب يسمن (أمثال ٢٨:٢٥).. والخصام هو عصير الغضب ، والإنفعال عصير الغضب يخرج خصاماً (أمثال ٣٠:٣٣)..

وفى نداء السلام قالت الكنائس : إنها لا تقدم حلاً محدداً.. ولكن من خلال إهتمامها بالشعب السودانى الكريم والوطن العظيم ، تشجع الخطوات التالية :

١- وقف الحرب لأنها وبكل المقاييس معاناة.. وآلام.. ونزيف مستمر تفقدنا مواردنا وقيمنا وسلامنا ، ولا يمكن أن تحقق آمالنا وطموحاتنا ، والكنائس هى صانعة سلام.. رافضة للعنف والحرب.. ولهذا ندعو إلى سرعة الإتجاه نحو مائدة

المفاوضات..

١- تأكيد المشاركة الشعبية فى حل النزاعات السياسية عاجلاً ، وتشجيع الخطوات والمبادرات نحو السلام.. وتكون المشاركة عن طريق الإستفتاء أو أى طريقة أخرى مناسبة تحقق السلام ، بحيث أن ترضى الجميع..

٢- لقد تحرك مجمع كنائس السودان وقدم ورقة السلام إلى الأطراف المعنية ، وإلى منظمات الكنائس العالمية وكل أفريقيا ، والشرق الأوسط ، حيث قوبلت بترحيب وتشجيع..ومن هنا نناشد كل المنظمات التى تهتم بالسلام وكل دول العالم الراغبة فى تحقيق السلام التى تهتم بالسلام ، أن تضع يدها فى أيدينا على المستوى المحلى والإقليمى والعالمى.. لنأخذ بيد مواطنينا نحو السلام ، ونصلى إلى ملك السلام.. صانع السلام فى أعاليه (أيوب ٢٥:٢). أن يحقق على أرض السودان ، السلام وبالناس المسرة..

وهكذا صارت وثيقة نداء السلام ، دعوة تنادى : أوقفوا الحرب والخصام وإلتزموا بالحب والسلام.. وليحقق الله مساعى السلام ، ويبارك صُناع السلام..

٩. الكنائس صانعة السلام

نداء السلام : وسط حشد كبير روحى.. وسط ترانيم المرنمين.. وأناشيد المسيحيين.. وسط أنغام السلام وفق سيمفونية جمعت كل الكنائس دون أن يتخلف منها أحد.. وحشدت العدد الكبير من المؤمنين فى حماس بالغ... وإيمان عميق.. وتهليل لله وتمجيد لإسمه ..

إستقبل رئيس الجمهورية نداء السلام الموقع عليه من كل كنائس السودان والذى يؤكد أن الكنائس هى صانعة السلام ، وذلك إنطلاقاً من الدعوة المسيحية ، دعوة السلام منذ مولد المسيح ، عندما ترنمت الملائكة : المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة..

ومروراً بكل تصرفات السيد المسيح ، المثل الأعلى لنا.. كان سلوكه سلوك سلام.. ودروبه هى دروب السلام.. تكلم عن السلام كتطوبية مجيدة.. وعن السلام الذى يأتى نتيجة للإيمان بالله واليقين فيه حيث ينزع عن الإنسان الخوف بكل أنواعه..

وتأتى رسالة الملاك : أن لا تخافوا فقد ولد لكم اليوم فى مدينة داؤد مخلص هو المسيح الرب .. وتأتى الملائكة نفسها لتخدم الإنسان.. وتتعدد فى السيد المسيح الرؤى الروحية للسلام، ويدخل إلى أورشليم مدينة السلام ، يدخل وهو ملك السلام ، ويعلو الهتاف.. ويدوى قوياً هادراً ، سلام فى السماء ومجد فى الأعالى..

ويختتم السيد المسيح رسالته فى وصيته التى وزع فيها تركته الروحية وهى: سلام..سلامى أترك لكم.. سلامى أنا أعطيكم.. ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا.. وسلام العالم هو سلام غير مشبع ولا مقنع لطموحاتنا الروحية ، لأنه سلام الأقوياء ، والذى فيه سحق للضعفاء.. سلام العالم ، سلام ناقص مغمور.. سلام يظلم فئة لحساب فئة أخرى..

حقائق رئيسية :

وحدد نداء السلام حقائق رئيسية هى: المشعل الذى يضىء الطريق ونسلك به فى دروب السلام ، وهذه الحقائق الرئيسية هى:

١. الكنيسة فى السودان ، هى للجميع.. وهى مدعوة أن تكون نوراً للعالم وملحاً للأرض.. ولهذا نتشارك معاً فى محبة الإنجيل..

٢. إن كل البشر هم مخلوقون على صورة الله ومثاله.. فالإنسان هو سيد الأرض.. ونحن نهتم بالصالح العام لكل الناس.. لتحقيق العدالة والمساواة.. ونقف بجانب المطحونين ، والمسحوقين، والمهمشين، والبائسين ، المعذبون فى الأرض..

٣. تعتقد الكنائس أن حل مشكلة السودان، لا يمكن أن تأتى بالعنف والحرب.. ولكن بالحوار المخلص الأمين ، الجاد الصادق.. ويعتبر رجال الدين أنفسهم ملتزمون روحياً بالمشاركة الفاعلة فى هذا الحوار..

٤. تؤكد الكنائس أنها تؤمن بأن تعاليم الإنجيل ، تدعونا أن نسير فى الخير نحو الميل الثانى.. وتطالبنا بالتوبة والتسامح والمغفرة والصفح عن الآخرين .. ومحبة القريب والجار.. بل محبة الأعداء.. التى إليها يدعو السيد المسيح فقط ، ولكن نفذها عملياً على الصليب غافراً لطالبيه..

مستقبل السودان:وإهتم نداء السودان بتوضيح رؤيا الكتاب ، نحو مستقبل السودان ، وكان رأى الكنائس : إن أى إتفاق سياسى للسلام ينبغى أن يراعى عدة حقائق روحية أساسية، لكى تكون هذه الرؤيا ، رؤيا لاهوتية ، ذات أساس كتابى ، يجعل

لاهوت السلام ليس مجرد كلام ، إنما حق وحقيقة ، لهذا فإن أى مسعى نحو السلام ينبغى أن ينطلق من قناعة وإلتزام بالمبادىء التالية :

٥. الإعتراف بأن كل البشر مكرمون.. محبوبون لدى الله.. متساوون جميعاً أمامه ولهم مكانتهم ودورهم.. ورسالتهم التى لا ينمو المجتمع بدونها..

٦. قبول التنوع الثقافى واللغوى والإجتماعى والدينى ، فنحن متعددو الأعراق والثقافات والأديان.. وتعايشنا ينبع من إقتناعنا بهذا.. وبأن هذا التنوع هو إثراء وغنى لمجتمعنا.. وهو كتنوع عطية من الله ، نحافظ عليها بإحترام بعضنا البعض ، وليس بالضغط أو محاولة قهر هذا التميز..

٧. تأكيد حرية العقيدة والدين والعبادة ، وبالتالى حرية التبشير والكرازة بالإيمان..

٨. الإعتراف بأن السلام لابد أن يعتمد على العدالة الكاملة ، والمساواة فى الحقوق والواجبات لكل المواطنين..

٩. المشاركة السياسية والإجتماعية والإقتصادية ، تظل باباً مفتوحاً أمام كل المواطنين على أساس المواطنة بغض النظر عن العرق أو اللون أو الدين..

١٠. توسيع المشاركة وتشجيعها لكى يكون الجميع صانعى قرار تحت مظلة الحرية..

١١. ينبغى إيجاد أرضية واضحة من الثقة المتبادلة بين أطراف النزاع من خلال وضوح الرؤيا وصراحة الكلمة..

وهكذا صارت الكنائس ملتزمة بواقعها.. مؤمنة بتاريخها كصانعة سلام..

١٠. للصائمين الإنتصار

الصوم إنتصار: يُعد الصوم كفضيلة من الفضائل للإنتصار الروحى..ومنذ اللحظة الأولى التى يصوم فيها المؤمن يكون قد وضع قدميه على أول طريق الإنتصار.. وتأتى هزيمة الإنسان عندما لا يلتزم بضبط النفس ، ولكن الصوم هو ضبط للنفس.. وإنتصار للمبادىء.. حيث أن الصوم إنتصار للرحمة.. وإنتصار للإرادة.. وإنتصار للسماء..

إنتصار للرحمة : إن الصوم هو طريق للرحمة.. ولا تقبل أصوامنا إلا إذا كان لنا قلباً نقياً .. رحوماً شفوقاً بالآخرين.. وطوبى للرحماء لأنهم يرحمون.. وفى بطن قد

إمتلأ بالأطعمة لا يوجد مكان لمعرفة أسرار الله.. وبمجرد أن يبدأ الإنسان بالصوم، يتشوق العقل لعشرة الله ولمعرفة أسراره.. ولن يشعر الإنسان بجوع الجائع إلا إذا جرب بنفسه الجوع..

وهنا يقدم للجائع عمل الرحمة.. حيث تكنز لنا فى السماء كنوزاً عن طريق عمل الرحمة ومساعدة الآخرين.. إذ يقول السيد المسيح : لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض.. حيث يفسد السوس والصدأ.. وحيث ينقب السارقون ويسرقون.. بل أكنزوا لكم كنوزاً فى السماء.. حيث لا يفسد سوس.. ولا صدأ.. وحيث لا ينقب سارقون ويسرقون (متى٦)..

وكما يقول القديس أوغسطينوس:

إن الفقراء ليسوا سوى حالمين..
ينقلون أمتعتنا من الأرض إلى السماء
إذن فلتعطوهم ما لديكم..
حتى تسمعوا قول السيد :
تعالوا إلىّ يامباركى أبى رثوا الملكوت
لأنى جعتُ فأطعمتمونى..

ولقد رفض الله الصوم الذى لا يلتزم بالرحمة ، وقال لأشعياء النبى: إن يخبر الشعب بتعدياتهم لأنهم لم يفعلوا البر أمام الله.. وقال لهم : أنتم تسألون : لماذا صمنا ولم تنظر ؟..

والإجابة واضحة : إن صومهم لم يرتبط بالرحمة.. فيقول :

ها إنكم للخصومة والنزاع تصومون
ولتضربوا بكلمة الشر..
لستم تصومون ، كما اليوم لتسميع صوتكم فى العلا..
أمثل هذا ، صوم أختاره ؟..
هل تسمى ذا صوماً ، ويوماً مقبولاً للرب ؟..
أليس هذا يكون صوماً أختاره؟..

حل قيود الشر.. فك عقدة النير.. وإطلاق المنسحقين أحراراً.. وأقطع كل نير.. أليس أن تكسر للجائع خبزك ؟. وتدخل المساكين التائهين إلى بيتك ؟.. إذا رأيت

عرياناً أن تكسوه.. وأن لا تتغاضى عن لحمك (أشعياء ٨٥)..
إنتصار الإرادة: والصوم إنتصاراً للإرادة..الإرادة التى ترفض الشر.. وترفض الإستعباد لمأكل أو مشرب.. أو مكيفات.. الإرادة التى لا تهزمها سيجارة.. أو كوب شاى.. أو قطعة طعام.. وصاحب الإرادة الحرة ، هو إنسان يقف على قمة العالم لأنه لا يشتهى شيئاً..
والإرادة الحرة هى إرادة لا تخضع لغير الله.. وتفحص حياتها فى نور أقوال الله.. وعندما يكون إنساننا الخارجى ، صائماً نضبط الإنسان الداخلى ، هو إرادتنا ونمنعه من كل طعام يفسده.. ولا نملكن الخطية فى أجسادنا (روميه ٦: ١٢)..
إنتصار السماء:والصوم أيضاً إنتصار للسماء.. فالصوامون قد إختاروا الباب الضيق لكى يدخلون منه ، لأن البطن الواسع يستحيل أن يسير فى طريق الرب..إن الصوم هو أحد الطرق الروحية التى تدفع بنا إلى السماء.. وإلى ذكر السماء..والعمل لأجل السماء.. فكل تعب نتعبه فى الصوم، نتعبه من أجل الله.. وتعب هذا الدهر لا يساوى بالمجد العتيد أن يستعلن فينا .. ولا يساوى المجد المزمع أن يوهب لنا..
فلقد إنفرد السيد المسيح فى البرية.. وصام أربعين يوماً كاملةً.. ثم تقدم إليه العدو ليحاربه ، فإنتصرَ عليه وغلبه.. لأن هذ الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم.. والسيد المسيح بإنتصاره ، رسم أمامنا طريق الغالبين المنتصرين.. والسماء لا يدخلها من ينهزم أمام شهوة الطعام.. السماء لا يدخلها سوى المنتصرين على أنفسهم.. وعلى إرادتهم الشريرة.. وللصائمين الإنتصار.. ولهم بركات السماء..

١١ـ صائمون تائبون

الصوم المقدس : لقد بدأ الصوم الكبير المقدس.. وهو موسم نسك ، وموسم توبة وتائبين.. وتأتى مكانة هذا الصوم من أن السيد المسيح له المجد هو الذى بدأه.. فلقد كان يصوم مرتين فى كل أسبوع ، مثلما يصوم الناس فى عهده، ولكنه صام صوماً خاصاً ، بطريقةٍ مميزةٍ، لمدة أربعين يوماً كاملة لم يأكل فيها.. ولم يشرب خلالها.. إنها أربعين نهاراً وأربعين ليلة متواصلة ، ولم يكن السيد المسيح فى حاجة إلى أن يصوم ، ولكنه صام عنا.. وصام لكى يقدس أصوامنا بصومه مشجعاً إيانا عليه كالأم التى تتذوق الدواء أمام طفلها المريض حتى يشرب منه.. ولكى

يؤكد لنا أن الصوم هو أقوى درع ضد الشيطان.. فالشيطان جنس خبيث ومثل هذا الجنس لا يخرج إلا بالصلاة والصوم..

فلقد جاء الطوفان فى أيام نوح وحلت الرعود بسدوم بسبب الوفرة والترف ، كما يقول حزقيال: هذا كان إثم سدوم ، الكبرياء والشبع من الخبز ووفرة الترف (حزقيال ١٦ :٤٩).. لقد تعمق الناس فى فعل الشر وتجاهلوا واجبهم نحو الله، كما وصفهم أشعياء ، ويل للمبكرين صباحاً يبتعون المسكر ، للمتأخرين فى العتمة تلهبهم الخمر ، وصار العود ، والرباب ، والدف ، والناى ، والخمر ولائمهم ، وإلى فعل الرب لا ينظرون، وعمل يديه لا يرون (أشعياء ٢ :١١، ١٢)..

جهاد روحى : وحياة الإنسان هى صراع متزايد ضد عدو الخير، الذى يحاول دوماً أن يفقدنا مكاسبنا الروحية ، ويغير مسارنا نحو الملكوت ، ويجعل المعركة ليست لصالحنا.. وطالما هناك صراع متزايد يلزم للإنسان أن يصوم حتى يقدم الجسد واجبه الإيمانى فى حربه ضد شهوات العالم ، بالتوبة وحث النفس على النصرة فى إتضاع..

فالصوم جهاد روحى يقدم فيه الإنسان جسده ذبيحة حية أمام الله.. ونحن ملتزمون بالزهد كل أيام حياتنا ، لكى نحيا حياة مطوّبة كاملة ، وتكون لنا معرفة نحو الله وخليقته.. فلقد سلك دروب الصوم آباؤنا جميعاً.. فصاموا على المستوى الفردى مثلما صام موسى أربعون نهاراً وأربعون ليلة ، لكى يستلم لوحى العهد (خروج ٢٤ :١٨).. ومثلما صام إيليا النبى أربعون يوماً كاملة (١ ملوك ١٩).. ومثلما صام الثلاث فتية ، حتى فى إمتناعهم عن أطايب الملك ، فصاروا أقوى من الذين لا يمتنعون.. وهكذا دانيال.. وحزقيال..

أما الصوم على المستوى الجماعى ، فقد صام كل شعب نينوى ، وإستدروا مراحم الله ، حتى رفع غضبه عنهم.. وصام شعب الله عندما وجدوا الخطر محدقاً بهم.. والأمر بهلاكهم حتى إنكسر الفخ ، وبطلت المؤامرة ، وإنقلب الأمر لمصلحتهم فى زمن أستير الملكة..

فالصوم هو جهاد روحى.. ولا يمكن لأحد أن يقول : جاهدت الجهاد الحسن.. أكملت السعى.. حفظت الإيمان.. وأخيراً وضع لى إكليل البر.. إن لم يكن من الصوامين ، المجاهدين الذين يقمعون الجسد ، مثلما قال بولس الرسول : أقمع

جسدى وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً..

الصوم والتوبة :

ويُعد الصوم الكبير ، هو موسم التوبة والتائبين.. وتأتى مقدمة الصوم ، فى صوم نينوى الذى يسبق الصوم الكبير بإسبوعين ، وفى صوم نينوى نقف أمام مثل واضح للتوبة الجماعية ، فلقد كان شر نينوى قد تصاعد أمام الرب.. وأتت رسالة يونان إلى أهل نينوى، فقرروا أن يقدموا لله توبة صادقة.. فصام الشعب كله.. ولبسوا المسوح والرماد.. وإنسكبوا خاشعين ، قاصدين مراحم الله..

ولقد تاب الكل على مستوى نينوى ، الملك وكل الشعب.. وعلى مستوى السن ، الكبار والصغار.. حتى الطفل الرضيع الذى ليس له صوم.. بل أن الأمر صدر ، أن تصوم معهم كل الحيوانات ، وحدث هذا التجمع الرهيب المهيب حول فضيلة الصوم، كدليل على التوبة.. وكانت النتيجة أن تغير الأمر.. ورفع الرب غضبه ، وأوقف قراره بتدمير المدينة..

وكان يونان هو الذى قدم الرسالة إلى نينوى ، ولكنه هو نفسه كان هارباً من وجه الرب.. وكأن الكنيسة تقدم لنا هروب يونان من وجه الرب، لكى يهرب أولادها إلى الرب.. إليه يلتجأون.. ويسترحمون.. ويستغفرون.. ويتوبون.. ويصومون..

رسالة الإنجيل : وخلال آحاد الصوم الكبير ، تركز الكنيسة على ربط الصوم بالتوبة ونقاء القلب والعبادة الخالية من رياء المظاهر.. وتقدم لنا الإبن الأصغر ، وهو تائب ، راجع، نادم، قادم إلى أبيه الذى إستقبله بمظهر الفرح والسعادة.. وتقدم لنا المرأة السامرية ، التى كانت فى ضياع الشر، وتابت ، ورجعت ، وصارت كارزة بالسيد المسيح، وسط أهلها بعد توبتها..

وهكذا مريض بيت حسدا الذى شفاه السيد المسيح ، وإشترط عليه فيما بعد التوبة وعدم الرجوع للخطية.. وهكذا تركز الكنيسة على الإرتباط بين الصوم والتوبة ، حتى يكون المؤمنون فيها صائمون تائبون.. يقمعون الجسد مثلما قال بولس الرسول : أقمع جسدى وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً..

١٢ـ صيدلية الصوم

عظمة الصوم : إن الصوم فضيلة عظيمة.. رسمها الله للإنسان.. وقد شاء الله للإنسان أن يكون عظيماً.. فالصوم ليس مجرد حرمان بالجوع.. وتأديب وخشوع.. وتقشف لله وخضوع.. إنما الصوم أعظم من هذا بكثير.. وله أعماق أعمق.. وأبعاد أشد غوراً.. فالصوم الحقيقى هو سجن الرزائل.. حيث فيه ضبط اللسان.. وعدم الغضب.. وقهر الشهوات الدنسة.. والصوم المختار من الله ، هو حل قيود الشر.. وفك عقد النير ، وإطلاق المسحوقين أحراراً ، وقطع كل نير..

أن تكسر للجائع خبزك.. وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك.. إذا رأيت عرياناً أن تكسوه.. وأن لا تتغاضى عن لحمك ، حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك ، وتنبت صحتك سريعاً..

الصوم والصحة: والصوم ليس ضاراً بالصحة إطلاقاً.. بل الصوم مفيد للصحة.. فالذى يصوم تنبت صحته سريعاً.. وعلى نصيحة لقمان الحكيم .. الصوم صحة حيث يقول : يابنى إذا إمتلأت المعدة، نامت الفكرة. وخرست الحكمة.. وقعدت الأعضاء عن العبادة.. يابنى لا تأكل شبعاً على شبع.. فإن إلقاءك إياه للكلب ، خير من أن تأكله..

العلاج بالصوم : ويُعد الصوم علاجاً لأمراض كثيرة، فهو مفيد جداً فى مرض البدانة، وعسر الهضم.. والنزلات المعوية... ويطالب الأطباء مرضاهم بالصوم، وذلك لأن الصوم يطهر الجسم من السموم المتراكمة ، بأنسجته ويسهل مرور الدم فى الشرايين ، ويخفف بذلك الضغط عن القلب... وينظم توزيع الدم.. ويريح الجهاز الهضمى.. ويتيح لأغشية الجسم فرصة التخلص مما يتجمع حولها من الرواسب الضارة ، كما أنه يعطى الأنسجة والأعضاء المصابة بقرحة أو شىء من التقيح والإحتقان ، مجالاً للشفاء..

صيدلية الصوم : وعملاً بما فى الصوم من فوائد روحية أنشىء فى أوربا عام ١٩٣٦ م مصحات فى جنوب ألمانيا.. وكانت صيدلية المصحات ليس بها أدوية ، سوى الصوم.. فالصوم هو الروشتة الممنوحة لكل مريض ، وقد عالجت هذه المصحات أشق الأمراض ، بطريقة الصوم المنظم..

الحشرات تصوم:ومن نعم الله علينا أننا نصوم.. وفى عالم الحشرات نماذج عديدة للصوم ، فالعقارب تصوم ٨٦٣ يوماً.. والعنكبوت ممكن أن يصوم سبعة عشر شهراً متواصلة.. والضفادع تصوم ستة عشر شهراً.. والثعابين والحيات تصوم لمدة سنتين.. والسلحفاة تبقى شهوراً بدون طعام.. والحيوانات آكلة لحوم البشر ، تستطيع أن تحيا بدون طعام لمدة طويلة.. والنسر يستطيع أن يعيش بدون طعام خمسة وثلاثين يوماً.. والقط يمكنه الصيام عشرين يوماً.. والأرانب تستطيع أن تعيش بدون طعام لمدة ثلاثة عشر يوماً..

صوم العلماء: وطالما نحن نتكلم عن صيدلية الصوم ، بإعتبار أن الصوم مفيد لعلاج الكثير من الأمراض ، فإننا نذكر هنا إهتمام بعض العلماء بالصوم مثل :

١. مايكل أنجلو هو الفنان ، وشيخ المعمرين ، وقد سأله البعض عن السر فى صحته الجيدة ونشاطه غير العادى ، فقال :إن السبب هو الصوم ، حيث كان يصوم شهراً فى كل عام.. وأسبوعاً فى كل شهر.. ويوماً فى كل أسبوع.. وكان يفطر بعد الإنقطاع على عسل النحل وعصير الفواكه..
٢. الطبيب الأمريكى الدكتور " تانر" فى عام ١٨٧٩ أضرب عن الطعام لمدة أربعين يوماً متواصلة .. وكان يقوم بنفس أعماله المعتادة فى العشرين يوماً الأولى..
٣. إمتنع الرسام العالمى " مرلتى" عن الطعام لمدة خمسين يوماً..
٤. الإيطالى " سونشى" صام فى القاهرة لمدة خمسين يوماً ، ووضع تحت متابعة دقيقة من الأطباء ، ولم يحدث أى تغير ملحوظ له..

الصوم وضبط النفس :

الصوم ليس روشتة جسدية لعلاج أمراض الجسد فقط .. ولكنه لعلاج الروح أيضاً.. فعن طريق الصوم نسلك طريق الجهاد الروحى ، وضبط النفس ، لأن كل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شىء..

أما أولئك ، فلكى يأخذوا إكليلاً يُفنى.. وأما نحن فلنا إكليل لا يُفنىَ.. لذلك يقول بولس الرسول : أقمع جسدى وأستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين ، لا أصير أنا نفسى مرفوضاً..(١كورونثوس ٩)..

إننا فى الصوم نروض أنفسنا للتقوى (١ تسالونيكى ٤:٧).. فليكن الصوم

دوماً بركة للصائمين.. وجهاداً للمجاهدين.. وطريقاً للتائبين.. وعلاجاً للمرضى والمقعدين.. وليعطنا الرب أن نفتش فى صيدلية الصوم ، ونخرج منها علاجاً، وشفاءاً..

١٣. حكاية عيد الأم

إكرام الأم :تحتل الأم فى الكتاب المقدس مكانة كبيرة.. وفى الوصايا العشر ، تأتى الوصية الرابعة التى تطالب بمكانة خاصة ، ومميزة للأب والأم .. أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض، التى يعطيك الرب إلهك (خروج ٢١ :١٢).. وبعد الوصية بأكثر من ألف سنة يأتى العهد الجديد ليؤكد طاعة الوالدين.. أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب، لأن هذا حق.. أكرم أباك وأمك التى هى أول وصية بوعد لكى يكون لكم خيراً .. وتكونوا طوال الأعمار على الأرض.. (أفسس ٦:٢).. وفى سفر الأمثال أدب شعبى رائع يثمن على أهمية مكانة الأم ، حيث تأتى النصوص الأتية:

١. إسمع ياأبنى تأديب أبيك ولا ترفض شريعة أمك، لأنها إكليل نعمة لرأسك وقلائد لعنقك (أمثال ١:٨)..
٢. ياإبنى أحفظ وصايا أبيك ولا تترك شريعة أمك (٦:٢٠)...
٣. إسمع لأبيك الذى ولدك ولا تحتقر أمك إذا شاخت (٢٣:٢٢)..
٤. أبو الصديق يبتهج إبتهاجاً.. ومن ولد حكيماً يُسر به.. يفرح أبوك وأمك ، وتبتهج التى ولدتك (٢٣:٢٥)..
٥. العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة إطاعة أمها ، تقورها غربان الوادى ، وتأكلها فراخ النسر (٣٠:١٧)..
٦. الإبن الحكيم يسُر أباه والإبن الجاهل حزن أمه (١٠:١)..
٧. الإبن الحكيم يسُر أباه والرجل الجاهل حزن أمه (١٥:٢٠)..
٨. المخرب أباه والطارد أمه ، هو إبن مخز ومخجل (١٩:٢٦)..
٩. من سبّ أباه وأمه ، ينطفىء سراجه فى حدقة الظلام (٢٠:٢٠)..
١٠.السالب أباه أو أمه وهو يقول لا بأس فهو رفيق ، لرجل مخرب (٢٨:٢٤)..

١١.جيل يلعن أباه ولا يبارك أمه ، جيل طاهر فى عينى نفسه ، وهو لم يغتسل من قذره (٣٠ : ١١)..
١٢.الإصحاح الحادى والثلاثون هو مجموعة أمثال ، تحدثت بها أم إلى إبنها ، ويبدأ كلام لموئيل ملك مسّا علمته له أمه.

العذراء الأم: وكانت للأم فى مملكة داؤد مكانة كبيرة ، فلقد أجلس سليمان أمه عن يمينه.. وقال المرنم : جلست الملكة عن يمين الملك ، أما العذراء مريم أم السيد المسيح فقد نالت مكانة كبيرة، فهى أم ملك الملوك.. وهى فى الوقت نفسه ، وديعة وداعة عميقة..

كانت تراقب طفلها العظيم ، وتحفظ جميع الأمور التى تراها متفكرة بها فى قلبها.. وعاشت مريم أماً للسيد المسيح ، حتى كان الصعود إلى السماء.. وقبل هذا عندما كان السيد على الصليب ، كان مهتماً بمكان إقامة أمه ، وكانت فى ذلك الحين واقفة بجواريوحنا الحبيب ، ونظر يسوع إليهما وقال لأمه : ياإمرأة هوذا إبنك... وقال ليوحنا : هوذا أمك.. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ يوحنا إلى بيته..

وصارت أم يسوع.. أماً لكل التلاميذ ، وكانت تحضر معهم كسر الخبز.. وحضرت معهم حلول الروح القدس ، وشهدت فجر الكنيسة الأولى ، وخدمة التلاميذ، ورعاية السيد لهم (يوحنا ٩١)..

حكاية عيد الأم : وفى عالم الإنترنت حكايات كثيرة عن عيد الأم..

١. يرجع تاريخ عيد الأم إلى أيام قديمة فى التاريخ ، فلقد كان أهل اليونان يحتفلون بعيد الربيع على شرف الألهة " رهيا" RHEA .. وهى أم كل الألهة.. وفى عيدها تكريم لكل الأمهات..
٢. ونظراً لإهتمام المسيحية بمكانة الأم.. ونظراً لمكانة القديسة مريم العذراء ، والحديث عن أنها هى الأم الحنون ، أم الكنيسة كلها.. فلقد إهتم أهل أوربا بدء بالقرن السادس الميلادى الإحتفال بعيد الأم.. كإكرام للسيدة العذراء أم يسوع المسيح.. وكانوا يزينون الكنيسة بإعتبار أن الكنيسة هى أم ، وفى زينتها بهجة الإحتفال ، وكانت الزينة بالورود والمجوهرات والفضة والهدايا القيمة .. وفى بريطانيا تم توسيع تكريم العذراء إلى تكريم كل الأمهات..

٣. وتحدد الأحد الرابع فى الأربعين المقدسة لكى يكون يوم الأم MOTHERING SUNDAY .. وكان يوم الأحد يبدأ الإحتفال فى الكنيسة ، ثم يخرج الأطفال للإحتفال بأمهاتهم وتقديم الورود ، والإلتفاف حول الأم وتقديم الهدايا لها.. وفى هذا اليوم كانت هناك عادة أن يطلق العبيد والخدم الذين فى المنزل للإحتفال بعيد الأم وأكل الحلوى .MOTHERING- CAKE.. ويأتى الإهتمام بالكنيسة من منطلق أنها الأم الروحية التى تهب الحياة معا لله ، وتنقذ الإنسان من المخاطر ومن عاديات الزمن..

٤. فى ١٨٧٢ إهتمت السيدة " وارد".Julia- ward" بعيد الأم وإعتبرته يوم يعبر بنا إلى السلام، وربما تقصد سلام الأسرة والذى تعد الأم هى الخلفية الروحية له..

٥. فى أمريكا قامت مدام جيرفس Ane-Jarvis .. من فيلادلفيا ، عام ١٩٠٧ بالدعوة إلى الإحتفال بعيد الأم فى ٢ مايو من كل عام ، وهو يوم ذكرى والدتها.. وبدأت بإرسال كمية من الرسائل إلى الوزراء ورجال الأعمال ، وأقطاب السياسة ، وتمكنت من إقناع المسئولين حتى تحدد يوم ٢ مايو ١٩١٤ بإعتباره عيد قومى للأم ، وقام الرئيس الأمريكى " وودرو ولسن Woudrow-Wilson.. بإعلان اليوم السنوى للأم..

٦. فى الشرق إهتمت مصر بإقامة يوم الأم حديثاً ، وأقدم عيد الأم إحتفلت به جمعية " الشبان المسيحية".. وقد كان للصحفى اللامع على أمين دور كبير فى عموده " فكرة" .. وكانت فكرته أن يكون يوم الأم ، هو يوم الوفاء.. ويوم الوفاء بالجميل وربطه بعيد الربيع ٢١ مارس ، وهكذا صار للأم يوم للتكريم.. وهى تستحق هذا التكريم ، ليس فى يوم واحد من كل عام ، إنما فى كل يوم.. ومبروك لكل أم..

١٤ـ فرصة العمـر

تمثال وحديث: فى إحدى مدن اليونان أقيم تمثال جذاب يلفت الإنتباه.. وكتب علي التمثال قصيدة شعر فى شكل محادثة بين التمثال وأحد المارة.. ومن الحديث يفهم المرء مغزى إقامة هذا التمثال.. ويقول الحديث :

- ما هو إسمك أيها التمثال ؟..
- يدعوننى الفرصة..
- ومن صنعك ؟.. الفنان الكبير ليسيوس..
- ولماذا أنت واقف على أطراف أصابعك..
- لأؤكد للناس أننى لا أبقى إلا لحظة واحدة..
- وما هى الأجنحة على قدميك ؟.. لأننى أمر بسرعة..
- وما هذا الشعر الطويل على جبهتك ؟...
- لكى يمسكننى الناس عندما يروننى..
- إذا ما هو سبب صلع رأسك من الخلف ؟..
- لأننى إذا مررت مرة ، فلا يمكن إعادة القبض علىّ ..

فرصة العمر : وتمثال الفرصة يؤكد أن فرصة العمر تأتى مرة واحدة.. وإن الحكيم هو الذى يعرف كيف يستفيد بها.. وفرصة العمر بالنسبة للإنسان المؤمن هى عمل الخير كما يقول بولس الرسول : فإذا حسبما لنا فرصة ، فلنعمل الخير للجميع (غلاطية ٦:١٠)..

وفرصة العمر هى أن نحيا العمر كله مع الله.. ولا نؤجل الحياة مع الله إلى الغد ، لأننا لا نملك الغد ، وكيف نُعد أنفسنا بسعة الأيام ، وطول الأعوام.. ونحن فقراء من الزمان ولا نملك منه ساعة واحدة ولا لحظة ولا حتى لحيظة..

إن المؤمن ليس لديه الوقت لكى يضيع الوقت ، لأن الوقت عندما نجعله فرصة لعمل الخير نفتح أمامنا طريقاً للسماء.. مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة (أفسس ٥:١٦).. وشرور الأيام تفقدنا كل الأيام ، وعندما نفقد الحياة كفرصة ، فليس لنا فرصة بعد..

أهمية الزمن : إن الزمن هو فرصة العمر.. لأن الزمن عندما يمضى منّا لا نقدر أن نسترجعه ثانية.. إن الزمن هو أثمن شيء لدينا ، وهو كنز عظيم فى أيدينا.. ولهذا علينا الآن أن نفتح أبصارنا لنرى ، كيف عشنا السنين الغابرة فى حياتنا ؟.. ونندم على ما فات منّا.. ونعقد العزم على إصلاح الخلل فينا.. ونحيا الزمن الباقى فى إرادة الله.. ولانعيش لشهوات الجسد..

ونحن لم نعطى هذا الزمن الثمين لنصرفه فى تقديس نفوسنا ، لنحيا حياة القداسة، ونظير القدوس الذى دعانا نكون قديسين فى كل سيرة.. ولكى نسير زمان غربتنا فى خوف الله، لأن زمان الحياة الذى مضى يكفينا لنكون قد عملنا إرادة الأمم (١بطرس ٤ : ٣)..

ولأننا مطالبون أن نسير فى النور ما دام لنا النور.. لئلا يدركنا الظلام.. والنور هو فرصة الحياة ، التى هى فرصة العمر.. والظلام هو الموت ، عندما نغادر الحياة ولا تكون لدينا فرصة للعودة إليها ، وتصليح ما أفسده الدهر ، بل ما أفسدناه نحن بأنفسنا..

وفرصتنا هى أن نحترم الزمن قبل أن ندخل فى حفرة الهاوية ، والتى هى حيطانها اللهيب المحتدم .. وترابها هو الجمر المضطرم.. وندمّنا على الوقت ، هو ندم أبدى ، ما لم ننتهز الفرصة فى هذه الحياة لكى نكسب ملكوت السموات..

وينبغى أن أعمل ما دام نهار.. يأتى ليل لا يستطيع أحد أن يعمل.. والنهار هو نهار الحياة.. والليل هو ليل الموت.. والزمن فى صالحنا إن إحترمنا .. وإن لم نحترمه ، سوف لن يحترمنا ، عندما تضيع آمالنا..

الفرص الضائعة : وقبل الحديث عن الفرص الضائعة أرجو أن نذكر الإبن الضال ، الذى بذرّ ماله بعيش مسرفٍ.. وعاش فى كورة بعيدة.. وإشتهى أن يأكل من طعام الخنازير ليملأ بطنه ، بعد أن فقد كل أمواله..

هذا الشاب ، رجع إلى نفسه وقال : كم من أجير لأبى ، يفضل عنه الخبز ، وأنا أهلك جوعاً.. فقال : أقوم الآن ، وأذهب إلى أبى وأقول له ياأبى أخطات إلى السماء وقدامك ، ولست مستحقاً أن أدعى لك إبناً (لوقا ١٥).. وإستفاد الإبن الأصغر بالفرصة ، ورجع إلى أبيه ، ووجده فى إنتظاره.. وذبح له العجل المسّمن ولبس الحلة الأولى ، وجعلوا خاتماً فى يده ، وحذاءً فى رجليه.. فلقد كان عارياً ..

وحافياً.. وبرداناً.. فعاد إلى الدفء الأبوى.. ولم يضيع الفرصة ، وكان من الممكن أن يخشى الرجوع ، ويضيع منه العمر كله.. ولكنه عاد إلى حضن الآب السماوى الذى يفرح بخاطىء واحد يتوب، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى التوبة

أما عن الفرص الضائعة فهى تحدث عندما يتلامس قلب الإنسان مع الله ، ولكنه يؤجل توبته للغد، وهو لا يملك الغد.. وقد حدث هذا مع كثيرين لم يدركوا أهمية الزمن كفرصة العمر.. وأول الذين صنعوا الوقت هو فرعون الملك الطاغية الذى فى صراعه مع موسى النبى كان دوماً يؤجل للغد..

كانت ضربة الضفادع تعذبه.. وموسى يقول له : متى أصلى من أجلك ؟.. فيقول: غداً (خروج ٨).. ولم يملك فرعون الغد ، لأنه فى الغد غرق مع كل مركباته ، وفقد الغد ومعه فقد الوقت كله.. ومن الذين فقدوا الوقت الملك « فيلكس» الذى وقف أمامه بولس الرسول ،وتكلم معه عن حياة الإيمان مع المسيح ، وبينما كان يتكلم عن البر ، والتعفف ، والدينونة العتيدة أن تكون إرتعب الملك ، ولكنه قال : أما الأن فاذهب ، ومتى حصلت على وقت أستدعيك (أعمال ٢٤)..

والسؤال : هل حصل الملك على وقت لكى يؤمن .. ويتوب.. ؟ كلا.. لقد ضاع منه الوقت لأنه مشغول.. وضاعت منه فرصة العمر..

١٥ـ ماذا بعد مؤتمر الأديان ؟

حوار الأديان : بدأ مؤتمر حوار الأديان فى الثامن من شهر أكتوبر.. وإختتم أعماله فى العاشر من أكتوبر لعام ٤٩٩١.. وأتى هذا المؤتمر كإمتداد طبيعى للمؤتمر الأول الذى إنعقد فى أبريل ٣٩٩١... والذى قاد بطولته الشهيد فضل السيد أبو قصيصة ، من مؤسسة السلام والتنمية..

فى المؤتمر: ولفت المؤتمر إنتباه الجميع .. وحضره عدد كبير من المؤتمرين.. حضروا من الخارج والداخل.. وناقش المؤتمرون قضاياهم.. فى حرية وصراحة المتحاورين.. وكان لابد أن يكون الخارج معنا.. فنحن فى الداخل متحابون ومتعايشون.. ونحن لا نقبل أن يقال عنا إطلاقاً.. إننا نحيا فى دوائر صراعات دينية.. كلا.. لا يوجد مطلقاً فى السودان صراع من منطلق الأديان.. فنحن دولة

تعلى راية الإيمان.. ويحيا المواطنون فى سلام وأمان..

من الخارج :المشكلة وردت إلينا من الخارج.. حيث إنفجرت موجة من الإفتراءات ضدنا.. وتصور العالم أن السودان غابة قد إمتلأت بالوحوش.. القوى يدوس على الضعيف والقادر يكتم أنفاس غير القادر.. والمسلم يحاول أن يقهر المسيحى ، ويخضعه صاغراً لدين الإسلام..

ولهذا كان لابد أن ندعو من الخارج كثيرين ، لكى يروا ويشهدوا بأنفسهم لحق المحبة... ويشاهدوا بعيونهم نموذج التعايش والتوادد... فليس عندنا مشكلة داخلية تحتاج إلى حل.. إنما نحن مطالبون بأن ننقل نموذجنا الحضارى إلى الخارج.. لأننا وجهنا العالم للإهتمام بالدين كعامل فاعل فى البناء الإجتماعى..

فوق هامة الزمن : لقد صلينا جميعاً حتى لايكون المؤتمر حبراً على ورق.. أو ورقاً يضاف إلى ورق.. كانت صلواتنا أن تترجم التوصيات ترجمة فورية إلى عمل ، عامل يجعلنا نخطو فوق هامة الزمن.. ونلتقى معاً.. ونتوحد معاً..

فلقد توحدنا معاً فى الإيمان بالله الواحد.. وتوحدنا معاً فى غرس الفضيلة.. وإتحدنا معاً فى محاربة الرذيلة.. وتوحدنا معاً لأن أبُ واحد لجميعنا .. وإله واحد خلقنا.. وتوحدنا معاً فى الإيمان بالبعث ، وإنتظار القيامة.. وكلنا معاً مسلمون ومسيحيون فى إنتظار المجىء الثانى للسيد المسيح الذى سوف يكون دياناً للناس بالقسط..

ماذا بعد المؤتمر : نحن مطالبون جميعاً بحماية مقررات المؤتمر.. وتنفيذ توصيات المؤتمر.. ونحن فى إنتظار أن تسعى جمعية حوار الأديان سعياً حثيثاً ، وترفع راية الوحدة الوطنية.. وتبدأ فى إستلام الأرض ، هدية رئيس الجمهورية للجمعية.. وتطلب من أهل السودان أن يرسموا معها خريطة الأرض.. ويفكروا معاً ، لكى تكون جمعية حوار الأديان مركزاً للمحبة والتعايش والإيمان..

١٦. جامعة الحيـاة

مدرسة الحياة: يحيا الإنسان تلميذاً مدى الحياة ، فى مدرسة الحياة.. كل يوم يمر به يضيف إليه خبرة جديدة... ودراية جديدة.. ومحاولة لسبر أغوار الحياة والدخول إلى دروبها.. ومدرسة الحياة هى جامعة ، لمجمع الكثير من الدروس.. وتجمع كل البشر معاً.. وكل واحد يأخذ ما ينفعه وما يناسب أحواله..

ونحن نحيا بخبرة السابقين ، ونقدم خدمتنا إلى اللاحقين.. وتتراكم الخبرات أنواراً على طريق الحياة.. وتظل الحياة جامعة ، تجمع كل الناس ، وتقدم إليهم كل الدروس..والإنسان الحكيم هو الذى يتعلم دوماً من مدرسة الحياة..

سفر الجامعة : ومن بين أسفار الكتاب المقدس ، سفر الجامعة .. وهو سفر كتبه « سليمان الحكيم « وجمع فيه حكمته وأفكاره وأقواله ، فهو فيلسوف كبير ، تطلع إلى الحياة وإستخلص منه الدروس والعِبر، وبحث خلال رحلة حياته عن الأهداف الصحيحة للوجود الإنسانى ، ويرجع هذا السفر إلى ٩٤٠ ق. م...

ولابد أن يكون قد كتب من سليمان فى شيخوخته ، بعد أن وقف على رابية الزمن وتطلع إلى خبراته فى الحياة.. وسجلها بأسلوب فلسفى وقدم لسفره قائلاً: أنا الجامعة كنت ملكاً على إسرائيل فى أورشليم ، ووجهت قلبى للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عمل تحت السموات..

وقد بدأ بفرضية إفترضها تقول : إن كل هذا هو عناء ردىء.. وأن الحياة نفسها جعلها الله لبنى البشر عناء ردىء.. وإنه رأى كل الأعمال التى عُملت تحت الشمس ، وإذا الكل باطل وقبض الريح.. لأن الأعوج لا يمكن أن يقّوم ، والنقص لا يمكن أن يُجبر..

وقد تضمن سفر الجامعة فهماً عميقاً لمآسى جنس البشر ، وآثار التأمل فى هذه المآسى ، التساؤلات عن المعانى والقيم التى بدونها تصبح مخاطرة الحياة بلا معنى.. وقد كتب سليمان السفر بإعتباره فيلسوفاً .. وليس حاكماً..

باطل الأباطيل: ويبدأ كلام الجامعة واضحاً فى تأكيد أنه باطل الأباطيل الكل باطل.. وما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس.. دور يمضى.. ودور يجىء.. والأرض قائمة إلى الأبد، والشمس تشرق .. والشمس تغرب.. وتسرع إلى موضعها حيث تشرق.. الريح تذهب إلى الجنوب.. وتدور إلى الشمال.. تذهب دائرة دوراناً ، وإلى مداراتها ترجع الريح ..

كل الأنهار تجرى إلى البحر.. والبحر ليس بملآن.. إلى المكان الذى جرت منه الأنهار.. إلى هناك تذهب راجعة.. كل الكلام يقصر ، لا يستطيع الإنسان أن يخبر بالكل.. العين لا تشبع من النظر.. والأذن لا تمتلىء من السمع.. ما كان فهو يكون.. والذى صنع فهو يصنع.. فليس تحت الشمس جديد..

إن وجد شيء يقال عنه ، أنظر هذا جديد ، فهو منذ زمان كان فى الدهور التى قبلنا.. ليس ذكر للأولين ، والآخرون أيضاً الذين سيكونون ، لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم (جامعة ١)..

إختبارات الحياة : ولقد إمتحن سليمان كل شيء.. ودخل فى مختبر الحياة ، وجرّب كل الملذات العالمية.. ووصل إلى نتيجة تؤكد بطلان الحياة.. فلقد وجه نفسه للحكمة البشرية ورأى كثيراً من الحكمة والمعرفة ، فرأى أن فى كثرة الحكمة ، كثرة الغم.. والذى يزيد علماً يزيد حزناً..

لقد إمتحن سليمان الفرح والحزن.. الحكمة والجهل.. لقد بنى لنفسه بيوتاً وغرس كروماً.. وإقتنى كل شيء ، عبيد وجوارى.. وولدان وفضة وذهب.. وإتخذ لنفسه مغنيين ومغنيات وتنعمات بنى البشر.. ومهما إشتهته عيناه ، لم يمسكه عنها.. لم يمنع قلبه عن الفرح.. ثم إلتفت إلى كل هذا ، فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس..

بدون إله : وحكمة الجامعة تجعل كل شيء بلا فائدة ، إذا كان الإنسان بدون إله.. لأن الله هو ضابط الكل.. وهو الذى ينظم حياة الناس.. ويوجد تحت الشمس العديد من المظالم.. وحيث موضع الحق ، هناك الظلم ، وموضع العدل هناك الجور.. وهوذا دموع المظلومين ولا معز لهم.. ولكن العزاء يأتى من عند الله .. لهذا إن رأيت ظلم الفقير ، ونزع الحق والعدل ، فلا ترتع من الأمر ، لأن فوق العالى عالياً يلاحظ.. والأعلى فوقهما .. ولكل أمر تحت السموات وقت..

ويقدم الجامعة دروس الحياة للإنسان.. أن يحافظ الإنسان على أن يكون قلبه دوماً مع الله الذى وضع الأبدية فى قلوبنا.. والذى صنع الإنسان مستقيماً .. أما هم فطلبوا لأنفسهم إختراعات كثيرة..

ويطالب الجامعة أن لا تدع فمك يجعل جسدك يخطيء.. ولا تقل قدام الملاك أنه سهو.. نهاية أمر خير من بدايته.. طول الروح خير من تكبُر الروح.. لا تسرع بروحك إلى الغضب ، لأن الغضب يستقر فى حضن الجهال.. أذكر خالقك فى أيام شبابك ..

ويقدم الجامعة ختام الأمر كله ، أن إتقِ الله وأحفظ وصاياه ، لأن هذا هو الإنسان كله.. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفى ، إن كان خيراً أو شراً..

وهكذا تكون جامعة الحياة.. دروس تلو دروس.. كلها تؤكد أن العالم بدون قيم ، هو بدون إله.. وهذا خواء وفراغ.. ولنتعلم نحن من جامعة الحياة ، ونظل تلاميذاً مجتهدين ، فى جامعة الحياة..

١٧ - تذكار الرحيل والإنتقال للمطران الأنبا دانيال

مرور عام :هوذا قد مر عام على رحيل وإنتقال المطران الأنبا دانيال إلى السماء ، إلى الرفيق الأعلى ، وفى هذه المناسبة يقيم أحباء الأنبا دانيال ، لقاءً روحياً جامعاً ، مفتوحاً لكل أبناء الوطن ، وذلك فى مطرانية الخرطوم فى السابعة من مساء الجمعة ٢٧/٤/٢٠٠١.. وفى هذه الذكرى الطيبة يطلق محبيه رائحة بخور ذكية ، هىّ ذكراه العظيمة ، فالذكرى للإنسان عمر ثان..

ولقد كان الأنبا دانيال يعمل ما يستحق أن يذكر ، فلقد عمل لنفسه قبل موته ذكرها.. ذكراً طيباً لمواطن سودانى أصيل وعميق.. فى قلبه ثقافة سلام لا توصف.. ترجمها إلى توادد وتحابب مع كل المواطنين .. وكان مجلسه هو صالون أدبى على أرقى مستوى ، يحضره الشعراء والأدباء ورجال الدولة وأهل السياسة ، ورجال الدين الإسلامى والمسيحى..

وكان فى إتضاع يدير حوارات تهدف إلى تعميق الود والتآخى فى قلوب أهل السودان.. وفى هذا يقول وزير خارجية السودان الدكتور مصطفى عثمان : كان الأنبا دانيال كبيراً فى أخلاقه ، كبيراً فى علمه.. كان علماً قلماً تخطئه.. عندما تتذكر القيم والأخلاق.. علماً فى الخارج والداخل ، حدثنى عنه الكثير من زعماء العالم العربى والإسلامى والمسيحى .. والكثير من سياسى العالم ، وعدد من وزراء الخارجية.. كان نادر المثال ، إلتقيت به عشرات المرات ، وما من مرة وقفت أمامه أو جلست بجانبه إلا أحسست بأننى أقف أمام رجل عظيم..

منتدى الكبار : كان المطران الراحل كبيراً ، يسير فى موكب الكبار.. كانت جلساته هى منتدى الكبار.. كان فى صبر وتآنى يتابع الحوار.. كان كبيراً ، جمع الكبار حوله ، وفى ديمقراطية على أرقى مستوى ، أدار شئون مؤسساته..

ليس هناك مؤسسة فى عهده ، إلا وكان نموها فى ظل الديمقراطية.. ولم يصل أحد فى عهده إلى قيادة المؤسسات ، إلا عن طريق الإنتخاب المباشر.. كان ينتظر

الصغير حتى يكبر.. وكان لا يتدخل إطلاقاً فى إنتخابات مجالس الإدارة ، وكان يقول : كلهم أولادى .. ومن يأتى بالإنتخاب.. فمرحبابه..

لم يلجأ إلى التعيين إلا وهو راضى ، وفى حالات نادرة.. ولهذا قامت فى عهده الأعمال الكبيرة التى لا تناقش إلا فى جو الديمقراطية .. ولقد نجح الأنبا دانيال ، ونجحت المؤسسات فى عهده ، وفى هذا يقول إبراهيم أحمد عمر ، وأمين المؤتمر الوطنى : إن العقود الخمس الأخيرة تشهد أن الأخوة الأقباط كانوا تحت رعاية وقيادة الأنبا دانيال أهل محبة ، ودعاة سلام ..

وقال قطبى المهدى وزير التخطيط الإجتماعى : إن قيادة الكنيسة القبطية الأورثوذكسية كانت موفقة ، وكان له أكبر الأثر فى إشاعة التسامح بين طوائف المجتمع الدينية ، وزرع الثقة بين أصحاب الديانات ، مما جعل علاقاتنا تقوم على المحبة ، والأخوة ، والثقة.. لقد كان مثالاً لرجل الدين الذى يدرك رسالته فى الحياة ومسئولياته تجاه أخوانه فى الدين وفى البشرية..

كان الأنبا دانيال شخصية نادرة.. كان صحفياً لم يعرف أهل الصحافة طريقه.. كان يملأ قلب كل من حوله بمحبته النادرة الغامرة.. كان مستواه عالياً فى الفضيلة.. كان يرغب فى أن يرفعنا إلى مستواه ، ويصر على هذا.. ونحن حاولنا أن نجعله مثلنا فى الإهتمام بالعالميات ولكن لا هو نزل إلى مستوانا ولا نحن إرتفعنا إلى مستواه ، اللهم إلا إذا إتخذنا من هذه الذكرى الطيبة دفعاً إلى فوق.. وتطلعنا إلى السماويات ، وصعوداً إلى جبل البركة لكى يصغر أمامنا العالم بكل ما فيه..

وهل ننسى ؟ : ولا يمكن أن ننسى الأنبا دانيال.. ورغم إننا فى الشرق ننسى بعد حين كما يقولون : فإن ذكرى الأنبا دانيال سوف يكون حافزاً لكل رجال الدين أن يسيروا على منواله ، فلقد وضع لنا أثراً لكى نقتفى نحن طريقه..

لقد كان رجل حوار، ومجتمع اليوم لن تنفك ختومه.. وتحل مشاكله إلا بالحوار.. فالحوار هو الحل لكل توترات المجتمع الأن.. ولن ننسى كلمات الأنبا دانيال فى الحوار ، لقد كان يرغب رغبة شديدة فى إعادة قراءة الإنجيل المقدس ، وإعادة قراءة القرآن الكريم ، فى ضوء المبادىء المشتركة ، والحوار الهادىء الهادف.. وعلى الأخص لأن القرآن الكريم أدلى بشهادة ثرة ، تؤكد مكانة المسيحية ، وصدق رسالتها ، وقد طالب فى حياته أن يبحث رجال الأديان التوحيدية فى المحطات

المشتركة التى تؤكد التآخى، والتوادد ، وهى كثيرة بين المسيحية والإسلام ، فكلا الديانتين تؤمن بإله واحد.. وتؤمن بالقيامة ، والحساب ، وتؤمن بزرع الفضيلة ، براً وخيراً، ونعمةً ، وبركةً وسلام..

وسوف تظل الذكرى الروحية لهذ الرجل العظيم العملاق ، باقية .. فلقد كان بيننا يحيا فى خوف الله.. كان يحاسب نفسه كل يوم.. ويعتذر بسرعة عندما يخطىء ، ولا ينام وهو غاضب من أحد ، لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله.. لقد كان كبيراً أمام الله.. وكبيراً بين أهله.. ونحن لن ننسى مواقفه.. ولا بطولاته.. ولا قوة كلماته..

ونودعه إلى سماء المجد، وعيوننا إليه قدوة.. وعيونه إلينا دعوات ورعاية.. وليملأ الرب قلوبنا بتعزيات روحية ، حتى نلقاه فى ملكوت السموات..

١٨ـ الظلمات والنور

العلماء والنور : حاولوا العلماء أن يحافظوا على النور ويحذروا الناس من الظلمة.. ولقد أودع الله فى علمائه الذين يخافونه ويرهبونه سر النور الإلهى ، فالحمد لله الذى خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور..

ورسالة المؤمن أن ينقل الناس من الظلمات إلى النور.. ورسالة الشيطان أن ينقل الناس من النور إلى الظلمات.. فالله ولى الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور.. والذين كفروا أولياءهم الطاغوث يخرجونهم من النور إلى الظلمات..

وكما يرى الأديب « أنيس منصور» فى كتابه « الذين عادوا إلى السماء» فإن العلماء، فى كل العصور هم كهنة الأديان أو هم الرهبان ، الذين إختاروا العزلة عن العالم ، وحفظوا العلم ، وملكوا فى زمامهم قوة العلم ، ويؤكد هذا بما حدث من إكتشاف سنة ١٩٣٨م فى مدينة بغداد عندما عثر أحد العلماء على بطارية جافة ثم على عدد من الآنية الفخارية وفيها أعمدة من النحاس المغطاة بالبترول الجاف ، وعندما راح العالم يقلب فيها ويصنع نموذجاً مثلها ، ووضع بعض ماء النار وأوصلها بعضها ببعض ، أضاءت مصباحاً كهربائياً..

وكتب العالم « أندرو توماس»كتاب اصدره سنة ١٩٤٠م عنوانه « تسع سنوات فى العراق» وقال فيه : أعتقد أن هذه أول بطارية جافة عرفها الإنسان ، ومن المؤكد

أنها ترجع إلى أربعة آلاف سنة ، وأن الذين صنعوها قد عرفوا كيف يحرصون على عدم تسرب الكهرباء ، وفى الوقت نفسه كانوا حريصين على إستخدام مواد لم نعرفها إلا من عشرات السنين..

وجاء بعدها أحد رجال شركة « جنرال ألكتريك» العالمية وصنع نماذج عديدة لهذه البطاريات الفخارية ، وتأكد له أن هذا النوع من البطاريات يشبه تماماً تلك التى يستخدمها على البقاء طويلاً.. وبعدها جاء العالم الفرنسى»سورا» يتحدث عن بطاريات بابل ويقول أنها منقولة عن بطاريات عثر عليها هو فى مصر، حيث إهتدى فى احد مقابر الأقصر إلى قطع متفرقة من البطارية إذا وضعت معاً أضاءت.. وأدهش العالم الفرنسى « سورا» أن الفراعنة إستطاعوا أن يستخدموا النبيذ والعسل معاً فى صنع عجينة تحدث شرارة كهربائية..

وجاء المؤتمر الدولى المنعقد فى شيكاغو ١٩٦٨ لكى يعلن أن ما إهتدى إليه العالم الفرنسى هو أعظم ما عرفنا حتى الأن عن أسرار بعض المواد البدائية.. وهناك الكثير مما يقال عن رغبة الإنسان فى النور بالمعنى المادى.. وبحثه عن وسائل الإنارة منذ الأيام القديمة..

النور الحقيقى :والنور الحقيقى هو نور الله نفسه.. الله الساكن فى النور، والذى ينير حياة الإنسان.. فالإنسان بدون الله يسلك فى الظلمات ويعانى من آثارها.. وقديماً عبد الناس النور كإله ، بل وقعوا فى شرك الأثنينية أى الإيمان بإلهين وقالوا : إله للنور وإله للظلمة.. ولكن الله واحد.. الله نور السموات والأرض.. وهو الذى يخرج الإنسان من الظلمات إلى النور..

ورسالة خدام الله هى نفس الرسالة.. أن يخرجوا الناس من جهالة الظلمة إلى النور الحقيقى ، وقد قال إنجيل يوحنا عن السيد المسيح : كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم.. كان فى العالم وكون به العالم ، ولم يعرف العالم ، إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله (يوحنا ١:٩)..

وعن النور الحقيقى يتغنى داؤد النبى فى مزاميره فيقول :

- لأنك أنت تضىء سراجى.. الرب إلهى ينير ظلمتى (مزمور ١٨ :٢٨)
- وصايا الرب مستقيمة ، تفرح القلب ، أمر الرب طاهر ينير العينين (مزمور ١٩ :٨)

- الرب نورى وخلاصى ممن أخاف.. الرب حصن حياتى ممن أرتعب (مزمور ١:٢٧)
- لأن عندك ينبوع الحياة ، بنورك يارب نعاين النور (مزمور ٩:٣٦)
- أرسل نورك وحقك هما يهديانني ويأتيان بى إلى جبل قدسك وإلى مساكنك (مزمور ٣:٤٣)
- لأنك نجيت نفسى من الموت.. نعم.. ورجلى من الزلق لكى أسير قدام الله فى نور الأحياء (مزمور ١٣:٥٦)
- أحمدوا الرب لأنه صالح ، لأن إلى الأبد رحمته.. الصانع أنواراً عظيمةً لأن إلى الأبد رحمته.. الشمس لحكم النهار، لأن إلى الأبد رحمته.. القمر والكواكب لحكم الليل ، لأن إلى الأبد رحمته (مزمور١٣٦)

الظلمة والنور : وسوف يستمر الصراع.. والمعركة تظل دائرة بين الظلمة والنور.. الشيطان هو رئيس الظلمة.. وهو الذى يجعل من الظلمة ستراً للخطية.. وحرباً ضد الذات.. وهجوماً على القيم الروحية.. وأبناء الظلمة هم أبناء الشر .. هم معاونو قوات الظلم فى هذا العالم.. والنور هو الله..

الله نور وليس فيه ظلمة البتة.. الله نور وساكن فى نور لا يدنى منه.. ومن يحيا لله ، يحيا فى النور.. ولا يرغب فى الظلمة ، ولا فى أعمال الظلمة كقول بولس الرسول : لا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة ، بل بالحرى وبخوها.. ولم يخلق الإنسان للظلمة ، ولكنه خلق حراً مريدا، من حقه أن يحيا فى النور، وبإرادته الحرة ، ولكنه يسلك فى الظلمة ، وعندما يقول للرب : يارب أنر ظلمتى ، سوف يشرق عليه الرب ، بنور باهر وطاهر عجيب ، وينقله من الظلمات إلى النور.. ومن جهالات الشر إلى الحق المجيد..

١٩ـ الإستقلال والحرية والعام الجديد

عيد الإستقلال: مع إشراقة فجر اليوم الأول فى العام الميلادى الجديد ، يشرق على سوداننا المجيد عيد الإستقلال ، وذلك اليوم السعيد الذى يتفاخر على الأيام ، ويذكرنا بجهاد الأجداد وسعيهم الدؤوب لتحرير السودان.. فالإستقلال هو حرية

القرار ، وحرية الإرادة الشعبية.. ولقد بدأ إعلان الإستقلال من داخل البرلمان ، فى يوم التاسع عشر من شهر ديسمبر.. عندما إلتقت كل القوى الوطنية داخل البرلمان نحو الإستقلال كقرار جرىء..

ولقد تجاوبت المعارضة مع الحكومة ، وهل يمكن أن يكون للإستقلال معارض؟.. لقد صار هناك يومان لنذكر الإستقلال يوم الإعلان ويوم رفع العلم، وإذا كان قد مضى على الإستقلال من السنين ما يزيد على نصف القرن.. ولم يحصد السودان ثماراً تتناسب مع هذا العمل الجليل ، ولم يزل السودان يحتاج إلى مزيد من التنمية ، حتى يكون فى مصاف الدول المتقدمة ، وأعتقد أن يوم الإستقلال هو يوم مراجعة النفس ، فماذا صنعنا بعد الإستقلال؟.. وماذا قدمنا ؟.. وماذا أعطينا ؟.. إنها فرصة لعتاب الأجيال لنا.. فرصة لحساب الأيام لنا.. وإذا كان السودان هو أول من أعلن الإستقلال بين بلدان أفريقيا.. وهو البداية الحقيقة لإستقلال أفريقيا فما هو موقف السودان الأن.. يكفى آفة الحرب وهى إبتلاء صعب ، ولكن بوادر الأمل تشرق هذا العام مع مباحثات مشاكوس التى صارت هى الأمل الكبير لإيقاف نزيف الحروب..

وسوف يأتى فجر السلام على وطننا الكبير ، ونحن نصلى أن تستمر مسيرة السلام ، ولا تعرقلها التوترات ولا الإنفعالات ولا العدائيات.. فيكفى ما مرّ من أيام ، وما ضاع من عمر بلادنا ، بسبب الإحتراب ، وأنا من المتفائلين أن السلام سوف يأتى فى أوائل العام ، وتتحقق به أحلامنا السعيدة ، ونبدأ فى بناء السودان الجديد بقلب جديد وبعزم من جديد .. وبإرادة مستقلة هى إرادة من أعلنوا الإستقلال وعاشوا به وفرحوا وينتظرون ثماره الطيبة خيراً ورجاء وأملاً ورخاء وبناء ونماء.. وعلى عتبة العام الجديد أركع خاشعاً وأسجد عابداً.. وأصلى راجياً ، أن يتحقق السلام ويبسط ألويته على بلادنا المجاهدة وعلى شعبنا الصابر المثابر..

العام الجديد : ومع عيد الإستقلال المجيد ، نستقبل العام الجديد.. وهذه فرصة جديدة، أعطاها لنا الله لكى يكون الوقت لصالحنا وليس ضداً لنا.. لأن كل يوم يمر بنا يقترب بنا إلى الأبدية التى فى إنتظارنا.. والأبدية هى مستقبلنا وهى التى تحتاج منا إلى السهر الروحى واليقظة الواعية..

وسهر الأبدية ، هو سهر فى الصلاة وفى العبادة ، وفى إستدرار مراحم الله، لأن الأبدية على الأبواب ، وكما قال السيد المسيح : لقد أقبل عليكم ملكوت الله..

والأبدية السعيدة هى ملكوت الله عندما يملك على قلوبنا ، ولهذا فمنذ الآن يطلب الله منّا عطاء القلب ، وكأنه يقول لنا : لقد تعودتم معى على الآخذ دون العطاء.. أنتم تصلون وتطلبون وتأخذون ما تريدون ، ولكنكم لا تعطون.. وعندما نسأل : ماذ نعطى ؟.. وماذا لدينا لنعطى ؟.. يجيبنا الله : ياإبنى أعطنى قلبك ولتلاحظ عيناك طرقى.. وهذا هو أعظم أنواع العطاء لله، فى أول العام الجديد..

ومع عطاء القلب ، يكون لنا إستقلال القلب، وذلك عندما يصبح القلب كله لله ، لأن الله يريد القلب كله ، بكل دقاته ، وآناته ، حتى يشفع فينا روح الله بآنات لا ينطق بها وبدقات تنبض لله وتتحرك نحوه ، ويصير القلب طاهراً ونصلى : قلباً نقياً أخلق فىّ ياالله وروحاً مستقيماً جدده فى داخلى ، وعندما يكون الداخل لدينا نظيفاً ، نحيا حياة سعيدة ، ونتجه نحو أبدية أسعد.. فنجاحنا فى دنيانا ، هو الذى يحقق سعادتنا فى آخرتنا ، ويظل أول يوم فى العام ، هو يوم فيه نجلس مع أنفسنا، ونحاسب أنفسنا ، ونعطى حساب وكالتنا..

نحن وكلاء على ما لدينا من مواهب ، ومن وقت ، ومن عمرٍ، ومن نِعم وخير.. وطوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده أميناً فى القليل ، فيقول له : كنت أميناً على القليل ، أقيمك على الكثير ، والقليل هو متاع الدنيا ، والكثير هو ملكوت السموات.. ولكن إن تكاسل العبد عن آداء دوره ، وإدارة وكالته ، فسوف يكون نصيبه مع المرائيين ، وهناك يكون البكاء وصرير الأسنان..

ربى وإلهى ، أشكرك لأنك أعطيتنى عاماً جديداً هو فرصة جديدة للنقاء والصفاء والسهر ، إتصالاً بك ربى.. وعلى عتبة العام الجديد أضع يدى فى يدك ربى.. فكن معى.. ساندنى وآزرنى.. طهرنى وباركنى.. وبارك كل أبناء وطنى حتى ننعم بالحياة الطاهرة المقدسة أمامك ياقدوس القديسين آمين..

٢٠. النور هبة من اللّه

نور وظلام : إن موضوع النور والظلام يجتاز كل صفحات الكتاب المقدس ، كما يملأ صفحات القرآن الكريم ، فبالنسبة للكتاب المقدس يُعد النور هو أول عمل قام به الخالق ، عندما فصل بين النور والظلام..

والنور ضرورة لا غنى عنها للحياة والنمو.. والله هو محور الخليقة كلها..والخليقة

هى إظهار مجده وقوته السرمدية ، ففى الصفحات الأولى من الكتاب المقدس.. يذكر سفر التكوين : الأرض الخربة الخالية.. ويذكر الظلمة التى سيطرت على العالم وبعدها قال الله : ليكن نور ، فكان نور.. وفى آخر أسفار الكتاب المقدس وصف أن الله نفسه هو نور الخليقة الجديدة ، حيث يقول الجالس على العرش : ها أنا أصنع كل شىء جديداً..

ومن الجديد أن السماء الجديدة والأرض الجديدة التى يسكن فيها البر هى مدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر للإضاءة لأن مجد الله هو نورها (رؤيا ٢١:٥،٢٣).. وهذا يعنى أن هناك إنتقالاً من النور الطبيعى الذى يتعاقب على الأرض ، وظلمة الليل إلى النور الذى لا مغيب له، ألا وهو الله نفسه..

وهذا هو الخبر الذى سمعناه منه ، ونخبركم به ، أن الله نور وليس فيه ظلمة البتة.. إن قلنا أن لنا شركة معه وسلكنا فى النور كما هو فى النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض (يوحنا الأولى ١:٢).. وكلام يوحنا اللاهوتى يعنى إننا قبل أن نحيا فى نور السماء ، ينبغى أن نبدأ هنا بضبط سلوكنا والإبتعاد عن طريق الظلام لكى نشارك بعضنا البعض فى أعمال الخير والمحبة، ونحيا فى نور الله..

وتاريخ هذه الحياة يأتى وسطاً بين أول يوم للخليقة وآخر يوم فيها ، على أنه صراع بين النور والظلام فى معركة يتصادمان فيها ، تصادماً أشبه بذاك الذى بين الحياة والموت..

خالق النور: وللنور معنى رمزى.. وللظلام معناه الرمزى.. ولكن النور مثل سائر المخلوقات لا وجود له إلا مستمداً من الله، سواء كان نور النهار الذى بزغ من الخواء الأصلى... أو نور الكواكب التى تضىء الأرض نهاراً وليلاً.. الله هو الذى يرسل النور ويستدعيه ، فيطيع برعده ، ونشارك الظلمات التى تتعاقب ، والنور الوضع نفسه ، لأن إلهاً واحداً هو مبدع النور وخالق الظلمة ، كقول أشعياء : أنا الرب وليس آخر.. لا إله سواى، نطقّتك ولم تعرفنى ، لكى يعلموا من مشرق الشمس ، ومن مغربها أن ليس غيرى أنا الرب وليس آخر مصور النور وخالق الظلمة ، صانع السلام وخالق الشر ، أنا الرب صانع كل هذه (أشعياء ٤٥:٥،٦).. فإنه هوذا الذى صنع الجبال وخلق الريح ، وأخبر الإنسان ، ما هو فكره الذى يجعل الفجر ظلاماً ، ويمشى على مشارف الأرض (عاموس ٤:١٣)..

ويضيف داؤد النبى ، كيف أن مصادر النور التى خلقها الله تشترك فى تسبيح الله.. سبحيه يأأيتها الشمس ، والقمر سبحيه ياجميع كواكب النور.. سبحيه ياسماء السموات.(مزمور ١٤٨ : ٤)..

والنور هو أشبه بإنعكاس لمجد الله.. والنور مثل مخلوقات الله الآخرى هو علامة تظهر بطريقة ملموسة ، شيئاً من صفات الله.. إن النور هو اللباس الذى يتوشح به الله ، لأن الله عندما يظهر يكون ضياؤه كالنور مثل شرح حبقوق فى صلاته ، جاء من تيمان والقدوس من جبل فاران سلاه ، جلاله غطى السموات والأرض إمتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور له من يده شعاع ، وهناك إستتار قدرته (حبقوق ٣:٣،٤).. وفى سفر الخروج رأى موسى ومن معه مجد الله.. وقبة زرقاء يقوم عليها عرشه ، تسطع كالبلور..

النور هبة الله : يرتبط النور بالحياة إرتباطاً وثيقاً.. والنور حلو وخير للعينين أن تنظرا الشمس (جامعة ١١ :٧).. والولادة هى مشاهدة النور» فالأجنة تموت دون أن تشهد النور (أيوب ٣ :١٦).. والأعمى هو شخص قد حرم من أن يرى « نور الله».. والمريض الذى ينقذه الله من الموت يفرح بأن يرى نور الأحياء (أيوب ٣٣ :٣٠).. والظلمة رمز إلى الجحيم التى هى مملكة الظلمات..

والنور له رمزيته فهو يتضمن فى الظهورات الإلهية ، هو إبراز لجلال الله الذى صار قريباً ، وإستعارة « وجه الله المضىء»..لأن الله يرفع علينا نور وجهه (مزمور ٤ :٦).. وهنا يكون الإحساس بالإطمئنان مع المهابة.. وحضور الله فى نوره العجيب ، يعد هبة من الله للإنسان ويحمل طابع الحماية لأن الله يضىء طريق المؤمن وخطاه بشريعته ، وينقذه من الأخطار ، ويحتمى بالله ..

الرب نورى وخلاصى ممن أخاف، ويقود الله الإنسان البار إلى فرح يوم سعيد ومنير ، بينما هذا اليوم يكون ظلاماً على غير المؤمن الذى يبتعد عن الحق ويسير فى ظلام دامس ، يتلمس الحائط كأعمى ويتعثر فى الطريق (أشعياء ٥٩ :٩،١٠).. لأن الظلمة هى الجحيم ومع ذلك فإن الله يرى كل شىء ويراقب الذين يعيشون فى الظلام ويرسل إليهم من ينقلهم من الظلمات إلى النور.. لأنه يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون ، وفى النور يسيرون ، وفى بهاء وجلال الله يتمتعون ، لأن النور هبة من الله..

٢١ـ الشهرة والسعادة

تأملات رجل : كان مطراننا الراحل الأنبا دانيال ، رجل تأملات ، كان دوماً يلفت نظرنا إلى الحياة ، وإلى التأمل فى الحياة، وذات مرة مررنا بشخص بسيط يجلس على تراب الأرض ويأكل لقمة خبز فى سعادة بالغة.. قال لى المطران: أترى ياأبى القمص هذا الرجل ، إنه رجل سعيد جداً رغم أنه واضح إنه فقير جداً.. وقال مضيفاً للكلام : إننى أعرف رجل من أغنى أغنياء عصرنا هذا.. وهو يزورنى كثيراً.. وأنت أيضاً تعرفه ، هل تعلم أن هذا الرجل الغنى مستعد أن يتنازل عن كل ثروته فى نظير أن يأكل مثلما يأكل هذا الرجل.. رغم أن هذا الرجل بعيد عن هذه الثروة.. وبعيد عن الشهرة ، ثم قال لى المطران : ولست أرى السعادة جمع المال ، ولكن التقى هو السعيد ، وحديثنا هذه المرة عن الشهرة والسعادة..

هل الشهرة تحقق السعادة ؟.. أعتقد أن هناك فرق ، لأن الشهرة ثمنها غال جداً.. وصداعها شديد جداً.. والمشهورون يجرون سعياً وراء الشهرة ، وعندما تتسلط عليهم الأضواء يخرج منهم سلام القلب ، ويدخل الإضطراب إليهم ، والخوف من الآخرين.. وفكر المؤامرة .. ويظنون أن الناس يسعون إليهم فقط طمعاً فى شىء ما.. ويميلون إليهم لأن عندهم مال... وينفضون إليهم ، لأن عندهم فضة.. ويذهبون إليهم طمعاً فى ذهبهم..

تحقيق الذات : والشهرة هى أمر مهم فى حياة الناس.. كل إنسان يسعى نحو تحقيق ذاته.. كل واحد فينا يحب أن يكون محبوباً ومشهوراً.. وكل واحد فينا يحب أن يسمع الكلمة الحلوة من الآخرين.. وأحياناً نقتلع مديح الآخرين قلعاً.. فنقول : إننا دخلنا مرحلة العجز ، لكى يقولوا لنا كلا.. أنتم شباب أقوى من شباب العصر .. وأنتم شبابكم هو شباب القلب..

ونقول: إننا ضعفاء ، لكى يقولوا لنا أنتم أقوياء.. وتقول المرأة لا أعلم ماذا أحب فىّ رجلى؟.. لكى يقولوا لها أنت ملكة جمال .. وكان لابد أن يحبك هذا الرجل .. ونحن أيضاً معجبون بجمالك ، إنها الطبيعة البشرية التى تبحث عن الكلمة الحلوة مثلما تبحث جذور الأشجار عن ينابيع المياه ، ونشتاق إليها كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه ، وهذا ما عبّر عنه الكاتب الروسى «جوركى» على فم أحد أبطاله :

ما أجمل أن يكون الإنسان شيئاً مذكوراً فى هذه الأرض، وبين هؤلاء الناس..

ويرى البعض أن الإنسان دائماً يميل بفطرته إلى تحقيق ذاته على أوسع نطاق ممكن ، وأن تحقيق الذات لا يأخذ صورة واحدة ، إنما يظهر فى صورة متعددة تنقسم فى أخر الأمر إلى قسمين : أولهما طبيعى غريزى ، يتمثل فى الأمومة والأبوة.. وثانيهما هو إعتراف الآخرين بنا..

الأول يؤكد أن الأبناء هم الإمتداد الطبيعى لحياة الإنسان ، ونحن نحقق ذواتنا عن طريق أبنائنا وبناتنا.. والثانى إننا نحقق ذواتنا من خلال إعتراف الآخرين بنا.. وهذا ما يسمى « الشهرة» .. وتزيد الشهرة من شعور الإنسان بالرضا عن نفسه ، وتحقق له ذاته تحقيقاً ملموساً.. ولكننا نؤكد معاً أن الإنسان العظيم هو الإنسان الذى يذوب فى عمل يؤمن به وينشغل بهذا العمل عن الشهرة نفسها..

والعظماء حقيقة هم أقل الناس رغبة فى الشهرة ، ومحبة فى خدمة الآخر ، من أراد أن يكون عظيماً فليكن للكل خادماً.. لقد رفض السيد المسيح الشهرة .. رفض أن يجعلوه ملكاً عليهم.. وتركهم ومضى ، عندما أعلنوا عن رغبتهم هذه ..

ورفض القديس القبطى « أبو مقار» الشهرة ، بعد أن ذاق مرارة الذل وهزيمة الإتهام الباطل.. لأن أول تجربة دقت أبواب حياته، أن فتاة غير متزوجة وجدت حبلى.. سألوها : من الذى أخطأ معها ؟.. فقالت : الراهب مقار .. فذهبوا إليه ، وإستهزأوا به.. وعلقوا فى عنقه قدوراً قذرة ، وشهروا به فى شوارع القرية ، وضربوه ضرباً مبرحاً ، وأهانوه بأنه راهب شرير.. وذهبوا إلى والد الفتاة وقالوا : هذا هو الراهب الذى كنت تشهد بتقواه.. أنظر ماذا فعل ؟..

وأمسكوه وحبسوه.. وسألوا عن ضامن .. وأتى صديق له ، وضمنه فى خجل ومذلة ، وحكموا عليه أن يدفع نفقة الولادة ويصرف على المرأة والطفل.. وإبتدأ يخاطب نفسه : كد وإجتهد يا مقاره ، فقد صار لك زوجة وولد.. ومرت الأيام كئيبة.. ومرارة الظلم مريرة ، وفى ساعة الولادة تعسرت المرأة..

وتذكرت خدعتها وإعترفت : إن هذا الراهب برىء.. برىء.. وذهب تلميذ أبومقار للمعلم يقول: لقد إعترفت الفتاة بأنك لست مذنباً ، وأهل القرية فى طريقهم إليك لكى يعتذروا ويطلبوا الصفح منك ، ولكن أبو مقار رفض هذا وهرب من الموقع ، وهرب من الناس، وهرب من الشهرة.. لأن الشهرة هى مجد باطل.. ومن يسعى

إلى كرامة الشهرة تهرب منه هذه الكرامة .. أما من يهرب منها فإنها تسرع قادمة وترشد الناس إليه..

الشهرة والسعادة :

إن الشهرة ليست هى السعادة.. وقد يوجد إنسان بسيط عادى لا يشعر أحد بوجوده ، ويؤدى عملاً يومياً تافهاً ، متكرراً ، ولكن قلبه مفعم بالسعادة ، يعود إلى بيت متواضع وزوجة ، وفيه لقمة هنية وأولاد هم غروس زيتون على مائدته..

وأعتقد أن هذا الإنسان البسيط يرفض أن يتنازل عن سعادته ، نظير شهرة أعظم العظماء.. لقد كان أحد الأدباء المشهورين يقول : إنه مستعد أن يتنازل عن مجده الأدبى كله.. وعن شهرته كلها مقابل أن يجد زوجة تشعر باللهفة ، وهى تنتظره على الغداء ، إذا تأخر بعض الوقت..

ولكن الإنسان يميل إلى تحقيق ذاته عن طريق إشعار الآخرين بوجوده ، ولكن نفس هذا الإنسان إذا إرتقى روحياً يصل إلى حالة من التطور النفسى الذى يغنيه عن بعض الميول العادية لدى الآخرين.. ويمضى فى طريقه هادئاً ، وقوراً ، بلا قلق ولا أرق.. يأخذ سلامه من داخله لأن الله داخله.. ولا يضع سلامه فى أفواه الناس.. إنما يذوب فى العمل وفى تحقيق إرادة الله فيه.. وتصغر أمامه كل الأشياء حتى الشهرة ذاتها ، وتكون سعادته فى الله..

٢٢. إشراقة التيجانى

الصوفى الزاهد: قرات كتاب» إشراقة « لشاعر الروح والوجدان والخلود « التيجانى يوسف بشير».. قرأت الكتاب أكثر من مرة.. وأعجبنى ألف مرة.. وحاولت أن أكتب عنه ، ولكننى شعرت أن معلوماتى عن هذا الأديب قليلة جداً.. وهى حتى الأن هكذا ، وسوف أحاول أن أقرأ ما كتب عنه.. وما كتبه هو ، إن كان هناك غير هذا الديوان العظيم..

إن التيجانى هو أحمد التيجانى بن يوسف بن بشير بن الإمام حزرى الكتيابى.. كما يقول مقدم الديوان الذى لم يذكر إسمه.. والكتياب بيت مشهور من بيوت السودان ، يمتاز بين قبائل الجعليين ، الذين عرفوا بالإقدام ، والكرم ، والسماحة ، وكل جعلى له فى السودان مكانة فى قلوب الناس..

وصار الجعلى صفة يتصف بها الناس فى مواقف معينة ، منها الإقدام ، والشجاعة ، ومنها صفات أخرى، يحتفظ بها الأدب السودانى الشعبى.. ولقد ولد التيجانى فى بيئة ذات فضل وثقافة دينية بحته.. بيئة محافظة ذات تعاليم وتقاليد.. كان مولده فى أم درمان عام ١٩١٠م.. ورحل عن أم درمان شاباً غضاً، قد دبّ إليه الوهن ، لأنه إنشغل عن نفسه بنفسه.. فلقد أراد أن يكون صوفياً زاهداً.. غذاؤه هو غذاء الروح.. فلسفة ، وأدباً ، وفكراً.. وأهمل غذاء الجسد.. ولم يتحمل جسده ما فى حياته من سمو روحى..

لقد لقب بالتيجانى ، تيمناً بصاحب الطريقة المعروفة.. ولقد إنطبع على كتاباته روحانية التيجانى الكبير.. ودخل إلى خلوة كان يقودها عمه ، وإرتقى فى عالم الروح درجة، درجة.. وتعلم اللغة العربية... ذات الموسيقى الشجية.. ودخل المعهد العلمى بأم درمان ، وصار فقيهاً عالماً.. أديباً شاعراً.. وإبتدأ يقرض الشعر بين أصدقاء له أفذاذ..

وكان مهتماً بأن يختلى مع نفسه ، ولهذا إعتكف فى منزله ، وإنكبّ على دراسات مستمرة ، جعلته يسهر الليالى ليقرأ كتب الأدب القديم ، وينهل من ينابيع الفلسفة الروحية..

إشراقـــــة : وديوان « إشراقة «.. له فى قلب التيجانى مكانة كبيرة.. لقد كتبه من دمه.. من أنفاسه.. هو قطرات من الصبا.. من الشباب الغض.. ينساب إنسياباً.. هو رهام من روحه الهائم..هو قطرات من التأمل حيرى.. مطرقات على الدجى ميراقة.. تترسلن فى جوانب أفاقه شعاعاً.. وإسم الشعاع إشراقة.. هىّ أنداء.. ونداها فيوض من النور ، ونبع من قوة خلاّقة.. هىّ دفق من عالم كله قلب خفوق ولوعة دفاقة.. هىّ عالم الحسن والجمال ودنيا الحب ، والقلب وحده وإشتياقه.. هىّ زهرات من الربى إنسابت بين ذراعيه شعراً لفهُ الصمت.. ورائحته عطر نام فى مهده وأخلى مساقه.. وهى ريانة تمد قطافاً من جنبى طعم هو مذاقه.. من دمه.. إستدرتها أنفاسه لهيباً.. وأسماه " إشراقة".."..

هى قطرات من الندى رقراقة.. يصفق البشر دونها والطلاقة.. ضمتها من بهجة الورد أفواف ، ومن زهرة القرنفل باقة.. نثرت عقدها أصابع من نور ترسلن خفة وأناقة.. ومصابيح أسرجتها يد الشمس وضاء فى زهرة خفاقة.. يتقطرن أنجماً

فى أكاليل من الزهر أسرجت أوراقه.. وآفاق الضحى عليها قد روت أزاهير وندت رواقة... تلك مطولة ، وهاتيك سكرى من ندى دافق ، وخمر مراقة.. وهى براقة الضفاف ، ومرموقة بيض اللآلىء البراقة.. نفضتها فى الدهر أجنحة الآملاك تلك الرفاقه الصفاقة، فأصابت فيما تصيب فتى نقرن أوتاره وهجن إعتلاقه..

هذه هى القطرات التى أصابت الفتى التيجانى ، وأعترف أنها قد أصابتنى أيضاً.. وقطرات الندى الرقراقة التى حواها ديوان إشراقة ، هى قطرات تسعد وتفرح ، وقد أسعدتنى ولا أحاول أن أمسحها ، بل أننى أعتبرها عطر ذكى.. وفى كل مرة ألجأ إليها قطرت ندى معطر جوى.. وتملأْ قلبى نشوة وسلاماً..

قطرات الندى: وديوان إشراقة كله قطرات ندى.. تبدأ أولاً بقصيدة عنوانها « الله».. وكيف لا يبدأ بهذا وهو الصوفى الزاهد.. أعتقد أن كل حب الفتى السودانى الأسمر ، كان موجهاً نحو الله نور السموات والأرض ، والذى هو أبرع جمالاً من بنى البشر.. لقد شعر بوجود الله فى كيانه.. ورغم أن الله مدهش ذكره، مخيف الأداء.. وخير ما فى الوجود من أسماء.. وهو النور خافقاً فى جبين الفجر دافقاً فى الماء.. ولكنه موجود داخلنا.. فى أعماقنا... نحن هياكل لله.. وروح الله ساكن فينا.. وهذا الروح القدسى ، هو الذى يعطنا الإحساس بنبض الحياة الروحية، ويجعلنا من الذين يسبحون بكرة وعشية وأصيلاً ، ويسأل الشاعر عن الله : أين مرخى سمائه ؟ أين ملقى قدسى الصفات والأسماء ؟.. ويجيب هو نفسه على السؤال : قال فى رقة الصوامع أو لوعة بيض المساجد الغّراء.. لم تشدها يد الفنون ولا صاغت محاريبها يد البناء.. كلمات مبثوثة فى الفضاء الرحب من ساجد ومن صلاء.. هى لله مخلصات وكم تعقب بدعا منازع الهواء..

إن شاعرنا رأى الله ، ليس فقط فى حائط الصومعة أو بناء الجامع ، إنما فى أعماق المبادىء التى تقدمها دور العبادة صفاء للناس ، ونقاء للضمائر ، وطهارة للقلوب.. وهو هنا يؤكد أن العابد مسيحياً أو مسلماً قريب جداً إلى الله.. وهكذا يقول: ها هنا مسجد مغيظ على زى البيع الطهر ، والمسوح الوضاء.. وهنا راهب من القوم تواز لمجد الكنيسة الزهراء.. كلها فى الثرى دوافع خير..

بنت وهب شقيقة العذراء.. قلت : ما وهب فى الزمان وما شأن الفتاتين بالجلاء المضاء؟.. قال كلتاهما من النور نقضى.. بنبى من رحمة وأخاء.. والنبى العظيم

فى الأرض بالسماء، وصوت الحق فيها ومستهل الفضاء..

وفى ختام قصيدته عن الله يؤكد أنه مؤمن .. برح الشك بالفؤاد فآمنت ، ولكن فى ريبة أو رياء.. ثم أيقنت مؤمناً.. ونادى بعد هذا الرب نور يفيض على العالم.. رعداً قاصفاً.. بحراً.. زاخراً.. دافقاً..

ولقد علقه الله وعلقنا بظلمة الطين مما أقعدنا عن رحابه البيضاء.. ولكن الروح ترفعنا إلى عالمه القدوس.. وبعد لابد أن نلتقى مرة ثانية تحت قطرات ندى « إشراقة»..

٢٣- إنطلاق الروح

أقدم كتاب: إن إنطلاق الروح هو أقدم كتاب نشر لقداسة البابا الأنبا شنوده الثالث، وقد صدر فى ١٩٥٧.. وقدّم هذا الرجل للناس.. وهو يعنى إنطلاق الروح من كل ما يعوق حريتها وتقدمها نحو الله.. وقد حوى الكثير.. من الشعر.. ومن المشاعر.. ومن همسات الروح .. وكلمات الروح.. ورسم طريقاً لإنطلاق الروح..

من أى شىء ننطلق ؟:وهذا سؤال يجيب عنه الكتاب كله.. ولكن قداسة البابا يكتب إفتتاحية للطبعة السابقة ، من هذا الكتاب يقول فيها.. إن هناك شيئاً آخر مهما حاولت الروح أن تنطلق منه على الأرض فلا أظن أنها تستطيع.. ربما الإنطلاق منه هو إحدى المتع التى تنالها فى الأبدية.. وسرعان ما يضع النقط فوق الحروف.. ويحدد الأمر بأنه الإنطلاق من معرفة الخطية.. فعندما خلق آدم كان بسيطاً نقياً ، لا يعرف خطية على الإطلاق.. ولا يعرف تفاصيل الخطايا، ولا أسماءها.. كان فى براءة الأطفال وربما أكثر..

وعندما سقطت حواء كان السبب أن حواء لم تكن تعرف الكذب ، وما كانت تشك فى صدق الحية.. كان كلاهما آدم وحواء ، لا يعرفان الخطية.. ولكن هنا دخلت إلى الإنسان معرفة جديدة ، هى معرفة الخطية ، تلك المعرفة التى عكرت صفو نقائها.. والذى يزيد علماً يزيد حزناً. (جامعة ١:١٨)..

وبدأ آدم يعرف ما لم يكن يعرف.. وبدأ يخجل... وبدأ يتوارى خلف الأشجار.. وإتسعت معارفه.. وإزدادت حروبه.. وأصبح فى تذكار الشر الملبس الموت.. ويستمر البابا ليؤكد أن الإنطلاق من معرفة الخطية ، لن يتم إلا عندما يوضع

إكليل البر.. البر الذى لا يعمل خطية... ولا يعرف الخطية.. والذى يهبه لنا الديان العادل..

وهذا لن يتم إلا بعد إنطلاق الروح إلى بارئها ، عندما نعود إلى الأبدية.. ونلبس الحلة الأولى.. وتعود إلينا رتبتنا الأولى...أما هنا على الأرض... فنحن فى كل يوم نخطئ... ولا يوجد إنسان بلا خطية... ولو كانت حياته يوماً واحداً على الأرض...

الإنطلاق لمعرفة الله : وفى مقدمة الطبعة الرابعة لكتاب « إنطلاق الروح «.. يكتب قداسة البابا عن نوع آخر من الإنطلاق ، هو الإنطلاق لمعرفة الله.. ويبدأ حديثه باعتراف يوجهه نحو الله يقول فيه :

أعترف أمامك يارب أن إتجاهى فى الكتابة كان ينبغى أن يتغير.. وأعترف فى خجل أمامك إننى كثيراً ما حدثت الناس عن الفضيلة.. وقليلاً ما حدثتهم عنك.. بينما ينبغى أن تكون أنت الكل فى الكل..

غير أننى لكى أتحدث عنك ، لابد أن أعرفك... وكيف أعرفك وأنا إنسان محدود.. وأنت إله غير محدود ؟.. بل وكيف أعرفك وأنت غير المدرك.. وغير المفحوص.. أنت النور الذى لا يدنى منه ولا يستطيع إنسان أن يراه ويعيش..

البحث عن معرفة الله: ويكتب البابا رحلته فى البحث عن معرفة الله.. ويسأل القديسين الذين عرفوه... ويسأل نفسه .. وعقله .. ويخرج عن نطاق الكتب بما فيها من أعماق.. ويعطى مجالاً للروح التى يمكنها أن تنطلق أكثر.. ولكنه يعود فيقول: إن الروح البشرية هى مهما كانت ، محدودة فى قدراتها.. ومواهبها.. ومعرفتها.. كما أنها تقاسى كثيراً من ضباب هذا الجسد المادى..

المعرفة الحقيقية : وفى ختام الأمر ، يؤكد الكاتب أننا لن نعرف الله المعرفة الحقيقية إلا فى الأبدية.. فى الملكوت الأبدى.. عندما ننظر الله وجهاً لوجه.. عندما يكشف الله عن ذاته ، ما لم نكن نعرفه فى العالم.. عندما يوسع الله قلوبنا.. ويوسع أرواحنا لكى نستوعب عنه المزيد..

ويظل الله كما هو غير محدود.. ونظل نحن كما نحن ، محدودين ، نعرف عن الله بعض المعرفة.. ويطول بنا الزمن فى الأبدية.. ونحن نستمتع بمعرفة الله.. ونذوق وننظر ما أطيب الرب..

وعندما نسأل : متى يارب نعرفك ، المعرفة الحقيقية ؟.. يجيب السيد المسيح ويقول : هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك.. إذن فمعرفة الله طريقها هو الأبدية التى تبدأ ولا تنتهى..

وهذه هى اللؤلؤة الكثيرة الثمن ، والتى تحتاج منا إلى التفرغ لمعرفة الله والجلوس مع مريم عند قدمى ذاك الذى يسكب فى قلوبنا الماء الحى..

وبعد.. لم نتكلم عن الكتاب نفسه.. لقد إنطلقنا إلى خارج أسوار..

«إنطلاق الروح».. ولابد لنا من عودة إلى نفحات.. وإنطلاقات.. إنطلاق الروح..

٢٤. أين التسعة ؟

عندما كان السيد المسيح بيننا على أرضنا هذه.. كان يجول يصنع خيراً.. يذهب من قرية إلى قرية ، ومن مدينة إلى مدينة.. يكرز ببشارة ملكوت السموات..

كان مقتدراً فى الأقوال والأفعال.. وكان يقول للجميع ، قد كمُل الزمان ، وإقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالإنجيل.. وكان الإنجيل هو البشارة المفرحة بأن الله لنا.. والسماء مفتوحة أمامنا.. والمستقبل الأبدى، مستقبل مجيد ، لأن إسمه عمانوئيل وتفسيره « الله معنا «..

وإذا كان الله معنا فمن علينا ؟..

معجزات الشفاء: وتعددت معجزات الشفاء.. كان السيد المسيح يخرج الأرواح الشريرة النجسة بكلمة من فيه.. وينتهر الحمى فتترك الإنسان.. وكان جميع السقماء والمجانين.. والعميان.. والمفلوجين.. والعسم.. والمشلولين.. فلقد كان يقع عليه كل من به داء ليلمسه ، فينال نعمة الشفاء.. بل أن كثيرين من الموتى قاموا عندما مدّ يده إليهم كما فى إبنه يايرس.. أو عندما لمس النعش كما فى إبن أرملة نايين.. أو بعد أربعة أيام كما حدث مع لعازر..

معجزة مع عشرة رجال : وفيما هو داخل إلى قرية ، إستقبله عشرة رجال برّص، فوقفوا من بعيد.. ورفعوا صوتاً قائلين : يايسوع.. يامعلم.. إرحمنا.. فنظر وقال لهم: إذهبوا وأروا أنفسكم للكهنة.. وفيما هم منطلقون طهروا (لوقا ١٧: ١١،١٩)..

والمعجزة هنا واضحة:

١. فلقد إلتقى السيد المسيح بهؤلاء المرضى خارج المدينة ، حيث أن الشريعة الموسوية تأمر أن لا يسكن الأبرص وسط الناس، إنما خارج الأسوار، ووسط القبور.. ويسير مشقوق الثوب.. ورأسه يكون مكشوفاً.. ويغطى شاربيه وينادى: نجس .. نجس.. حتى لا يقترب منه أحد ، لأن من يقترب إليه يتنجس.(لاويين ١٣: ٤٥، ٤٦)..
٢. وقف هؤلاء الرجال بأجسادهم من بعيد ، ولكنهم إقتربوا إليه جداً بالإيمان... ورفعوا صوتاً.. يايسوع.. يامعلم.. إرحمنا..
٣. أمرهم السيد أن يذهبوا لكى يروا أنفسهم للكهنة.. وهو هنا لم يقل أى كلمة ، يفهم منها أنهم شفوا.. إنما كان متأكداً أن أمره للمرض مسموع ومطاع..
٤. تمت المعجزة فى الحال.. وإختفى البرص.. ورجعت الصحة لأجسادهم..

أين التسعـــة ؟: وبعد أن تمت المعجزة.. واحد منهم .. واحد فقط من العشرة.. لما رأى إنه شفى ، رجع يمجد الله بصوت عظيم.. وخرّ على وجهه عند رجلى السيد المسيح شاكراً له.. وكان سامرياً.. وهنا تساءل يسوع :

أليس العشرة قد طُهِروا ؟..

أين التسعة ؟..

ألم يوجد من يرجع ليعطى مجداً لله ، غير هذا الغريب الجنس ؟..

ثم قال له : قم وأمضِ.. إيمانك خلصك..

الجاحدون:إن نسبة الشاكرين إلى الجاحدين ، نسبة ضعيفة جداً.. إنها عشرة فى المائة.. إن ناكرى جميل الله ، يفوقون بكثرة ، أولئك الذين يعيشون له حياة الشكر.. ولكن هذا أمر مؤلم.. ولهذا سأل السيد المسيح : أين التسعة ؟..

الشاكرون : والذين يعيشون حياة الشكر ، يعرفون كيف يشكرون.. وهم :

١. يشكرون فى كل حين.. شكر يشمل الحياة بأسرها.. شاكرين فى كل حين على كل شىء (أفسس ٥: ٢٠).. إفرحوا كل حين.. صلوا بلا إنقطاع.. أشكروا فى كل شىء (١ تسالونيكى ٥: ١٦، ١٨).. وفى كل وقت نشكر

الله.. فى الصباح نقول: نشكرك ياملك الدهور لأنك أجزتنا هذا الليل بسلام ، وأتيت بنا إلى مبدا النهار.. وفى الظهيرة نقول: نشكرك ياملكنا ، ضابط الكل، لأنك قد جعلت أوقات آلام إبنك الوحيد ، أوقات عزاء وصلاة.. وعند غروب اليوم نقول: نشكرك ياملكنا المتحنن لأنك منحتنا أن نعبُر هذا اليوم بسلام وأتيت بنا إلى المساء شاكرين.. وجعلتنا مستحقين أن ننظر النور إلى المساء..

٢. يشكرون على كل شيء: إن كل شيء مقبول من الله.. إنه الضابط الكل.. وعندما نسلم أمورنا له ، فإنه سوف يدير دفة حياتنا للخير.. وكل ما عملتم بقول أو بفعل ، فأعملوا الكل بإسم الرب شاكرين الله (كولوسى ٣:١٧).. يشكرون فى الضيق.. وعلى الضيق ، لأن الصبر على الضيقة وإحتمالها فضيلة ، وقبولها أكبر ، أما الشكر على الضيقة فهو أكبر وأكبر.. لأننا حينئذ لا نسمح للأحداث المؤلمة أن تنزع سلامنا منا.. أو فرحنا بَالرب.. ولأننا يمكننا أن نرى الله فى الضيقة.. يعمل .. ويعمل.. ويعزى ويقوى.. فهو يعطى التجربة ومعها المنفذ.. والمنفذ دائماً هو تعزيات الرب..

٣. يشكرون بلا حدود : كل أمر فى حياتنا يستحق الشكر.. كل نفس نستنشقه.. كل خطوة نخطوها.. كل كلمة مباركة نتكلم بها.. كل عمل نعمله.. لا يوجد شيء فى حياتنا لا يستحق الشكر.. ماذا أرد للرب ، من أجل كل إحساناته لى ؟.. أنت مستحق يارب أن تأخذ القدرة والمجد والكرامة والشكر.. ويارب لا تجعلنى من الجاحدين لنعمك ، بل من الذاكرين لفضلك.. لا تجعلنى من الناكرين لجميلك ، بل من الشاكرين.. الشاكرين دوماً ... آميـــــن...

٢٥ـ برلمان أديان العالم

جنوب أفريقيا :فى مدينة « كيب تاون» فى جنوب أفريقيا وفى الأسبوع الأول من الشهر الآخير للعام الآخير فى القرن العشرين ، إنعقد برلمان أديان العالم.. وكان هناك حرص شديد على حضور السودان ، وبدأ الإهتمام من سفيرنا فى جنوب أفريقيا الدبلوماسى اللبق « نصر الدين : والذى إتصل بجمعية حوار الأديان ، وأقنعها بضرورة حضور السودان ، لأن المؤتمر جمع ما يقرب من سبعة آلاف شخص حول قضية حوار الأديان..

وعندما ذهبنا إلى هناك بعد رحلة طويلة إستغرقت أكثر من عشرين ساعة ما بين طائرة وإنتظار طائرة ، كان السفير فى إستقبالنا ومعه أركان سفارته أبناؤنا المباركين ، بخارى أفندى وعبد الله وادى.. وتفرغ بخارى أفندى ليكون مع وفد السودان ، ولم نشعر بأى غربة فى وجوده..

وأنا شخصياً أعتز جداً بالدبلوماسى السودانى ، وأرجو له دوماً كل توفيق.. وأطالب بأن نساعده فى رسالته الدبلوماسية ، ونعضد كل جهوده ، لأنه يشق طريقه وسط صخور صعبة ، وينقش على هذه الصخور قصة كفاحه فى الدفاع عن شعب طيب يقع تحت أضرار هجمات إعلامية شرسة من الخارج ، وتصريحات غير منضبطة تؤذى وحدتنا وتعايشنا وتوادنا..

العالم والأديان : وفى تاريخ العالم ، كان للأديان دور كبير.. والأديان هى مركز القيم الروحية والفضائل النبيلة .. ولكن كم من الجرائم ، أرتكبت بسبب الأديان.. وقدر ما حاولت بعض الأديان أن تلغى أدياناً آخرى لم تتمكن .. لأن الدين ثقافة.. والثقافة لا يمكن أن تقهر.. والثقافة لابد أن تبقى جذوراً.. ورواسب.. ولقد عاشت بعض الأديان فى سلام مع بعضها.. وعاشت أيضاً بعض الأديان فى صراع مع بعضها البعض..

وكانت محاولات للتوحيد على مستوى الوطن الواحد ، كما أخناتون فى مصر القديمة ، ويحكى أنه فى مدينة أثينا رغب أهل المدينة أن يعبدوا إلهاً واحداً.. وأشار بعض حكماء المدينة أن تقام مذابح لكل إله على حدة فى ميدان كبير هو ميدان» أريوس باغوس».. وبعد هذا يطلق قطيع من الأغنام وأينما يربض القطيع تعتمد المدينة إله المذبح الذى ربضت بجواره..

ونفذ أهل المدينة إقتراح مشيريها ، ولكن الخراف تركت كل الذبائح وذهبت

لتربض فى مكان ليس فيه مذبح.. فقال أهل المدينة إذا يوجد إله مجهول نحن لم نعرفه بعد .. وعندئذ قاموا ببناء مذبح جديد كتبوا فوقه « لإله مجهول».. وبدلاً من أن يختصروا المذابح المتعددة إلى مذبح واحد لإله واحد ، أقاموا مذبحاً جديداً..

وعندما ذهب بولس الرسول إلى هناك قال لهم : لقد أتيت لأتحدث معكم عن هذا الإله المجهول ... وقال لهم : أيها الأثينيون أراكم من كل وجه كأنكم متدينون كثيراً لأننى بينما كنت أجتاز وأنظر إلى معبوداتكم وجدت أيضاً مذبحاً مكتوباً عليه لإله مجهول ، فالذى تتقونه وأنتم تجهلونه ، هذا أنا أنادى لكم به (أعمال ١٧)..

نحو الحوار: وفى عالم اليوم هناك تطلع نحو حوار الأديان وإهتمام به أكبر من أى زمن مضى.. وربما نسأل : لماذا هذا الإهتمام ؟.. هل يحاول الإنسان أن يتحرر من عقدة الإحساس بالذنب لأنه أهمل الدين إهمالاً شديداً ، وصار الناس يجهلون الله ؟.. وقال الجاهل فى قلبه ليس إله.. هل لأن الناس اليوم تركوا مظلة الدين فازداد شقاؤهم ، وتكاثر بؤسهم وتعددت أمراضهم بسبب إهمال الدين ؟..

هل إقتنع الإنسان بأنه لابد من الحوار ، وإنه لا يمكن للناس أن يحتربوا ويتقاتلوا بسبب الدين ؟.. هل موجات الإلحاد تحاول أن تنحسر ؟.. هل أمراض العصر بسبب أزمة الأخلاق وغياب الدين جعلتنا نستيقظ ونشعر بأهمية الدين فى بناء المجتمع ؟. هل ضياع الشباب وإنسحابهم من الواقع وهروبهم إلى اللامعقول بواسطة المخدرات ، أشعرنا بالغضب الآتى ؟..

هل إنتشار مرض الأيدز بسبب عدم الإنضباط الأخلاقى ، جعل العالم يعود لكى يطرق باب الدين من جديد ، ويؤسس قيم العفة ، والتعفف ، والعيش فى حياة القداسة ، فى رباط الزيجة التى يجمع فيها الله الرجل والمراة ويقدسهما لحياة طاهرة عفيفة ؟.. هل يرغب العالم اليوم عن طريق حوار الأديان ، فى أن يفتح ملف التعايش والتوادد ، ويغلق إلى غير رجعة ملف المرارات بسبب التوترات الدينية والتطرف والإرهاب باسم الدين ؟..

أليس فى حركة المجتمع الأن نحو حوار الأديان دعوة إلى عودة الوعى؟.. دعوة إلى العودة إلى الأصل.. وإلى أن نكون أصوليين ، ليس بمعنى التطرف ، إنما بمعنى العودة إلى أصولنا العريقة وجذورنا العميقة فى حياة الروح ؟.. هل إنتبه الغرب الأن إلى الهوة التى يذهب إليها بسبب إهمال الدين والسخرية بأهل الدين ؟..

هل علم الناس إلى أى منقلب ينقلبون ، عندما يضعون الدين فى زاوية النسيان ؟.. وهل يقدر أحد أن يلقى بالقيم الدينية فى بحر النسيان ؟.. إن الإتجاه نحو الحوار هو « دعوة محبة» ولقد كان برلمان أديان العالم « دعوة محبة».. لكى يحترم كل دين ، الدين الآخر دون محاولات القهر أو مؤامرات الإحتواء..

٢٦ـ لماذا تقولون ما لا تفعلون ؟

كلام فى كلام: كثيرون من يكثرون الكلام.. وحياتهم كلها كلام فى كلام.. ومن هنا جاءت التسمية « أبو كلام».. لكل من يصنع الكلام دون أن يعمل بالكلام.. ومنذ زمن بعيد يتساءل الناس فى إستعجاب ، عن هذا النوع من البشر ، أيها المعلم غيره ؟... هلا لنفسك كان ذا التعليم ؟.. وعند البعض مقدرة كلامية عجيبة ، فهو يحمس الناس لكى يموتوا ، ويملأ مشاعرهم بأمنيات الجنة الواسعة والجمال الباهر هناك ، فى بنات الحور.. حور عين.. ويتفاعل الشباب مع هذه الفتاوى ويموتون.. وبعد زمن تحدث الإختلافات فى المنصة الحماسية الواحدة ، وتخرج فتاوى أخرى غير الأولى..

وكثيرون يفقدون حياتهم ضحايا لتجاوبهم مع أهل الكلام الذين يتكلمون ، ويملأون الدنيا كلاماً.. ويقولون ما لا يفعلون.. مع أننا نفهم روحياً إننا ينبغى أن نبدأ بأنفسنا ، وأننا سوف ندان أمام الله إذا كنا نُعلم الناس ، ولا نعمل بما نُعلم به.. أما إذا كنا نقول ما لا نفعل ، فهذا يعنى إننا نُدمن فن التمثيل على الناس ، ونكون مثل النُخبة السودانية ، وإدمان الفشل التى كتب عنها أديبنا اللبق الدكتور منصور خالد ، وتحدث فى الكتاب الكبير وهو من جزئين ، وصفحاتهما تقترب إلى الألف والنصف ، وتحدث عن الخطاب السياسى وغيابه عن الواقع ، وعن القطيعة بين الخطاب السياسى والواقع الإجتماعى فى السياسة السودانية ، وعن دراويش الليبرالية ، ودراويش الإشتراكية، ودراويش العروبة ، ودراويش الزنوجة .. وقال: أما عن دراويش الصحوة الإسلامية فحدث ولا حرج....

وفى فن الكاريكاتير، كانت ولم تزل هناك رسومات تؤكد رفض الناس، لمن يقولون ولا يفعلون.. ورفض الناس أيضاً للذين يكثرون من الكلام ويحملون مايك الميكرفون ، ملتصقاً بطرف عصاهم...

الخلفية الروحية: فى عظة الجبل يرفض السيد المسيح أن يغير الناس كلام الله.. ويرفض لهم أن ينقضوا وصاياه ، لأنه إلى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل .. فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا ، يدعى أصغر فى ملكوت السموات، وأما من عمل وعلّم ، فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات (متى ٥:١٩)..

وطالب الناس أن يكونوا سامعين عاملين بالكلمة ، وقال : فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها ، يشبه رجل عاقل بنى بيته على الصخر فنزل المطر ، وجاءت الأنهار، وهبت الرياح ، ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط ، لأنه كان مؤسساً على الصخر ، وكل من يسمع أقوالى هذه ، ولا يعمل بها ، يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت هذا البيت ، فسقط ، وكان سقوطه عظيماً (متى ٧:٢٤،٢٧)..

ورفع شعاراً روحياً لتلاميذه ، فيه يؤكد إن علمّتم هذا فطوباكم إن عملتوه (يوحنا ١٣:١٧).. وعندما جاء إليه أهله ، ليسألوه قال لهم : إن أهله هم الذين يعملون إرادة الله ، متسائلاً : من أمى ، ومن إخوتى، ثم نظر حوله إلى الجالسين وقال : ها أمى وإخوتى ، لأن من يصنع مشيئة الله ، هو أخى وأختى وأمى (مرقس ٣)..

وتحدث أحد تلاميذ المسيح ، هو يعقوب ، رافضاً أن يتحول الناس إلى معلمين دون أن يعملوا بما يقولون : لا تكونوا معلمين كثيرين : ياإخوتى عالمين إننا نأخذ دينونة أعظم ، لأننا فى أشياء نعثر جميعنا، إن كان أحد لا يعثر فى الكلام ، فذاك رجل كامل، قادر أن يلجم كل الجسد أيضاً (يعقوب ٣).. ومن يعرف أن يعمل حسناً ولا يعمل فذلك خطية له..

التراث الشعبى : ويحكى التراث الشعبى قصة عن أحد القساوسة ، أنه فى يوم ، وعظ عظة عن قول المعمدان : من له ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليفعل هكذا.. وكانت عظته بليغة.. الكلمات من نار.. والحماس ملتهباً كسعير النار.. وكانت زوجته الطيبة الهادئة ، واحدة من الحضور.. وتأثرت بكلماته ، وهو نفسه لم يكن يملك سوى رداءان.. رداء يلبسه وآخر يحفظه للمناسبات.. وبعد أيام من العظة كانت مناسبة مهمة ، تقتضى أن يرتدى القس الرداء الثانى.. فسأل

زوجته أن تجهزه له.. فأجابت : ليس لديك رداء آخر.. لقد دق على بابى محتاج ، وعملت بكلامك وقدمت له الرداء الثانى.. وهنا صمت القس وقال بعدها : هذا الكلام ليس لنا ، إنما للناس..

وفى الأدب الإسلامى هناك قصة تحكى عن خطيب جامع حمص.. وكان بيت الخطيب ملاصقاً للمسجد الجامع ، وفى يوم جمعة ، ألقى خطيب المسجد خطبة عن الزهد فى المأكل والمشرب ، وأورد حديث يقول : يحسب إبن آدم لقيمات يقمن صلبه وذكر أن الرسول الكريم كان يأكل القليل من الطعام ، وإن بعض الأئمة والصحابة يأكلون الخبز اليابس بالزيت ، وكان هذا الخطيب معتاداً أن تقدم له وجبة غذاء دسمة ، وتوضع له مائدة فيها ما لذ وطاب..

وكانت زوجته قد إستمعت إلى خطبته، وظنت أن زوجها قد تغيّر، وصار من الزاهدين ، فما كان منها إلا أن تصدقت بالطعام المُعد.. ولما إنتهت صلاة الجمعة طلب الغذاء ، فجاءت زوجته وأحضرت له خبزاً وزيتاً ، فسألها : ما الأمر ؟.. فأخبرته إنها إستمعت إلى خطبته فتصدقت بالطعام ، فغضب منها وقال لها : هل أنا أخطب لك ، أو لأهل حمص؟..

ياسادتى لماذا تقولون ما لا تفعلون ؟.. أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ؟.. يأيها الذين آمنوا ، لماذا تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون.. إن الله سوف يجازى كل واحد حسب أعماله ، أما الذين بصبر فى العمل الصالح يطلبون المجد، والكرامة، والبقاء.. فبالحياة الأبدية...

٢٧ . أمير الشعراء وحاخام اليهود

عرش الإمارة: لم يكن لقب أمير الشعراء الذى حظى به الشاعر أحمد شوقى ، مجرد لقب.. ولكنه كان إجماع من عدد كبير من الشعراء ، إجتمعوا معاً شعراء وأدباء ورجال سياسة ، ورجال دين ، ونصبوه « أميراً للشعراء».. وكان الإحتفال ليس مصرياً ، إنما عربياً..

جاءت الوفود من كل فج وصوب.. وبدأ الإحتفال فى ٢٧ أبريل ١٩٢٧ .. وإستمر حتى ٦ مايو من نفس العام.. وكان الإحتفال نادياً للشعراء.. كل يدلى بدلوه ، معلناً ترحيبه « بشوقى « أميراً على كل الشعراء.. وتصدرت صورة شوقى الشاعر

الرومانسى الحالم ، على صفحات جرائد تلك الأيام ، وعلى الأخص جريدة « عكاظ» التى أصدرت عنه عدداً خاصاً.. وأعلن» حافظ إبراهيم» شاعر النيل ، مبايعته لأمير القوافى ، ومبايعة وفود الشرق له أمير القوافى قد أتيت مبايعاً : وهذى وفود الشرق قد بايعت معى ..

وقدم شوقى قصيدة تحية للربيع ، فيها إعتبر الشعر ربيعاً أرق من الربيع ، ويزهو على نور الربيع ، ويتربع على ربوة الخلد ، وتحدث شوقى عن أننا فى الشرق شركاء معاً فى الفرح والحزن وحب الوطن قائلاً :

كان شعرى الغناء فى فرح الشرق
وكان العزاء فى أحزانـــــه
قد قضى الله أن يؤلفنا الجرح
وأن نلتقى على أشجانـــــه
كلما آنّ بالعـــــراق جريـــح
لمس الشرق جنبه فى عمانه
وعلينـــا كما عليكــم حديــد
تتنـــزى الليوث فى قضبانه
نحن فى الفكر بالديار سواء
كلنا مشفق على أوطانــــه

المرأة هناك :وكانت المرأة هناك فى هذا الإحتفال، وألقت إحسان أحمد ، كلمة عن المرأة.. وكانت المرأة شريكاً للرجل فى كفاحه فى ثورة ١٩١٩م .. صعدت معه إلى بؤرة الضوء.. وأعلنت هدى شعراوى ، عن تأسيس الإتحاد النسائى عام ١٩٢٣..

وإحتفال « أمير الشعراء» فى ١٩٢٧م .. وتحدثت إحسان نيابة عن الإتحاد النسائى وقالت : إنها تُكرم وكل النساء « أمير الشعراء» .. كلهن مدفوعات بعوامل شىء هىّ: الشعور بوجوب تقدير النوابغ.. عرفان الجميل.. لنصير تفخر المرأة ، بمناصرة مثله.. الإنسان مطبوع بفطرته إذا إمتلأت نفسه بعاطفة مال إلى الإعراب عنها ، والإفضاء بها إلى مشاركيه فيها..

وتحدثت المرأة « إحسان «، عن المرأة والدور الصاعد لها ، وختمت كلمتها

بقولها : إنه إذا كان السواد الإعظم من عظماء الرجال ، لم يعترف بعبقريتهم ويتغنى بفضلهم إلا بعد أن فارقوا هذا العالم ، فمن دواعى فخرنا إننا قدرنّا « شوقى» فى حياته.. وإن كان حقاً علينا أن يكون إعترافنا بفضله من سنوات مضت..

وأريد أن أقول هنا ، إننا كثيراً ما نعذب العباقرة فى حياتهم ، ونستغنى عنهم للصالح العام ، إن كانوا فى وظائف الدولة.. ونذمهم إن كانوا خارج هذا الإطار.. وعندما يتركون العالم نذهب نحن إلى المقابر وهناك نلقى قصائد شعر.. ولكن ماذا يستفيد الموتى من قصائدنا.. هل يسمعون ؟.. ولماذا لم نقدم لهم كلمة حلوة وهم معنا على قيد الحياة ، يسمعون ويفهمون ؟..

ويذكر عن أمير الشعراء ، إنه كتب شعراً ، نشيداً للمرأة يحيى فيه دورها .. وقد تحول النشيد إلى أغنية لحنها وغناها الشاعر العبقرى محمد عبد الوهاب... وفيها:

يافتاة أرفعى العلـــم
وأنشريــــه على الأمــم
أجلسيــــه على السهــــى
وأعــــدى لــــه يدا
تجمــع السيــف والقلـــم
أنت فـــى الملــــك نصفــه
لـــو تخليــــت لإنهـــدم

حاخام اليهود: والذى حدث فى مهرجان تكريم أمير الشعراء ، كان بحق جميلاً ، وأنيقاً، وممتعاً.. كانت روح التسامح والتوادد ، تجمع بين المسلمين والمسيحيين واليهود.. ولقد تكلم حاخام اليهود فى الإحتفال الذى أقامته الجمعية الجغرافية.. وكانت كلمته تنم عن ثقافته.. وعن سماحة المجتمع المتحاب ، المتوادد، وسماحة الثقافة العربية بوجه عام..

فالحاخام لم ينساه أحد ، وهو رئيس طائفة اليهود ، التى كانت تحيا فى بلادنا لها ما لنا.. وعليها ما علينا.. وكان هذا أمل بالحياة الطيبة الكريمة تحت مظلة الوطن... ولكن ما حدث فيما بعد وما يحدث الأن ، يحتاج إلى إعادة نظر ، حتى تعود المحبة مظلة لنا.. والمواطنة لواء يجمعنا... وهذه بعض كلمات حاخام اليهود

فى إحتفال تكريم أمير الشعراء..

إسمحوا لى بهذه المناسبة أن أروى لكم حادثة حصلت لى يوم كنت طالباً فى السوربون ، حيث عرض علينا الأستاذ «إميل فاجيبه» فى مسابقة فلسفة التاريخ والآداب.. حل المسألة الآتية: أشرح هذا الفكر» لتين»..وهى : إن القرن السابع عشر يؤمن .. والثامن عشر ينكر.. والتاسع عشر يشك.. وهذا مما جعله مفضلاً عند القرنين السابقين، ولو كان فى إمكانى حينئذ التنبؤ إنه بعد خمس وثلاثين عاماً ، سيولينى جلالة الملك « فؤاد « شرف الرياسة على الطائفة الدينية بمصر ، وبأنى سأسعد بحضور حفلة كهذه ، يتجلى فيها حماس شعب بأكمله ، بالنابغة العصرى ، للشعر العربى « شوقى بك «.. هذا الشعر الذى تنعكس فيه رغائب وآمال الشعوب ، لكنت أكملت فكرة « تين».. من أن القرن العشرين « يأمل «.. وهذا يعنى إن العبارة تكون هكذا : القرن السابع عشر يؤمن ، القرن الثامن عشر ينكر ، القرن التاسع عشر يشك ، ولكن القرن العشرين يأمل ، أى أن زمان القرن العشرين ، هو زمان الأمل ، والرجاء.. والأمل هنا فى توافق ، ورخاء، وأمن، وسلام...

وقد قال الحاخام : إنه رأى الأمل فى وجوه جميع الحاضرين فى الإحتفال ، وقال : إنه لمن دواعى السرور العظيم له شخصياً ، وللغة العبرية التى ينوب عن أبنائها ، إنه فى هذا العيد المبارك قد تمكن من الإشتراك فى تمجيد « أمير الشعراء «..

حضارة النيل : ولأمير الشعراء قصيدة عنوانها» النيل» وتحدث فيها عن إشراقات الإيمان ونفحات الروح فى تاريخ وادى النيل ، المتحضر الذين فهموا الحياة ، وأدركوا سر الموت ، وعاشوا وقار الدين ، وأسرار الحياة.. وقد بنوا أكواخاً يعيشون فيها الحياة الدنيا.. وبنوا قبورهم كدار للبقاء ، صروحاً شامخة ، شمّاء.. وهو يقول عنهم :

بلغوا الحقيقة من حياة علمهـــــاحجب مكثفة وســر مغلـــق
يبنون للدنيا كما تبنـــــى لهـم خربا غراب البين فيها ينعــق
فقصورهم كوخ وبيت بـــــداوقوقبورهم صرح أشم وجوسق
للموت سر وتحتـــــه وجــدارهسور على السر الخفى وخندق
ما العالم السفلى إلا طينه أزلية فيه تضــىء وتغســـق
هىّ كلمة الله القدير وروحـــــه فى الكائنات وسره المستغلـــق

ولا يغيب عن شوقى أن يتحدث عن الأجداد من الأقباط ، وهم قوم وقار الدين فى أخلاقهم.. والشعب ما يعتاد أو يتخلق.. ويتحدث عن النيل الذى أصل الحضارة فى صعيده ، ثابت .. ونبات الحضارة متطيب للناس من أسراره ما علموا.. ولشعبه الكهنوت ما هو أعمق..

تابوت موسى لا تزال جلاله تبدو علي النيل.. وجمال يوسف ، لا يزال لواؤه.. حوليك فى أفق الجلال يرنق.. ودموع إخوته رسائل توبة.. مسطورهن بشاطئيك منمق.. وصلاة مريم فوق زرعك لم يزل.. يذكو لذكراها النبات ويسمق.. وخطى المسيح عليك روحاً طاهراً.. بركات ربك ، والنعيم الغيدق..

صلوا معنا لكى ترجع إلى شرقنا ، روح السماحة ، والتآخى ، بين الأديان الثلاث ، وأتباعها المتصارعون عليها...

٢٨. شاعر الأمير أمير الشعراء

شاعر الأمير: ولد أحمد شوقى فى قصر الملك فى مصر.. ويقولون عنه: إنه ولد فى فمه ملعقة من ذهب.. ويحكى إنه فى طفولته كان ينظر إلى فوق.. ولاحظ أهله هذه المشكلة فأخذوه إلى الأمير.. وبطريقة ذكية ألقى الأمير دنانير من ذهب على الأرض أمام الطفل « أحمد شوقى».. فتحول بصره من فوق إلى تحت ، وقال الأمير : لقد عالجت الصبى.. وقالت المربية : إن دنانير الأمير عالجت الطفل الصغير، وأسعدت الكبير..

ولقد عاش شوقى حياته فى قصر الملك ، وسمىّ شاعر الأمير ، وكان شوقى يفتخر بهذا ، وعلى الأخص فى عهد راعيه ، وصديقه الخديوى عباس حلمى الثانى..

ولقد قام الإنجليز بنفى شوقى مع الخديوى ، وكان المنفى فى الأندلس.. وعاد شوقى فى سياق النتائج الإيجابية لثورة ١٩١٩م.. ليكون شاعر الوطن ، بل شاعر الأمة كلها.. وبعد أن كان مشكوكاً فى وطنيته لأنه رُبىّ فى قصر الخديوى ، ولم يكن الخديوى مصرياً.. وعندما قرأت كتاباً عن وطنية شوقى شعرت أنه قد رمى يوماً بإتهام فى وطنيته ، فهو رجل السراى ، ولكنه كتب فيما بعد أعظم القصائد فى عشق الوطن..

ولقد تعرض شوقى مع حافظ إبراهيم ، لهجوم من نوع آخر ، حيث نشأ تيار شعرى جديد يهاجم الشعر الكلاسيكى القديم .. وكان هذا مع نهاية العقد الأول ، من القرن العشرين ، عندما أعلن ثالوث الأصدقاء والشعراء ، العقاد ، وإبراهيم المازنى ، وعبد الرحمن شكرى ، عن تيارهم الشعرى الجديد.. وتكثف هذا الهجوم عندما أصدر المازنى كتابه عن شعر حافظ ، وعندما كتب المازنى مع العقاد كتاب « الديوان فى الأدب والنقد » .. وهكذا عندما أصدر ميخائيل نعيمه كتابه « الغربال» دعماً لموقف المازنى والعقاد..

أمير الشعراء: يحكى الدكتور جابر عصفور ، فى أوراق أدبية وتحت عنوان « عكاظ أحمد شوقى» ، وفى مجلة العربى يونيو ٢٠٠٤م ، إنه كان يبحث فى مكتبة عن كتاب الأمير» شكيب أرسلان « الذى كتبه عن أحمد شوقى ، يتحدث فيه عن صداقة إمتدت أربعين عاماً ، ولكنه وجد عدد من جريدة « عكاظ» يرجع إلى ١٩٢٧/٦/٢٤.. وهذا العدد خاص بتكريم أحمد شوقى، والإحتفال به أميراً للشعراء، بعد أن كان شاعراً للأمير..

وفى هذا العدد من «عكاظ « تسجيل لحفل التنصيب هذا.. وكان الإحتفال رد إعتبار لشوقى ، وقد إنعقد فى القاهرة ، وحضرته وفود من الدول العربية المختلفة ، وأقيمت إحتفالات موازية فى العواصم العربية ، تحية للشاعر الذى خاطبه زميله ورفيق شعره الكلاسيكى ، شاعر النيل « حافظ إبراهيم «.. فى دار الأوبرا وقال :

أمير القوافى قد أتيـت مبايعـاً
وهذى وفود الشرق قد بايعت معى
فغن ربوع النيل وأعطـف بنظرة
على ساكن النهرين وأصدح وأبدع
ولا تنسى نجدا إنهـا منبت الهوى
ومرعى المها من سارحات ورتـع
وحىّ ذرى لبنان وأجعل لتونـس
نصيباً من السلوى وقسّـم ووزع
ففى الشعر حث الطامحين إلى العـلا
وفى الشعر زهد الناسـك المتورع

ففى الشعر إحياء النفـوس وريهـــا
وأنت لرى النفـس أعذب منبع

وكانت القاهرة تموج بالوافدين من الأقطار العربية لحضور حفل تكريم أحمد شوقى ، وإعلانه أميراً للشعراء.. وكان الحفل فى دار الأوبرا الجمعه ١٩٢٧/٤/٢٧.. تحت رعاية الملك فؤاد الأول، وفى هذا الحفل تحدث صاحب الدولة زعيم الوطن سعد زغلول ، وأحمد شفيق باشا، وأحمد حافظ عوض.. وكان الحفل مادته الشعر وفرحته الشعراء.. وغذاؤه القصائد تلو القصائد ، والموسيقى فى مقطوعة موسيقية ، عنوانها « تحية الشعر»..

وإستمرت الحفلات من ٢٧ أبريل حتى ٦ مايو.. وقدمت لشوقى الهدايا.. وكانت الهدايا ليست قصائد شعر فحسب ، إنما أهدى له نخلة من الذهب الخالص ، وجناها لؤلؤ متدل ، هدية من أمير البحرين.. وكأساً ذهبية من الإتحاد النسائى المصرى.. وقلماً ذهبياً من النادى العربى بعدن..وعلبة فضية وداخلها إطار من الفضة حول قصيدة « قم ناج جلق» من النادى العربى فى بومباى..

ويقولون أن منظمو الإحتفال تجاهلوا دعوة الأدباء والشعراء ، وعلى الأخص الذين كانوا ينتقدون شوقى.. ولكن حدث تجاهل للمؤسس جريدة « عكاظ» وهى الجريدة التى تحدثت كثيراً عن أحمد شوقى ، وكرمته وأعلّت من شأنه.. ومؤسس عكاظ هو فهيم قنديل، الذى لم يتجاهله الذين يتحدثون فى الإحتفال ، وأشاروا إلى جهود جريدته.. ولكن لم يدع للإحتفال.. وقد أشار أحمد نسيم إلى جريدة عكاظ وجهودها فى تكريم شوقى عندما قال :

إن الذين حَبوتَهم تكريمهم
قوم على الزمان كـــرام
أكرمت قنديلاً فأشرق نوره
والدهر داج والحياة ظــلام
وشملته برعاية لم ينسهـــا
ما كرّت الأيام والأعـــوام
ورأيت فيه نابغاً من حقه
تحت إسمك الإجلال والإعظام

أحيت عكاظ وهى خير صحيفة
سوقاً لشعر النابغيـــــن تقـــام

ولقد كان غريباً أن الذين نظموا الإحتفال تجاهلوا قنديل ، ولم يرغبوا فى نور قنديله.. مع أن قنديل هو أول من كرّم شوقى وهتف بقصائده ، وأول من حارب حُساده.. والغريب أيضاً أنهم رغم تجاهل جريدة» عكاظ» ، أطلق قنديل على إحتفال التكريم إسم عكاظ ، وطالبها أن يكون التكريم سنوياً ، وقالوا : إن أدباء العالم العربى سوف يتولون هذه الفكرة وينظمون هذه السوق ، ويجعلوا منها فى كل عام مؤتمراً عاماً للأداب والفنون..

وقد تحدث شوقى فى قصيدة « تحية الربيع» والتى فيها قدم تحية إلى الشعر الذى يزهو زهره على نور الربيع ، ويسمو عليه بالخلود الذى لا ينقطع .. فالشعر.. ملك ظل على ربوة الخلد ، وكرسيه على خلجانه.. أمر الله بالحقيقة والحكمة ، فإلتفتا على صولجانه... لم تثر أمة إلى الحق إلا بهدى الشعر أو خطا شيطانه.. ولم ينس شوقى أن يشكر الملك فؤاد الذى ظلل الإحتفال برعايته..

وسعد زغلول الذى تزعم الأمة.. وقال عن الإحتفال : إنه « عكاظ» تألقت الشرق فيه ، من فلسطين إلى بغداد..

نشيد للمسيح:

ويعتز المسيحيون بالمحبة والتكريم ، الذى يكنه أمير الشعراء ، للسيد المسيح له المجد ، الذى خط السماء وتنازل فى أرض الشقاء ، وإخترق فى سبيل ذلك حاجز الأحشاء.. أحشاء مريم العذراء دون أن يحدث فى عذراويتها ما يحدث عادة فى باقى النساء.. وأمير الشعراء يقول عن مولد المسيح..

ولد الرفق يوم مولد عيســـــى والمروءات والهدى والحياء
وإزدهى الكون بالوليد وضاءت بسناه من الثـــــرى الأرجــــاء
لا وعيد ولا صوله ،لا إنتقـــام لا خصام لا غـــزوة لا دمـــــاء

ويتحدث أمير الشعراء عن رسالة السيد المسيح ، رسالة الرحمة قائلاً :

عيسى سبيلك رحمـــة ومحبة فى العالمين وعصمـــة وســـلام
ما كنت سفاك الدماء ولا أمرءا هان الضعاف عليـــــه والأيتـــام

وفى إعتقادى إنه وحتى الأن لا يزال شوقى هو أمير الشعراء، وهو صاحب

المشاعر الرقيقة ، ولقد تحرك قلبه للوطن.. وتحرك قلبه نحو التاريخ.. وتحدث عن السيد المسيح الذى خطى على أرض مصر ، روحاً طاهراً..

٢٩. المثقفون فى سوق المويـه

الثقافة والمثقفون: أقدم هنا مقدمة محاضرة « الوجه الإنسانى للثقافة» .. وهى محاضرة قيمة قدمها السير « دوجلاس نيوبولد» فى إفتتاح دار الثقافة Sudan Center Cultural .. كان هذا فى مايو ١٩٤٠ م ، وقد قام بتعريبها مع إنتقاء الكلمات فى رقى وحضارة وثقافة الدكتور " حسن الطيب أبشر" .. ويبدأ هكذا :

كلمة « الثقافة» ليست ميسورة التعريف سواء فى اللغة الإنجليزية أو فى اللغة العربية ، وقد وردت ترجمتها فى معجم العربية- الإنجليزية ، الذى لدى بما يعنى: الحصافة، الذكاء، سرعة البديهة، الدماثة، والفعل» ثقف» يعنى صار فكره حاداً ثاقباً ، أما الإسم « ثقاف» فمعناه فى اللغة العربية الفصحى» أداة تصقل بها الرماح أو تثقف بها لتستوى وتعتدل»..

ولهذا نقول فى اللغة الإنجليزية إن فلاناً لديه عقل كالسيف، حاد ونافذ.. وكلمة « ثقافة» فى اللغة الإنجليزية ،كما تعرفون ، مصطلح زراعى، (ربما لأن آدم كان أول إنسان عاقل).. وتعنى «التنمية الفكرية»..» وفلاحة عقل الحكمة والمعرفة» .. والمفروض عادة فى الإنسان المثقف أن يكون حاصلاً على قدر وفير من التعليم ، فضلاً عن دراية وتقدير لقيمة الكتب والسفر واللغات.. قديمها وحديثها، والعلوم والفنون..

ومن ناحية ثانية هناك صفة أعتقد أنها مكون ضرورى، بل أهم المكونات الضرورية لشخصية الإنسان المثقف، ألا وهى صفة « الإنسانية».. إذ لا أستطيع أن أصف إنساناً بأنه مثقف لو لم تكن لديه هذه الصفة.. فما أكثر الحاذقين والمتعلمين الذين ضاعت منهم هذه الصفة ، بشكل أو بآخر أثناء مسيرتهم التعليمية.. وقد يكون بينهم باحث ممتاز أو أستاذ جامعى مشهور.. ولكنهم سمحوا لرصيدهم المعرفى بأن يجفف ينابيع الإنسانية، أى صفات الخيال والتسامح وروح الدعابة والبساطة ، بإعتبارها المرتكزات التى تقوم عليها الإنسانية ، والتى بدونها لا تتوافر للإنسان أية ملكة نقدية لها شأنها..

سوق الموية : ويعتز تاريخ الثقافة فى أمدرمان بما يسمى « سوق المويه».. وهى منطقة حددها الدكتور الطيب ميرغنى شكاك.. ويتكون من عدة مقاهى ومطاعم ، تبدأ جنوباً من مقهى يوسف الفكى.. غرب السينما الوطنية.. وهو مكان حديث العهد إذ يرجع إلى الخمسينات.. وهنا يبرز مقهى جورج مشرقى، الذى هو بلا منازع أقدم منتدى للثقافة ، وكان جورج مثقفاً جداً ، ومهتماً بشئون الثقافة ، والفن ، والفنانين.. وفى مقهاه الذى كان أقوى ، وأكثر تواصلاً من أى مقهى ألكترونى الأن ، كان الفنانون يقيمون البروفات ويناقشون الكلمات ، ويستمعون لصدى الأغنيات..

وكان هناك ملتقى الطلبة والأساتذة ، وكان الطلبة فى ذلك الزمان ، يتنافسون فى قراءة القصص الأدبية العربية والعالمية..

ومنطقة « سوق المويه» هى صرة أمدرمان، وهو لا يبعد عن جامع الخليفة إلا بمئات الأمتار ، وقد أنشأ المهدى ، جامع المهدى فى هذا الموقع المتميز، ومن بعده قام الخليفة ببناء قبة المهدى ، وبيت الخليفة.. وأهل أم درمان عموماً لا يرغبون فى غيرها.. ولا يميلون إلى الخرطوم.. ولا إلى الخرطوم بحرى..

وكانت بقعة « سوق المويه» كما هى ، مكان المثقفين ، تخرج منها المظاهرات ، وتستمع فيها إلى الهتافات والأناشيد الوطنية، والأغنيات.. وكان الطلبة يتفاخرون ، أنا سودانى ، وسودانى أنا.. سودانى سود.. ليس السواد عيب للأسود.. وقد تنافس الأقباط فى حب أمدرمان وسكنوا فيها منذ المهدية ، وأقاموا فى حى المسالمة ، وقال عنهم بروفسور زاهر رياض ، أستاذ الدراسات الأفريقية العليا فى جامعة القاهرة : أن الأقباط يختلفون عن الإنجليز الذين يعتبرون أنفسهم أنصاف آلهة..

وأن الأقباط سكنوا أمدرمان ، وأخذ الحى الذى سكنوا فيه « إسم المسالمة».. وإهتموا بالتجارة ، وجذبوا أموالهم من بلادهم ، بينما إكتفى الإنجليز أن يكونوا حكاماً دون أن يجلبوا أموالهم من بلادهم ، ويذكر شكاك أسماء بعض الأقباط أمثال: جورج مشرقى، وسامى إبراهيم فرح ، والخواجه حنا إبراهيم خليل.. وقال : بل إن هناك بعض العائلات إنقسمت إلى ملتين : جزء مسلم والآخر مسيحى.. ولا زالوا يسكنون نفس المنطقة مع أهلها ، كذلك بعض الشوام والهنود الذين إرتبطت أعمالهم بأم درمان ، وسكنوا فيها ، ويذكر بعض الأسماء : أسرة حداد

وبشير بطيخه، وسليم الإنجليزى ، والقصبجى ، ومصلى ، ومن الهنود : سنتلال ، وهركسنداس ، وسامجى رامجى..

وأيضاً عاش فى أم درمان بعض اليهود أمثال : إيلى سلمون تمام ، وداؤد إسحق، وألياهو ، وغيرهم .. وكان لبعضهم محلات فى سوق الموية لكى يصير سوق المويه ساحة حوار أديان.. وحوار حضارات..

ومن بين قهاوى « سوق المويه».. مقهى يوسف الفكى، والذى إشتهر بانه ملتقى طلبة المعلمين من أساتذة المدارس الوسطى ، يلتفون مساء كل يوم ، ويقضون بعض الوقت ، يروحون فيها عن أنفسهم من إرهاق العمل مع التلاميذ ، على كوب من الشاى أو الليمون البارد ، ثم يذهب بعضهم إلى السينما والبعض الآخر إلى السهرة المتفق عليها..

وهذا اللقاء بين الأساتذة والطلبة ، يُعد طفرة ثقافية فى المشاركة ، لأننا نعلم كيف كان الأستاذ حازماً وقوياً ومهاباً .. وكان التلاميذ فى ذلك الزمان يخافون الأساتذة ويهابونهم ، ويعتبرون أنه : كاد المعلم أن يكونَ رسولا..

ولم تكن الثقافة فقط فى المقاهى ، إنما أيضاً فى صالونات الحلاقة ، حيث كان يرغب البعض فى الوقوف أمام صالون حمزة الحلاق ، بدلاً من القهاوى.. وكان حمزة الحلاق من مشجعى نادى الهلال ، وكان يضع صور لاعبى الهلال ، يزين بها صالونه مثل : صديق منزول، وهاشم ضيف الله ، وغيرهم .. وبهذا صار صالون الحلاقة ، صالوناً أدبياً.. وكانت ثقافة الحلاق لها وجه إنسانى ، يتمثل فى الدعابة ، وخاصة عندما كان يحلق لصديق مدثر ، وإنكسر أكثر من مرة المشط ، لأن شعره قوى ، فأحضر مشطاً من الألمونيوم وطلب منه أن يثبت رجله على الحائط ، وبدأ يغنى : والله أهلنا زمان يتسروا ساكت ، وفى هذا سخرية بالزنوج..

وفى المقهى ذات مرة قال أحدهم للجرسون : يا أستاذ ، ولكن خالد أبو الروس إعترض ، كيف يلقب الجرسون بالأستاذ ؟. وإعتبر أن فى هذا إساءة لأساتذة الفن ، والمسرح ، ولم يتكلم عن أساتذة المدارس..

إن « سوق المويه «.. كبير ويحتاج إلى حديث طويل ، فلقد كان صالوناً .. ثقافياً.. أدبياً... راقياً..

٣٠. سوق الموية

ميرغنى شكاك:وصل إلى يدى كتاب « سوق الموية « لأستاذنا الدكتور الطيب ميرغنى شكاك.. وهو رجل من رجال السودان يشار إليه بالبنان.. وأراه دوماً فى منصة الأحفاد أديباً لبقاً يعرف كيف يختار الكلمات.. كما أننا معاً قمنا بتأسيس أول جمعية طوعية لمحاربة المخدرات وأسميناها « المجلس الأهلى لمكافحة المخدرات والإدمان «.. وكان مقررها دكتور بابكر مخير ، وجمعت أعضاء محترمين من بينهم بشير عمر وزير الماليه فى فترة الديمقراطية الثانية..

وقد تم إنتخابى رئيساً لها ، وعندما إعتذرت لأن هناك من هم أكثر منى كفاءة ، وقف المرحوم بروفسور يوسف بدرى عميد الأحفاد أمام الجمعية العمومية ،وقال : ليس من حقك أن تعترض هذا تكليف من الجمعية العمومية.. وقد كانت الأستاذة المحترمة ساره الفاضل ، نائبة الرئيس ، وكان الدكتور الطيب ميرغنى شكاك ، رئيساً مناوباً ، وكان للنائبين نشاط واسع فى هذا المجال..

وقد قرأت كتاب سوق الموية ، وهو فى ثلاث وستين صفحة ، وعندما تقرأه كأنك تجلس إلى كاتبه وتسمع ، وتسمع ، دون أن تتوقف.. ولقد قرأت ، وقرأت حتى وصلت إلى آخر صفحات الكتاب ، وهو كتاب يأخذك إلى ذكريات جميلة عن أم درمان الجميلة التى نعتز بها ونفخر، والتى نأمل أن تحافظ على مظهرها التاريخى القديم ، لأنها متحف تراث تليد ، لشعب عظيم مجيد..

وقد أخذت الكتاب من أستاذ متخصص فى حب أم درمان ووله بها وهو البروفسور أحمد إبراهيم دياب.. الذى يحب أمدرمان ، ويرى أنها هى التى كانت يجب أن تكون « عاصمة الثقافة» لأنها مدينة التراث الخالد.. وبروفسور دياب هو زميلى فى جامعة القاهرة فرع الخرطوم..ولكن عندما يتكلم أمام الناس فى المجامع والمحافل إنه زميلى ، سرعان ما أدافع عن نفسى بأنه زميل من الدفع السابقة وتخرج قبلى..

كلمة مويه : إن كلمة « مويه»... هى أقرب اللهجات لكلمة « موو» فى اللغة القبطية بمعنى « ماء».. وهنا أريد أن أقول : إن هناك كلمات قبطية دخلت إلى اللغة العربية وإستمرت فيها ، منها أسماء لمسميات وأفعال وتعبيرات ، فمن أسماء المسميات برسيم ، أردب ، يم ، أم قويق ، حلق، تليس ، قس، كعك ، قلة ، كحة

، لقمة، لبشة ، ماجور، تمساح، نبوت،ننوس ، نونو ، بصارة ، رقاق ، سلة ، سمان ، طورية ، ذهبية ، تندرة ، سنط ، شونة، شوب ، شوطة ، شوربة ، رمان ، شوشة ، شيش ، بلح ..

ومن أنواع السمك : بورى ، بنى ، لبيس ، راى ، شال.. وهناك أفعال قبطية مثل : شأشأ ، فرفر ، هلوس ، هاجوس ، ومنها هجاس ، أى كثير الكلام ، هوسن ، لكلك ، نكت ، فط ، فتفت ، دمس ، أى دفن ، شلشل ، بشبش ، بمعنى بل ومنها الله يبشبش الطوبه التى تحت راس المرحوم..

وهناك تعبيرات قبطية مثل الورور للفجل.. الصغير، لقلاق ، وجبة بمعنى ساعة ، ووجبة الغذاء بمعنى ساعة الغذاء.. والكاس بمعنى الألم.. وتوت للحاوى بمعنى إجتمع ، ليلى بمعنى إفرح.. وليلى ياعينى ، بمعنى إفرحى ياعينى ولا يفض بها الليل.. إنما الفرح وإسم ليلى يعنى الفرحة والبهجة..

بح بمعنى إنتهى وكانى مانى.. بل إن هناك كلمات عالمية من أصل قبطى دخلت إلى اللغات الأجنبية مثل : الواحة وإزيس ، كونى أى الصمغ ، وشيهات ، والأبنوس ، وكلمة طوبة التى أخذها العرب عن الأقباط ونقلوها إلى الأندلس.. بل إن الأبجدية الروسية عندما تأسست بواسطة القديسان كيرلس الفيلسوف وأخاه ميثودس فى القرن التاسع الميلادى ، أدخلا بعض الحروف القبطية ، المأخوذة عن الديمقراطية فى الأبجدية الروسية..

سوق المويه : تعود كتابة « سوق المويه» ، إلى ذكريات كتبها شكاك فى عام ١٩٨٧ ، وهو يبدأ بأنه علم من سلمان بدرى ، أن أول من اطلق سوق المويه على منطقة المقاهى والمطاعم الواقعة فى سوق أمدرمان ، هو الدكتور أحمد خلوطى ، ولكنه أجرى تجربة للكتاب وطبعه على الألة الكاتبة ووزعه على الأصدقاء ، إتصل به جورج مشرقى ، فهو نفسه صاحب سوق المويه ، وأقدم التجار فيه ، بل هو الذى بدأ سوق المويه ، حيث كان يضع الماء والثلج فى جرادل لكى يشرب المارة مجاناً..

وعندما مرّ به اللواء حمد النيل ضيف الله ، والأستاذ خالد أبو الروس ، قالا له : يعنى ياجورج بقيت تبيع المويه كمان ؟.. خلاص نسميه «سوق المويه» مادام كده ، وبعد هذا شاعت تسمية سوق المويه ، وعندما أراد المؤلف التأكد ، إتصل بسلمان بدرى الذى وافق على رأى جورج مشرقى..

وهناك رأى آخر للدكتور عمر قدور يقول فيه : إن سوق الموية أخذ إسمه من المكان الذى كان يسمى فى المهدية بسوق الموية لأن البهائم كانت تسقى فى هذا المكان.. ورأى عمر قدور فى نظر المؤلف غير محقق تاريخياً والإتجاه إلى رأى جورج مشرقى أكثر تأكيداً..

وسوق الموية هو مكان عريق. ومنتدى فكرى.. وملتقى سياسى .. وتجمع وطنى لشباب ذلك الجيل من المثقفين والوطنيين.. والسياسيين ، منذ أواخر الأربعينات ، حتى منتصف الخمسينات .. وجاءت أول وزارة بعد الإستقلال ، بها عدد من الوزراء من هذا المنتدى.. وكان سوق الموية مكاناً محبوباً ومرغوباً لدى أهل أم درمان..وأوضح مكان فيه ، هو محل جورج مشرقى ، بل هو أول منتدى ثقافى.. وبعده إفتتحت مقاهى ومطاعم أخرى، منها : مقهى يوسف الفكى وبجواره حمزة الحلاق ، ومقهى خرلمبو ، ومحلات نيو بازار ، ومقهى أحمد خير، وبعدها سينما برمبل لصاحبها قديس بساده ،وأمام السينما ميدان تتوسطه مصطبة كبيرة ، يعزف من فوقها موسيقى الجيش الإنجليزى ، والجيش المصرى ، ويستمعون لإذاعة أم درمان.. معذرة سادتى لم أشرح لكم كل ما فى الكتاب، أنا فى الصفحات الأولى.. أطالب المؤلف بإعادة الطباعة..

٣١- أم درمان عاصمة الثقافة

عاصمة الثقافة: منذ أن أعلن عن أن الخرطوم عاصمة الثقافة للعام الخامس فى الألفية الثالثة والحركة كلها بركة ، نحو تحقيق هذا الهدف الطموح.. والخرطوم عاصمة السودان ، وعندما نقول هذا : فالمعنى واضح إن السودان سوف تنتعش فيه الثقافة هذا العام نقطة إنطلاق نحو مستقبل ثقافى مشرق..

وإحياء للماضى السعيد.. والسودان بلد الثقافة لأن أهله يحبون القراءة.. إنهم يقرأون بإسم ربك الأكرم الذى علم الإنسان ما لم يكن يعلم.. ويؤمنون بقوة الكلمة التى هى مثل الجنة الحية ، التى تشق الصخور وتقوم نبتة فى سفوح الجبال ، وفى البدء كان الكلمة.. وكان هناك، هى تذكير وليست تأنيث لأنها تتجه إلى الله الذى هو الكلمة ذاته ، وهو الذى وهب الإنسان موهبة النطق.. وسوف يأتى الوقت الذى فيه الخرطوم ، هى التى تكتب وهى التى تطبع ، وهذا حق لها لأنها هى التى تقرأ..

وحركة الثقافة الآن حركة واسعة ، طموحة ، ويديرها مهندس هو محجوب السعيد ، وهو الأن مهندس للكلمة لأن الكلمة هندسة ودراسة ونظام.. ومعه عدد كبير من أهل الثقافة ، ومن خلفه وزارة الثقافة ، ووزيرها المثقف عبد الباسط عبد الماجد.. وشاعرها ووزيرها صديق مجتبى، ولقد تمتعت بشرف المشاركة بعضوية إدارة الخرطوم عاصمة الثقافة..

وشاركت بكتابى عن الملائكة وعنوانه « سبعون مقالاً عن الملائكة» الذى قرأه وحققه تحقيقاً دقيقاً بروفسور يوسف الخليفة ، وأفتى : إن الكتاب صالح لأن يقرأه المسلم والمسيحى..

إبداع الإستفزاز :ولكن البعض إستفزهم العنوان ، بأن الخرطوم عاصمة الثقافة... وهذا الإستفزاز كان سبباً فى الإبداع ، فلقد تحرك بروفسور أحمد إبراهيم دياب معترضاً ، وبسبب هذا الإستفزاز قدم بحثاً فى كتاب صغير الحجم ، صفحاته تقترب إلى الستين صفحة ، والكتاب صدر عن معهد بحوث ودراسات العالم الثالث ، وعنوانه أم درمان بقعة الأصالة والتراث والثقافة.. وقد أهدانى هذا الكتاب بنفسه عندما كنت معه فى محرابه الثقافى وصالونه الأدبى..

وأمامى أصلحَ بنفسه بعض الأخطاء المطبعية التى يعرفها جيداً.. والبروفسور دياب زميل دراسة معى فى جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، ولكننى أقول : إننى دخلت الجامعة صغيراً وهو دخلها كبيراً ، حتى لا نكون معاً فى سن واحد ، وطبعاً هذه محاولة من كل إنسان أن يظل شاباً ، ولا يكشف الأوراق الثبوتية التى تفضح عمره..

ولقد أعجبنى الكتاب جداً ، وتأكدت إن الإستفزاز عند العلماء يؤدى إلى الإبداع ، فالحاجة عند الإنسان هى أم الإختراع ، وهنا أذكر قصة كاهن كنيسة مع رجل دولة عظيم.. كان رجل الدولة يريد أن يذهب إلى عمله يوم الأحد ، وكان أبونا الكاهن يصلى على مهل ، وتأخرت الكنيسة فأرسل» إبراهيم الجوهرى» وزير المالية فى مصر يقول لأبونا : لو سمحت أسرع بالصلاة حتى أذهب إلى العمل.. ولكن أبونا قال : إذا لم يعجب الوزير وقت الصلاة ، فليعمل لنفسه كنيسة على حسابه الخاص.. وغضب الوزير.. وخرج لكى يحصل على تصديق بناء كنيسة.. وفعلا بنى كنيسة على نفقته الخاصة ، وكانت هذه فائدة حضارية للإستفزاز المشترك من أبونا ومن الوزير..

والأن أتمنى أن يصل هذا الإستفزاز لعنوان الخرطوم ، عاصمة ثقافية .. إلى أحد علماء الخرطوم بحرى.. لكى يكتب لنا كتاباً عن الخرطوم بحرى التى هى عاصمة الحديد والنار.. والوابورات.. وحلفاية الملوك.. ذات التراث الأصيل..

أم درمان الأصالة:

ويزين بروفسور إبراهيم كتابه عن أم درمان ، بقصيدة شاعر أم درمان عبد الله محمد زين.. أنا أم درمان.. أنا السودان.. أنا الدرة البزين بلدى..أنا البرعاك سلام وأمان.. أنا البفداك ياولدى..وفى آخر الكتاب يذكر القصيدة كلها.. والتى تمتلىء حماساً لأم درمان ، والتى تنتهى بأبيات تطالب العالم بأن يخلى زمام أم درمان للفرسان... والفرسان هنا هم القادة ، والريادة ، وأهل الفن والسيادة..

أنا أم درمان.. أنا الأمة وصوت الأمة وإحساسها.. أنا أمدرمان دا ميلادى.. وتيلادى البشيل إسمى.. أنا القوّمت أولادى.. شرافة وسيف على وسمى.. وكنت القوة والحولة.. وحزت وفزت بالجولة.. وشلت الراية والدولة.. وفى التاريخ بقيت عنوان.. وأستاذنا المحب لأم درمان ، يرى أن تكتب أم درمان وليس أمدرمان..

وهو يرى إنها البقعة أو البوتقة أو المكان الذى إنصهرت فيه كل العناصر التى بداخله ، والتى تدخل فيه عناصر مع العناصرالأصلية ، مكونة عنصراً جديداً ، يحمل الخصائص الممتازة من كل عنصر ، ويصبح رابطة قوية ، ومعسكراً واحداً أو كما قال هو : COMPOUNDS ... وليس مزيجاً أو خليطاً..

أما الأصالة فهى محاورة الماضى من أجل الحاضر والمستقبل ، وهى ليست عبادة الماضى ، كما أن الحداثة والتقدم لا يكونان بعبادة كل ما هو جدير ، ولا أصالة دون إبداع ، ولا إبداع بلا حرية.. وهو يرجع إسم أم درمان إلى إمرأة فى عهد مملكة علوة ، كان لها إبن إسمه " درمان" ويرى إنها فى اللغة النوبية مكونة من ثلاث كلمات" أم " بمعنى " ماء".." ودر" أى فى ومان.. بمعنى" ماء" أى "ماء فى ماء " ..

وأذكر أن قداسة البابا شنوده الثالث ، وهو من أظرف ظرفاء هذا الزمان ، عندما يلتقى بأحد من أبناء السودان يقول له : لقد رأيت" أم درمان "، ولكن حتى الأن لم أرى " أب درمان ".. وهذا قريب إلى الرأى العلمى فى تسمية أم درمان.. أما أبُ درمان فهو الآب السماوى ، الذى يصلى إليه الناس.. أبانا الذى فى السموات وأم درمان هى فى قلوبنا جميعنا ، نحن أهل الخرطوم ، بل كل أهل السودان..

٣٢ـ ميلاد المسيح والسلام القادم

ميلاد المسيح: وسط عالم صاخب ، هو سفينة فى وسط بحر عجاج ، متلاطم الأمواج ، تأتى ذكرى ميلاد السيد المسيح ، وقد مرّ عليها عشرون قرناً من الزمان.. الزمان الذى سجل تاريخه حروباً ، وقتلاً، وسفك دماء.. وتوترات ، ومخاوف من الإغتيالات ، ومن شبح صار مسيطراً على عالم اليوم ، هو الإرهاب..

تأتى الذكرى تذكيراً لنا بطفل المذود، الذى قال عنه أشعياء الذى إنطلقت نبوته فى القرن الثامن قبل الميلاد ، والذى كان شاعراً يعرف كيف يحكم الكلمات ، وكيف يختار التشبيهات..

قال أشعياء : فى ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاءً ومجداً وثمراً فى الأرض ، والغصن هو المسيح.. ويخرج قضيب من « يسى» وينبت غصن من أصوله.. ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب ، ولذته تكون فى مخافة الرب... فلا يقضى بحسب نظر عينيه.. ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ، ويضرب بقضيب فمه ، ويميت المنافق بنفحة شفتيه، ويكون البر منطقة متينة ، والأمانة منطقة حقويه (أشعياء ١١)..

وهذا الغصن هو السيد المسيح إبن الناصرة.. وكلمة ناصرة تعنى «الغصن».. والمسيحيون هم النصارى ، أتباع الناصرى والمطالبون دوماً بأن يكونوا أغصان زيتون يحملون السلام للعالم ، إنطلاقاً من سلامهم مع أنفسهم ، وسلامهم مع الله...

وأشعياء نفسه يشرح كيف يكون السلام ؟.. فيسكن الذئب مع الخروف.. ويربض النمر مع الجدى.. والشبل والمسمّن معاً.. وصبى صغير يسوقها.. والبقرة والدبة ترعيان..تربض أولادهما معاً.. والأسد كالبقر يأكل تبناً.. ويلعب الرضيع على سرب الصل.. ويمد الفطيم يده على حجر الأفعوان..لا يسيؤون ولا يفسدون فى كل جبل قدسى.. لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب ، كما تغطى المياه البحر (أشعياء ١١)...

وعندما تنجح رسالة المسيح تمتلىء الأرض من معرفة الرب التى إليها ينبغى

أن نتجه ، لأننا لدينا الكثير من المعرفة ، ونحن فى عصر المعرفة.. والمعرفة إن لم تبدأ بمعرفة الرب ، سوف تحملنا إلى فراغ ممل..

وأشعياء نفسه هو الذى تنبأ عن ميلاد المسيح من عذراء ، هوذا العذراء تحبل وتلد إبناً ، وتدعو إسمه عمانوئيل (أشعياء ٧).. لأنه يولد ولد ، ونعطى إبناً ، وتكون الرئاسة على كتفه ، ويدعى إسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام.. لنمو رياسته وللسلام لا نهاية.. على كرسى داؤد وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر (أشعياء ٩)..

ولقد تمت نبوات ميلاد السيد المسيح الذى ولد فى مذود بيت لحم ، من مريم العذراء ، فى عهد الإمبراطور أوغسطس قيصر ، فى مدينة داؤد ، بيت لحم ، ليكون يوسف خطيب مريم وقريبها من نسل داؤد.. وهناك فى بيت لحم ، ولدت مريم إبنها البكر وقمطته، وأضجعته فى المذود ، إذ لم يكن لهما موضع فى المنزل..

ولكن السماء تحركت رغم سكون البشر ، وأعلنت بشارة الميلاد بواسطة ملاك ظهر للرعاة ، رعاة البادية وهم فى سهر يحرسون رعيتهم ، وإذا ملاك الرب وقف بهم ، ومجد الرب أضاء حولهم ، فخافوا خوفاً عظيماً ، فقال له الملاك : لا تخافوا ، فها أنا ابشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ، إنه ولد لكم اليوم ، فى مدينة داؤد ، مخلص هو المسيح الرب.. وهذه لكم العلامة ، تجدون طفلاً مقمطاً مضطجعاً فى مذود.. وفجأة كبر الموكب وتألق بهاء وصفاء .. وظهرت جوقة من الملائكة مع الملاك المبشر للرعاة تنشد: المجد لله فى الأعالى ، وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.. (لوقا ٢)..

السلام القادم : الحمد لله.. شكراً لله الذى يقودنا ، فى موكب نصرته.. شكراً لله الذى مدّ فى أيام الحياة ، لكى نحيا فى السودان السلام القادم ، الذى يشرق علينا هذا العام ، مع عيد ميلاد ملك السلام.. والسلام القادم ، الذى صرنا الأن قاب قوسين أو أدنى إليه ، هو سلام مؤسس على قواعد وقوانين .. ليس سلاماً هشاً.. وليس ريشة تحركها الريح.. لقد أخذ إتفاق السلام بين الأشقاء من الحكومة وقتاً طويلاً.. وكان هذا الوقت للعمل.. للمناقشة لتبادل الرأى.. للحرص على سلام كامل غير منتقص، حتى يستمر ، ويستمر، ويثمر ، ويكثر.. والحمد لله نحن فى السودان كلنا مواطنون نحب السلام، ونعشق الهدوء والإطمئنان..

نحن نحيا منذ أمد طويل ثقافة السلام.. فنحن فى وطن عظيم ، له قامة عظيمة ، وينبغى أن تكون قاماتنا مثل قامته الشامخة، وتكون قامتنا شموخاً وأصالة ومحبة وقبولاً للآخر.. ونحن بطبعنا صناع سلام ، وطوبى لصانعى السلام.. وسوف يكون وطننا العظيم بعد السلام واحة الأحرار، ومحبى السلام.. وسوف نكون مصدر سلام لكل بلدان العالم..

سوف يكون سلامنا نموذجاً عظيماً حتى يتلاقى الإخوان فى البلد الواحد، ويضع كل واحد يده فى يد أخيه ، ويعيش الكل فى سلام.. إن موارد العالم تكفى لكل سكان العالم ، بل لضعف عدد السكان فى العالم ، ولكن الحروب تبتلع الأخضر واليابس..

ونحن فى عيد ميلاد السيد المسيح ، وفى أول العام نضع أيدينا فى يد الله.. ونحمل فى اليد الأخرى غصن زيتون.. ومع ملائكة السماء ننشد ، نشيد ملائكة السماء.. المجد لله فى الأعالى، وعلى الأرض السلام ، وبالناس المسرة.. وبالسودان المحبة والسلام.. وعيد سعيد على بلادنا السعيدة ، بالسلام القادم..

٢٣. ميلاد المسيح ورعاة البادية

وطن المراعى : يعتبر السودان وطناً من أوطان المراعى.. ويعتز السودان بثروته الحيوانية ، ليس على مستوى الكم الذى ترصده الإحصاءات، إنما أيضاً على مستوى الكيف ، فالثروة الحيوانية فى السودان هى ثروة متميزة..

وعندما وصلت إلى مصر العزيزة إستقبلها أهل مصر إستقبالاً سعيداً وإهتموا بالكيفية والنوعية التى تتميز بها.. وبدأت الكتابات والتعليقات والنكات ، وكلها فرحة بالثروة الحيوانية التى أتت إليهم من جنوب الوادى..

ويحفل التاريخ بالقيم الروحية التى يحياها الرعاة.. والتأملات والأغانى والأناشيد التى أنشدوها.. ولدينا تراث رائع من تأليف راعى أغنام ، هو النبى داؤد. فيما يسمى « المزامير أو الزبور «.. وهو عبارة عن تأملات رائعات فى الطبيعة فى الحياة.. فى العلاقة مع الله.. فى الأمان فى السلام.. والدعوة الروحية إلى تمجيد إسم الله..

ومن درر المزامير ، ياجميع الأمم صفقوا بالأيادى.. أهتفوا لله بصوت الإبتهاج..

لا تغر من الأشرار ولا تحسد عمال الإثم ، فإنهم مثل الحشيش سريعاً يقطعون.. القليل الذى للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين.. السموات تحدث بمجد الله ، والفلك يُخبر بعمل يديه.. طوبى للذى غفر إثمه وسُترت خطيته..

أحبوا الرب ياجميع أتقيائه.. أعظمك يارب لأنك إحتضنتنى ولم تشمت بى أعدائى.. عليك يارب توكلت لاتدعنى أخزى مدى الدهر.. إلتفت إلىّ.. إستمع صوت تضرعى.. الرب نورى وخلاصى ممن أخاف.. الرب حصن حياتى ممن أرتعب.. إن نزل على جيش لا يخاف قلبى.. إن إنقلبت الجبال إلى قاع البحار، لا أخاف شيئاً.. الرب راعىّ فلا يعوزنى شىء..

ومن خلال الإهتمام بالراعى أسند لقب الراعى للحاكم وللملك ، ويطلب الناس من كبار الشخصيات ، رعاية أهداف سامية ، لكى نجد الطريق إلى الواقع.. ولقد تحدث السيد المسيح عن نفسه أنه الراعى الصالح : أنا هو الراعى الصالح ، والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف..

وبدأت راهبة من الكنيسة الكاثوليكية فى ترنيم المزامير ، وتقديمها لكل العالم ، لأن المزامير تصلح مع كل الأديان، فهى مناجاة للخالق.. وبدأت الراهبة «كرزون» رحلات حول العالم ترنم وتؤكد : إن راعى الأغنام داؤد ترك تراثاً يصلح لكل الأديان. . وهناك أيضاً العلاج بالمزامير ، كأن ترنم مزامير بعينها بطريقة موسيقية هادئة ، تخلص الإنسان من توترات هذا الزمان.. وتملأ قلبه بالإطمئنان.. وتجعله ينشد : ياقوتى أسرع إلى نصرتى.. الرب صخرتى ، وحصنى ومنقذى..

وتؤكد دعوة الراهبة « كرزون».. إن كلام المزامير لا يرتبط بدين معين ، إنما حقق هذا التراث وحدة الأديان كلها، فيما يقدم من عبارات شعرية تنطلق بالروح إلى سماء رحبة من الإلتجاء إلى الرب..

الميلاد والرعاة : وميلاد السيد المسيح الذى نحيا ذكراه المجيدة يرتبط بالرعاة.. رعاة البادية.. فعندما ولد السيد المسيح ، لم تجد له أمه مكاناً فى الأرض ، تضجعه فيه غير مذود للماشية ، يرعاه رعاة الماشية.. وكان فى الناحية التى شهدت ميلاد الراعى الفادى ، مجموعة من رعاة البادية ، يتناوبون السهر بالليل فى حراسة قطعانهم ، وإذا بملاك الرب يظهر فجأة قبالتهم .. ومجد الرب يضىء من حولهم .. فإرتعبوا إرتعاباً شديداً ، فقال لهم الملاك : لا تخافوا فها أنا أبشركم بفرح عظيم

يكون لجميع الشعب، أنه ولد لكم اليوم مخلص هو المسيح الرب..

ولقد كان الرعاة مع شعب الله فى إنتظار المسيا.. ومولده حدث مفرح سعيد ، يبدد أحزان العالم ، وأمامه يهرب الحزن والتنهد ، ويشيع الفرح والإبتهاج ، بحسب نبوات أشعياء الذى تنبأ عن المسيح قبل مجيئه بثمانية قرون قائلاً : قولوا لإبنة صهيون ، هوذا مخلصك آتٍ.. قولوا لخائفى القلوب ، تشددوا ، لا تخافوا ، هو يأتى ويخلصكم.. إفرحوا وإبتهجوا إلى الأبد..

وكان ما يؤكد للرعاة ، أن المولود الذى بشرهم به الملاك هو المخلص المنتظر ، والذى كانوا يعلمون من النبوات إنه سيجىء من نسل داؤد ، ويولد فى بيت لحم التى كانت هى مدينة داؤد ، أن الملاك قال لهم : إن هذا المولود قد ولد فى مدينة داؤد.. كما كان يؤكد لديهم ذلك إنه أطلق على هذا المولود " لقب المسيح ".. ولكى يتحقق الرعاة مما قاله الملاك ، وصف لهم المكان الذى يمكنهم أن يروا فيه الطفل الإلهى ، الذى بشرهم بميلاده قائلاً لهم : إليكم هذه العلامة ، ستجدون طفلاً مقمطاً ومضجعاً فى مذود..

ولعل الرعاة قد إستولى عليهم الذهول ،وتولتهم الدهشة ، وتملكهم الإستغراب من هذه المفارقة العجيبة ، بين شخصية المولود الرفيعة ، ومكان مولده المتواضع ، لقد كانوا يتوقعون أن يولد فى قصر ضخم ، ومهد فخم ، من قصور الملوك..

وفيما كان الرعاة غارقون فى تأملاتهم ، شهدوا مشهداً آخراً.. مهيباً.. رهيباً.. زادهم ذهولاً على ذهولهم.. إذ ظهر بغتة كوكبة من الملائكة الآخرين من جند السماء ، يمجدون الله قائلين : المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.. وهذه الترنيمة التى ألفها ووزع موسيقاها وأنشدها هم الملائكة فقط.. ولم تزل حتى الأن هى النشيد الذى ينشده الجميع من مسيحيين ومسلمين ، ويبدأون بها الكلام..ويفتحون بها اللقاءات.. ويتمنون أن يتحقق واقعها فى كل البلاد.

بركة الراعى الصالح السيد المسيح الذى إختار مذوداً يشرف عليه الرعاة ، لكى يولد فيه ، والذى نظمت السماء أن يكون الرعاة هم أول من يعرف مولده، بركته فلتكن معنا وتملأ قلوبنا ووطننا ، بركة وأماناً حتى يتحقق على الأرض السلام ، ينطلق السودان نحو البناء والرخاء والنماء.. وطناً سعيداً موفقاً يعلى من شأن القيم الروحية التى نادى بها مسيح السلام ، الراعى الصالح..

٣٤- الوجه الإنسانى للثقافة

محاضرة قديمة : هذا عنوان بالحرف لمحاضرة قديمة ترجع إلى الثلاثين من مايو لعام ١٩٤٠.. وقد كانت هذه المحاضرة فى إفتتاح دار الثقافة بالخرطوم.. وألقاها « سير دوجلاس نيوبولد».. وقد أعجبتنى هذه المحاضرة جداً، وحاصرت أفكارى ، وبينى وبين نفسى قررت أن يكون الوجه الإنسانى للثقافة مهماً فى نظرى.. فليست الثقافة حشد من المعلومات لكى تتدخل فى كل موضوع ، ونثبت أننا مثقفون ونؤكد أننا عارفون ، بل مهم جداً الإعتناء بالوجه الإنسانى للثقافة ، فهو الذى يجعل الثقافة مفهومة ومهضومة..

وإذا كانت الثقافة تكتب بمداد على ورق، فإن الوجه الإنسانى يجعلها ناطقة نابضة.. والثقافة هى أن نقدم ما نعرف فى بلاغة.. والبلاغة ليست عبارات طنانة ، رنانة ، منسجمة النغمات ، غامضة العبارات ، إنما البلاغة هى أن تبلغ المعنى للآخر.. وهذه مهمة تكون صعبة جداً إذا لم تدرك الوجه الإنسانى للثقافة والإمكانيات التى لدى من نحدثه..

وهنا أذكر إننى عندما كنت طالباً فى كلية اللاهوت ، كان أحد زملائى ذاهباً ليلقى عظة فى كنيسة فى حى عمالى ، فى عين شمس.. وهذه العظة جزء من إمتحان الوعظ ، يأخذ عليها زميلى درجات ، وكنت مطالباً بالتقييم أوالتقويم كما يقولون الأن..

وحضرت العظة وجلست وسط المصلين.. وبدأ الواعظ يعظ فى عبارات قوية بليغة رصينة ، وقال : إنه سوف يدخل إلى فيافى الكلمات ويحمل أرق التعزيات ، ويؤكد أن المحن والإحن ، هى خير مدرسة روحية للإنسان.. وبعد مقدمة بسيطة.. أمال فمه إلىّ جار يجلس فى الأريكة التى أجلس أنا فيها.. وقال لى : إن الواعظ اليوم أستاذ متمكن جداً.. وبعد هذا سمعت صوت نوم عميق ، فلقد نام هذا الرجل لأنه شعر إن الواعظ أستاذ كبير ، ولم يقدر أن يتحمل بلاغته ، والحق إن الواعظ لم يعرف أن يبلغ المعنى ، لأنه إهتم بتنميق الكلمات ، وتذويق العبارات ، فخرجت غير مألوفة..

ولقد أسعدنى هذا الإختبار ، وحتى الأن عندما أكتب مقالاً للجرائد فى حديث الأحد أو دعوة محبة أو فكرة روحية ، أقدم المقال لزوجتى المثقفة لكى تقرأ.. وأشعر منها بنبض القارىء.. وعندما تسألنى عن كلمة ما.. أو فقرة ما غير مفهومة ، فإننى لا أحبها فقط ، إنما أغير الكلمة لكى تصير واضحة لدى القارىء..

ولقد فرحت جداً بمحاضرة» الوجه الإنسانى للثقافة «، ولم يعجبنى كاتبها فقط ، وإنما أعجبنى الأستاذ الذى ترجمها للغة العربية ، لأنه متمكن وبليغ.. ولأنه عرف كيف يختار الكلمات ، ولأنه أخرج من جعبته جدداً وعتقاء.. ليجذب إلتفات أخيه الإنسان إلى الجانب الإنسانى للثقافة..

والمترجم مثلما ذكر الكتاب المقدس على فم السيد المسيح: من أجل ذلك كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات ، يشبه رجلاً رب بيت ، يخرج من كنزه جدداً وعتقاء (متى ١٣:٥٢).. والمترجم هو الأستاذ الدكتور» حسن أبشر الطيب «، الذى صور الترجمة وأهداها للكثيرين ، وبعد هذا وضعها فى كتابه العميق « إطلالة فى عشق الوطن» الذى أطلقه صوت محبة لوطنه ، وسط دعاوى الكراهية التى يبثها الناس خارج الوطن ، لحكام الوطن..

وهو يرى ، وكان وقتها مع زملاء له خارج الوطن ، أن المدفع أو التسلح ضد الوطن أو التجييش ضد الوطن ، لا يبنى بيتاً .. ولا يشفى مريضاً.. ولا يزرع حقلاً.. ولا يحصد .. إلا دماراً .. لأن الأوطان تبنى بالمحبة والتعاطف والإحترام المتبادل ، للرأى ، والرأى الآخر.. وبالسعى الموصول لتعظيم عناصر الإتفاق، ونبذ مسببات الفرقة ، وبالسمو فوق المنافع الذاتية الآتية إلى مصلحة الوطن.. وبالإحتفاء بكل المبدعين من أبناء الوطن فى مختلف الميادين ، تقديراً للعبقرية.. وتجسيداً للقدوة المتميزة..

وعاد هو إلى الوطن مع رفاق له ، لأنه يريد لهذا الوطن الحدادى مدادى كما يقول : إن يتسع للجميع ، مكاناً وفكراً وعملاً وسلطة.. وكانت نصيحة الإطلاله للمعارضة السودانية وكل كتابها معارضون ، ولكن ينصحون أخوانهم بأن المعارضة لا ينبغى أن تبارك أعمال العنف التى تستهدف خط أنابيب البترول ، وتدمير المنشآت الوطنية ، لأن هذا لا يفيد ولا يمكن أن نجعل الأنبوب هدفاً مشروعاً للعمل العسكرى.. كلا.. ينبغى أن نعتمد على سيف العدالة وميزانها ، وعلينا أن نسمو ونرتفع ،

ونطالب من موقع العليا أن تهتم السياسة بالعمل على إسعاد الناس..
الوجه الإنسانى للثقافة : ولست أرى الثقافة حشو ذهن ومجرد معلومات ، إنما المثقف هو السعيد الذى ينقل السعادة إلى الآخرين.. ويرى دوجلاس نيوبولد riS dlobweN salguoD .. إن المثقف ينبغى أن يكون حصيفاً ذكياً ، سريع البديهة ، دمث الأخلاق.. ومكونات الثقافة هى القدر الوفير من التعليم مع صفة الإنسانية ، فى أكثر الحاذقين..

والمتعلمين الذين عرفوا فقط دون إضافة الصفة الإنسانية لمعارفهم ، فجفت عندهم ينابيع الإنسانية وضاعت منهم صفات الخيال والتسامح وروح الدعابة والبساطة ، بإعتبارها المرتكزات التى تقوم عليها الإنسانية ، والتى بدونها لا تتوفر للإنسان أية ملكة نقدية لها شأنها ، والذين إنحصروا وسط الكتب فقط وأهملوا الجانب الإنسانى الدافىء الحيوى الجميل ، حكموا على أنفسهم بالذبول والإنقراض..

وقال المحاضر: إن دار الثقافة بالخرطوم هى مكان خارج نطاق الدراسة فى المدرسة أو الجامعة ، وهى تتيح لهم تجديد الفكر والإرتقاء به ، بل وإسباغ الروح الإنسانية على عقولهم ، مستخدمين فى ذلك الأدوات الميسورة لهم ، وهى المكتبة والكتب والصحف والمحاضرات والمناظرات.. وما يدور بينهم من محاورات..

ونحن الأن والحمد لله بعد أكثر من ستين عاماً من دعوة المحاضر الإنسانية للجانب الإنسانى فى الثقافة ، نشعر أن المسافات تقاربت ، وأصبح فى يد إنسان هذا العصر أن يصل عن طريق حجرات البحث فى الكومبيوتر إلى ما لم يكن يقدر أن يصل إليه قبلاً.. بل إن الكومبيوتر يقدم له فى سهولة ويسر موضوع درسه ، ومن الذين كتبوا قبله ، ويقدم له مكتبة واسعة ثرية.. ولكن إياكم أن تتجاهلوا الوجه الإنسانى للثقافة ..

٣٥ . السياسة والفكاهة والثقافة

السياسة والفكاهة: يطالب كثير من الناس الأدباء الظرفاء أن يكون أهل السياسة مثلهم ، ظرفاء أدباء.. ويرون أن الأسلوب الخشن فى التعامل مع الناس لن يجدى.. وكثيراً ما يستعمل رجال السياسة الفكاهة ، لكى يعبروا عن رأيهم، ولكى يجذبوا السامع إليهم..

وأذكر أن جمال عبد الناصر كان مثل هؤلاء الزعماء الظرفاء ، وأذكر مرة إنه أراد أن يسخر بملك من الملوك ، وكان هذا الملك قصير القامة ، فقال عبد الناصر : لا أدرى هذا ملك أم كتابة وضحك المصريون لأنهم عندما يقترعون يحضرون عملة معدنية عليها صورة الملك من ناحية ، وكتابة من ناحية أخرى.. وعلى الناس أن يقترعوا ملك أو كتابة..

وتحدث بروفسور حسن أبشر ، عن روح الفكاهة فى الثقافة ، إنطلاقاً من محاضرة ترجمها هو عنوانها « الوجه الإنسانى للثقافة «.. وقال : إن الدعابة وروح الفكاهة تقترن بالضرورة بالمنطق السليم ، وبروح العقلانية إلى جانب القوى الذهنية الماكرة ، القادرة على الكشف عن المتناقضات ، والحماقات ، والمنطق الفاسد ، هذا ما قاله صاحب المحاضرة ..

ولكن بروفسور الطيب أضاف : هى حقاً كذلك ، وإكتساب روح الدعابة يحتاج بالضرورة إلى ذكاء فطرى يلمح المفارقة The Paradox .. أو التناقض ، ويفتح بذلك مجالات التفكير الرشيد ويقول: لى صديق لا أعفيه من عدم إستلطافى ، ظل يعبر عنه لمجموعة تبادله الشعور ذاته إن هؤلاء أغبياء ، وأبرز شواهد ذلك إنك إذا وددت أن تحكى لأحدهم طرفة ، لبدأت بطبيعة الحال بالقول ، كان فى واحد.. سيقول لك ما إسمه..

الفكاهة والثقافة : والفكاهة هى أحد الجوانب الإنسانية للثقافة ، بل هى وسيلة نشر الثقافة بطريقة بسيطة ومعبرة.. وعندما يكون المتحدث جدياً جداً لا تعلو وجهه إبتسامة ولا يحاول أن يلقى طرفة ، يكون الحديث جافاً وغير جذاب ، لهذا كانت النصيحة لرجال السياسة أن يكونوا ظرفاء .. وهكذا أيضاً أنصح رجال الدين، لأن تقديم الحقائق الدينية فى شكل عبارات محفوظة ووجوه عابسة حاسمة وحازمة مستمرة ، لا تجدى شيئاً..

وهنا أذكر إن رئيس جمهورية السودان كان ينادى بأن نأكل مما نزرع ونلبس مما نصنع.. وقام بعض الظرفاء بتكملة الشعار : نضحك مما نسمع.. لأنه وفى رأيهم إننا حتى الأن لم نأكل مما نزرع ، ولم نلبس مما نصنع، لمشاكل كثيرة تقابل الزراعة فى بلدنا الزراعى .. وتقابل الصناعى فى بلدنا الذى ينتج مدخلات الصناعة.. وسمع الرئيس بهذه الطرفة وقالها بعد ذلك فى إحدى خطبه : نضحك

مما نسمع .. وكان لها وقع طيب فى المستمع السودانى ، الذى تسامح عن الكثير ، وصبر الكثير ، تجاوباً مع ظرف الرئيس ولطفه..

وأذكر أيضاً مؤتمر أمستردام ألفين ، والذي كان يجمع مجمعاً كبيرا من رجال الدين المسيحى ، وصلوا إلى عشرة آلاف .. وكانت المحاضرات كثيرة وكلها أسنة بالعظات الروحية ، وكان العنوان « التكنولوجيا وكلمة الله «.. وكان الوقت طويلاً ، وكان الهدف ، هدف روحى يسعى إلى إقناع الخُدام بضرورة توصيل كلمة الله إلى قلوب الناس ، عملاً بقول السيد المسيح : إذهبوا إلى العالم أجمع وأكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها، من آمن وإعتمد خلُص ، ومن لم يؤمن يدن، وهذه الآيات تتبع المؤمنين (مرقس ١٦)..

وفى قول السيد المسيح عند صعوده إلى السماء ، : لكنكم تنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم ، وتكونون لى شهوداً فى أورشليم ، وفى كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض (أعمال ١).. وفى حديث المسيح الراعى الصالح الذى قال : ولى خراف أخر ، ليست من هذه الحظيرة ينبغى أن آتِ أيضاً بها ، وتكون رعية واحدة وراع واحد (يوحنا ١٠)..

وكان المد الروحى فى المؤتمر مداً واسعاً كبيراً حتى إن أحد الوعاظ قال : إن شركة البيبسى كولا قررت هذا العام أن توزع زجاجات بمقدار عدد السكان ليصل المشروب إلى كل بلدان العالم.. ويسأل المحاضر : هل فكرنا أن نقدم الكتاب المقدس لكل واحد ، لكل فرد فى هذا العالم الكبير الواسع ؟.. وفى هذا المؤتمر كان كل واعظ أو محاضر يقدم طرفة فى مستهل كلامه..

كان الواعظ يبدأ لطيفاً ظريفاً ويقول نكتة حتى ولو كانت غير مرتبطة بالموضوع ، وأذكر منها ما قاله أحد المحاضرين : إن شاباً كان نائماً ، وذهبت أمه لكى توقظه ليذهب إلى الكنيسة ، وعندما كانت تحاول إيقاظه وهو يحاول أن يستمر فى النوم قال لها : ياأمى عندى ثلاث أسباب تجعلنى لا أرغب فى الذهاب إلى الكنيسة ، السبب الأول: إننى مرهق وأريد أن أنام.. والسبب الثانى : إن أهل الكنيسة لا يحبوننى .. والسبب الثالث: لا أحب أهل الكنيسة.. وردت الأم عليه: ياإبنى هناك ثلاث أسباب تحتم عليك الذهاب للكنيسة : أولها إن لك من العمر ثلاثة وأربعين ، وهنا ضحك الجميع ما عدا أنا.. ربما لأنهم إستغربوا كيف لرجل بهذا العمر أن يكون مع أمه.

والسبب الثانى : إن أهل الكنيسة فيهم من يحبك كثيراً وعليك أن تبادلهم المحبة...
والسبب الثالث: هو إنك أنت راعى الكنيسة ، أنت خادمها، ولم تكلف أحداً غيرك..
وهكذا كانت روح الدعابة والفكاهة ، هى الوجه الإنسانى للثقافة الدينية ، حتى لا يكون الكلام مجرد أوامر وتعليمات وتخويف وترهيب.. أعتقد إن رجال السياسة سوف يفهمون الدرس ، وإن رجال الدين كذلك.. حتى يكون السياسى ظريفاً ورجل الدين لطيفاً ، ويصبح الوطن سعيداً ، ونفتح أمامنا باب الملكوت حتى ندخل إلى فرح سيدنا مبتسمين وليس عابسين...

٣٦. أحمد عبد الحليم الوزير والسفير والكبير

وداعاً إبن الخلود: ومضى اليوم على رحيل أستاذنا أحمد عبد الحليم ، أربعون يوماً.. مضى إبن الخلود ، إلى عالم الخلود.. وحضارة بلادى ، هى حضارة الخلود... وطريق أبناء وطنى ، هو طريق الخالدين.. نحن عرفنا الخلود.. وعرفنا العالم الآتى قبل كل الأديان التوحيدية.. ولأجل الخلود سكن أجدادنا فى أكواخ.. وبنوا للعالم الآتى قصوراً وأهرامات..

إن أقدم قصة تاريخية ، هى قصة « أيوب».. وكان أيوب حكيماً وفيلسوفاً.. هذا أشار إلى الأهرامات.. وهذا يؤكد إن الأهرامات أقدم من أيوب.. وشعبنا الصابر المتأنى المنتظر بهدوء لعمل الله ، بنى من الأهرامات أكثر مما بنى المصريون.. لدينا أقرب من مئتى هرم ، كلها تؤكد إننا أبناء الخلود..

والهرم يعنى أن الموت ليس سوى رقاد بعده نقوم... والموت ليس نهاية ، إنما هو بداية لحياة الخلود.. وحضارتنا نحو الخلود يعبر عنها جبران خليل جبران هكذا قائلاً : يانفسى لولا مطمعى بالخلد ما كنت أعى.. لحناً تغنيه الدهور... بل كنت أنهى حاضرى قسراً ، فيغدو ظاهرى سراً تواريه القبور..

يانفسى إن قال الجهول.. الروح كالجسم تزول.. وما يزول لا يعود.. قولى له إن الزهور تمضى ولكن البذور.. تبقى ، وذا كنه الخلود..

الوزير الأمير: كان أحمد عبد الحليم هو الوزير الأمير.. حمل وزر الشعب مسئولية... وحمل أوزار الحكومة فى عنقه.. وكان الوزير أميراً.. نعم.. بالرغم من إنه وزير فى حكم جمهورى.. غير إنه وصف بأنه أمير من سلالة الملوك.. والملك هو الذى

يملك كلامه.. وكلام الملوك.. ملوك الكلام..

عندما أتى قداسة البابا الأنبا شنوده الثالث زائراً للسودان فى ١٩٧٨م.. كان أحمد عبد الحليم هو الممثل الشخصى لرئيس الجمهورية جعفر محمد نميرى.. وقد رعى زيارة البابا أجمل رعاية.. وكان حريصاً أن يقدم البابا لشعب السودان ، وتفرغ تفرغاً كاملاً ، وهذا جعل الزيارة البابوية ناجحة ، وجعل مدلولاتها قوية ونافذة وفعالة..

السفير القدير: وفى أيام حكومة الإنقاذ بعث الدكتور أحمد عبد الحليم سفيراً إلى بلد عظيم وكبير.. وكانت مشاكلنا معه كبيرة.. وتوتراتنا متعددة.. مصر والسودان أخوان.. وفى بعض زمان سمحا للشيطان بينهما مفرقا.. وناقلاً للكلمة الشريرة.. والتصريحات غير المسئولة.. وذهب أحمد عبد الحليم رسول خير من السفرة الملائكة البررة.. وكان قديراً فى نزع فتيل الشر.. وإنتصر.. بمقدراته التى أعطاها الله أياه..

وأذكر إنه كان كثيراً ما تدير معه وسائل الإعلام المصرية الأحاديث.. ولم يكن ينفعل.. ولم يسمح إطلاقاً بأى مساس بالعلاقات الآزلية بين الأخوين : مصر والسودان.. وبحسب ما عرفت من أناس حضروا بعض اللقاءات ، أنهم سألوه عن الإضطهاد الدينى من المسلمين والمسيحيين ، وكانت إجابته : إسألوا الأب فيلوثاوس فرج.. والذى حضوره معنا مشرفاً ، ومكانته فى قلوبنا كبيرة.. ومتابعته لحياتنا الأسرية رعاية ساهرة..

إن زوجتى « زوجة السفير» تحب مارجرجس.. وتهتم بالبخور.. وتقدم النذور.. وتضىء الشموع فى إيمان ، بعلاقات ذات مستوى روحى منطلق إلى عالم الروح.. وأيضاً نفس موضوع الحديث ، هذا كان عند لقائنا معاً ، هو وشخصى الضعيف مع قداسة البابا شنوده الثالث بعد رسامة الأنبا إيليا للسودان..

الأستاذ الكبير : كان أحمد عبد الحليم أستاذاً كبيراً.. فى أيام مايو تمتع زعماء السياسة بأستاذيته.. وفى أيام يونيو تمتع ساسة يونيو بإمكانياته البارعة .. لم يمهله الرب ليرى ما تخبئه الشهور الآخرى التى لم يستعملها السياسيون السودانيون والذين يبلغ عددهم الأن ثلاثين مليوناً..

إن أحمد عبد الحليم مواطن سودانى من وطن الذهب.. والكلام الذهبى.. وهنا

يقول « آدمز « صاحب كتاب « النوبة رواق أفريقيا» : إن قوة مصر فى أسيا ، ممولة بالذهب النوبى.. والذهب هنا معدن الذهب. وجنود بلاد الذهب. إن الإسم القديم للسودان هو « النوبة».. وهى كلمة قبطية تعنى « الذهب».. والفراعنة القدماء كانوا يعتقدون أن السودان هو موطن الذهب وقد وجدوه... وبدأوا يستوردون الذهب منذ عام ٢٤٠٠ م قبل الميلاد..

وأهرامنا فى السودان كان لها تيجان ذهب فى قمتها، بل أن أهل السودان وهم أطول الناس قامة ، وأكملهم خلقاً.. ذوى الخلقة الجميلة ، والأخلاق النبيلة ، كانوا يقيدون المساجين بقيود ذهبية ، لأن النحاس عندهم كان نادراً ، وهذا بحسب ما كتب رسل وسفراء « قمبيز» الفارسى إلى ملك النوبة فى القرن الخامس قبل الميلاد..

كان أحمد عبد الحليم يتكلم كلاماً ذهبياً.. فى صيغ محددة، مهذبة، راقية، سامية، تحترم الآخر، وتطفىء نيران التوترات.. كان يعرف سر الكلمة القوية الفعالة.. وللكلام أسرار ، لأنه بكلامك تتبرر.. وبكلامك تُدان أو يحكم عليك.. الكلمة قوية.. ناصعة كالذهب.. نقية كالبلور..

فى البدء كان الكلمة.. وفى اليوم تكون الكلمة.. وفى المستقبل السلطان للكلمة.. كان فقيدنا يعرف معنى الكلام.. سر الكلام.. ومن يرغب فى إعادة كتابه ، كلامه، عليه أن يفتش فى أضابير المؤتمرات ، فى عهد نميرى.. وفى عهد الإنقاذ... ويرى كيف أن هذا الأديب حاول أن يلبس العسكر الثوب القشيب ، ويخفف من حدة السيطرة والإستيعلاء... ويبحث داخل العساكر عن المواطن السودانى الطيب السيرة.. النقى السريرة...

لقد أعطى أحمد عبد الحليم كلاماً من ذهب ولم يوقع إسمه على الكلام ، إنما ملكّه للشعب السودانى.. أخيراً وداعاً إبن الخلود.. الوزير الأمير.. السفير القدير.. الأستاذ الكبير.. ولن يتردد أهل السودان عن تسمية أهم الشوارع بإسمك ، كما لم تكن أنت تتردد فى حياتك أن تعطى أعظم عطاء لوطن معطاء..

٣٧ـ الميراث في المسيحية

ما هو الميراث ؟: يعرف الميراث قانونياً بأنه إنتقال تركة شخص بعد وفاته إلى من تؤول إليهم بحكم القانون... وقد حددت مجموعة ١٩٣٨ م من هم الورثة الشرعيون... وقد إحترم المشّرع السودانى رأى الكنائس فيما يخص الميراث.. فالكنيسة هى الجهة التى تصدر ما يسمى بالإعلام الشرعى ، حيث يقدم طلب إلى المطرانية موقع من شاهدين أو ثلاثة ، بعده تصدر الكنيسة الإعلام الشرعى بناء على العريضة المقدمة من الورثة أو من أحدهم..

وتقوم الكنيسة بمطابقة الطلب مع التحريات ، وترجع إلى قوانين الأحوال الشخصية ، وتكتب أنه قد تحقق الآتى :

١. ثبوت وفاة المتوفى وتاريخ وفاته ، ودفنه فى مدافن الأقباط ، فى أى بقعة فى السودان..
٢. تحدد الورثة الشرعيين..
٣. تخرج من التِركة مصروفات الجنازة، والدفن ، والمقبرة ، وكل ما على المتوفى من ديون..
٤. يُقّسم باقى التركة على الورثة وفق القانون..
٥. فى حالة عدم بلوغ سن الرشد لبعض الورثة تحدد الكنيسة الوصاية القانونية عليه.

شروط الميراث : يشترط فى الميراث أولاً موت المورث حقيقة أو حكماً ، كمن حكم بموته لغيبته غيبة منقطعة ، حيث يُعد غيابه فى حكم موته.. ولم يحدد القانون مدة الغياب هنا.. ولكنه حددها فى قوانين التطليق ، بسبعة سنوات ، والشرط الثانى فى الميراث هو تحقيق حياة الوارث بعد موت المورث أو إلحاقه بالأحياء تقديراً كالجنين ، بشرط أن يولد حياً .. وفى حالة موت شخصان أو أكثر فى حادث واحد كالغرق أو القتل أو الحرق .. وكان بينهم من يرث بعضهم بعضاً ، وتعثر إقامة الدليل على من مات منهم أولاً ، فلا يرث أحد منهم ، بل تنتقل تركة كل واحد منهم إلى ورثته...

أهلية الميراث: وفى الباب الحادى عشر من القوانين ، تحديد لأسباب الإرث ، والتى تتركز فى الزوجية والقرابة الطبيعية الشرعية ، وهذا يحجب الميراث عن الذين لا تربطهم بالمتوفى رابطة زواج ، كزوج الأم أو إمرأة الأب .. والذين ليست لديهم

قرابة طبيعية كالتبنى.. والأولاد والأقارب والمولدين من زيجات أو إجتماعات غير شرعية ، هؤلاء لا يرثون ولا يأخذون شيئاً من التركة ، إلا إذا كانت هناك وصية صادرة عن المّورث..

كما يحجب الميراث عن من قتل مورّثه أو شرع فى قتله عمداً أو إشترك فى إحدى هاتين الجنايتين ، بأية صورة من صور الإشتراك القانونى ، وثبت عليه ذلك بحكم قضائى.. ويحجب المشرع الميراث عن كل من إعتنق ديناً غير الدين المسيحى ، وظل كذلك حتى وفاة المورّث ، وتنتقل التركة إلى الورثة بما لها من الحقوق ، وما عليها من الديون، فلا يحق لدائنى الوارث أن يستوفوا منه ديونهم عليه إلا بعد دائنى التركة.. كما إن الوارث لا يلتزم بشىء من الديون المتعلقة بالتركة، إلا بمقدار ما وصل إليه منها..

الحقوق الأربعة : وفيما يتعلق بمال الميت هناك حقوق أربعة ، نقدم بعضها على بعض حسب الترتيب الآتى :

١. يبدأ من التركة بما يصرف فى تكفين الميت ودفنه وجنازته..

٢. قضاء ما بقى فى الذمة من الديون من جميع ما بقى من ماله..

٣. تنفيذ ما أوصى به المورّث من النصاب الذى يجوز الإيصاء به..

٤. قسمة الباقى بين الورثة عند تعددهم..

الذكر والأنثى: والمشرع فى المسيحية يساوى فى الميراث بين الذكر والأنثى ، فلكل نصيبه بالتساوى مع الآخر.. كما إن وجود بنات إناث للمتوفى لا يحجب عنهم الميراث حيث يرثن الميراث من الأب أو الأم دون دخول غيرهن فى الميراث..

الأساقفة والرهبان : وفى الفصل الثانى تحت الباب الحادى عشر من قوانين ١٩٣٨ م تأكيداً أن البطريرك ، ترثه الدار البطريركية.. والأسقف ترثه الأسقفية ، وليس من حق أى منهم أن يوصى بوصية فيما يخص الأموال.. وهكذا بالنسبة للراهب تؤول مقتنياته إلى الدير الذى ينتسب إليه..

ولكن فى حالة وجود أملاك لأى من طغمة الرهبان قبل الرهبنة ، وقبل المنصب الكنسى فهنا يرثه الورثة الطبيعيون، وفى حالة عدم وجود وارث طبيعى يرثه جماعة الرهبان الذين ينتسب إلى ديرهم.. والفكرة هنا إن الراهب قد مات عن العالم وصليت عليه صلاة الموتى.. والميت لا يرث ميتاً..

٣٨. المشروع الموحد في قوانين الأحوال الشخصية

فحوى المشروع: إشتمل المشروع الموحد على إثنى عشر موضوعاً جاءت فى خمسة أبواب.. ومواضيع التشريع الموحد هى الخطبة ، موانع الزواج ، أركان الزواج وشروطه.. إجراءات عقد الزواج بطلان عقد الزواج.. حقوق الزوجين وواجباتهما ، النفقات، السلطة الأبوية ، الحضانة ، ثبوت نسب الأولاد المولودين ، الإقرار بالنسب أو الإدعاء به حال قيام الزوجية ، ويختم بموضوع إنحلال الزواج..

مصطلحات قانونية : ومن يدرس قوانين الأحوال الشخصية لدى المسيحيين عليه أن يتعرف على المصطلحات القانونية ، حيث يجب التفريق بين البطلان والفسخ.. والطلاق والتطليق..

١. فالبطلان معناه قانوناً إن عقد الزواج إبتداءاً ، فقد أحد أركانه الجوهرية التى لا توجد إلا بها، فيكون باطلاً منذ وجوده ، لأنه ولد ميتاً فأصبح كأن لم يكن..
٢. أما الفسخ ، فيعنى أن العقد قد تم صحيحاً.. ثم نشأ بعد إنعقاده من الأسباب ما أدى إلى حل الرابطة الزوجية..
٣. الطلاق هو ذلك الذى يوقعه الزوج بالإرادة المنفردة، وبمحض رضاه بعبارة تصدر منه، دون تدخل من المحكمة ، والطلاق بهذا المعنى لا تعرفه المسيحية بكافة طوائفها..
٤. أما التطليق فهو إستصدار أحد الزوجين لحكم من القضاء بحل زواج صحيح بناء على سبب من الأسباب التى تجيز ذلك..

مقارنات : وعندما نقارن بين مجموعة ٨٣٩١ م، ومشروع القانون الموحد ، والذى لم يعمل به حتى الأن ، نلاحظ ما يلى :

١. إهتم القانون الموحد بموضوع الخطبة والزواج فقط ، بينما إهتم قانون ١٩٣٨ بالتشريع فى تشاريع أخرى مهمة ، مثل : الهبة والوصية والميراث.. ولا يمكن أن تكون هذه الأمور قد غابت عن الذين نظموا

المشروع الموحد للقوانين ، ولكنهم رأوا التركيز فى أهم ما فى الحياة المسيحية ، وهو موضوع الزواج كما أن هناك فى مصر قوانين موحدة للمسيحيين والمسلمين فى أمر الهبة ، والوصية ، والميراث.. وأقترح إذا ألزمت الكنائس أعضاءها بالمشروع الموحد أن تعتمد ما ذكره مشروع ١٩٣٨ ، فيما يختص بالهبة والوصية والميراث، على الأخص فى خارج مصر، حيث يرى المشروع أن كل كنيسة تلتزم بقوانينها الخاصة ، ولا يمكن أن تخلوا الساحة من قوانين فى أمور هامة ، كالهبة ، والوصية ، والميراث..

٢. تكلمت قوانين ١٩٣٨ عن أسباب متعددة للتطليق مثل : الغياب لمدة خمسة أعوام أو الحكم على أحد الزوجين بعقوبة الأشغال الشاقة أو السجن لمدة سبعة أعوام.. وإذا أصيب أحد الزوجين بالجنون المطبق ، وأستمر هذا لمدة ثلاثة أعوام أو الإعتداء الجسيم أو الإنغماس فى الرذيلة أو إذا أساء أحد الزوجين معاشرة الآخر أو أخلّ بواجباته.. كل هذه الأسباب لم يلتزم بها القانون الموحد ، وكان إلتزامه فقط بكلام الله نفسه فى الكتاب المقدس..

٣. مجموعة ١٩٣٨ هى مجموعة تخص الأقباط الأورثوذكس فقط ، ولكن المشروع الموحد يخص الكنائس الرئيسية الثلاث وهى : الأورثوذكس ، والكاثوليك ، والإنجيليون..

٤. تشتمل مجموعة ١٩٣٨ على إحدى عشر باباً فى ٢٥١ مادة.. والمشروع الموحد يشتمل على خمسة أبواب فى ١٤٦ مادة..

٥. جاء المشروع الموحد علاجاً لمشاكل تعانى منها الكنائس بسبب إلتزام الكنيسة بنصوص الإنجيل.. وبسبب عدد من قضايا الطلاق التى تمت بالمحكمة دون إلتزام بنصوص الإنجيل..

٦. أفرد القانون الموحد عدة مواد خاصة بالكنيسة الكاثوليكية وهى : أربع مواد من ١٢٣-١٢٦ .. وقد أوصت هذه المواد بالتفريق بين

الزوجين بناء على طلب أحدهما ، وأجاز أن يكون هذا التفريق مؤبداً أو مؤقتاً لحين زوال السبب.. كما إن الزوج الذى حكم بالتفريق لسبب خطئه توقف جميع حقوقه الزوجية ، عدا النفقة إن كانت واجبة على القرين الآخر ، بسبب عقد الزواج ، كما حدد القانون الموحد أن تكون حضانة الأولاد فى حالة التفريق هى للزوج البرىء إلا إذا تعارض ذلك مع مصلحة الأولاد..

تحت البحث : بقى أن نقول: إن هذا القانون الموحد لم تقره وزارة العدل فى مصر حتى الأن ، لأن العمل به لا يمكن أن يبدأ إلا بإعتماده من وزارة العدل وبعدها ينشر فى الجريدة الرسمية ويختم بخاتم الدولة ، ويعمل به كقانون من قوانينها...

٣٩. زعماء الإستقلال وكفاح الأجيال

زعماء الإستقلال: نحن الأن فى العام التاسع والأربعين منذ يوم أن أعلن زعماء الإستقلال عن عيد الإستقلال.. يوم إعترفت بريطانيا ومصر بالسودان المستقل فى اليوم الأول من عام ١٩٥٦ م.. فلقد كان يوماً مشرقاً سعيداً ، نمت فيه الحرية ، وإكتمل الإستقلال.. وبدأت لجنة السودنة فى العمل ، وسارعت دول العالم للإعتراف بالسودان المستقل..

وقد كان الإستقلال ثمرة كفاح أجيال ، ويقولون إن نقطة البداية كانت فى ثورة مايو ١٩٢٤ ولكن الحق يقال إن المقاومة بدأت قبل هذا بزمن طويل ، عندما أعلن محمد ود آدم فى سنار عام ١٩٠٤ بأنه النبى المنتظر الذى سوف يملأ الأرض عدلاً ، بعد أن إمتلأت جوراً ، وذلك إنطلاقاً من إيمان المسلم بالمجىء الثانى للمسيح، والذى سوف يكون نهاية لمتاعب العالم كله.. ورغم أن المجىء الثانى للسيد المسيح هو علامة من علامات إنقضاء العالم وهذا الزمان ، وبدء الحياة الأبدية.. وإن الأبدية لن تبدأ من السودان ، إنما فى لحظة واحدة سوف تحدث النهاية العامة...

وبعد حركة محمد ود آدم تأتى حركة عبد القادر إمام ود حبوبه ، وهو من قبيلة الأنصار بالجزيرة ، وعندما إرتفع صوته ضد الإستعمار أتى إليه ممثل للحاكم

الإنجليزى وآخر ممثل للحاكم المصرى حيث كان الحكم ثنائياً.. وأشار عبد القادر إلى رجاله بالقضاء على الرجلين مما جعله فى مأزق إنتهى به الأمر إلى إعدام هذا الثائر..

وبعد هذا تعاقب الرجال الذين يقفون ضد الإستعمار ومن بينهم ود الشريف هاشم ، والفكى نجم الدين ، والفكى مدنى ، وعكاشة أحمد ، والزنادى ، وأحمد عمر ، ومحمد الحدين.. هذا إضافة إلى ثورة النوير.. وثورة الشلك وثورة الزاندى.. وثورة نيام نيام... وثورة الأذواك فى جنوب السودان ..

أما جبال النوبة فكانت فيها حركات مقاومة ممتدة فى جبل الداير ، وبرانى ، وتلودى ، ورفيق ، وهيبان ، وتوقورى ، والحفير الأخضر ، وكادوقلى ، والليرى ، ونيانج نيانج، وشط الصافيه ، وميرى والدلنج وكاندرو وفاندو، وكيلا كيدو ، وتيما، وسيى وزلمار.. كل هذه كانت تحركات تبحث عن الحرية ، وتقرير المصير.. وتحقيق الذات لكى يحكم السودان أبناء السودان ..

وكانت هناك حركات منظمة مثل : ثورة ١٩٢٤ التى تحتفظ بقيادات وطنية ممتازة من الشمال ومن الجنوب ، والتى شارك فيها عدد من أقباط السودان ، يحتفظ دار الوثائق بأسمائهم.. وكانت ثورة ١٩٢٤ معلماً بارزاً فى طريق الكفاح الوطنى ، وكان على عبد اللطيف هو القائد الشعب ، عن طريق جمعية اللواء الأبيض..

وكان على عبد الطيف يدعو لقيام حزب سودانى يقود الكفاح ضد الإستعمار.. وقد بدأ بمقال شهير « لعلى عبد اللطيف «.. ووزع المقال بطريقة سرية.. حيث لم يجد له مكاناً للنشر فى جرائد السودان ، وعندما نشرته جريدة مصرية منع دخولها بواسطة سلطات الإستعمار ، وكان المقال إنتقاداً للحكومة الإستعمارية ، ومطالبة بإصلاحات محددة مثل : نزع إحتكار السكر وزيادة فرص التعليم ، وإزالة المظالم فى مشروع الجزيرة..

وإنتهى الأمر بمحاكمة على عبد اللطيف ، بتهمة إذاعة منشور يبث كراهية الحكومة فى نفوس الناس ، ويحرضهم على العمل ضدها.. وكان الحكم على القائد بالحبس لمدة عام..

كفاح الأجيال : وإستمر كفاح الأجيال ، وعندما خرج على عبد اللطيف من السجن

طبعاً سجن كوبر الشهير الذى يحتضن أبناء الوطن سجناء ، عندما يرفعون أصواتهم ضد المظالم والفساد ، خرج عبد الطيف وإنضم إليه ومعه كثيرون ، وبدأ الكفاح العلنى ضد الإستعمار ..

وكان عبيد حاج أمين قائداً لجمعية الإتحاد السودانى السرية ، ووضع يده مع اللواء الأبيض وإبتدأوا فى إرسال البرقيات إلى الحاكم الإنجليزى حول المسألة السودانية ، وأرسلوها إليه فى منتجع أركويت الذى كان يذهب إليه ، لينجو من حر الخرطوم جواً ، وحرارة الثوار الملتهبة التى كانت ناراً ضد الإستعمار..

ووصلت برقية إلى الزعيم المصرى سعد زغلول تقول : نحن المجتمعون هنا من أهالى السودان ، نتقدم بإخلاصنا وولائنا لصاحب الجلالة الملك المفدى ، ونشارككم فى هذا العيد السعيد ، ولا نخشى من الوعد والوعيد ، ولا نرضخ للنار والحديد.. وكانت البرقية بتاريخ ١٤/٥/١٩٢٤..

وبعد نشر البرقية قامت قائمة الإستعمار ولم تهدأ .. وتم نقل الزعماء : صالح عبد القادر ، وحسن الشريف ، وحسن صالح المطبعجى .. وكان منزل على عبد اللطيف مقراً للكفاح ضد الإستعمار وموقعاً للجمعية الوطنية ، ثم بدأت المحاكمات...

ولكن إستمر الكفاح ، كفاح أجيال ضد الإستعمار، ولمعت شخصيات كبيرة له دور كبير مثل : عبد الرحمن المهدى ، والسيد الميرغنى ، وأحمد خير المحامى ، وكان شرف رفع العلم بواسطة الأزهرى ومحجوب...

وفى ملتى وإعتقادى إننا ينبغى اليوم أن نراجع أنفسنا ، والرجوع إلى النفس مطلب روحى يساعد على الحساب مع النفس وتصحيح المسار ، فلقد قصرنا فى حق بلادنا.. والإستقلال ليس علم ونشيد.. وإن كان العلم قد تغير ولم نسمع النشيد الوطنى « نحن جند الله جند الوطن.. إن دعى داعى الفداء لم نخن.. نتحدى الموت عند المحن ، ونشترى المجد بأغلى ثمن .. هذه الأرض لنا ، فليعش سوداننا.. علماً بين الأمم.. يابنى السودان هذا رمزكم ، يحمل العبء، ويحمى أرضكم . لقد غاب منا النشيد ، وإستعملنا نشيداً دينياً آخر.. ثم تركناه ، وصرنا نسمع المذيع يقول إلى شارة الوقت..

يا سادتى نحن مسئولون عن كل ما يحدث للوطن.. وكفى ما مرّ من وقت ،

وتعالوا معاً نحيى زعماء الإستقلال ، ونكرم كفاح الأجيال بالعمل ، فى قيم روحية أصيلة ..

والحمد لله فى هذا العام سوف يشرق فجر السلام على وطننا العظيم.. والتحية لكل الأجيال ، والتحية لأبناء هذا الجيل ، الذين صنعوا السلام ، وطوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون..

٤٠. الدين والشعر وقداسة البابا

روائع شعرية : صدر كتاب كتبه شاعر عن شاعر ، والشعراء يعرفون كيف يكتبون عن بعضهم.. الشاعر الذى كتب هو شاب إلتقيته فى مكتبة أنطون فى مصر ، الفجالة، وجلست معه وجمعتنا لقاءات مع شباب الحى أصحاب المكتبة ، والشاعر البطوسى وهو حاصل على عدة جوائز منها جائزة جامعة الملك سعود بالرياض ١٩٩٤ .. وجائزة الدولة للإبداع الأدبى بمصر ، كما حصل بمسرحيته الشعرية «الراعى « على جائزة المجلس الأعلى للثقافة، وصدرت فى نفس العام عن هيئة الكتاب .. وصدرت له عدة دواوين مثل : رحيل السيدة الورد ، ومديحة الورد ، وصدرت له عدة كتب منها : لأجلك يا مدينة الصلاة .. وهو كاتب يكتب فى عدة مطبوعات عربية فى مختلف أقطار الوطن العربى..

وقد كتب هذا الشاعر كتاباً عنوانه « روائع البابا شنوده الشعرية».. وقدم نيافة الأنبا بيشوى له مقدمة مختصرة مفيدة ، قال فيها : إن حياة قداسة البابا شنوده الثالث ، هى أنشودة حب.. كما إن أشعاره الروحية تفيض بالمشاعر الجياشة ، لذلك فحياته منظومة فى أشعاره.. وأشعاره تعيش فى وجدانه.. وتجتذب الكثيرين إلى التأمل فى محبة الله الفائقة المعرفة ، كما تجتذب البعض إلى تلحين هذه الأشعار ، وشكر الناشر والطابع فى» دار أنطون» ، كما شكر المؤلف لإهتمامه وإطلالته الأولى على هذا المحيط الزاخر بالمعانى السامية ، وقد خرج هذا الكتاب إلى النور فى العام الماضى ٢٠٠٣م...

وتحت عنوان « شهادتان» قدم المؤلف ما جاء عن مؤلفة فى جريدة الأهرام ، وفى جريدة العرب وقالت الأهرام : يؤكد البطوسى على الجانب الروحى فى شعر البابا شنوده مشيراً إلى أن معظم الباحثين أشاروا إلى إرتباط الشعر منذ نشأته

الأولى بالدين ، وتتبع البواكير الشعرية لقداسة البابا الذى بدأ نظم الشعر صغيراً ، وينوه إلى أن قداسته كان يحفظ فى المرحلة الثانوية عشرة آلاف بيت من الشعر لأكثر من ثلاثين شاعراً..

أما جريدة العرب ، اليوم الأردنية فقد قالت : يؤكد البطوسى على الثقافة الواسعة التى يتميز بها البابا شنوده ، والتى ظهرت فى شعره مشيراً إلى أن قداسته يمتلك مكتبة كبيرة تحوى جميع دوائر المعارف العالمية ، بالإضافة إلى كتب الأدب ، ومكتبة إسلامية تحوى أمهات الكتب فى الفقه والشريعة ، والحديث والتفسير..

الدين والشعر : نحن نعلم إن الدين هو ملهم الشعراء.. وعندما يكون الشاعر متديناً يعبر عن محبته لله بقصائد شعر.. وينصرف عن الغزل إلى غزل أرفع وأسمى ، وينصرف عن الهجاء ، ويمدح كثيراً ويوجه المديح نحو الله الذى خلق الإنسان وعلمه البيان.. الذى خلق الرجل وخلق المرأة.. الله الذى هو سيد التاريخ..

ولقد نشأ الشعر أولاً فى أحضان الدين.. وكان مجموعة من الترنيمات التى يستدر بها الإنسان مراحم الله ، لكى يأتى المطر، وتشرق الشمس ، ويمتلىء النيل بالماء.. ولقد نشأ المسرح أيضاً فى أحضان الدين.. وكتب الشعراء مسرحيات دينية ، شعراً أو نثراً فى قوة الشعر.. بل أن العلم كله نشأ فى أحضان الدين وما « الروب « الذى يلبسه الحاصل على الدرجات العلمية سوى نفس « الروب» الذى يرتديه الكاهن فى الشرق أو الغرب عندما ينال رتبة الكهنوت ، ويصبح خادماً للنعمة الإلهية..

ولقد أعاد إلينا قداسة البابا شنوده الثالث قصائد شعرية روحية ، ترجع الشعر إلى أحضان الدين بعد أن تاه عنها ، وضل الطريق.. وأفتخر بأننى تلميذ من تلاميذ قداسة البابا.. وعندما رسم أسقفاً للتعليم فى ١٩٦٢/٩/٣٠ جاء إلينا فى الكلية الإكليركية ، كلية اللاهوت القبطية ، وكنت وقتها فى السنة النهائية ، والحق يقال أننى إنبهرت بهذا الرجل..

لم أكن قد قرأت له شعراً ، ولكن كلماته العادية كانت فى موسيقى الشعر.. وكنت وقتها سريع الحفظ ونقشت كلماته فى قلبى نقشاً.. وعندما كان يدخل إلينا للمرور علينا فى عنابر اليوم ، كنت أسير معه ، وأسجل كلماته ، حتى قفشاته ، وهو رجل مرح ، سريع البديهة.. الكلمة المناسبة حاضرة على شفتيه..

وأذكر أن طالباً سألنى كم الساعة ؟.. وأجبته بسرعة لكى أصرفه عن موكب الأدب الذى أسير فيه ، فقلت له الساعة تسعة.. فأجاب سريعاً : تسعى فى الخير ياولدى...

قداسة البابا : ويتحدث البطوسى عن البدايات الشعرية الأولى لقداسة البابا ، وكيف أنه لم يسميها شعراً بل مشاعر .. لقد كتب الشعر منذ نعومة أظفاره ، وكتب أيضاً تحت عنوان « مشاعر».. لكنها مشاعر.. تمكث دائماً معى.. تسكن فى حشاشتى.. فى مهجتى.. فى أضلعى.. تظهر فى إبتسامتى.. فى ضحكتى.. فى أدمعى.. مشاعر تصحبنى.. فى صحوتى.. فى مضجعى.. تجرى دواماً فى دمى.. كنت أعى أو لا أعى..

والبابا يكتب الشعر منذ أكثر من نصف قرن.. شعراً عربياً موزوناً.. مقفى ، سلساً، سهلاً ، بديعاً بكل قواعده الكلاسيكية المعهودة ، وكل جذوره التراثية التقليدية ، شكلاً ومضموناً ، وكل شروطه الإبداعية ، والبديعية معاً.. لقد كان راهباً دخل إلى الدير فى تاريخ محدد هو ١٩٥٤/٧/٢٨ ، ولكنه ولد راهباً.. كما ولد شاعراً. وكانت رهبنته سبباً فى أن يرى ما لا يراه غيره.. ويحس بمشاعر أرق من غيره.. وينظر للأمور نظرة غير ما ينظر غيره.. يستوقفه ما لا يستوقف غيره.. ويحرك مشاعره ما لا يحرك مشاعر الآخرين .. وهذا هو الشاعر الحقيقى. ..

قلبى الخفاق أضحى مضجعك   فى حنايا الصدر أخفى موضعك

قد تركت الكون فى ضوضائه   وإعتزلت الكل كى أحيا معـــك

ليس لىّ فكـــــر ولا رأى ولاشهوة أخرى سوى أن أتبعك

وأبى يعقوب أدرى سرهقد عرفت الأن كيف صارعــــك

يا أليف القلب ما أحــلاك بل   أنت عالى مرهب ما أروعــــك

قد تركت الكل ربى ما عــداك   ليس لى فى غربة العمر ســـواك

ومنعت الفكر عن تجواله   حيثما أنت فأفكــــارى هنـــاك

قد نسيت الأهل والأصحـــاب بل   قد نسيت النفس أيضا فى هواك

وهذه الأبيات هى بعض أبيات ، من قصيدة واحدة .. ولقد تحولت هذه القصائد الروحية إلى ترانيم روحية ، وأعدت لها موسيقى المناسبة ، وجدير بالذكر إن أول من ترنم بهذه القصائد هو شاب سودانى من حى المسالمة ثم الخرطوم غرب ، وهو صيدلانى ، ولكنه يملك صوتاً دافئاً حنوناً ، فى حنايا صدره.. وهو الدكتور فيصل فؤاد ، وكل أفراد أسرته يملكون صوتاً دافئاً شجياً قوياً ، شقيقه أبونا بولس وأخواته فايزه وفريده..

وهكذا كان شباب السودان ، هم أول من لفت الأنظار إلى شعر قداسة البابا ، وحولوه إلى ترانيم ، تنشد فى كل الأوقات....

٤١. مستقبل التواصل الحضارى لأهل وادى النيل

علماء وطلبة : إجتمع جمع غفير من الأساتذة العلماء والطلبة النجباء فى أم درمان على ضفاف نهر النيل فى ساحل الريفيرا ، حول ندوة التواصل الحضارى بين شعوب ودول وادى النيل والقرن الأفريقى... الماضى الحاضر ورؤية المستقبل ..

وكان هذا السابع والثامن من فبراير لعام ٢٠٠٥ وتعاونت وزارة الثقافة بحضور مشرّف للوزير الأديب الشاعر مهندس الكلمات ، ومهندس التكنولوجيا أيضاً صديق مجتبى... كما تعاون معتمد محلية أم درمان الأستاذ عبد القادر محمد زين.. والذى هو نفسه شغوف بعلاقات التآخى.. وله تأملات خاصة فى الأمور الروحية ، حيث أذكر له أثناء إبتلاء الشمالية كيف قال : إن هذا أمر من الله حتى نراجع أنفسنا ونعيش فى التقوى أمام الله والناس..

وقد كان سعيداً بهذه الندوة ، وقام بتكريم العلماء الذين جاهدوا جهاد الأبطال فى إخراج الندوة ، وهما : بروفسور دياب وبروفسور عقيد.. كما كرم جامعة أم درمان الإسلامية وجامعة النيلين اللتين عقدت الندوة تحت رعايتهما العلمية..

وقد حضر مدير جامعة النيلين وتسلم الأبحاث والتوصيات ، وكرمه معتمد أم درمان ، ويبدو أنه كان مسافراً ولم يتمكن من الحضور ، أما مدير جامعة أم درمان الإسلامية بروفسور محمد عثمان صالح ، فقد شرّف قاعة المؤتمر فى اليوم الثانى ، وكنت رئيساً للجلسة التى ضمت فريقاً كبيراً من العلماء..

وقد أسعدنى حضوره الوقور وتحدثت عن شخصيته المتواضعة ، فهو من

العلماء الذين يخشون الله ، ويختارون الكلمات ، ويحترمون الآخر ، وفى ذكرياتى عنه تذكرت كيف يشارك فى حوار الأديان ، وكيف يرفض وبشدة تكفير الآخر.. وكيف يؤكد فقه قبول الآخر..

وتذكرت إننى كنت معه كلانا يمثل السودان فى برلمان الأديان على آخر نقطة من أفريقيا على المحيط ، وكيف إننا كنا ندخل قاعات المؤتمر، وكانت كبيرة جداً .. وكان فى تواضع العلماء يصمم على أن أتحدث عن السودان ، وكان هو يوزع نتائج على كارت صغير.. وعلى الناحية الآخرى من الكارت صورة قبطية قديمة للسيدة العذراء تحمل الطفل يسوع..

وكلما فرغت منه هذه الكروت ، كان يطلب منى المزيد ، وكان هذا بمفرده لوحة حضارية جميلة ، تؤكد أن السودان وطن الأديان ، وطن التعايش والتوادد.. وأذكر إننى فى لقائى مع السيد أحمد عبد الله حنقه، والذى يشغل الأن منصب مستشار إعلامى لرئيس الجمهورية .. قلت له : أرجو أن ينشط الإعلام الخارجى فى تقديم علماء المسلمين الذين يمتازوا بالوقار والذوق ، وإحترام الآخر ، إلى القنوات الفضائية العربية والعالمية ، وذكرت له أخلاق بروفسور عثمان صالح ، والذى لم أسمعه يوماً يقول ما يقوله الدعاة الآخرون مثل تكفير غير المسلم.. وتحريف الإنجيل ، كلمة الله ..الذى لا يمكن أن يحّرف ،إلا إذا إفترضنا لا سمح الله ، أن الله غير قادر على حماية كلمته وسنتــــه، التى ليس لها تبديلاً..

وطالبت « حنقة « أن يهتم الإعلام الخارجى بعلماء آخر مثل : البيلى الوقور والذى هو على قمة العلماء المسلمين فى السودان.. وقد إندهش حنقه أننى أتحمس للعلماء المسلمين فى وطنى العظيم.. كل هذا ذكرته للمؤتمرين ، وأنا أقصد أن أقدم سيمفونية التعايش والإحترام المتبادل فى سوداننا العظيم..

أبحاث قيمة : لقد جمعت ندوة التواصل الحضارى بين شعوب دول وادى النيل ، العدد الكبير من الأبحاث الأكاديمية القيمة.. وفى سجل لأسماء البحوث فى صدر مطبوعات الندوة عدد من الأبحاث والباحثين ، بدءاً بأبحاث دكتور أحمد إبراهيم ، مروراً بعلى الحورى.. وحندوقه.. وإبتسام.. والدومه.. والأمين.. وفرح .. وأبو اليسر.. والنسر.. والساعورى.. وكبير.. ومها.. وحسن أبشر.. والسنهورى..

إنتهاءاً بالدكتوره جوليت عدلى غابيوس والتى أخذت الدكتوراه حديثاً على يد بروفسور دياب.. ومناقشة دكتور العقيد ، اللذان لم يخفيا إعجابهما بهذه الفتاة القبطية الوطنية التى تحب السودان ، والتى قدمت بحثاً عن التماذج بين المسيحية والإسلام فى السودان.. والتى صممت إنها تحيا فى وطن يعرف التماذج ويرفض التعصب ، وكيف إنها ذهبت بنفسها لتحقق ما قيل عن كنيسة تحولت إلى جامع ، وقررت بعد بحث.. إن مثل هذا لم يحدث ، وكان صوتها فى رفع راية السودان المتوادد عالياً جداً ، ونبراتها كلها وطنية..

والغريب أننى كنت من بين الباحثين .. وبحثى عنوانه « الجانب الإنسانى فى حضارة أهل وادى النيل « ولكن لم يسجل إسمى مع الباحثين ، ربما حتى لا يصل العدد أكثر من أربعة وأربعين.. وربما لأننى كنت سوف أحتج لماذا أكون تحت رقم خمسة وأربعين ؟ وأنا من سهر الليالى ليعد بحثاً أكاديمياً عن الجانب الإنسانى فى حضارة وادى النيل ..

ولقد سامحت المسئولين وقالوا : إن بحثى سوف يكون فى الجزء الأول من البحث.. ولقد سلمونى الجزء الثانى والثالث .. والأول لم يزل تحت الطبع.. وأسجل هنا كيف أن هذه الندوة تميزت بطباعة كل الأبحاث وتسليمها إلى الباحثين.. فالجزء الأول ٤٢٧ صفحة.. والجزء الثانى ٣٩١ صفحة.. وهذا يعنى إن كل باحث تسلم فى أثناء الندوة كنزاً علمياً ضخماً..

ولقد مررت بالكثير من البحوث ، وطار النوم من عينى ، وتمتعت بما تحمله الأبحاث من علم وفكر ، نحتاج أن نضعه نوراً على طريق حضارة أهل وادى النيل ، ومن محبتى لوادى النيل تحدثت فى إعتزاز عن سكان وادى النيل من مصر أبناء مصرايم إلى أفريقيا كلها ، أبناء كوش.. نوبة.. أحباشاً أثيوبيين.. كلهم أفارقة ، كلهم يتمتعون بوادى النيل..

وبحثى كان مرجعه الكتاب المقدس. وما ذكره عن كوش.. وما كان من تعايش بين أبناء مصرايم وأبناء كوش.. ومن جاء إلى مصر تمتع بأخلاق مصر ، لأن موسى كليم الله زعيم اليهود ، قد تزوج وهو مصرى ، تربى فى قصر فرعون بإمرأة كوشية ، ولهذا حدث إختلاف بينه وبين الأشقاء هارون ومريم.. لقد أنكرا عليه إنه

متزوج بإمرأة كوشية سمراء.. وكيف كلمه الله... وهذا نوع من التعالى الذى أرجو أن ينجو ويتحرر منه أهل وادى النيل..

ولقد غضب الله على مريم أخت هارون ، البادئة بالسخرية ، وأصيبت بالبرص ، وتوقف ركب رحلة الخروج ، لمدة أسبوع كامل بسبب ما صنعته مريم .. وشكراً للعلماء الأجلاء لأنهم يؤكدون لنا من قراءة التاريخ ، إننا شعب واحد...

٤٢. الكاثوليك وحوار الأديان

نحو الأديان : أقيم فى روما أكبر تجمع لأساقفة الكاثوليك فى مؤتمر عقد لأربع مرات فى أربع سنوات متتالية من عام ٢٦٩١ إلى عام ٥٦٩١ ، وجمع أكثر من ألفى أسقف من كل بلدان العالم ، وأخذت الأصوات حول موضوع علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالأديان الأخرى ، وكان التصويت بالإجماع ، وصدرت وثيقة المؤتمر ، والتى جاء فى أول بنودها : إنه فى عصرنا الحاضر والذى يتزايد فيه يوماً بعد يوم إتحاد الجنس البشرى ، وتتوثق فيه وبإطراد علاقات الشعوب معاً تمعن الكنيسة الكاثوليكية النظر فيما ينبغى أن تكون عليه علاقاتها بالأديان غير المسيحية..

وفى رسالة الكاثوليك الرامية إلى تعزيز أواصر المحبة ، والوحدة بين البشر والشعوب ، فإنها تتفهم فى رؤية روحية تعميق الروابط المشتركة بين الناس ، والتى تدفعهم إلى أن يحيوا معاً مصيرهم المشترك.. فالشعوب كلها جماعة واحدة.. ذات منشأ واحد.. أسكنها الله فسيح أرضه.. وهذه الجماعة تتجه نحو غاية واحدة هى الله الذى يشمل الكل بعنايته.. وبآيات رحمته.. وبتدابير خلاصه للإنسان حتى تنتهى رحلة الأرض ، ويحيا الناس فى مدينة الله، فى نور مجده يستظلون..

الدين والغوامض: وتستمر الوثيقة لتؤكد أن الناس الآن وأكثر من أى عصر مضى ، يتجهون نحو الأديان ، يفتشون عن إجابة لمَ فى الحياة من غوامض تثير القلق فى كيان الإنسان.. ويبحث الإنسان عن أجوبة إستفهامات عامة هى : من هو الإنسان ؟... وما هو معنى الحياة ؟.. وما هى غاية الحياة؟.. وما هو الخير ؟.. وما هى موازين أوزان الخطية ؟.. ولماذا العذاب ، وأنين البشر ؟.. ولماذا الآهات والتأوهات والإبتلاءات ؟.. وما هو الطريق إلى السعادة الحقيقية ؟.. وما هو الموت

؟.. وما هى الدينونة ؟.. وماذا بعد الموت ؟.. وما هو الثواب والعقاب ؟.. وما هو السر الدفين الذى يكتشف وجودنا ، ويسمو على إدراكنا ، ومنه المبدأ ، وإليه المصير ؟..

رأى فى الإسلام : ويقدم الكاثوليك رأيهم الخاص فى الإسلام.. وتقول الوثيقة : إن الكنيسة تنظر إلى المسلمين الذين يعبدون الله الحى، القيوم ، الرحمن ، القدير، فاطر السموات والأرض الذى طالب بنى آدم أن يجتهدوا فى التسليم بكل نفوسهم لأحكام الله ، وإن خفيت مقاصده كما أسلم إبراهيم أمره لله ، والذى يفخر الدين الإسلامى بأنه ينتسب إليه..

وبرغم أن المسلمون لا يعترفون بالمسيح إلهاً ، فإنهم يكرمونه نبياً.. ويكرمون أمه العذراء ، ويذكرونها فى خشوع ، ثم إنهم ينتظرون يوم الدين ، الذى يجازى الله فيه جميع الناس ، عندما يبعثون أحياء من أجل هذا يقدرون الحياة الأبدية ، ويعبدون الله بالصلاة ، والصدقة ، والصوم..

آلام الماضى : وتحدثت وثيقة الفاتيكان عن آلام الماضى ، وعن فترات التوتر والمنازعات والعداوات التى وقعت بين المسيحيين والمسلمين ، وأهابت الجميع أن ينسوا مرارات الماضى ، ويعملوا بإجتهاد صادق سبيلاً للتفاهم فيما بينهم ، وأن يتماسكوا من أجل جميع البشر لحماية العدالة الإجتماعية ، وتعزيز القيم الأدبية ، وإرساء قواعد السلام والحرية..

مفهوم الحوار : والحوار فى نظر الكاثوليك هو خطوة على طريق اللقاء والتخاطب.. ومحاولة البحث عن معرفة الطرف الآخر من خلال تقاليده وتاريخه ولغته.. وذلك هدفاً لخلق نوع من التقدير والإعتبار ، وإتجاهاً نحو التقارب والتغلب على الخوف المظلم ، الذى هو نتيجة حتمية لعدم المعرفة ..

وليس المقصود بالحوار، الدخول إلى الأنفاق العتيقة من الإختلافات ، والحوار ليس عظة أو تبشيراً.. وليس نقاشاً أو جدالاً.. وليس بحثاً عن حلول وسط أو الإتفاق على نقاط محددة ، فهذه الأفكار وراء تزييف الحوار وضلال طريقه.. والحوار لا يهدف إلى هداية المتحاورين.. لا يهدف إلى أن يجعل المسلم مسيحياً أو المسيحى مسلماً.. إنما الحوار هو التعارف والتقارب فى ضوء نقاط التلاقى

ومحطات التآخى..

الحوار هو التحرك تجاه الآخر ، وإحترام كل واحد لدين الآخر وأفكاره ومعتقداته، لأن كلمة حوار فى اللغة اليونانية تعنى « التفاهم والتخاطب «.. وإكتشاف القواسم المشتركة..

جبهة الإيمان : وفى الفاتيكان الأن مجلس لحوار الأديان ويسمى حوار المؤمنين ، وهذا يعنى تكوين جبهة إيمان واحدة تحارب الإلحاد وتؤكد وجود الله.. وتقف ضد أى محاولات لتشويه القيم الروحية الأصيلة ، والمبادىء الإيمانية النبيلة ، ويرأس مجلس الحوار رجل أفريقى هو الكاردينال «أرينزى « والذى نأمل فيه أن يتحرك إلينا ، لكى يكون للكنيسة الكاثوليكية فى السودان دورها الحى ، فى حوار الأديان وفق توجهات الفاتيكان ، الذى يدعو إلى إحترام كل الكاثوليك لإخوانهم المسلمين ، والتغاضى عن المرارات القديمة ، عبوراً إلى محطة السلام..

٤٣. جمال محمد في وجدان أفريقيا

وجدان السودان : أعتقد أن الأديب السفير جمال محمد أحمد ، لن يغيب عن وجدان السودان.. لقد عاش فى بلادنا أكثر من سبعين عاماً ، من أبريل ١٩١٥ إلى أكتوبر ١٩٨٦ ولو كان قد عاش فى زماننا هذا لِتمَ تكريمه بواسطة الدكتور حسن أبشر ، الذى يهتم بمرور سبعين عاماً فى عمر الأدباء أو ما يسمى بالسبعينية ، وقد بدأ بتكريم الأديب السودانى المتفوق ، « الطيب صالح « والذى يُعد سفيراً للأدب السودانى فى كل بلدان العالم ، حتى فى إسرائيل ، فلقد قدمت أطروحة ماجستير باللغة العبرية ، عن أدب الطيب صالح..

ويقوم الأن الدكتور» أبشر» بتكريم العالم المحترم بروفسور عون الشريف قاسم ، والذى يستحق التكريم للثروة الأدبية التى قدمها للسودان.. والأستاذ جمال محمد أحمد ، نال فى حياته تكريماً كبيراً من المكتبة القبطية بالخرطوم ، ومن النيجر ، ونال ميدالية الفاتيكان ووسام الكاتب العلاّمة إقبال من باكستان ، والدكتوراه الفخرية من جامعة الخرطوم ، ووسام الحبيب بورقيبه من تونس ، ووسام العلم والأداب والفنون ، وهو وسام من ذهب ، ووسام النيلين الطبقة الأولى ، كما نال

عدة نياشين من دول عربية وأفريقية ، وصلت إلى أربع عشر نيشاناً ووساماً.. وسوف يبقى وزير الخارجية جمال محمد فى وجدان السودان..

وجدان أفريقيا: لقد أحب جمال محمد أحمد أفريقيا.. وأفريقيا هى السودان.. وقد كانت أفريقيا يطلق عليها كلها السودان أو بلاد السود.. أو أثيوبيا.. بمعنى ذوى الوجوه المحروقة أو الحبشة..

وأهل السودان هم أبناء كوش الذى له فى الكتاب المقدس شأن عالٍ ، فلقد تزوج كليم الله موسى بإمرأة كوشية (عدد ١٢).. ولقد أسس كوش مدينة بابل وغيرها من المدن فى أرض شنعار (تكوين ١٠).. وتطلق كوش على بلاد النوبة الواقعة جنوبى مصر ، بحسب رأى دائرة المعارف الكتابية التى تقول : إن إسم أثيوبيا فى الترجمة السبعينية كوش.. وكوش هو أول أبناء حام وأولاده هم سبأ.. ونذكر هنا مملكة سبأ وأولاده.. أيضاً حويلة وسبته ورعمه وسبتكا.. وهو والد نمرود مؤسس بابل..

وتقول النبوات : إن كوش ترفع يدها نحو الله ، وهى نبوة تعنى أن أفريقيا كلها سوف تكون بلاد التدين ، والدين .. وأعتقد أن الأمر كذلك ، فعند زيارتى إلى جنوب أفريقيا لحضور مؤتمر برلمان الأديان ، رأيت شباب أفريقيا فى جنوب أفريقيا.. وهم يهتمون بالعبادة ويملأون الكنائس..

ونحن نذكر أيضاً إن القديس مرقس الرسول كارز أفريقيا هو من مواليد أفريقيا ، حيث ولد فى إحدى الخمس مدن الغربية ، وما زال إسمه مشهور فى ليبيا ، وفى مدينة بإسمه تسمى « مرقسه »..

ونذكر أيضاً إن أفريقيا حملت صليب السيد المسيح ، فإن سمعان القيروانى الذى أختير لحمل الصليب مع المسيح ، هو أفريقيى .. وهكذا تحتل أفريقيا مكاناً مكرّماً فى قلب الكتاب المقدس ، وفى قلب الأفارقة..

وقد كان أديبنا الوزير ، مهتماً بأفريقيا والأدب الأفريقى.. لقد كان سفيراً للسودان فى أفريقيا.. أو فى بلدان أفريقية كثيرة ، وله عدة مؤلفات عن أفريقية ، فهو لم يكتب فقط وجدان لأفريقيا ، إنما أيضاً مطالعات أفريقية..» سالى فوحمر» المسرحية الأفريقية ، عرب وأفارقة ، فى الدبلوماسية السودانية، وهى طبعاً دبلوماسية أفريقية..

الدين والوجدان : وفى كتابه « وجدان أفريقيا».. حديث عن الديانات فى أفريقيا.. وعن أثر هذه الديانات فى معتنقيها.. فالدين كائن فى وجدان أفريقيا.. بل أن الدين هو وجدان أفريقيا.. وقد طلب من جمال محمد أحمد ، أن يعد لندوة « عن الله والإنسان «.. للجامعة الأمريكية فى بيروت ، فإهتم بأن يبحث عن أثر الدين فى حياة أفريقيا ، وقرأ كتباً عديدة ، كتبها شباب أفريقى ، شعر، رواية ، قصة قصيرة، بحوث فى الإصلاح الدينى ، والتقدم الإقتصادى..

وفى أسلوب أدبى ناعم ورقيق ، يتحدث الأديب عن كتابته ، إنها تتغير فى الأسلوب ، كلما زادت الخبرات والقراءات.. وهو يقول : ما كان يمكن أن يكون النهج واحد بين كتابى هذا ، وما سبقه من كتب، بعد هذه السنين..

لقد تغيرت بعدى الحال ، حولى وداخلى.. أنا شريحة من زمانى وذاتى.. كان ذاك زماناً هادىء البال يمشى على هون.. أيامنا هذه قلقت.. ما عاد فى طوقها أن تستقر بعض وقت على شىء تراه ، نصفه واثقاً أنه سيظل مكانه ، ذاك حتى حين..

منظمات الإنسان ومنشآته، وإبداعاته أصبحت حقاً أمانة تنوء بحملها الجبال.. روحه مثقلة تهوم.. لا يعرف مرفأ يحميه من أعاصير تقدمه.. والتقدم كان كل عصر مضى منبع الأوجاع ، يعطيك كثيراً ، ويأخذ بعض شىء لقاء..

لقد كان بحثى هذا ورقات أعددتها لندوة « عن الله والإنسان «.. وتيسر لى فراغ ، جلست أعذرها لتكون أوفى وأشمل.. فوجدتنى غير قادر على البعد بذاتى عما أكتب.. أعرّب قصيدة لتقوم شاهداً على رأى أسوقه ، فإذا بصاحبها أمامى.. إن كان ممن عرفت على أيامى الأول فاكره أن أحجب عنك صورته ، وألا أحدثك عن قسماته وأسلوبه فى الحديث ، وأمضى أحدثك عما عرفت من أفراحه وتعسه ومباذله.. أنتقل لواقعه فى التاريخ القريب لأفريقيا ، فتتزاحم الأشياء والنظائر من ماض بعيد فاكره أن لا أشركك ، هذا الذى أحسه ، فأقف أرجع للوراء للجذور راجياً ربط القديم بالحديث ، وأقرأ فى الغداة ما قرىء فى العشى ، وأهم بأن أقتطع فقرات ، ليضل الحديث فقرات أقول إنها فضول تحول دون سرد متصل الحلقات ، تقود واحدة لآخرى.. ونهاية.. وتعز الكلمات علىّ.. أحنو عليها.. أحجم أقول: ماذا جئت لتذبح ؟.. كان عناء أدعو لك ألا تشقى به كما شقيت..

وهكذا يمضى السفير الأديب فى المقدمة ، يشرح للقارىء كيف يكتب.. وكيف أنه يترفق بالكلمات وبالقوارير التى تحمل أدب أفريقيا العميقة.. التى فى حضارتها مسار قوى..

وفى حضارتها روحانية روحية كثيفة مثل الغابات.. مثمرة مثل أشجار الموز والمانجو.. وبعد هذا فقط مدخل إلى وجدان أفريقيا .. والوجدان ملآن.. مزدحم.. يحتاج منا إلى أكثر من حديث ، وأكثر من لقاء مع جمال محمد أحمد ، الذى أبحر بسفينة كلماته إلى «وجدان أفريقيا «....!

٤٤. العالم الإسلامي حزن لفقدان البابا

مجلة أكتوبر: هذا العنوان ليس من عندى ، ولكنى قرأته فى مجلة أكتوبر الغّراء ، فى باب إسلامى عنوانه « نور الإيمان».. ويشرف عليه الأستاذ المخضرم محمد الطحلاوى.. وتحت هذا العنوان يأتى القول : لم يحزن المسيحيون فحسب لوفاة البابا يوحنا بولس الثانى ، بل إمتدت مشاعر الآسى إلى العالم الإسلامى الذى عرف البابا الراحل عن كثب ، من خلال الزيارات المتتالية التى قام بها البابا البولندي إلى كل أنحاء الأرض..

وقد حضر الرئيس الإيرانى محمد خاتمى الذى يرأس بلداً مؤلفاً من ٩٩ فى المئة من المسلمين إلى روما لتقديم التعازى ، كما حضر كذلك إلى الفاتيكان العلامة اللبنانى محمد حسين فضل لمشاركة الطائفة المسيحية فى وداع البابا..

والعالم العربى والإسلامى لا ينسى المواقف الصلبة للبابا الراحل دفاعاً عن الشعب الفلسطينى ، وأيضاً معارضته للحرب على العراق ، كما كان يشجع الحوار بين الأديان دعماً للتفاهم والتعايش السلمى بين الشعوب.. هذا ما قالته الصفحة الدينية الإسلامية فى مجلة أكتوبر الغّراء ، أما الذى لم نقله فهو كثير جداً .. فالبابا يوحنا بولس الثانى ، هو أول بابا يزور جامعاً إسلامياً.. ويلتقى فيه بالمفتى وذلك فى الجامع الأموى بسوريا..

ولقد دعم البابا بكل قوته الحوار الإسلامى المسيحى وأذكر أنه فى زيارته للسودان ، أعلن إعجابه للبدء فى حوار الأديان ، وقد لقيته وحدثته عن حوار الأديان فى

السودان ، وكنت وقتها رئيساً لأول جماعة لحوار الأديان ، وعند إستقباله بالمطار وقف ينصت فى تعمق لحديثى السريع معه ، وكانت وقفته موضع تساؤل ، ولكنه حفظ الهدف.. وعرف إسمى ، وحفظه فى نفس اليوم ، لأن أمراً يهتم بحوار الأديان ، هو أمر مهم لديه ، وقلبه مفتوح له..

جائزة السلام : لقد تمّ تداول إسم البابا مرشحاً لجائزة « نوبل للسلام «.. أكثر من مرة.. وعندما تقدم فى السن إزداد التداول نحو إسمه لجائزة « السلام «.. رغم إن عدداً من منتقديه فى أوربا الشمالية من البروتستانت يعتبرون إن مفهوم جائزة نوبل للسلام ، لا يتماشى مع مواقف الكنيسة الكاثوليكية ، حول الإجهاض ، ووسائل منع الحمل ، والمثلية الجنسية... وإن كنت أرى أن موقفه المتصدى لهذه الأمور ، هو الذى يستحق أن ينال « جائزة السلام « ، فى الأسرة والسلام ، فى المجتمع.. لأنه بمحافظته على القيم الروحية إنما يدعم السلام..

وعندما أتى عام ٢٠٠٣ سنة الذكرى الخامسة والعشرين لحبريته ، كانت معارضة البابا للتدخل الأمريكى فى العراق ، وراء ورود إسمه كمرشح للجائزة ، إلى جانب الرئيس التشيكى « فانسلاف هافل».. إلا إن الجائزة منحت للمحامية الإيرانية « شيرين عبادى» المدافعة عن حقوق الإنسان..

ولم يحدث أن أحد الباباوات حصل على جائزة « نوبل للسلام «.. غير إن عدداً من رجال الدين والراهبات نالوا هذه الجائزة مثل : الأسقف السويدى « تاتان» رئيس الحركة المسكونية فى ١٩٣٠.. والأمريكى « جون رالى» رئيس المجلس الرسولى العالمى ، ورئيس جمعية الشبان المسيحيين فى ١٩٦٤.. والقس الأمريكى « مارتن لوثر كينج «.. فى ١٩٦٤.. والأم « تريزا».. مؤسسة راهبات المحبة فى ١٩٧٩.. والأسقف الجنوب أفريقى « ديسموند توتو «. فى ١٩٨٤.. وزعيم البوذية « الدالاى لاما» فى ١٩٨٩..

وإذا كانت هناك فرصة أن تعطى الجائزة لشخص بعد موته ، فستكون له ، رغم إننى أعلم أن هذه الجائزة ، لا تمنح لشخص بعد الوفاة ، وما فائدة أن لا تهتم الجائزة برجل مثله فى الحياة ، وتعطيه الجائزة بعد الممات ؟.. وقد أوصى هذا البابا بحرق كل مخلفاته..

بركان هادىء : وقال عنه الأب» يوسف مونس» من لبنان : إنه بركان هادىء وثائر فى آنٍ.. منسحق هو أمام ضعف الإنسان ، وثائر لأجل حقوقه وكرامته وحقه بالحياة والعيش الرغيد.. مغمور باللطف والرحمة أمام البؤساء والضعفاء ، وحامل عصا الحق بوجه الأمم ، لذلك ثار على الرأسمالية المتوحشة ، وتصدى للشيوعية المليئة بالتدمير ، للإنسان ولحقوقه ، حتى أنه أسقط جدارها ، وأسقط البعض فى قلوب الأمم والكنائس والأديان والناس.. وأعطى المثل فى ذلك ، فغفر لمن أراد قتله «على أغا «، وطلب له عفواً خاصاً من الدولة الإيطالية ، وأهدى الرصاصة إلى عذراء فاطمته يوم زارها ليشكرها على حمايته..

ويستمر الأب يوسف ليؤكد : إن للبابا مواقف مميزة فى الشرق الأوسط ، وأنه تحدث عن القدس ، وأعلن أنها مدينة مفتوحة لجميع المؤمنين بالله ، وإلى أقداسها تهفو قلوب المشتهين وجه الله الحق، وصورته وبهاءه ، إنها الجمرة المقدسة التى تهفو وتشتاق كل القلوب لتقبيل عتباتها وحجارتها المقدسة ، فهى ليست ملكاً لليهود ، بل لجميع أبناء إبراهيم..

ألا رحمَ الله البابا الراحل ، الذى مدّ جسور المحبة للجميع ، حتى إن العالم الإسلامى أعلن أنه حزين لفقد البابا.. ونحن نصلى أن يأتى بعده من يسير على دربه.. ويؤصل المحبة.. ويمد الجسور.. ويعبر بالعالم ، من ثقافة الكراهية إلى ثقافة المحبة.. ومن ثقافة الإستعلاء إلى ثقافة الإعتذار..

وبعد كتابة المقال تمّ ، وبحمد الله إختيار البابا الجديد « بندكت السادس عشر»..

٤٥. المواطنة وكرامة المواطن

أهمية المواطنة : يتوجه سودان اليوم نحو سودان الغد ، فى إرساء قاعدة المواطنة.. ويركز على أهمية المواطنة ، فالمواطنة هى الحل لكل شقاء الناس.. ويأتى الشقاء بسبب التفرقة بين مواطن وآخر .. وإذ يرى البعض أن حقوقهم مسلوبة.. وإرادتهم مغلولة.. فإنهم يشتعلون ألماً.. ويحترقون معاناة.. وبدلاً من تراكم الأحقاد ، فإن المواطن ينبغى أن يسعى لتحقيق حقوقه.. ويقترب إلى الآخر.. ويدخل معه فى حوار حتى يرسى قاعدة المواطنة..

تشكو بعض الولايات إنها ولايات مهمشة.. لماذا يحدث هذا ؟.. وهل سوف نظل نشكو ؟.. ونشكو.. كلا.. نحن مطالبون أن نعمل فى هدوء وسلام ، وبدون توتر حتى نعتمد المواطنة أساساً ومقياساً وميزاناً ، للحقوق والواجبات.. وحتى نحصل على هذا ، ينبغى أن نستمر فى تأدية واجباتنا ، وسوف نجد من المفكرين والأدباء ، وزعماء السياسة ، من يقف مع الشاكى ، حتى يحقق له العدالة.. ويقف مع الضعيف حتى يقوى ويقول الضعيف : بطل أنا .. ويساند الصغير حتى يكبر..

إن المسيحية تحفظ كرامة الإنسان، وتعلن أن الإنسان هو تاج الخليقة كلها ، وهو مخلوق على صورة الله ومثاله.. وللإنسان وبأمر الله تخضع كل الكائنات الحية الأخرى.. وتخضع له أيضاً الجمادات ، البر، والبحر.. والحيوان والطير.. والسماء والهواء.. كلها رهن إشارة الإنسان ، وكلها تحت سلطانه المستمد من الله سيد الخليقة وسيد التاريخ..

والإسلام يحفظ للإنسان كرامته ويضمن حقوقه.. ولقد كرمنا بنى آدم.. وأكبر كرامة للإنسان ، أن الله طلب من الملائكة أن تسجد لآدم ، قال ربك للملائكة : إنى خالق بشراً.. فإذا سويته.. فقعوا له ساجدين.. وإذ قلنا للملائكة : أسجدوا لآدم فسجدوا.. والإنسان هو خليفة الله على الأرض ، قال ربك : إنى جاعل فى الأرض خليفة.. والإنسان فى الإسلام مؤتمن من الله على أمانة عظيمة.. وإنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبينَ أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان.. وطبعاً الإنسان هنا هو الإنسان.. الإنسان لذاته ، وليس لإعتقاده ، وقبل أن يصبح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً أو بوذياً..

بولس والمواطنة : وأمامنا بولس الرسول.. رسول الأمم كما يحلو له أن يفتخر.. لقد تمسك بحقوقه كمواطن رومانى ، وصمم على أن يعامل كمواطن رومانى حر ، وليس كشخص عادى مع أنه كان يحتمل كل شىء لأجل المسيح.. وتنازل عن كل شىء لأجل المسيح.. ولكن له موقفان واضحان ، طالب فيهما بحقوقه..

الموقف الأول فى إحدى المواجهات التى حدثت بين بولس واليهود.. وعندها أمر القائد أن يدخلوا بولس إلى الثكنة العسكرية.. وبدأ إستجوابه وهو لا مانع عنده من الإستجواب ، ولكن كان هذا تحت جلد السياط وضغط الهزء والسخرية من الجنود ، ولكنه رفض وقال لقائد المئة : أيجوز لكم أن تجلدوا مواطناً رومانياً من غير أن

تحاكموه ؟.. وشعر قائد المئة بالخطر ، وبأنه أخطأ ضد حق المواطنة وذهب إلى الأمير وأطلعه على الأمر وقال : أتعلم أية مخالفة كنا سوف نرتكبها لو جلدنا هذا الرجل ؟.. إنه رومانى الجنسية ، وجاء الأمير بنفسه وقابل بولس الرسول بما يتفق مع كرامة المواطنة ، وسأله : أأنت حقاً رومانى ؟.. فأجاب : نعم.. فقال الأمير: أنا دفعت مبلغاً كبيراً من المال لأحصل على الجنسية الرومانية ، فقال بولس : وأنا حاصل عليها بالولادة.. وهنا وفى الحال إبتعد عنه الجنود المكلفون بإستجوابه تحت جلد السياط ، ووقع الخوف فى نفس الأمير من عاقبة تقييده بالسلاسل ، بعدما تحقق أنه رومانى (أعمال الرسل ٢٢)..

والموقف الثانى الذى إعترض فيه بولس الرسول على عدم إحترام المواطنة الرومانية ، كانت فى مدينة فيلبى ، حيث أمسك الولاة بولس ورفيقه ، وأمر أن يضربا بالعصى ، فجلدوهما كثيراً ، وألقوهما فى السجن.. وإذ لم يكن على الرسولين مأخذ ، قرر الولاة الإفراج عنهما ..

فلما وصل خبر الإفراج إلى بولس ، إعترض على سرية القرار ، وإعترض على إنتهاك حقوقه فى المواطنة الرومانية وقال : جلدونا جهراً بغير محاكمة.. ونحن مواطنان رومانيان.. وزجوا بنا فى السجن .. أفلآن يطلقون سراحنا سراً ؟.. كلا.. بل ليأتوا هم أنفسهم ويخرجوننا.. ونقل الجلادون هذا الكلام إلى الحكام الذين لما عرفوا هذا خافوا.. وجاءوا إليهما يعتذرون ثم أطلقوهما وأوصوهما أن يرحلا عن المدينة ، حفاظاً على حياتهما (أعمال الرسل ١٦)..

وبعد هذا كان الحكام يتكلمون مع بعضهم عن الجنسية الرومانية التى يحملها بولس ، حتى لا يدخل أى من الحكام فى حرج ، بل وفى محاسبة.. لأنه لو صعّد بولس الأمر إلى فوق ، فسوف يحاسب الحكام ويؤاخذون ، وربما يعفون من مناصبهم لعدم إحترام « حقوق المواطنة»..

وفى آخر مشكلة له مع اليهود ، ولما رأى غوغائية الناس قال إلى قيصر : أنا رافع دعواى ، وكان هذا سبباً فى ترحيله إلى روما لكى يمارس حقه القانونى كمواطن رومانى فى الوقوف أمام أكبر رأس فى الدولة لكى يحافظ على حقوقه الطبيعية كمواطن، رغم أن بولس كان يختلف فى الدين مع الحكام ، فهو مسيحى وهم يعبدون الملك ، وهو موحد بالله وهم مشركون .. وهو صاحب ديانة قليلة العدد

وهم أتباع ديانة الأغلبية الساحقة ذات المعابد الشاهقة والتماثيل والبخور..
مشاركة المواطن : والمواطنة تدفع المواطن للمشاركة فى كل قضايا الوطن.. ولكن شعوره بأنه من الأقلية ، سوف يملأ حياته بعقبة الإضطهاد ، ويجعله منعزلاً عن المجتمع ، وفى نص من القرن الثانى الميلادى منسوب إلى عميد مدرسة الإسكندرية ، وضع هذا العميد المنهج الذى لا يحيد عنه المسيحى إذ قال : إن المسيحيون لا ينعزلون فى أماكن مقصورة عليهم.. ولا يتكلمون لغة خاصة بهم .. ولا يلبسون ملابس تميزهم عن سائر الناس .. ولا يتبعون أسلوب حياة غير مألوف، إنما يعيشون وسط جميع الشعوب.. وبينما هم يمارسون العادات المحلية فى ملابسهم وطعامهم ، وطريقة معاشهم ، يظهرون الأخلاق المميزة لحياتهم ، يؤدون واجباتهم كمواطنين.. يطيعون القوانين الوضعية.. ولكنهم فى سلوكهم يسمون على القوانين..

وفى السودان هناك تعددية مميزة.. نحن بلد متعدد الأديان ، متعدد الثقافات.. متعدد الألوان والأجناس.. وفى وطننا ينبغى أن لا تكون هناك أقلية وأغلبية ، إنما مواطنة تجمع الجميع ، وتقودهم للتعاون والتوادد فى حضارة عالية راقية مثل : رقى الوطن العظيم الذى يجمعنا.. والذى يجعلنا نحيا معاً وفق المبادىء السامية تحت مظلة الوطن الذى يشرق بشمسه على كل مواطن ، ويعطى خيره الدافق لكل مواطن.. إن المواطنة هى فقط التى تحقق كرامة المواطن.. كرامة الإنسان.. ومعاً فى طريق السلام ، والرخاء ، والكرامة..

٤٦. قطرات ندى رقراقة فى إشراقة

الإنتاج الوفير : تمتع الشاعر الصوفى التجانى يوسف بشير بالإنتاج الوفير، بالرغم من العمر القصير ، وهو لم يعمّر فى الدنيا لأنه كان عاشق الروح ، ولهذا إنحّل الجسد وصار شاعرنا روحاً طهور حية تحلق بيننا.. لم يقدر جسده الضعيف أن يتحمل قوة الروح فيه.. ولكنه أنتج للعالم كله ديوانه الذى يفيض حباً للآخر.. والذى لم يذكر المسجد إلا ويذكر معها الكنيسة ..

ولم يذكر بنت وهب إلا ومعها مريم إبنة يواقيم أم السيد المسيح.. ولم يذكر الصوفى إلا وذكر معه الراهب الناسك فى نسكه ، والعابد فى صومعته.. وعاش فى محراب الروح ، وتحدث عن قوة المحراب وعن الروح ، وقبل أن نبحر فى عالمه

وفى بحره الكبير ، أذكر أن هناك بعض الشخصيات ذات العمر القصير والإنتاج الوفير..

وهنا أذكر شاباً قضى نحبه سريعاً ، وقضى عمراً قصيراً على الأرض .. ذلك هو القس « منسى يوحنا « وهو من رجال اللاهوت فى الكنيسة القبطية ، وكان يخدم فى « ملوى « من أعمال محافظة المنيا ، وهو من مواليد ١٨٩٩ .. وإنتقل إلى السماء فى عام ١٩٣٠ م عن إحدى وثلاثين ربيعاً ، ولكنه خلال هذه المدة كتب خمسة عشر مؤلفاً ذات حجم كبير ، بينها كتاب ضخم عن تاريخ الكنيسة القبطية عدا عشرات المقالات.. وعشرات المحاضرات.. ومجلة الفردوس التى كان يصدرها ، وكان إلى ذلك خطيباً وطنياً قوى الحجة ، واضح النبرة ، ساهم فى الحركة الوطنية ، وكان زعيماً لثورة ١٩١٩ م داعياً إلى الإتحاد والأخاء والجهاد فى سبيل إسعاد الوطن.. وقد خدم كاهناً لمدة تسع سنوات ، ترك فيها أعظم الأثر ، وكانت جنازة وداعه ، مظاهرة وطنية إشترك فيها المسلمون مع المسيحيين ، وحملوه على الأعناق فى عز وإفتخار ، خرجوا به والكل باكٍ حوله.. صفقات موسى يوم دك الطور.. حتى أتوا جدثا كان صريحه.. فى كل قلب موجد محصور..

قطرات ندى : ويمتلىء كتاب « إشراقة» للشاعر الرقيق التيجانى « يوسف بشير» .. بقطرات ندى تهطل علينا من سماء الروح.. هدوءاً وسلاماً ورقة وروحانية .. فهو يبدأ بقصيدته عن الله.. ويختتم ديوانه بقصيدة عن» الروح «..

أما الله فهو بالنسبة له كل شىء.. وهو يعاتب الله ، لأنه خلقه من ظلمة الطين مما جعله غير قادر على معاينة رحاب الله البيضاء.. أما عن الروح .. فهو فى نظره طائر مغرد له جناحان من نور وظلماء.. كطائر الروض.. إلا إنه أبداً يشدو هناك شدو الحائر النائى.. يظل يهبط من دوح لمؤتلق.. وقد يغادر خضراء لخضراء.. لا العقل يهتك ما أخفاه من حجب.. وعين كل بصير جد عمياء..

وهو يرى إن الله والروح هما موضوع سعى الإنسان.. يسعى وراءهما.. يستعين على معرفتهما بالأحياء والأموات.. وهما سران عميقان.. وهو يخاطب الروح قائلاً : ياأيها الروح كم تدنو بمقربة.. وأنت أبعد من بوح وعلواء.. جرى وراءك «سقراط « فما علقت كفاه منك بشىء ، وإبن سيناء.. لأنت أصعب على الألى نزلوا.. من ظهر آدم أو جاءوا بحواء.. والروح طبعاً من علم ربى.. والله هو روح

، والذين يسجدون لله ، فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا..

ولقد تحدث شاعرنا الصوفى عن أنبياء الحقيقة ، وقال : رب نفسى من عنصر الفكر سواها ونفس حمأة الطين صّور.. ودماء من الحقيقة أجراها.. ومن صخرة المواهب فجرّ.. شكلها فى هدى الحقيقة إيمان.. وفى ضوئها يقين مجوهر.. ربى هبنى رضاك من أين صاغت ، كفك الطلسم الخفى المستر.. المسمى بالعقل عندك فى الأزال من سيرّ الحياة وسيطر ؟.. ربى هبنى رضاك والعقل من ذا.. عاقه أن يبين فينا ويظهر.. خفيت ذاته عليه أأضحى عرضاً فى الزمان أم ظل جوهر ؟..

ويخاطب العقل الإنسانى الجبار.. القوى الذى يهدم الحياة ويبنيها ويسأله: أأله فى الأرض أنت أم الشيطان ينهى فى العالمين ويأمر ؟.. وجنون أنت أم عقل ؟.. وموجود حقيقى أم أنت وهم مصوّر ؟..

والشاعر عنا يعبر ، عن إمتياز الإنسان بأنه كائن عاقل حر ، مريد.. وهذا من فضل ربى.. ولكن عندما يخدم العقل المبادىء الإلهية ، وإذا كان الأمر لا ، فهو فعلاً وهم مصوّر..

رحلة فى الديوان : وديوان « إشراقة « هو رحلة إنسانية يمخر فيها الإنسان عباب بحر الإنسان نفسه.. فالإنسان الصوفى فيلسوف ، والشاعر يدخلنا إلى أعماق الفيلسوف إلى قلب الفيلسوف.. ويؤكد أن الله موجود فى كيان الفيلسوف ، لأنه هو الذى يشعر به..

فى موضع السر من دنياى متسع.. للحق أفقاً يرعانى وأرعاه.. هنا الحقيقة فى جنبى ، هنا قبس من السموات فى قلبى.. هنا الله.. وهو لا يدخل فقط إلى قلب الفيلسوف ، إنما يدخل إلى منسك الزاهد ، وهو هنا يصف نفسه فهو الفيلسوف.. والزاهد فى الدنيا وكل ما فيها.. وهو مصباح نور سالكاً فى الحياة نهج طريق طيبى معبد ميسور..

والزاهد هو الآخ الحبر.. والنبى الصغير.. ويمر الديوان الشعرى بمحطات جميلة تحتاج إلى وقفات تأمل ، ونذكر بعضاً من هذه المحطات : ودعت أمس يقينى.. الصبى العابد.. يؤلمنى شكى.. الخرطوم.. قلب.. فى زورق.. طفرة ساحر.. من وراء النافذة.. قلم.. الزورق الأخضر.. هوى قاصر.. تعويذة.. توتى فى الصباح.. دنيا الفقير.. الأدب الضائع.. رب ما أعظم الجمال.. حيرة.. رجيه.. إلى.. أمل..

من هنا وهناك.. جراح واحدة.. كنائس ومساجد.. زهى الحسن.. المصير.. رسل الشباب فى مصر.. قلب من ذهب.. ثورة.. نفس.. أنشودة الجن، وهى أغنية يتغنى بها كبار المطربين السودانيين.. أنت أم النيل.. الخلوة.. فى الأدب القومى..

كل هذه قطرات ندى رقراقة فى إشراقة ، ولكنها ليست كل القطرات ، لهذا سوف أكرر اللقاءات مع شاعرى السودانى ، البديع، المبدع ، التجانى يوسف بشير..

٤٧. إنهم يهتفون للملك الوديع

أحد الخلاص : فى كل عام يأتى إلينا أسبوع الآلام ، وهو أسبوع حافل بالذكريات ، ملىء بالأحداث ، فيه إتمام للرموز القديمة التى قدمت السيد المسيح.. ويبدأ أسبوع الآلام بأحد الخلاص أو أحد الشعانين.. وكلمة الشعانين تأتى من» هوشعنا» أى «خلصنا..»

فلقد كان هذا الهتاف الذى هتف به الآلاف وهم يستقبلون الموكب الوديع ، للملك الوديع ، والمتواضع القلب.. الملك الذى رفض أن يركب حصاناً ، ولكنه ركب جحشاً، كرمز للسلام..وكنبذ للخصام..

ولقد دخل السيد المسيح إلى أورشليم دخولاً إنتصارياً فى وداعة قلب ، وطهارة مقصد.. ويذكر إنجيل « لوقا» البشير قصة هذا الدخول المجيد إلى أورشليم البهية والجميلة هكذا ، ولما قال هذا ، تقدم صاعداً إلى أورشليم.. وإذ قرب من بيت فاجى، وبيت عنيا ، عند الجبل الذى يدعى جبل الزيتون ، أرسل إثنين من تلاميذه قائلاً : إذهبا إلى القرية التى أمامكما وحين تدخلانها تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحد من الناس قط.. فحلاه وأتيا به ، وإن سألكما أحد لماذا تحلانه ؟.. فقولا له هكذا: إن الرب محتاج إليه .. فمضى المرسلان ، ووجدا كما قال لهما.. وفيما هما يحلان الجحش قال لهما أصحابه : لماذا تحلان الجحش ؟.. فقالا : الرب محتاج إليه، وأتيا به إلى يسوع ، وطرحا ثيابهما على الجحش ، وأركبا يسوع ..

وفيما هو سائر فرشوا ثيابهم فى الطريق ، ولما قرب عند منحدر جبل الزيتون، إبتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم لأجل جميع القوات التى نظروا قائلين : مبارك الملك الآتى بإسم الرب ، سلام فى السماء ومجد فى

الأعالى .. وأما بعض الفريسيين من الجمع ، فقالوا له : يامعلم إنتهر تلاميذك .. فأجاب وقال لهم : أقول لكم : إنه إن سكت هؤلاء فالحجارة تصرخ.

وفيما هو يقترب نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً : إنك لو علمت أنت أيضاً حتى فى يومك هذا ما هو لسلامك .. ولكن الأن قد أخفى عنك ، فإنه ستأتى أيام يحيط بك أعداؤك بمترسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر.. لأنك لم تعرفى زمان إفتقادك..

ولما دخل هيكل أورشليم ، إبتدأ يخرج الباعة الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه قائلاً لهم : مكتوب إن بيتى بيت الصلاة يدعى وانتم جعلتموه مغارة لصوص (إنجيل لوقا ١٩)..

هتافات الجماهير : وفى يوم أحد الخلاص نذكر دخول السيد المسيح إلى أورشليم فى مجده المتواضع ، وتواضعه المجيد.. وأورشليم نفسها لها مع السيد المسيح ذكريات ، فهى مركز الأحداث التاريخية المجيدة.. ولكن أهلها كانوا فى كبرياء يعيشون.. وكانوا ينتقدون.. وينتهرون.. وكانوا أيضاً يتوعدون ..

فلقد قرروا صلب المسيح وقتله ، لهذا كان التلاميذ يخافون من رحلة أورشليم ، حتى إن لعازر أحد سكان بيت عنيا.. التى هى قرية إلى الجنوب الشرقى من جبل الزيتون ، على بُعد ميلين من مدينة أورشليم ، عندما مرض وإشتد معه المرض.. وقرر يسوع أن يذهب إليه ، إعترض التلاميذ قائلين : يامعلم الأن كان اليهود يطلبون أن يرجموك ، وتذهب أيضاً إلى هناك ؟.. ولكن يسوع أجاب قائلاً : أليست ساعات النهار إثنى عشرة ، إن كان أحد يمشى فى النهار لا يعثر لأنه ينظر نور هذا العالم ، ولكن إن كان أحد يمشى فى الليل ، يعثر لأن النور ليس فيه ؟..

وأعلن السيد المسيح إن المريض لعازر قد رقد فى الرب.. وإنه سوف يذهب إليه.. فقال أحد تلاميذه وهو توما ، لرفقائه : لنذهب نحن أيضاً لكى نموت معه ، معلناً بهذا أنهم جميعاً للمسيح ، وأنهم مستعدون أن يموتوا مع المسيح ، ويموتوا لأجل المسيح ، وهذا فعلاً هو الذى تم فيهم بعد أن حملوا رسالة المسيح يبشرون بها كل العالم، ويقدمونه للناس ، مخلصاً شخصياً ، يقف معهم ويسير بهم إلى طريق الملكوت..

ولقد كان التلاميذ جداً سعداء فى هذا الموكب السعيد.. وقدموا محبتهم وفرشوا

ثيابهم على الأتان بدلاً من السرج.. وعلى الأرض فى موكب الملك الوديع..

وهذا هو تكريس القلب.. ووضع الكرامة عند الأقدام.. وتقديم الإكرام لصاحب الإكرام.. ولقد تلاقت الهتافات وتعالت .. وملأت سماء أورشليم.. وإلتقت أصوات الهاتفين فى موكبه ، بأصوات المستقبلين الخارجين من المدينة ، الذين ألفوا موكباً حاملين سعف النخل فى أيديهم ، فتمايلت سعف النخل.. وأغصان الزيتون ، مرددة صدى هتاف الفرحين من البشر.. وإمتزجت عبادة البشر بتسبيحات الطبيعة.. لأنكم بفرح تخرجون.. كل شجر الحقل تصفق بالأيادى..

والهتافات هنا هى مزامير عميقة لداؤد المرنم ، صاحب الزابور العذب الكلمات.. هذا هو اليوم الذى صنعه الرب.. نبتهج ونفرح فيه.. آه يارب خلصّ.. آه يارب أنقذ.. مبارك هو الآتى بإسم الرب.. باركناكم من بيت الرب (مزمور ١١٨)..

والهتاف هنا ، هتاف البركة.. والسلام والمجد.. سلام فى السماء.. ومجد فى الأعالى.. وهذا الهتاف أزعج الحاقدين من اليهود ، وطالبوا بإيقاف الهتافات ، لأن قلوبهم جامدة جاحدة.. ولكن إن سكتَ هؤلاء ، فالحجارة تصرخ.. ولا يقدر أحد أن يوقف هذه الهتافات ، لأنهم يهتفون للملك الوديع ، وسوف يهتفون له فى مجيئه الثانى المخوف والمملوء مجداً.. والذى ينتظره كل أهالينا من مسيحيين ومسلمين.. كعلامة من علامات الساعة.. عندما يأتى دياناً للناس بالقسط، وسوف نقيم موكبه حتى قيام الساعة ، فى نقاء قلوبنا ، وصفاء ضمائرنا ، وزيتون سلامنا..

٤٨. حول المواطنة

حقوق الإنسان: إن حقوق الإنسان نوعان.. حقوق مدنية ، وحقوق سياسية.. الحقوق المدنية تهدف إلى ضمان مجال شخصى لكل عضو فى الجماعة ، يمارس فيه بحرية نشاطاً خاصاً ، دون تدخل من الغير أو من الدولة ، طالما إنه لم يرتكب ما يخالف القانون .. مثل حرية الرأى وحرمة المنزل.. وحق الملكية ..

أما النوع الثانى ، وهو الحقوق السياسية فهو أكثر فاعلية ، لأنها حقوق تضمن لصاحبها المساهمة الإيجابية فى ممارسة السلطة العامة فى بلاده ، من خلال المشاركة فى مؤسسات الحكم السياسية ، والقانونية ، والدستورية ، ولا تكون صفة المواطنة إلا لمن تكون له ، طبقاً للدستور والقانون.. هذه الحقوق السياسية أى أن

المواطن هو فقط الذى يشارك فى حكم بلاده..

أما الأفراد المقيمون على أرضها ، والذين يجبرون على الإنصياع للأوامر الصادرة دون أن يكونوا شركاء فى إعدادها وإصدارها ، مثل الأجانب يتمتعون بالحقوق المدنية.. ولكن لا يساهمون فى توجيه حياة الجماعة ، لأنهم ليسوا بمواطنين ..

وهذا يعنى إن الحقوق المدنية ، هى حقوق الإنسان بصفة عامة..أما الحقوق السياسية ، فهى حقوق المواطن .. ويعتبر وعى الإنسان، بأنه مواطن أصيل فى بلاده ، وليس مجرد مقيم يخضع لنظام معين دون أن يشارك فى صنع القرارت داخل هذا النظام..

هذا الوعى بالمواطنة يعتبر نقطة البدء الأساسية فى تشكيل نظرته إلى نفسه وإلى بلاده وإلى شركائه، فى صفة المواطنة .. وعلى أساس هذه المشاركة يكون الإنتماء إلى الوطن ، ومن خلال المشاركة تأتى المساواة ، فلكل مواطن نفس الحقوق ، وعليه نفس الواجبات ، فلصفة المواطنة ركنان : المشاركة والمساواة..

ومن ثم يأتى جهد الشخص فى إطار الجماعة السياسية لممارسة صفة المواطنة والتمسك بها والدفاع عنها ، وحين تنجح الجماعة فى حركتها الوطنية والدستورية ، أى حين تنجح الجماعة فى إستخلاص حقوق الوطن والمواطن ، تبتدى اللحظة الدستورية.. فتتحول الأرض إلى وطن ، والإنسان الذى يحيا عليها إلى مواطن..

حينئذ يسجل مضمون هذه اللحظة فى وثيقة هى الدستور.. واللحظة الدستورية هى التعبير عن الشرعية التى سندها هو حركة الجماعة ، والمطلوب أن يعيش المجتمع فى لحظة دستورية دائمة ، ذلك أنه كى تتواصل الحياة فى المجتمع على أساس مبدأ الشرعية لابد أن ينطوى قانون أو لائحة أو قرار أو عمل يصدر عن السلطة بل عن أى مواطن أو مجموعة من المواطنين لابد أن ينطوى هذا كله على مضمون اللحظة الدستورية ليست حقوقاً فقط ، إنما هى حقوق وواجبات وتطالب المسيحية المواطن بأن يؤدى واجباته على أكمل وجه قبل أن يسأل عن حقوقه..

أما غير المواطن فكانت تفرض عليه أحياناً ضريبة خاصة مثلما حدث مع السيد المسيح إذ طلب منه أن يدفع ضريبة الدرهمين وهى ضريبة مفروضة على الأجانب، وعندما سأل جابى الضرائب بطرس التلميذ ، عن هذه الضريبة ، أما يوفى معلمكم

الدرهمين ؟.. قال يسوع لسمعان : ماذا تظن ، ممن يأخذ الملوك الجباية أو الجزية .. أمن بنيهم أم من الأجانب ؟.. قال له بطرس : من الأجانب.. قال له يسوع : إذا فالبنون أحرار ، ولكن لئلا نعثرهم إذهب إلى البحر وألق صنارة والسمكة التى تطلع أولاً خذها ، ومتى فتحت فاها تجد أستاراً فخذه وأعطهم عنى وعنك(متى ١٧)..

وكان حديث أرميا فى مرثاته عن أورشليم كيف جلست وحدها المدينة الكثيرة الشعب.. كيف صارت كأرملة العظيمة فى الأمم ، السيدة فى البلدان ، صارت تحت الجزية (مراثى ١:١).. وهذا يعنى أن البلد الحر صار تحت العبودية ودفع الجزية للحاكم..

والأن وفى البلاد المستقرة سياسياً ذات الدستور الدائم ، يسرع المواطن إلى تأدية واجباته ويدفع الضرائب مسروراً ، لأن تأدية واجباته يعطه حقوقاً كاملة ، فالضمان الإجتماعى يعالجه مريضاً..ويدعمه شيخاً.. ويؤازره بالمعيشة عاطلاً..

الحركة الدستورية : ويرى المستشار « وليم سليمان قلادة « المستشار السابق بالمحكمة الإبتدائية العليا ، إن اللحظة الدستورية تبزغ حين تنجح الجماعة فى حركتها الوطنية والدستورية ، ويؤكد أن كلمة حركة هنا مقصودة وهامة..

وإن النظام الدستورى الأصيل ، والفعال لا يقوم فى جماعة مجرد إعلان مبدأ أو موضوع أو مستورد من المكان أو من الزمان ، كما إنه ليس نتيجة تستخلص من بناء نظرى ، بل إن هذا النظام لا تصبح له قوة وفاعلية إلا إذا كان تسجيلاً لإنجازات حركة تجرى على صعيد الواقع.. تسود فيها العناصر ذات الوعى والإرادة من أجل إستخلاص حقوق المحكومين ، وإذ تصل الجماعة من خلال حركتها إلى إجماع يصير التعبير عنه فى نص .. وإذن لا يكفى لقول بثبوت الحقوق السياسية لأعضاء جماعة معينة، وجود نصوص تقرر ذلك فى وثيقة خاصة ، كالدستور أو إعلانات الحقوق..

الأمر ليس هكذا ، وأنا أذكر عندما حضرت مؤتمر حقوق الإنسان فى « فينا» بالنمسا ، وكان الجو بارداً صقيعاً.. وكان الكلام بارداً جداً .. وكل دولة فى كلمتها تؤكد إحترامها حقوق الإنسان ، وكانت أكثر الخطابات بلاغة وإقناعاً ، خطاب إسرائيل والذى قال فيه مندوبها : إن دولة إسرائيل دولة ديمقراطية ، ترعى حقوق الإنسان ، ولو كان الحكم بحسب الخطاب لقلت أن إسرائيل هى صاحبة أرفع مكان فى حقوق الإنسان..

وفى بلادنا يتكلمون كثيراً عن حقوق المواطنة ، وعن كرامة المواطن.. ولكن هناك فرق بين النظرية والتطبيق .. بين القول والفعل.. ولقد ملأنا الدنيا كلاماً دون أن نعمل بأقل نسبة منه.. وقد لوحظ أن العديد من الدول لها دساتير تتضمن نظماً سياسية مثالية.. وقوائم لحقوق يفترض أن يتمتع بها رعايا تلك الدول، فى حين أن هذا أبعد ما يكون عن الواقع .. ومن ثم جاءت التفرقة بين الدستور ، البرنامج الذى تتضمن شيئاً مرجواً فى المستقبل القريب أو البعيد... ولا ينظم علاقات حقوق وإلتزامات كأنه بالفعل ، وهذا يسمى Constitution-Programme ..والفرق بينه وبين الدستور القانون الذى يعبر عن حقيقة واقعية.. فيكون من الطبيعى أن تطبق أحكامه بإنتظام وإضطراد كما هو الشأن فى قواعد القانون الوضعى ، ويسمى هذا الدستور Constitution-Loi

والحقيقة أنه لا يسوغ إطلاقاً إسم الدستور بالمعنى الفنى لهذه الوثيقة ، إلا على هذا النوع الآخير.. أما مجرد تجميع نصوص برنامجية لتكون دستوراً فإنه يكون مسخاً للمفهوم الأصيل لهذه الوثيقة ، لأنها لم تأت تعبيراً عن حركة تمت فى الواقع..

وفى بلادنا كان هناك إنفصال قاطع بين الحاكم والمحكوم ، ولكن الشعب تمكن من إختراق حاجز السلطة ، وأخرج الإستعمار ، وصار الشعب شريكاً فى القرار ، وفى السلطة ، وفى القانون ، والشعب ممثلاً فى قياداته السودانية ، هو الذى صاغ أول دستور..

والدستور فى السودان ، جوهره المواطنة وهدفه المواطن.. واللحظة الدستورية هى لحظة الحق فى تاريخ السودان ، بها صارت الأرض وطناً ، والإنسان مواطنا.. وحقوق المواطنةً مقياساً ومعياراً .. وهذا أتى بعد مسيرة جهاد وإجتهاد للمواطن السودانى، الذى عزل المستعمر ، وصار حاكماً لبلاده..

٤٩. مرحلة الأساس وشكاوى التلاميذ

الثالثة أساس: فى أسبوع واحد أتى إلىّ مجموعة من تلاميذ الثالثة مرحلة الأساس.. أتوا فراداً وجماعات.. وهم أبناء أذكياء ، أعمارهم بين الثامنة والتاسعة ربيعاً ، لكن عيونهم متوقدة بذكاء حاد ومتابعة دقيقة.. وصبيان اليوم أكثر تطلعاً من

صبيان الأمس.. فهم أبناء الكومبيوتر.. والهاتف المحمول.. ولقد قال مولانا متولى الشعراوى الداعية الإسلامى قبل رحيله من هذا العالم : علموا أولادكم الكومبيوتر وركوب الخيل ، وربما أراد أن يجمع لهم الجديد والقديم.. ويوحد بين تراث الماضى وحضارة المستقبل..

هؤلاء الصبيان الأذكياء جاءوا إلىّ يعترضوا إعتراضاً شديداً على كتاب اللغة العربية، الذى لا يتناسب مع ذكائهم ولا مع ظروف مجتمعهم ، ففى أول الدروس تجتمع الذبابة مع البعوضة ، ويتحادثان بأنهما لم يجدا مكاناً لوضع البيض لأن القاذورات جمعت وأحرقت خارج المدينة .. وعندما قررت الذبابة فى إتفاق مؤطر مع البعوضة فى الهجوم على بيت مجاور .. ودخلا.. ووجدا البيت نظيفاً ، والأطعمة مغطاة ، فرجعتا فى خيبة أمل، حيث لم تجدا مكاناً قذراً يناسب رغبتهما..

وبعد هذا تستمر الدروس غير معبرة عن الواقع الجديد.. متحيزة إلى جماعة معينة من المواطنين ، متجاهلة الآخر.. فى كل نص مذكور دعم من القرآن الكريم.. ومن الأحاديث الشريفة ، وكأن السودان لا يسكنه سوى أهل القرآن الكريم.. والأسماء المذكورة ليس فيها سوى عبد الرحمن وحسين .. ولا يوجد إسم جون وقرنق وملوال.. وبطرس وجرجس.. وهو يذكر كلمات الرسول الكريم ، ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا .. ولم يذكر قول الكتاب المقدس : أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض..

وهكذا يخل الكتاب كله من الإهتمام بالآخر.. ونحن لسنا ضد نصوص القرآن ولا الأحاديث فى المنهج ولكن نريد الإتزان حتى يعلم الطفل المسلم إن له شقيق ألزق من الأخ هو المسيحى .. وإن هذا المسيحى عنده من القيم والفضائل ما هو موجود عند المسلم ، حتى لا نعمّق الكراهية للآخر.. ولا نؤيد الإستعلاء الدينى عندما يظن أتباع دين بعينه : أن البلد لهم هم فقط.. وهم الذين من حقهم أن يعطوا حقوقاً للآخر أو لا يعطوه.. وسوف تكون النتائج غير محمودة ولا مشكورة ، إن لم نغرس محبة الآخر منذ الحصص الأولى فى الدراسة ، والأيام الأولى لأبنائنا وهم يجهزون أنفسهم لمستقبل سعيد فى بلد متعدد الأديان، والثقافات ، والأجناس..

أنا أعتقد أن المنهج الدراسى كله يحتاج إلى مراجعة.. وأعلم إن وزير التعليم ، السيد بابكر نهار، قد قرر أن يخرج منهجاً جديداً فى نهار جديد.. لأننا فى إنتظار

نهار جديد ، يشرق فيه السلام على بلادنا.. ونعيش معاً... مسلمون ومسيحيون.. شمال وجنوب.. شرق وغرب.. وهذا المنهج لا يتفق مع مستقبلنا الطموح..

طفل الحضانة : والشكوى ليست من أذكياء الثالثة أساس ، إنما أيضاً من أطفال الحضانة ، وذات مرة جلست فى إحتفال بجوار وزير مرموق ، ولم أكن أعلم إنه وزير دولة ، لأن الوزراء الأن كثيرون جداً.. ومال الوزير المهذب على أذنى هامساً بقصة إبنه يوسف ، ذلك الطفل الذكى الذى يحب اللعب أكثر من أى شىء آخر.. وهو طفل يذاكر دروسه كلها عند عودته من مدرسته مباشرة ، لكى يتفرغ ليمارس هوايته فى اللعب.. وذات مرة عاد ليقول لأبيه : ياأبى اليوم فى المدرسة ، المدرسة قد أزعجتنى كثيراً... سأله : لماذا ؟.. فقال : إنها ترغب فى أن تجعله فكياً، فهى طول اليوم تقوم بتحفيظ القرآن الكريم له.. وقلت للوزير: أولاً اللعب مهم جداً ، وأذكر أن أصغر أبنائى عندما سألته : أين هو ؟.. قال : إننى ألعب.. يابابا اللعب ليس شيئاً سهلاً.. إنه صعب جداً.. وقلت للوزير : أرجوك أن تنقل هذه القصة إلى وزير التربية والتعليم ، حتى لا يسخر الأطفال بمناهجنا ذات الكثافة الدينية العالية ، والتى تهتم بدين واحد ، ولا تذكر شيئاً عن باقى الأديان ، على أرضنا الطيبة..

الرابعة أساس : ونفس الشكوى ، جاءتنى من بعض طلبة الرابعة أساس.. فكتاب اللغة العربية يبدأ بآيات من كتاب الله.. لا مانع من هذا.. ولكن إين كتاب الله الآخر الذى سبق القرآن الكريم ؟.. والذى شهد له القرآن الكريم وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لمَ بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين ، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ، ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الفاسقون.. وإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك ، فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك..

أنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس.. ولكن الطلبة إعترضوا على شىء آخر.. وكان إعتراضهم بالتحديد على الدرس التاسع عشر ، وعنوانه « أنا الفتاة المسلمة «.. قال أحدهم : أنا رجل .. وكيف أقول « أنا الفتاة» ؟.. وقال الآخر : أنا مسيحى .. كيف أنكر مسيحيتى ، وأقول أنا المسلم..؟ والحقيقة إن هذا الدرس محير ، ولكنه يتفق مع المساق الدينى لكل المنهج ، وإن كان المنهج قد تحدث عن أم المسيح فى درسين متتالين ، فلقد ذكرها فقط كما جاء عنها فى القرآن ، وكان ينبغى أن يذكر كلامها الجميل المذكور فى الإنجيل مثل : تعظم نفسى الرب

وتبتهج روحى بالله مخلصى لأنه نظر إلى إتضاع آمته، فهوذا منذ الأن جميع الأجيال تطوبنى ، لأن القدير صنع بى عظائم ، وإسمه قدوس، ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه.. صنع قوة بذراعه.. شتت المستكبرين بفكر قلوبهم.. أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين ، أشبع الجياع خيرات، وصرف الأغنياء فارغين.. أو مثلاً : إعتراض العذراء على بشارة الملاك : كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً ؟.. ورد الملاك عليها .. وإمتثالها لكلام الله عندما قالت : هوذا أنا آمة الرب ، أى خادمة الرب الخاضعة.. إن الأمر فعلاً يحتاج إلى مراجعة..

أما نشيد « الفتاة المسلمة « فهو يهتم بالحجاب الذى هو أمر مقبول فى الإسلام ، ومرفوض فى المسيحية.. فالمرأة المسيحية تلتزم بالحشمة والوقار ، ولكن يرفض الدين لها أن تغطى رأسها.. لأن مجد المرأة فى شعرها.. وتقول :

«الفتاة المسلمة « وهذا تحديد صارخ ومرفوض .. كان من الممكن أن نقول:

«الفتاة المؤمنة».. لأن كلمة مؤمنة تنطبق على الفتاة من كل دين..

وكل النشيد ، هو نشيد إسلامى لا يصلح إلا أن يقال فى كلية دينية إسلامية .. ويقول النشيد : « أنا الفتاة المسلمة».. مصونة مكرّمة.. عفيفة محتشمة.. أنا الفتاة المسلمة.. أسير للأمام ، على هدى الإسلام.. نهج الكتاب السامى ، أنا به ملتزمة.. أعتز بالحجاب وسابغ الثياب.. فضائل الآداب.. أحيا بها منعمة.. لى قدوة عبر السنين ، بأمهات المؤمنين..

سادتى : ما معنى هذا النشيد ؟.. وما معنى هذا الزخم الدينى ؟.. وما هو المقصود بهذا ؟.. وهل ندرك نتائج هذا المد الواسع ؟.. أرحمونا ياسادة ، وتدخل ياوزير التعليم.. وأوقف ما يحدث قبل أن يحدث ما يحدث.. وهذا المنهج كله لا يتفق إطلاقاً مع السلام القادم.. وهذا الأساس لا يصلح لبناء الوطن..

٥٠. تشرشل وحرب النهر

علائق الوادى : إن علائق وادى النيل ، شماله مصر ، وجنوبه السودان.. هى علائق قوية متماسكة منذ بدء الحضارات كلها.. فشمال الوادى كانت فيه حضارة الزراعة.. وجنوب الوادى هو الذى أمدّ شماله مصر بالماء ، الذى هو عامل رئيسى

فى حضارة الزراعة..

وهنا يقول أمير الشعراء أحمد شوقى .. فمصر الرياض وسودانها.. عيون الرياض وخلجانها.. فمصر الزراعة وجنات الزراعة .. والسودان هو عيون هذه الجنات الفيحاء..

والروابط بين مصر والسودان ، روابط قديمة.. هما شطران من قطر واحد.. إتحدا معاً منذ الماضى السحيق.. ويضع البعض بداية لهذا الإتحاد ، منذ أكثر من خمسة وخمسين قرناً.. فيها تبادل المنافع.. ومقايضة السلع .. وذلك من عهد الدولة القديمة.. ٢٨٠٠ قبل الميلاد..

وكانت أسوان هى سوق مصر والسودان.. وهذا معنى كلمة « أسوان « فى اللغة المصرية القديمة.. وكان شباب النوبة الأشداء « رماة الحدق « ، ولا سيما شباب قبائل البجة « المازوى قديماً «.. يجيئون إلى مصر منذ عهد الأسرة السادسة ، لكى ينخرطوا فى الجيش طائعين مختارين ..

وكان فرعون يختار منهم رجال الشرطة وحرسه الخاص.. ومما يؤكد قوة علائق الوادى ، إن أباً واحداً لشعبى الوادى.. والأب الواحد هو حام بن نوح ، حيث يذكر الإصحاح العاشر من سفر التكوين .. إن حاماً وتعنى حامى أو سخن.. هو أبُ لأربعة أبناء هم : كوش أبُ السودانيين ، ومصرايم أبُ المصريين ، وفوط وكنعان.. وأن بنو كوش هم : سبأ وحويلة وسبتة ورعمة وسبتكا.. لهذا فإن ملكة سبأ ، ملكة سودانية.. وكوش أيضاً جد أهل أفريقيا جميعاً .. له ولد يسمى نمرود وهو الذى إبتدأ أن يكون جباراً فى الأرض.. وقد كان جباراً فى الصيد ، وجرى القول كنمرود جبار صيد أمام الرب..

ومصرايم جد أهل مصر ، ولد لوذلم ، وعناميم، ولهابيم ، ونفتوحيم ، وفتزوسيم ، وكسلوجيم، الذين خرج منهم « فلشتيم وكفتوريم «.. وهكذا أكد لنا الكتاب المقدس ، أخوة الوادى فى أخوة كوش ومصرايم .. وكلاهما من الجنس الحامى..

ويرى بعض المؤرخين هنا إن اللون الأسود لا يدل على فرق فى الجنس.. ويتحدث التاريخ بأن فرعون مصر « نفرحيت «.. أكرم وفداً من « المازوى « إكراماً يدل على ما بين شطرى الوادى من وحدة ووئام .. ويحدثنا بأن الجنود النوبيين أعانوا أخوانهم المصريين فى إجلاء الهكسوس عن مصر .. فلما تحررت

مصر إزداد السودان ومصر إتحاداً حتى صار فى عهد الأسرة الثامنة عشر كقطر واحد فى نظام واحد..

وفى تاريخ « تحتمس « الأول ، أنه عين حكومة للسودان ، مقرها « نباتا».. بعد الشلال الرابع ، وضمّ إلى حاكم السودان ثلاث مقاطعات من الوجه القبلى ، دلالة على إنه لا فرق فى الحكم والإدارة بين مصر والسودان.. ولقب حاكم هذا الإقليم بلقب « إبن الملك « وحاكم الجنوب أى حاكم الشطر الجنوبى من وادى النيل ، ولم يكن هذا الحاكم هو إبن جسدى للملك ، ولكن كان إبنه بالروح ، وفى هذا تكريم وتعظيم وتفخيم..

ولم يعثر على أى أثر يدل على تذمر السودانيين من الإدارة المصرية ، بل عثر على مقبرة « حوى» إبن الملك فى عهد « توت عنخ آمون».. على رسم ، يمثل وفداً سودانياً يحمل هدايا إلى فرعون..

وأعضاء هذا الوفد يلبسون الملابس المصرية التى يلبسها العلية فى ذلك العهد.. ويحدثنا التاريخ أيضاً عن ملوك سودانيون حكموا مصر دون إعتراض من أهل مصر ، ونبدأ بالملك « كشتا» فى القرن الثامن قبل الميلاد ، والذى أسس مملكة قوية ، عاصمتها « نبتة».. وتسمى « كشتا» بكبير القطرين مصر والسودان..

وبعد» كشتا» يأتى ولده « بعنخى العظيم «، فاتح مصر ، وقد كان رجلاً حربياً ، ماهراً ، مقتدراً، قوياً .. وسجل إنتصاره وفتحه لمصر على صخرة كبيرة ما زالت باقية عندنا فى معبد « جبل البركل»..

وبعد بعانخى يأتى الملك « شبكة».. الذى نقل عاصمته إلى الأقصر ليحكم كسودانى مصر والسودان ، وعرف بعده بالأسرة الخامسة والعشرين.. وبعدهم يأتى « ترهاقا».. والذى كان بطلاً عظيماً ذكره سفر أشعياء النبى فى الكتاب المقدس ، والذى إمتدت مطامعه إلى سوريا وفلسطين ، وأرجو أن لا ننسى إن « سيزاريون» إبن الملكة المصرية « كليوباترا» آخر الحكام الفراعنة ، عندما إنتحرت سنة ٣٤ قبل الميلاد ، جاء هذا الإبن إلى السودان ليجد فيها الحصن والأمان والملاذ...

حرب النهر : وفى كتاب حرب النهر الذى كتبه « تشرشل» بعد إتفاق ١٨٩٩ ، يؤكد فيه قوة العلاقة بين شمال وجنوب وادى النيل ، وهو هنا يقول : لا يملك الناظر إلى خريطة النيل نفسه من الدهشة ، لذلك التشابه القوى بين نهر النيل وشجرة النخيل

، ففى شمال النيل تجد الخضرة وحقول الدلتا الخصيبة ، تنتشر كأغصان الشجرة ذات الأوراق النضرة.. وقد تلاحظ إن جذع النخلة يتعرج ، وهكذا النيل ، ينساب متثنياً وسط الصحراء ..

وفى جنوبى الخرطوم تجد شبهاً تاماً بين مجرى النهر والنخلة ، لأن جذع النخلة يبدو متغلغلاً إلى أعماق الجنوب.. ولا أستطيع هكذا يقول تشرشل. أن أتخيل صورة أقوى من هذه لإبراز العلاقة الوثيقة بين مصر والسودان ، فالماء حياة مصر يجرى من السودان وينساب فى مجرى النهر ، كما يدب عصير الحياة فى جذع النخلة ، صاعداً إلى دروتها لتثمر ثمرها..

وفائدة مصر لا تعود على مصر وحدها ، بل تعم مصر والسودان جميعًا ، وهما يتبادلانها.. وإذا كان السودان جزءاً لا ينفصل من مصر طبيعياً وجغرافياً ، فإن صلته بمصر لا مندوحة عنها لتقدمه ورفاهية أهله.. وماذا تكون فائدة الجذور والأرض الخصبة إذا إنتزع منها الجذع عنوة ؟.. وهو الذى يصل عصير الحياة إلى الفروع والأوراق ؟..

ويقدم تشرشل كل هذا لكى يبرر حرب النهر.. التى كانت تهدف فى نظره إلى تحقيق وحدة أرض لم يكن من الممكن أن تكون منفصلة ، ولتجمع شتات شعبين ليس من الممكن التفريق بين مستقبلهما السعيد..

ولقد إعترفت « إنجلترا» وطن تشرشل بضرورة وحدة وادى النيل ، منذ إحتلالها لمصر .. وبإسم خديوى مصر أخرجت القائد الفرنسى « مارشان « من فاشودة.. وتمكنت برجال مصر وأموال مصر أن تعيد الأمن والنظام إلى السودان.. وطالما أعلنت فى وثائق رسمية : إن السودان جزء من مصر.. ولطالما أنفقت مصر على السودان أموالاً عظيمة ..

لقد أثبت تشرشل وهو قائد إنجليزى ، العلائق الوثيقة بين مصر والسودان ، ولكن بلاده أخطأت عندما فرضت على مصر التوقيع على إتفاقية ١٨٩٩ والتى جعلت مصر دولة مستعمرة للسودان.. وكيف تستعمر ، وهى نفسها مستعمرة ؟.. لقد رفرف علم مصر مع علم بريطانيا على السودان محتلاً إياه.. وهذا كله إتفاق باطل قانوناً وأخلاقاً..

٥١ـ الغياب والغيبـة

الغائب والميت : عندما يغيب عن الأعين شخص ما.. ولمدة يطول مداها ، يعتبر هذا الغائب فى حكم الميت.. وفى بدء المسيحية وخلال فترة النسك فى عصر الرهبنة ، كان كثيرون يهربون من منازلهم ويخرجون إلى البرارى وشقوق الأرض لكى يتعبدوا لله.. لم يكن هؤلاء الهاربون إلى الله هم من الشباب غير المتزوج ، بل كانت هناك بعض الحالات لشباب متزوج يترك زوجته برضاها أو بغير رضاها ، ويترك العالم كله وبكل ما فيه ، ويمضى إلى مكان غير معروف لكى يتعبد فيه..

وبالنسبة للشباب غير المتزوج الذى يترك العالم دون رغبة الأهل ، ويكرس حياته للرب ، عندنا أمثلة كثيرة نذكر منها أوضحها ، والذى يتمثل فى شقيقين للرهبنة.. وشخص آخر للسياحة الروحية ..يُعد الأن هو أول السيّاح ، فى العالم.. والسياحة الروحية هى درجة أعلى من درجة الرهبنة ، فيها يحيا الناسك فى عزلة دون أن يتصل بالناس..

والنموذج الأول يأتى من بيت ملكى فى القرن الرابع ، هو بيت الملك « لاونديوس» .. وكان له إبنان : مكسيموس ودوماديوس.. هذان الشابان خرجا من بيتهما يقصدان حياة الرهبنة ، وإنقطع خبرهما عن أبيهما.. ووصلا فى الرهبنة إلى مستوى روحى عظيم وعميق.. وكانا رجلا صلاة.. وفى الوقت نفسه كانا يعملان لكى يأكلا من تعبهما..

ورغم أن أخبارهما غابت عن بيت أبيهما الملك ، لكن إبتدأ كثيرون ينالون بركتهما ، وعلى الأخص أصحاب السفن ، حيث كانوا يكتبون إسميهما على قلاع المراكب طلباً للبركة.. وبهذه الطريقة عرف الملك الأب والملكة الأم ، مكان ولديهما، ولكنهما أصّرا على أن يستمرا فى الرهبنة بعد زيارة قصيرة للأسرة..

أما النموذج الثانى فهو فى أواخر القرن الثالث ، ويتمثل فى قصة شقيقين : أحدهما بطرس وهو الأكبر ، وثانيهما بولس وهو الأصغر.. وعندما مات أبوهما قام الأكبر بالإستيلاء على كل ثروة الأب، دون أن يعطى الأصغر شيئاً ، بحجة إنه أصغر.. ولكن بولس لم يرتاح لهذا التصرف..

وأخيراً قررا أن يذهبا معاً للإحتكام إلى حاكم المدينة... وفيما هما فى طريقهما رأيا جنازة لشخص عظيم فى المدينة ، فتأثر بولس وقال : إذا كان هذا الرجل العظيم قد خرج من العالم بدون إرادته ، فإننى سوف أخرج بإرادتى.. وعدل عن الذهاب إلى الحاكم.. وعاد كلاهما..

عاد الأكبر إلى المنزل.. أما الأخ الأصغر فلم يرجع إلى المنزل ، إنما دخل إلى البرية.. وتعمق فى الدخول إلى الصحراء.. وعاش فى مكان ليس فيه إنسان لمدة تزيد عن السبعين عاماً.. وكان بجواره بئر ماء يعطى قليلاً ، ونخلة يتغذى بها.. وطوال هذه المدة لم يرى وجه إنسان قط..

وقرب نياحته زاره القديس العظيم الأنبا أنطونيوس وأتى إليهما غراب يحمل رغيفاً كاملاً.. فقال بولس لأنطونيوس : أنت ضيف سماوى ، هذا الغراب يأتى إلىّ يومياً بنصف رغيف ، ولكنه اليوم أتى برغيف كامل..

وقد تنيح الأنبا بولا .. وقام بدفنه الأنبا أنطونيوس بمعاونة إثنين من الأسود فى حفر الأرض.. ولولا زيارة الأنبا أنطونيوس ما عرفنا أبداً قصة الأنبا بولا أول السيّاح.. وهكذا كان يغيب كثيرون دون أن يعلم عنهم شىء..

قانون الغيبة :

وفى قوانين ١٩٣٨ م يعرف الغائب بأنه هو من لا يدرى مكانه ، ولا تعلم حياته من وفاته.. ويعطى الحق لذوى الشأن أن يطلبوا من المجلس الملى الحكم بإثبات غيبته ، هذا بعد ما لايقل عن أربعة سنوات.. ويأتى الحكم بعد الطلب بسنة كاملة ، ويبدا أمر إثبات الغيبة بعمل تحقيق فى دائرة المركز الذى به موطن الغائب ، ومراعاة أسباب الغياب وظروفه..

ويقول القانون: إن الغائب يعتبر حياً فى حق الأحكام التى تضره ، وهى التى تتوقف على ثبوت موته.. ويعتبر ميتاً فى حق الأحكام التى تنفعه ، ويجوز الحكم بوفاة الغائب بعد مضى ثلاثين سنة من الحكم ، بإثبات غيبته أو مضى تسعين سنة من حين ولادته.. ومتى حكم بموت الغائب يُقسّم ماله بين ورثته الموجودين.. ويجوز لزوجته أن تتزوج..

وإذا علمت حياة الغائب أو حضر حياً فى وقت من الأوقات بعد الحكم بوفاته

، فإنه يرث من مات قبل ذلك من أقاربه ، وله أن يسترد الباقى من ماله فى أيدى ورثته.. وليس له أن يطالبهم بما ذهب ، لأن ما ذهب قد ذهب.. ويقع قانون الغيبة فى الباب الثامن من قوانين ١٩٣٨...

٥٢. تهذيب الأخلاق

روائع التراث: تحت عنوان روائع التراث العربى المسيحى يأتى كتاب» تهذيب الأخلاق» الذى كتبه فى القرن العاشر الميلادى يحيى بن عدى.. وحققه الأب سمير خليل اليسوعى الناشر مؤسسة القديس أنطونيوس بالقاهره ٤٩٩١.. والمؤلف من مواليد ٣٩٨ م فى تكريت والتى هى العاصمة الفكرية للكنيسة السريانية ، شقيقة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية..

وقد درس يحيى المنطق على أبى بشر متى بن يونس القفائى ، والذى كان يلقب بأنه رئيس المنطقيين فى عصره .. وقد صار يحيى خلفاً لأستاذه الفارابى ، ووفد إليه التلاميذ من مسيحيين ومسلمين ، من شتى أصقاع العالم الإسلامى مثل على بن محمد البديهى.. وأبى القاسم عيسى بن على.. وعلى عيسى بن زرعة ، وإبن الحمّار.. وأبى حيان التوحيدى ، وأبى على عبد السمح النصرانى ، وأحمد بن مسكوية.. وغيرهم..

وكاتب « تهذيب الأخلاق « له مؤلفات تقرب من المائة.. وهى عبارة عن تفاسير لأرسطو.. مقالات فى المنطق.. مقالات علمية.. علم الكلام.. ما بعد الطبيعة .. الأخلاق.. صدق الإنجيل.. التوحيد والتثليث..التأنس.. لاهوتيات.. وقد نشرت مجموعة التراث العربى المسيحى مقالاً فى التوحيد ، للشيخ يحيى بن عدى..

تهذيب الأخلاق : ويُعد كتاب تهذيب الأخلاق أول كتاب من نوعه عالج فيه المؤلف مسائل الأخلاق على طريقة أرسطو.. وقد كتب بأسلوب بليغ.. وتأتى أهميته من إنه طبع ١٩ مرة ، والطبعة التى بين أيدينا هى رقم ٢٠ .. ونسب إلى كبار المفكرين والأدباء العرب ، كأبى الجاحظ.. وإبن هيثم العالم.. وإبن عربى المتصوف..

ولقد قام الأب سمير بتحقيق نصوص الكتاب ومراجعته ، وركز إهتمامه على إستخلاص بنية الكتاب المنطقية بتقسيمه تقسيماً منطقياً بالعناوين والمقاطع والفواصل ، لكى يتجلى معناه وتسهل دراسته.. ولهذا تم تقسيمه إلى ٩٧٠ فقرة..

ويقترح الأب سمير اليسوعى أن تختار صفحات من الكتاب لتدريسها فى مدارسنا العربية فى المرحلة الثانوية ، وذلك نظراً لمستواها الجيد فى اللغة العربية ، وأملى أن يجد مثل هذا الكتاب طريقه إلى بخت الرضا حتى يتحقق حظنا السعيد فى إهتمام المنهج السودانى بالآخر.. وبأن التراث العربى فيه تراث مسيحى قوى ، من حقه أن يأخذ مكاناً فى صفحات كتبنا ومناهجنا الدراسية..

الحكيم الأجل :

ويقدم كتاب تهذيب الأخلاق على إنه تأليف الحكيم الأجل الفاضل أبى زكريا يحيى بن عدى قدس الله روحه.. وقد جاء فى مقدمة الكتاب.. إعلم أن الإنسان من بين سائر الحيوان..ذو فكر وتمييز.. وهو أبداً يحب من الأمور أفضلها.. ومن المراتب أشرفها.. ومن المقتنيات أنفسها ، إذا لم يعدل عن التميز فى إختياره ولم يغلبه هواه فى إتباع أغراضه..

ويؤكد الكاتب ضرورة الإرتياض بمكارم الأخلاق فيقول : وأولى ما إختاره الإنسان لنفسه ولم يقف دون بلوغ الغاية منه.. ولم يرض بالتقصير عن نهايته تمامه وكماله.. ومن تمام الإنسان وكماله أن يكون مرتاضاً بمكارم الأخلاق ومحاسنها ، ومنزهاً عن مساوئها آخذاً فى جميع أحواله بقوانين الفضائل ، عادلاً فى كل أفعاله عن طرق الرذائل..

وإذا كان ذلك كذلك.. كان واجباً على الإنسان .. أن يجعل قصده إكتساب كل شيمة سليمة من المعايب ، ويصرف همته إلى إقتناء كل خيم كريم خالص من الشوائب ، وأن يبذل جهده فى إجتناب كل خصلة مكروهة رديئة.. ويستفرغ وسعه فى إطراح كل خلة مذمومة دنيئة.. حتى يحوز الكمال بتهذيب أخلاقه ، ويكتسى حلل الجمال بدماثة شمائله ، ويباهى بحق أهل السؤدد والفخر.. ويلحق بالذرى من درجات النباهة والمجد..

إلا أن المبتدىء يطلب هذه المرتبة ، والراغب فى بلوغ هذه المنزلة.. ربما خفيت عليه إنحلال المستحسنة التى بغيته تحريها.. ولم يتميز له من المستقبحة التى غرضه توفيها ، لذلك كان لكتاب تهذيب الأخلاق خطة..

خطة الكتاب :

وخطة الكتاب توجب على المؤلف أن يقول فى الأخلاق قولاً يبين فيه.. ما

الخلق ، وما علته ، وكم أنواعه وأقسامه.. وما المرضى منها.. المغبوط صاحبه ، والمتخلق به.. وما المستثنى منها.. الممقوت فاعله والمتوسم به.. ليسترشد بذلك من كانت له همة سنية تسمو إلى مباراة أهل الفضل.. ونفس آبية تنبو عن مساواة أهل الدناءة والنقص..

ويدل الكتاب على طريق الإرتياض بالمحمود من أنواعه.. والتدرب به.. وتنكب المذموم منها ، وتجنبه حتى يصير للمرتاض به ديدنا وعادة.. وسجية وطبعاً.. ليهتدى به من نشأ على الأخلاق السيئة وألفها... وجرى على العادات الرديئة وأنس بها..

ومن خطة الكتاب أن يصف الإنسان التام المهذب الأخلاق ، المحيط بجميع المناقب الخلقية ، وطريقته التى يصل بها إلى التمام.. وتحفظ عليه الكمال ليشتاق إلى صورته من تشوف إلى الرتبة العليا، ويحن إلى إحتذاء سيرته من إستشرف الغاية القصوى..

وقد يتنبه أيضاً بما نذكره.. من كانت له عيوب قد إشتبهت عليه ، وهو مع ذلك يظن أنه فى غاية الكمال.. فإن من هذه حاله ، إذا تكرر عليه ذكر الأخلاق المكروهة.. تيقظ لمَ فيه من ذلك ، وأنف منه ، وإجتهد فى تركه والتنزه عنه.. وكذلك إذا تصفح الأخلاق المحمودة من كان جامعاً لأكثرها.. عادماً لبعضها. قرم إلى التخلق بذلك البعض الذى هو عادم له.. وتاقت نفسه إلى الإحاطة بجميعها...

وقد ينتفع مما نذكره أيضاً ، من كان فى غاية التمام والكمال ، فإن المهذب الأخلاق.. الكامل الآلات.. الجامع المحاسن.. إذا مرّ بسمعه ذكر الخلائق الجميلة ، والمناقب النفيسة ، ورأى أن تلك هى عادته وسجاياه ، كانت له بذلك لذة عجيبة ، وفرحة مبهجة، وكما أن الممدوح يسر إذا ذكر المادح محاسنه ، ونشر فضائله ، فإنه أيضاً إذا وجد أخلاقه مدونة فى الكتب ، موصوفة بالحسن ، كان ذلك داعياً إلى الإستمرار على سيرته والإصرار على طريقته..

وهكذا يصبح كتاب تهذيب الأخلاق.. نوراً لمن يحيا فى ظلمة البعد عن الأخلاق.. ومزيد من النور ، لمن يحيا فى نور الأخلاق.. تهذيباً لمن يحتاج أى تهذيب ، وتشجيعاً لكل من سلك دروب الأخلاق ، سعيداً بها...

٥٣- وإنتصرنا بالسلام للسلام

نهار الأربعاء : فى نهاية الأربعاء السادس والعشرون من مايو ٢٠٠٤ .. أقيمت فى « نيفاشا» سرادق الأفراح.. وكانت السرادق كلها كما قالوا أخضر فى أخضر.. مفارش خضراء.. عشب أخضر.. وكأنهم يرسمون جزءاً من معالم علم السودان ، وهو اللون الأخضر.. وإمتلأ المكان بالزغاريد والأفراح.. وكان الجو بارداً فى « نيفاشا».. بينما كان حاراً فى الخرطوم...

وكانت نيفاشا فى إحتياج لبرودة الجو حتى لا تزداد التوترات.. وكانت الخرطوم فى إحتياج للإعداد للقاء حار جداً مع مجىء المفاوضين برئاسة النائب الأول الذى بذل وبحكمة وذكاء ، وعدم تهاون وقتاً كبيراً ، وجهداً وفيراً من أجل السلام ، ولكن اللحظات الأخيرة كانت صعبة ..

وكان نهار الأربعاء طويلاً ، وفى كل مرة يعتذرون.. وفى نفس الوقت يتحركون من حجرة الحكومة إلى حجرة المعارضة، لكى يصلوا إلى إتفاق ، وكان لابد أن نصل إلى السلام بالسلام .. وأن ننتصر للسلام بالسلام.. ولقد تخطى المفاوضون آخر عقبات السلام.. وجاء السلام قافزاً على الجبال.. منتصراً على التلال.. وكل مرتفع إنخفض أمام السلام..

وإحتوى ملاك السلام تاريخنا الجديد.. وتم التوقيع على إتفاقية السلام .. ولم يبق سوى بعض الإجراءات الشكلية ، والتى سوف تسر بسرعة البرق بمشيئة الله ،وبصبر المتفاوضين ، ودعاء المصلين ، وركعات الراكعين ، وخشوع العابدين..

وقال النائب الأول فى مهرجان السلام : إن هذا اليوم هو يوم للسودان ، ونحمد الله أن وفقنا لهذا الإنجاز ، وهدانا السبيل.. ولقد بدأنا المشوار بإعلان شراكة سياسية بين الحكومة والحركة الشعبية.. أما الحركة وقد صارت لها حركة نحو البركة ، فقد قال قائدها وهو يحب ويهوى التسلق على الجبال : إنه قد تجاوز كل الجبال فى طريق السلام ، وإننا وصلنا إلى قمة التل..

وفى اليوم الآخير تخطى عدة تلال لكى تتم المصالحة.. ولكى يتم العمل على أساس العدل والمساواة لجميع أبناء الشعب ، بجميع تنوعه العرقى والدينى.. وتجتمع كل الطاقات معاً للبناء والتعمير ، بدلاً من الهدم والتدمير.. وبالتعاون سوف

يتم القضاء على الفساد.. والحفاظ على الوحدة الوطنية..

ولدى قراءاتى لكل تعليقات أقطاب الحركة الشعبية ، رأيت حرصهم جميعاً على الوحدة الوطنية ، وعدم رغبتهم فى تقسيم السودان ، وهذا أمل الكثيرين ، وسوف يتحقق هذا الأمل بحرصنا على أن نحافظ على بعضنا البعض ، ونزيل المسافات التى كانت بيننا ونلتقى معاً على جبل السلام الذى صعدنا إليه نحمل الأمل الجديد فى المستقبل السعيد .. ومعروف فى المسيحية إن الجبل الذى قدم من عليه السيد المسيح خطة العمل للمستقبل الإيمانى ، يسمى « جبل التطوييات «.. لأنه أعطى تطوييات سعيدة للمساكين.. والحزانى ، والبائسين ، والجياع إلى البر.. والعطاش إلى التقوى.. والودعاء فى الأرض.. وصانعى السلام..

بالسلام وللسلام : لقد وصلنا بالسلام إلى السلام ، لقد إنتصرنا وسرنا فى موكب الغالبين عن طريق السلام.. ولكى نحفظ المرحلة القادمة ، ليس لنا وسيلة إلا السلام.. التحدى أمامنا كبير ، ونحن ينبغى أن نكون قدر التحدى.. ونسعى للسلام.. ونجد فى إثره.. بقدر طاقاتكم سالموا جميع الناس.. وسلام الإنتصار هو سلام مستدام ، يهتم بعلاقة طيبة مع جميع البلدان.. نكون أصدقاء للكل ، بدون إستثناء.. ويكون الوطن ، هو وطن بلا أعداء.. وطن مصالحة.. وطن عندما يحيا السلام يجاهد مع بؤر التوتر لكى ينزع منه فتيل الحرب.. ويودع فيها السلام..

ولقد صرنا الأن خبراء.. صرنا مستودعاً للقيم النبيلة ، نحياها ونحياها.. ونقدمها للآخرين بعد أن كان الآخر يرفض تدخلنا ، وحجته فى ذلك : إن فاقد الشىء لا يعطيه.. ولقد أتاحت فرصة المفاوضات الطويلة ، أن يذهب كثيرون إلى نيفاشا ، ويلتقون بالنائب الأول ، وبرئيس حركة التحرير..

ولقد ذهب إليهم وفود عديدة من كل الأحزاب.. من كل ألوان الطيف السياسى.. وسارع وفد الأقباط يؤيد السلام ، وينبذ الخصام.. ويعلن إن الأقباط شركاء.. شركاء فى القرار.. شركاء فى صنع السلام.. شركاء فى المرحلة القادمة .. وذهب رجال الدين الإسلامى والمسيحى إلى هناك ، وقال « جون قرنق» : إنه درسَ الدين المسيحى على يد مندوب الكنيسة الكاثوليكية..

ورجع علماء الإسلام يتحدثون عن لباقة « جون قرنق» الذى قال لهم : ساعدونى كعلماء حتى أرفع عن الإسلام ، تهمة الإرهاب.. وأعتقد أن تضافرنا معاً من كل

أديان السودان ، سوف يكون لصالح السودان ، ولصالح السلام ، ولصالح الأديان نفسها .. فإذا كنا نعبد الله حق عبادة ونتقيه حق تقاته ، فكيف نتصارع ؟.. ولماذا لم نتفق على القواسم المشركة ، ومحطات الإلتقاء..

وأنا من أول المتفائلين ، فى أول صفوفهم أقول إننا هكذا.. سوف نتعاون معاً.. ونتضافر معاً.. وإذا كنا قد إنتصرنا بالسلام للسلام ، فسوف نحفظ مسيرة السلام بالسلام .. وسلام الله الذى يفوق كل عقل يحفظ أفكارنا فى الله ، وفى الوطن ، وفى مواطنينا..

٥٤. الهبة والواهب والموهوب

حق قانونى : تُعد الهبة حق يقدمه الواهب للموهوب.. وهذا الحق معترف به فى كل القوانين الدولية ، كحق عام.. ولكنه يخضع لشروط معينة ، يختلف فيها كل قانون عن القانون الآخر.. ونحن هنا نتحدث عن الهبة والواهب والموهوب .. إنطلاقاً من مجموعة قوانين ١٩٣٨ التى أقرها المجلس الملى ، وتعمل بها المحاكم الأن فى جمهورية السودان ، ويأتى الحديث عنها فى فصلين تحت الباب التاسع ..

أركان الهبة : تعّرف الهبة على إنها تمليك المال بلا عوض ، حال حياة الواهب.. وتنعقد الهبة بإيجاب من الواهب وقبول من الموهوب له.. وتجوز بكتابة ومن غير كتابة.. ويمكن أن تكون الهبة معلقة على شرط أو مضافة إلى زمن مستقبل فى حياة الواهب ، ولكن إذا كان التمليك مضافاً إلى ما بعد الموت إعتبر وصية.. ويجوز أن تكون الهبة بعوض متى كان العوض أقل من قيمة الموهوب..

ولا تصح الهبة إلا من بالغ ، عاقل، مختار غير محجور عليه ، وغير مضطراً أو مجبر.. ولا يجوز للولى على قاصر أن يهب شيئاً من مال القاصر.. ويجوز لكل مالك إذا كان أهل للتبرع أن يهب ماله كله أو بعضه ، سواء كان أصلاً أو فرعاً أو قريباً أو أجنبياً منه..

والموهوب ينبغى أن يكون موجود حقيقة ، وأن يكون معلوماً ، ويمكن أن تتم الهبة لقاصر أو مجنون ، وهنا تأتى الموافقة من الوصى أو ولى الأمر.. وتبطل الهبة بموت الواهب أو بفقد أهليته للتصرف قبل قبول الموهوب له.. وتصح هبة العقارات والمنقولات المادية ، كما تصح هبة الحقوق.. سواء كانت عينية مثل حق

الإنتفاع أو حق الإرتفاق أم حقوق شخصية كالديون..

ويشترط فى الشىء الموهوب أن يكون موجوداً وقت الهبة ، وأن يكون معنياً بالتحديد.. فلا تصح هبة المعدوم ، فإذا ظهر أن الشىء هلك قبل العقد أو وقت التعاقد ، فإن الهبة لا تنفذ..ولا تصح هبة المجهول ، فلا يجوز أن يهب شخص بعض ماله من غير تعيين.. ويصح أن يكون الموهوب شيئاً مستقبلاً كمحصول السنة القادمة أو موجوداً حكماً كحمل دابة ، أو موجوداً ضمن غيره كدقيق فى حنطة ، أو زبد فى لبن ، أو دهن فى سمسم.. وتصح هبة المتاع ، سواء كان يقبل القسمة أو لا يقبلها.. وتصح الهبة ولو كان الشىء الموهوب متصلاً بغيره.. وتصح هبة الدين سواء كانت لمدين أو غيره..

نقض الهبة : ويجوز للواهب بحسب القوانين الكنسية الرجوع فى هبته كلها أو بعضها فى ثلاث أحوال :

١. إذا حدثت الهبة فى وقت لم يكن للواهب ولد ، ثم رزق بعد ذلك بولد..
٢. إذا أخلّ الموهوب له بالشروط التى حصلت بها الهبة..
٣. إذا إعتدى الموهوب له على حياة الواهب أو عامله بقسوة زائدة أو كبده خسارة عظيمة أو أوقف.. وفى مثل هذه الأحوال يكون للواهب الحق فى إسترجاع الشىء الموهوب بعينه ، إن كان لا يزال موجوداً على حاله ، ولم يخرج من ملك الموهوب له ، وإلا فله حق المطالبة بقيمته..

عدم الرجوع فى الهبة : ويمنع الرجوع فى الهبة فى الحالات الآتيـــــة :

١. إذا مات الواهب أو الموهوب له بعد قبض الهبة ..
٢. إذا هلكت العين الموهوبة فى يد الموهوب له أو إذا أستهلكت.. وإن تم إستهلاك البعض ، للواهب حق إرجاع الباقى..
٣. إذا كان الواهب قد تلقى تعويضاً عن الهبة.. ويكون الرجوع فيما لم يعوض عنه ، وليس له الرجوع فيما عّوض..
٤. وإذا زادت العين الموهوبة زيادة متصلة بحيث يترتب على إسترجاعها

ضرراً للموهوب له فى حاله ، فليس للواهب إسترجاع الموهوب بذاته ، بل المطالبة بقيمته..

هبة اللــه: ولقد عرفنا الهبة فى الكتاب المقدس.. فلقد وهب بنى حث لإبراهيم حقلاً ، لدفن ساره زوجته ، وشعر هو بالإمتنان لهذه الهبة ، ورفض صاحب الحقل أى ثمن (تكوين٢٣).. وعلى مستوى الشعب ، وهب شعب إسرائيل سبطاً كاملاً إلى هرون ، رئيس الكهنة ، لكى يقوم هذا السبط وهو سبط لاوى ، بخدمة الكهنوت (عدد٨)..

وفى العهد الجديد ، نرى إن بيلاطس وهب جسد يسوع ليوسف الرامى ، أما هبة الله لنا فهى حياة أبدية (روميه ٦:٢٣).. لأن الله وهب لنا المواعيد العظمى(٢ بطرس ١:٤).. لأن الله الذى لم يشفق على إبنه ، بل بذله لأجلنا أجمعين ، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شىء (روميه٨:٣٢)..

ولكل واحد أعطيت نعمة حسب قياس هبة المسيح (أفسس ٤:٧).. كما إن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى ، بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة (٢بطرس ١:٣).. وملك الملوك إذا وهب ، لا تسألن عن السبب ، الرب يعطى من يشاء.. فقف على حد الأدب....

٥٥- من الطــارق ؟

فى سفر الرؤيا ليوحنا اللاهوتى ، نقف أمام لوحة فنية متكاملة عن السماء.. وخلال هذه اللوحة تتعرف على السماء.. ونقف بأبوابها.. وندخل إلى ردهاتها الداخلية.. وتلتهب قلوبنا بمشاعر روحية عميقة ، تدفعنا إلى طريق السماء..

ويقدم لنا سفر الرؤيا ، السيد المسيح وهو يدعونا إلى طريق السماء.. ويقف بأبوابنا.. ويقرع.. منتظراً تجاوبنا عندما نجمع قوانا ، وتقرر إرادتنا الحرة ، أن تفتح الباب له..

على الباب: ويقول السيد الرب : هأنذا واقف بالباب وأقرع.. إن سمع أحد صوتى.. وفتح الباب.. أدخل إليه، وأتعشى معه.. وهو معى.. ومن يغلب فسأعطيه أن يجلس معى فى عرشى.. كما غلبت أنا أيضاً.. وجلست مع أبى فى عرشه (رؤيا٣:٢٠،٢١)..

معنى الرؤيا : إن البيت هنا ، حياتنا الخاصة.. والباب هو القلب .. والقلب هو القلعة التى ليسمن حق أى أحد أن يطأ حدودها إلا بإرادة صاحبها.. وبالباب يقف طارق ، يطلب الدخول.. ومن حقك أن تفتح له ليدخل.. ومن حقك أيضاً أن تتركه على عتبة الباب ، حتى تمتلىء رأسه من الطل.. وقصصه من ندى الليل.. وإذا شئت أن تفتح له، لابد أن تكون لك إرادة الغالبين.. وإصرارهم.. وقوة شجاعتهم..

لماذا يقف بالباب: إنه يقف.. لأن دخوله إلى قلوبنا ، ليس دخولاً إجبارياً..إنما هو دخول إختيارى.. إن الله فى إمكانه أن يدخل والأبواب مُغلّقة.. إنما هذا لا يحدث إلا إذا دعوناه.. لقد آثر الطارق أن يكون سائلاً رغم أنه من الممكن أن يكون آمراً.. فوقوفه إذن هو تأكيداً لحرية الإنسان..وهو بحسب معنى كلمة واقف..جاء ووقف .. وظل واقفاً.. وما زال حتى الأن يقف.. إنه واقف يقرع على أبواب قلوبنا.. يرفض القسر.. ونحن قد تركناه.. ولكنه سوف يظل واقفاً حتى نفتح ونسمح له بالدخول..

لوحة نور العالم: رسم الفنان « هولمان هنت « لوحة فنية رائعة ، تعبر عن موضوع حديثنا.. والفنان هو أحد كبار الفنانين فى القرن التاسع... وقد رسم هذه اللوحة مرتين... وبين المرتين أربعين عاماً وأودعت اللوحة الأولى فى كنيسة جامعة أكسفورد.. واللوحة الثانية فى كتدرائية القديس بولس بلندن..

وصف اللوحـــة: والوصف هنا لصحيفة « التايمز « الصادرة فى مايو ١٨٥٤ .. حيث تقول :

١. فى الجنب الأيسر من الصورة نرى « باب البشرية» ، وقد أحكم غلقه بالمزاليج.. وقد علاها هى والمسامير التى تتشبث بها الكثير من الصدأ..
٢. راعىَ الفنان أن تظهر فوق الدرج نباتات متسلقة ، كتلك النباتات الذاتية النمو ، والتى لم يضع بذارها إنسان ، وذلك لكى يؤكد الفنان إن هذا الباب لم يفتح قط لإنسان..
٣. فى اللوحة نرى السيد المسيح ، وقد دنا فى ظلمة الليل الرهيب.. وهو يلبس حلة ملوكية.. وعلى رأسه إكليل من شوك ، وقد أمسكت يسراه بسراج منير ، فى حين كانت يمناه تهم بقرع

الباب..

٤. وقد تعمد الفنان أن يكون تصميم الباب ، تصميماً لا يسمح إلا بأن يفتح من الداخل.. فليس فى الباب رتاج.. أو مزلاج... وهذا يعنى إننا ، إن لم نفتح من عمق أعماقنا ، ومن تصميم إرادتنا ، فلن يدخل الطارق على الباب ، إلى حياتنا..

إفتحوا الأبواب : إن اللوحة لن تكتمل إلا إذا فتحنا الباب.. إفتحوا الأبواب إذن.. ليدخل ملك المجد.. ويقودنا إلى طريق المجد.. لكى نسلك فى النور.. ونثبت فى النور.. ونحيا فى النور.. إن الله هو نور العالم.. ومن يتبعه لا يسلك فى الظلمة .. مرحباً بالطارق.. وها هىّ أبواب قلوبنا مفتوحة له...

٥٦. القراءة مسيرة نحو الثقافة

أهمية القراءة : تُعد القراءة مسيرة نحو الثقافة.. والإنسان كائن حر ، مريد ، عاقل.. وموهبة العقل تقتضى أن نعرف بالقراءة وبالإستماع .. وتأتى أهمية القراءة من واقع روحى ، حيث كان السيد المسيح يسأل رجال الدين فى اليهود ويقول لهم : أما قرأتم ما فعله داؤد ؟.. أما قرأتم أن الذى خلق من البدء ، خلقهما ذكراً وأنثى ؟.. أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضعان هيأت سبحاً ؟.. أما قرأتم هذا المكتوب ؟..

وكان السيد المسيح عندما يدخل إلى مجمع اليهود يأخذ السفر ليقرأ.. وكان سؤال فيلبس لأول سودانى مسيحى ، وهو وزير كنداكة : ألعلك تفهم ما أنت تقرأ ؟.. ونصيحة بولس الرسول إلى الأسقف تيموثاوس : أعكف على القراءة.. وأناشدكم الرب أن تقرأ هذه الرسالة..

ولقد سأل السيد المسيح شاباً ناموسياً ، وقال له : كيف تقرأ ؟.. وهذا هو مفتاح القراءة.. كيف تقرأ ؟.. وتأتى الإجابة فى محاضرة «الوجه الإنسانى للثقافة « ، حيث يقول : فالمراد من الكتب الأن هو قراءتها ، إلا أنه ينبغى أن يضيف الناس إلى القراءة حب الإستطلاع والقدرة على الإستيعاب ، ذلك لأن عدم إستيعاب الكتاب الذى تقرؤه أمر شبيه بعدم القدرة على هضم الطعام الذى تأكله..

فالقراءة يجب أن لا تكون وظيفة سلبية ، بل إيجابية ، وأعتقد أن «ج.ك

تشسترتون»، هو الذى قال: إن هناك فرقاً شاسعاً بين الإنسان الشغوف الذى يريد أن يقرأ كتاباً ، وبين الإنسان الملول ، الكسول ، الذى يريد كتاباً ليقرأ فيه.. كذلك فإننى سمعت قصة بغيضة فحواها إن رجلاً ذهب إلى مكتبة فى إنجلترا وقال : هل أجد لديكم كتاباً أستطيع أن أقرأه أثناء إستماعى للمذياع ؟.. وأعلم أيضاً أن بعض الناس يقولون عن بعض الكتب : إنها سوف تدر عليك النوم بعد الصفحات الأولى فيها..

وما أكثر المقالات التى كتبت ، قديماً وحديثاً ، عن القراءة، ومع ذلك فليس بينها ما يمكن أن يكون نظيراً لمقال « فرانسيس بيكون».. وربما أن كثيرين منكم يعرفون النص الذى أفضل أن أتلوه عليكم الأن.. لأنه جدير بأن تسمعوه مرة ثانية.. ولأن « لبيكون «.. ذاته أسلوباً فى كتابة المقال، ينبغى أن يدرسه كل المتطلعين إلى الثقافة..

وفيما يلى ما كتبه ، تحت عنوان « مقال عن الدراسات «.. الدراسات مهمتها إشاعة البهجة والتباهى وإسباغ القدرة ، وفائدتها الكبرى من حيث إشاعة البهجة ، تتمثل فى خلوة الإنسان بنفسه ، وتمتعه بخصوصيته ، ومن حيث التباهى تتمثل : فى تمكينه من الحوار ، ومن حيث القدرة فتتمثل فى تمكينه من إصدار الأحكام والتصرف فى شئونه.. فالخبراء قادرون على التنفيذ ، وربما البت فى التفاصيل واحداً واحداً.. ولكن المتعلمين هم أقدر الناس على إسداء النصح العام، وعلى تدبير الشئون وإداراتها.. فالخبثاء يزدرون الدراسات ، والبسطاء يعجبون بها.. والحكماء يستفيدون منها، فإقرأوا أوامر ليس من أجل المناقصة أو الرفض.. وليس من أجل التسليم بصدق ما تقرأون .. وليس جرياً وراء القدرة على التحدث والحوار.. وإنما من أجل إمعان الفكر وإنعام النظر..

ومن الكتب ما يمكن قراءته بالوكالة ، وتلك هى الأنواع الرديئة من الكتب ، فالكتب المنقاة من الشوائب تروق للعين مثلما تروق لها المياه المقطرة.. وهكذا فالقراءة تصنع الإنسان الكامل.. والتحاور يجعله جاهزاً للفكر.. والكتابة تعلمه الدقة.. كذلك فالتاريخ يعلم الناس الحكمة.. والشعر سرعة البديهة.. والرياضيات حدة الذهن.. والفلسفة الطبيعية التعمق فى الفكر..والأخلاق الجدية ، والمنطق والخطابة القدرة على المجادلة.. وبناء عليه .. فإذا كان الذهن حائراً، فعلى صاحبه

أن يدرس الرياضيات.. وإذا كان غير قادراً على التمييز ، فعليه أن يدرس ما كتبه أساتذة الجامعات فى العصور الوسطى.. وإذا لم يكن قادراً على البت فى الأمور والإستشهاد بشىء ، على صحة شىء ، فعليه أن يدرس قضايا رجال القانون.. وهكذا نجد إن كل داء يصيب العقل ربما يكون له دواء مناسب..

دخول المكتبات : وعندما يدخل طلاب العلم مكتبة لأول مرة ، فقد يتحاورون على إختيار ما يمكن أن يقرأوه من مجموع المواد المختلفة المطروحة أمامهم.. وهنا يضحك « بيكون» بأن تنظر إلى الوصلات الضعيفة فى درع المعارف الذى تتسلح به.. ويدلك على كيفية سد الثغرات الماثلة فى هذه المعارف..

ومن ناحية أخرى لا جدوى مطلقاً من مجرد محاولة حشو الذهن بالمعارف.. فالمعارف فى حد ذاتها غالباً ما لا تزيد على كونها مادة لا تسمن ولا تغنى من جوع.. والعقل المثقل بالمعارف أشبه بغرفة مكتظة بقطع الأثاث إلى الحد الذى يجعل من العسير على الإنسان أن يجول بحرية فيها أو أن يطل من نوافذها..

ويستطيع زائر المكتبة أن يركز على عدد من المواد التى تجتذب إهتمامه.. كالجغرافيا والتاريخ والفنون والعلوم.. وأن يمر مرور الكرام على ما عداها من مواد.. فذلك أفضل كثيراً من أن يخوض بوجه متجهم ونفس ملولة فى المواد كافة.. كأنه سائح فى متحف يطوف على المعروضات ولا يستثنى منها شيئاً..

ومع ذلك لا روق له منها شىء.. فإنك إن حاولت أن تجيد المواد جميعاً فقد تقطع شوطاً طويلاً من طريق الحكمة.. ولكنك ستفقد جانباً كبيراً من إنسانيتك.. وربما تفقد جميع أصدقاءك.. ولهذا يجب عليك أن تتعلم كيفية التمييز.. وأن تتعلم أيضاً كيف تنتقل بين صفحات الكتاب فى المكتبة ، كما ينتقل البعير فى المرعى.. فإنك إذا تابعت بناظريك بعيراً فى المرعى لرأيت إنه ، وإن كان من المفترض أنه واحد من أغبى الحيوانات فى الدنيا.. فإن لديه سمة واحدة على الأقل من سمات الإنسان المثقف.. ألا وهى القدرة على التمييز.. وعليه فطالب العلم الباحث عن الغذاء المعنوى من المكتبة ، يجب أن يتخذ من البعير مثالاً يحتذى ..

فالبعير يتحرك فى جنبات المرعى ويقضم الكلأ من هنا أولاً ومن هناك ثانياً..

وأحياناً من أوراق الشجر التى هى بمثابة الرفوف العليا فى المكتبة.. أو من الشجيرات التى هى بمثابة الرفوف الوسطى ، أو من الحشيش النامى على الأرض الذى هو بمثابة الرفوف الدنيا.. وهو يقضم أملوداً ويلوكه قليلاً ، فإن إستساغ طعمه قضم أملوداً ثانياً.. أما إذا وجده تفهاً أو مر المذاق ، فإنه يلفظه وينصرف عنه إلى شجرة أخرى..

وفى بعض الأحيان تراه يعود أدراجه إلى الشجرة الأولى بعد أن يكون قد تذوق العديد من الأشجار والنباتات... وينتهى به المطاف بالمناخ حيث يشرع فى الإجترار.. وبالمثل فالإجترار الذهنى عملية بالغة الفائدة بالنسبة للإنسان.. تماماً كالإجترار المادى بالنسبة للبعير.. فكلاهما يساعد على الهضم والإستيعاب..

دعوة للقراءة:

ولقد قدم سير» دوجلاس « دعوة ليس للقراءة فقط ، إنما للوجه الإنسانى للقراءة .. وتستمر دعوة مفتوحة للإنسان أن يقرأ .. إقرأ بإسم ربك الذى خلق.. إقرأ وربك الأكرم.. الذى علم بالقلم.. علم الإنسان ما لم يكن يعلم..

وعندما نفهم معنى الحياة نكون نحن أنفسنا رسالة مقروءة من جميع الناس.. وسوف يظل الكتاب وسيلة من وسائل الثقافة ، وتظل القراءة معبر نحو الثقافة.. والذى يقرأ ويفهم ، يشعر بعمق الكلمات ، بل يدخل إلى ما وراء الكلمات ويحيا أعماقها ويقدمها لغيره..

ونحن والحمد لله فى السودان شعب يحب القراءة.. ويحب أن يفهم.. وشعبنا شعب مثقف ، لأنه يقرأ ، ولأنه يفضل الجريدة أحياناً على رغيف الخبز.. وفى كل صباح ترى المواطن السودانى يجرى نحو المواصلات وفى يده جريدة يمسك بها .. أرجو أن يستمر الإقتناع بالقراءة لأنها مسيرة مجيدة نحو الثقافة بكل معانيها.. وبالوجه الإنسانى فيها..

٥٧. سوف نهزم فقدان المناعة

خطورة المرض: وصل بنا الحال فى السودان إلى مرحلة الخطورة فيما يتصل بمرض فقدان المناعة أو الإيدز.. وإذا كان هذا المرض هو أزمة أخلاق وضياع قيم ، وفقدان الطريق ، فإن الله هو الطريق والحق والحياة.. ورسالتنا فى غرس الفضيلة ، رسالة لها حق الإستمرارية ، ولها حق النفاذ إلى قلوب شباب هذا الجيل.. إن أزمة الأخلاق سببها إعتبار الأخلاق أمراً حكومياً يلتزم به ، والأخلاق لا تأتى بأوامر الحكومة، إنما تنبع من قناعة الإنسان...

لقد كان يوسف الصديق شاباً غضاً.. جميلاً هادئاً.. عرضت عليه الخطيئة ولكنه رفضها.. وقال : كيف أصنع هذا الشر العظيم وأخطىء إلى الله ؟.. نعم الخطية هنا موجهة نحو الله الذى خلقنا فى الطهارة ، ونحن ننحرف عن الطهارة.. إن جسد الإنسان هو هيكل لله .. وروح الله ساكن فيه.. ومن يفسد هيكل الله.. يفسده الله.. وسوف يدمر روحياً.. ويتساقط إلى هاوية عدم الإلتزام بالأخلاق..

إن بلادنا وبكل أسف تعيش حالات فقدان المناعة فى تصاعد مستمر.. ويتوقع الدارسون زيادة كبيرة فى أعداد المصابين بالإيدز لأن هناك أشخاصاً يحملون الفيروس .. وإنتهتِ لديهم فترة حضانته.. ولأن كثيرون يعيشون الإنحراف دون وازع من ضمير .. ولأن الظروف الإقتصادية المتردية جعلت كثيرين يبيعون أنفسهم للخطية رغم إننى مقتنع جداً إنه ليست الظروف الإقتصادية هى السبب ، إنما السبب هو الإنحراف عن جادة الحق.. ولن يقبل الله لنا عذراً ، عندما ندنس حياتنا بشر الخطية.. ونحرق أنفسنا بنار الشهوة..

لقد قامت إحدى الجهات الرسمية بحملة بأحد شوارع العاصمة لفحص عشوائى للإيدز لمواطنين من راكبى السيارات بعد الحادية عشر ليلاً ، وإستمرت الحملة لمدة أسبوع ، بعدها تم فحص عينات الدم وكانت النتائج حزينة بائسة ، حيث أن أربعين فى المائة من المواطنين الذين تم فحصهم ، وجدوا مصابون بالإيدز ، ومحتضنين لمكروبه القاتل فى دمائهم دون علمهم..

كيف نهزم المرض ؟:

ولكى نهزم المرض علينا أن نمر بمحطات هامة فى حياتنا وهى :

١. أن نعترف بأن هناك أزمة.. وإن هذا المرض موجود.. ولا داعى

أن نقول كل شيء تمام التمام كما يقولون بدون الإعتراف بأن هناك مشكلة ، لن نقدر أن نحارب المشكلة ونهزم معاً هذا المرض.

٢. أن نتعلم كيف نتعامل مع مريض الإيدز ، تعاملاً إنسانياً .. راقياً.. هو مخطيء.. وقد يكون ضحية.. ضحية لمريض آخر.. أو ضحية لصديق شرير.. أوضحية لإستهتار مستهتر بالقيم.. والعلاج أن نمد إلى المريض يد المساعدة والعون.. لا نحتقره.. ولا نسخر به.. إنما نعاونه أن يقوم من كبوته.. ولا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.. وقال السيد المسيح : لم أت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة.. والسماء تفرح بخاطيء واحد يتوب ، أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى التوبة.. ولا تشمتي بي يا عدوتي ، لأني إن سقطت أقوم.. ومن يسقط الرب يقيمه ، إن أراد أن يتقدم للرب ، تائباً ، راجعاً إلى نفسه ، مغيراً لمسار سلوكه..

٣. تكثيف العمل الوقائي والتوعية في وسط طلبة الجامعات ، وهكذا وسط الطالبات ، لأن درهم وقاية خير من قنطار علاج.. وكنا كما يقولون : إذا بليتم فإستتروا ، ولكن الخطر قادم وليست هناك سترة في هذا المرض ، فالأعراض تظهر ، والأخطار تتلاحق ، وعلينا أن نعمل شيئاً قبل فوات الآوان..

٤. إن الثقافة مطلوبة ومادة فقدان المناعة ينبغي أن تدرس في الجامعات ، حفاظاً على المجتمع الطلابي ، حتى يتخرج هذا الجيل واعياً بمخاطر هذا المرض ولعناته.. وينبغي أن تستمر حملات التوعية ، وتنتشر في كل ولايات السودان حتى نستقبل السلام ونحن على مستوى طاهر عفيف..

العفاف هو الحل : إن العفة هي الحل.. كيف نحيا العفاف؟.. كيف يكون شبابنا طاهراً وعفيفاً ؟.. إنني أقرأ في عصر الشهداء.. عن شهداء العفة ، وأتمنى أن يتمسك بها جيلنا هذا.. أقرأ عن شاب أمسك به العتاة الظلمة وقيدوه ، وأتوا إليه

بإمرأة لعوب ، لكى تفقده عفافه ، فما كان منه إلا أن قطع لسانه وسال الدم ، وهربت المرأة اللعوب إلى جنون ، وفقدان إتزان.. لأن هذا الشاب الطاهر رفضها ، ورفض الخطية والشر ، وضحى بلسانه ودمه الذى تطاير..

وأقرأ عن البطل مارجرجس الرومانى ، الذى لم يقدر المشركون عليه .. ولم يقدروا أن يغيروا عزيمته عن مسيحية التوحيد.. فما كان منهم إلا أن أرسلوا إليه فتاة جميلة ، لكى تداعب شهواته.. ولكنه بدلاً من أن يرتمى معها فى بحر الرذيلة، رفعها معه على جواد الفضيلة.. وهى ترسم وراءه على جواد الظفر والإنتصار ، لأنه لم يخضع لسلطة الخطية..

وأقرأ عن الفتاة يوستينا التى رفضت الزواج بالملك.. لا لشىء إلا لأنه غير مؤمن بالمسيح مثلها.. ورفضت الخضوع ، وظلت قوية بالله ، عفيفة طاهرة أمامه..

وأرجو أن نلتزم بدعوة أهل الروح ، بأن نحيا طاهرين أمام الله.. والطهارة عمل روحى ، وتدريب مجيد يتجدد فيه الإنسان ويحيا طاهراً ، نظيفاً ، نقياً أمام الله.. يسلك بلا عيب ، يحيا طهارة اليدين والقلب والجبين.. حتى الصلاة ينبغى أن نكون طاهرين فيها أمام الله.. حتى تستمر صلاتنا به.. والطهارة هى طهارة داخلية باطنية.. ليس شىء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه ، لكن الأشياء التى تخرج منه هى التى تنجس الإنسان.. لأنه من الداخل ، من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة
(مرقس ٧)..

وفى المزامير دعوة لحياة الطهارة ، تبدأ بالمزمور الأول ، طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار ، وفى طريق الخطاة لم يقف، وفى مجلس المستهزئين لم يجلس.. وتمر المزامير تعلمنا أن الطهارة هى التى بها نهزم أمراض كل عصر.. وندخل بها إلى قدس أقداس الله .. من يصعد إلى جبل الرب ، ومن يقوم فى موضع قدسه ، الطاهر اليدين ، والنقى القلب ، الذى لم يحمل نفسه إلى الباطل (مزمور ٢٤)..

لا تمسوا نجساً فأقبلكم ، وأكون لكم أباً ، وتكونون لى بنين وبنات.. وإذ لنا هذه المواعيد لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح ، مكملين القداسة فى

خوف الله.. نعم نحن بالأخلاق سوف نهزم مرض فقدان المناعة ، بطهارة القلب ، وطهارة الجسد ، وطهارة الروح ، حتى نحيا فى هدوء.. ونشيد صرح وطننا العظيم فى سلام.. والسلام قادم ، والإحتياج إلى شباب قوى طاهر ، عفيف ، لبناء السودان الجديد الطاهر ، الذى سوف يكون سماء للخير ، ورخاء للكل..

٥٨. ثقافة الإعتذار

مرحلة جديدة: نحن والحمد لله قادمون على مرحلة جديدة فيها وبمشيئة الله سوف يتم السلام ويبدأ إعمار ما خربته الحرب.. وإعمار ما خربته الضمائر الخربة.. وما حدث من سلبيات عديدة مثل تشريد الكثير من الموظفين للصالح العام ، وهناك من فصلوا وهم فى ريعان الشباب.. ولم يكن التشريد إطلاقاً للصالح العام ، ولكنه حدث وتعددت مذابح الصالح العام فى البنوك بدءاً بشيخ البنوك ، وفى المؤسسات والوزارات ومرافق الدولة..

ومرحلتنا القادمة تحتاج إلى رفع المظالم عن المظلومين.. وإعادة من شردوا.. ورد الحقوق إلى أصحابها.. وهذا يحتاج منا إلى أن نتبنى « ثقافة الإعتذار».. وأن يعتذر كل مخطىء عن خطاياه.. والإعتذار فضيلة.. لأن الإعتذار رجوع إلى الحق.. والرجوع إلى الحق فضيلة نبيلة.. وثقافة الإعتذار هى ثقافة روحية ويقول البعض : إن خطأ آدم ليس إنه أكل من الشجرة المحرّمة ، إنما خطيته إنه لم يعتذر ، رغم أن الله فتح أمامه باب الإعتذار عن طريق الحوار معه.. والسؤال عنه.. آدم آدم أين أنت ؟.. هل أكلت من الشجرة التى منها مُنعت ؟.. ولم يعتذر آدم ، ولم يعترف أنه أخطأ ، إنما ألقى المسئولية على المرأة.. المرأة التى أعطاها له الله.. المرأة التى جعلتها معى هى التى أعطتنى من الشجرة فأكلت.. وفتح الرب باب الإعتذار أمام حواء وقال لها : ما هذا الذى فعلت ؟.. ولم تعتذر المرأة ، ولكنها ألقت باللائمة على الحية الناعمة الملمس ، وقالت : الحية غرتنى فأكلت ، ولقد وقعت حواء تحت دائرة الإغراء ولم تقدر أن تقف أمام إغراء الحية.. وهكذا لم يعتذر آدم ، ولم تعتذر حواء..

وفى أول أسرة فى العالم حدث إختلاف حول الذبيحة المقدمة لله.. الإختلاف حول الله نفسه.. بنى آدم قايين وهابيل.. قدما كل واحد ذبيحة من نوع ما.. وتقبل من

أحدهما ولم يتقبل من الآخر.. وهذا الذى لم يتقبل منه ، ثار وفار.. وإنفعل وتوتر.. وقتل أخاه الشقيق الوحيد.. وعندما سأله الله : قايين.. أين أخوك هابيل ؟.. كانت الإجابة غير مهذبة : أحارس أنا لأخى؟

كان باب الإعتذار مفتوحاً أمام قايين ، ولكنه لم يعتذر.. ولو إعتذر ، لمَ ظلّ هكذا طريداً للعدالة.. هارباً من صوت ضميره.. وكان عذره إنه لا يعرف ما هو القتل.. لقد إنفعل.. وإرتفعت درجة إنفعاله غلياناً ، جعله يقتل أخاه.. ولو إعتذر ، لكان الرب قد قبل إعتذاره.. وعرفه كيف يكون ودوداً مع أخيه ، ومحباً له.. ومتسامحاً فيما يحدث..

وثقافة الإعتذار موجودة فى العلاقة بين الإنسان والله.. وهنا تأتى نصوص القرآن الكريم : والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ، ذكروا الله ، فإستغفروا لذنوبهم.. وما كان الله معذبهم ، وهم يستغفرون.. الذين يقولون : ربنا إننا آمنا، فإغفر لنا ذنوبنا.. ربى إغفر لى ولأخى ، وأدخلنا فى رحمتك.. أنت ولينا ، فأغفر لنا وأرحمنا ، أنت خير الغافرين.. فإغفر للذين تابوا ، وأتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم..

أدب الإعتذار : وأدب الإعتذار ، أدب عميق.. وهو نفسه أدب الإعتراف.. فالذى يعترف بأنه أخطأ يعتذر لمن أخطأ.. ويطلب المغفرة.. وفى الصلاة الربانية : إغفر لنا ذنوبنا.. كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا.. ولقد كتب القديس أوغسطينوس كتاباً كاملاً يعترف فيه عن كل خطاياه ، منذ مولده حتى تجديده إيمانياً... لقد أراد الحياة الطاهرة ، وكان لابد أن يعترف ويعتذر.. ويوسف الصديق.. إعتذر له أخوانه إعتذاراً شديداً.. وكان هو قوياً وقبل الإعتذار.. وقال لهم : أنتم قصدتم بى شراً ، أما الرب فقصد به خيراً.. أى إن الشر نفسه صار خيراً ليوسف..

وأيضاً فى قصة يعقوب مع أخيه عيسو.. كان بينهما صراع نحو البركة والبكورية .. وتمكن يعقوب فى جلسة مرح أن يأخذ البكورية من عيسو ويشتريها بأكلة عدس.. وممكن أيضاً أن يسرق البركة.. وهرب بعيداً عن أخيه.. وعاش متغرباً عشرون عاماً.. وعندما أراد العودة كان لابد أن يعتذر.. ونظم يعقوب موكب الإعتذار.. وسجد أمام أخيه عيسو سبع مرات ، وقبل عيسو الإعتذار..

والأن نحن على أبواب تحقيق السلام فى السودان ، نطالب أن تسود ثقافة

الإعتذار.. وأن نعتذر عن أخطاء الماضى.. ولقد طالب الصادق المهدى الزعيم المرموق ، طالب ثورة الإنقاذ بالإعتذار.. عن الإستعلاء الدينى.. وعن الإستعلاء العرقى.. وهو يرى ، وأنا أوافقه ، إن الإعتذار سوف ينظف مرارات الماضى.. ويغسل تجاعيد الأحقاد..

وأنا أعتقد إن الإعتذار لا يكفى ، بل يجب أن يرد الحق لأصحاب الحق.. ويرجع هولاء الذين تشردوا إلى مواقع عملهم.. وتعطى لهم حقوقهم ، ولهم أيضاً حق الإختيار أن يرجعوا إلى وظائفهم أو لا يرجعون..

ولكن علينا أن نقول إننا أخطأنا فى موضوع الصالح العام ، وليس الصالح العام هو أن يفقد المواطن وظيفته.. والصالح العام يقتضى أيضاً أن نطالب الذين هربوا منا أن يعودوا إلينا..

فلقد هرب كثيرون من السودان إلى بلدان العالم الآخرى.. خسرنا بهروبهم الكثير من الكفاءات والخبرات التى نحن اليوم فى إحتياج شديد إليها.. وقبل أن نطالب الذين هجرونا ، وهجروا سوداننا ، بالعودة ينبغى أن تجهز لهم كل شىء ، لكى يعودوا مكرمين ويؤدون دورهم فى البناء بعزة وإحترام..

إعتذارات البابا : وطالما نحن نرغب فى تأصيل ثقافة الإعتذار ، مثلما نؤصل ثقافة السلام.. فلا يمكن أن لا نتكلم عن بابا روما.. ذلك الرجل العظيم الذى يُعد من أكثر الباباوات نشاطاً.. وتحركاً... والذى يستخدم التكنولوجيا.. لكى يتواصل مع الناس.. والذى يرسل ملايين الرسائل الالكترونية إلى الشباب.. والذى له من المواقف المشرفة ما يُشّرف كل مسيحى ، بل كل مواطن عالمى..

فلقد وقف ضد الحرب فى العراق ، حتى قال عنه الرئيس الآمريكى : إنه يذكر الناس بالمبادىء الأخلاقية.. ووقف ضد الإستنساخ ، داعياً العلماء لأحترام كرامة الإنسان.. وكان مبدأ البابا هو التصالح مع الماضى للإنفتاح على الحاضر، وكسب المستقبل..

وقال البابا فى جرأة قوية : إن الكنيسة يجب أن لا تخاف من الحقيقة التاريخية ، وإنها مستعدة مع شعورها بألم عميق للإعتراف بمسئولية أبنائها ، وقدم البابا العديد من الإعتذارات .. وكان الوحيد الذى إعتذر ، بينما غيره لم يعتذر حتى الأن.. وهذه هى بعض الإعتذارات :

قدم البابا إعتذاراً عن أخطاء الكنيسة الكاثوليكية فى الماضى ، وندد بإستخدام العنف فى خدمة الحقيقة،، وبالطريقة التى عاملت بها الكنيسة الكاثوليكية المارقين عن الكاثوليكية..

قدم إعتذاراً لليهود بسبب ما لحقهم من أذى على يد المسيحيين..

إعتذر للصين عن أخطاء، ربما إرتكبتها البعثات التبشيرية هناك..

إعتذر للأورثوذكس عن الخطايا التى أرتكبت فى حقهم..

إعتذر لسكان أستراليا الأصليين ، ونيوزيلندا، وأوكرانيا ، حيث أشار إلى قضية " الجيل المسروق" وهى قضية ساندتها الكنيسة الكاثوليكية ، وفيها أجبر ثلاثون ألف طفل على الإنفصال عن أهلهم ، لكى يدمجوا فى ثقافة البيض..

سادتى.. ألستم معى.. إننا فى إحتياج شديد إلى ثقافة الإعتذار ، على الأقل حتى نحظى بمغفرة الخطايا.. غافر الخطايا... والذى هو دوماً غفور، رحيم ، ولكن لمن يستغفره.. ويعتذر عن خطاياه..

٥٩. حقوق وواجبات

رحلة العمر : إن رحلة الحياة ، هى رحلة الحقوق والواجبات.. وهى رحلة السعى نحو تحقيق أكبر قدر من الحقوق.. والإنسان كثيراً ما يطالب بحقوقه دون أن يهتم بتأدية واجباته.. وهو يرفع الشكوى ، ويرسل الأنين ، ويحيا التذمر لأجل حقوقه الضائعة..

ولقد إهتمت الأديان بأن تطالب أصحاب الكلمة والسلطة أن يهتموا بحقوق الآخرين.. ووقفت الأديان ضد الظلم الواقع على الطبقات الفقيرة والمعدمة.. ونادى فلاسفة ورجال الدين برفع المظالم عن المسحوقين .. وكان الحديث عن عهد الرب أو سنة الرب ، إنها حقبة زمنية تخلو من المظالم ، ويتحقق فيها سلام الإنسان مع نفسه ومع الآخرين.. ومع البيئة بل حتى مع وحوش الأرض..

منطق المسيحية : وإهتمت المسيحية بالدفاع عن حقوق الإنسان من خلال تشجيع الفرد على تأدية واجباته ، والتنازل عن حقوقه ، وطالبته أن يتنازل لمن يسىء

إليه.. وإن طلب أحد منه الرداء أن يعطه الثوب أيضاً.. وأن يقدم الآخر لمن لطمه على الخد الأول.. وإن سخره أحد ميلاً ، أن يذهب معه ميلين..

وقالت المسيحية لكل مؤمن : من سألك فأعطه ، ومن أراد أن يقترض منك ، فلا ترده دون أن تطالبه أن يأخذ ضمانات على قروضه أو فوائد عليها ، لأنها قروض إستهلاك.. ومساعدة إخوة ، والوقوف معهم وقت الحاجة حتى تزول الحاجة.. وطالبت المسيحي أن يكون نوراً للعالم .. وأن يكون ملحاً للأرض.. يذوب مثل الملح فى المجتمع ، لكى يصلح المجتمع..

وطالبت الإنسان أن يكون لأخيه الإنسان كلمة محبة.. ودعوة تسامح لا يغضب على أخيه ، لا باطلاً ، ولا غير باطلاً ، إنما يكون مراضياً حتى لخصمه ما دام معه فى الطريق..

وعندما يقدم قربانه على المذبح وهناك يتذكر أن لأخيه شيئاً عليه ، يترك هناك أيضاً قربانه على المذبح ، ويذهب أولاً لكى يصطلح مع أخيه.. وطالبت المسيحية المؤمن أن يكون مراضياً لخصمه ما دام معه فى الطريق.. لئلا يسلمه الخصم إلى القاضى ، ويسلمه القاضى إلى الشرطى.. فيلقى فى السجن.. بل طالبته أن لا يكون فى خصومة مع أخيه الإنسان..

وأن يكون محباً حتى لأعدائه ، مباركاً للذين يلعنونه ، مصلياً لأجل من يسيئون إليه.. وطلبت منه أن يكون صادقاً مع أخوانه.. وأن يكون كلامه نعم نعم ، ولا لا.. وما زاد على ذلك من الشرير..

وطالبته أن لا يقاوم الشر.. وأن لا يجازى أحد عن شر بشر.. أو عن شتيمة بشتيمة ، بل بالعكس ، مباركاً لكل من حوله.. يُشتم فيبارك.. يضطهد فيحتمل.. يفترى عليه فيعظ.. ولقد قصدت المسيحية بذلك ، أن تؤسس مجتمعاً إلهياً خالياً من المظالم ، حيث عندما يؤدى واحد واجباته لن تنتهك حقوق أحد .. ولن تكون هناك مشكلة حقوق إنسان مفقودة ، فلقد أوجدها الإهتمام بتأدية الواجبات..

لاهوت قبول : وليس هناك حل لمشكلة حقوق الإنسان ، سوى الإهتمام بتأدية الواجبات ، بحسب منطق المسيحية ، ثم إعتماد لاهوت القبول ومحاولة دراسة لاهوت القبول، وتعميق ثقافة القبول التى تحقق ثقافة السلام ، وذلك إنطلاقاً من أن

الله هو إله الكل.. وأن الله هو الذى خلقنا.. وهو الذى جبلنا ألواناً متعددة.. ثقافات متنوعة.. أعراق مختلفة.. وهو الذى جعلنا شعوباً وقبائل لنتعرف ، ليس لكى نتصارع ونشهر سلاح الإبادة فى وجوه بعضنا..

ويؤكد الإسلام إن الله لا يضيع عمل عامل منا ذكراً أو أنثى.. وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. وأكد القرآن إنه لو شاء ربك لجعلكم أمة واحدة.. وأيضاً لو شاء ربك لأمن من فى الأرض كلهم جميعاً..

ولقد أكدت المسيحية لاهوت القبول فى أن السيد المسيح هو أستاذ لاهوت القبول ، الذى قبل الجنس الآخر.. وقبل الأعداء الذين يتصارعون ضده، وذهب إلى بيوتهم ، ولبى دعوات ولائمهم، وأظهر لهم محبته..

وإهتم بالمرأة وكرامتها ، وقبل الحوار مع السامرية ، ومع المرأة التى أمسكت فى ذات الفعل.. ورضى أن تسكب إمرأة خاطئة الطيب عند قدميه ، وأعطانا مثلاً فى قبول الآخرين وقال : إن من يقبل إليه ، لا يخرجه خارجاً.. ونادى فاتحاً أحضانه : تعالوا إلىّ ياجميع المتعبين، والثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم..

وأحبّ الآخر حباً كبيراً ، تمثل فى إهتمامه بالخطاة والزناة والمنبوذين من المجتمع ، والعشارون ، ومرضى البرص المجذومين.. ومرضى العقل الذين وجدوا عنده الراحة.. ووجدوا فيه القبول ، هو العلاج المناسب لمشكلة الحقوق المفقودة ، وهو لم يزل كذلك..

٦٠. عُشاق الفضيلة والسماء

السقوط والخلاص : لقد سقطت الخليقة القديمة وفسدت.. الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله.. لقد تاه الطريق من كثيرين ، ولكن السيد المسيح عندما أتى عرفنا منه الطريق إلى الخلاص وحياة الأبد.. لقد أعلن قائلاً: أنا هو الطريق والحق والحياة ، ليس أحد يأتى إلى الآب ، إلا بى..(يوحنا١٤:٥٦)..

وكان هذا يعنى إن طريقاً جديداً قد إنفتح على السماء.. إن يسوع هو الباب الذى يؤدى بنا إلى الحياة فى السماء.. أنا هو الباب إن دخل بى أحد فسيخلص (يوحنا١٠:٩).. إن الذى لا يؤمن بالإبن ، لن يرى حياة أبدية ، بل يمكث عليه غضب الله (يوحنا ٣:٣٦)..

طريق الدخول : وهكذا ومن باب الإيمان ، دخل عُشاق الفضيلة وهم يتجهون نحو السماء.. فى جهاد روحى مستمر.. فى تداريب روحية يومية ، يدربون أنفسهم، لكى يصلحوا للسماء.. يكنزون لهم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسده سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ويسرقون (متى ٥ : ٢٠).. يجاهدون لكى يدخلوا من الباب الضيق ، لأنه ما أضيق الباب وأكرب الطريق ، الذى يؤدى إلى الحياة ، وقليلون هم الذين يجدونه (متى٧ : ١٤).. فى تنفيذ لوصية الله أن : إجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق ، فإنى أقول لكم : إن كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون (لوقا١٣ : ٢٤)..

والراغبون فى الدخول إلى السماء يهتمون بتنقية دواخلهم ، لأن ها ملكوت الله داخلكم (لوقا١٧ : ٢١).. ولأنه وإن كان إنساننا الخارج يفنى ، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً (٢ كورنثوس ٤ : ١٦)..

أول المؤهلات : ويعرف عُشاق الفضيلة إن دخول السماء لا يمكن أن يكون إلا بمؤهلات.. وأول هذه المؤهلات هو الإيمان.. الإيمان بيسوع المخلص الذى ليس بأحد غيره الخلاص، لأن ليس إسم آخر تحت السماء، قد أعطىّ بين الناس ، به ينبغى أن نخلص (أعمال الرسل ٤ : ٢١).. الذى يؤمن به لا يدان ، والذى لا يؤمن به فقد دينَ ، لأنه لم يؤمن بإسم إبن الله الوحيد..

وهذه هى الدينونة ، إن النور قد جاء إلى العالم.. وأحبّ الناس الظلمة أكثر من النور.. لأن أعمالهم كانت شريرة (يوحنا ٣ : ١٨، ١٩)..

كيف نولد للسماء: بعد الإيمان يأتى دخولنا إلى عالم السماء.. وهذا لا يأتى إلا من خلال المعمودية .. فإذا كان الإنسان يدخل إلى العالم الطبيعى فى هذه الدنيا عن طريق الولادة من أب وأم، فلابد للإنسان أن يولد ولادة روحية من الله.. والكنيسة.. فيصبح الله أباه..والكنيسة أمه.. وكما قال أحد القديسين « من لا يعتبر الكنيسة أمه ، لا يمكن أن يكون الله أبوه...

ولا يعاين أحد ملكوت الله إلا بالمعمودية.. هكذا كان حديث الرب مع نيقوديموس معلم اليهود.. ذلك المعلم الذى لم يشبعه الناموس اليهودى.. ولم تقنعه مراسم اليهود وطقوسهم ، فأتى إلى السيد المسيح فى جنح الظلام لكى يعرف ويفهم..

وكان كلام يسوع له : الحق أقول لك ، إن كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر

أن يرى ملكوت الله.. إندهش نيقوديموس مستفهماً : كيف يمكن للإنسان أن يولد وهو شيخ ؟.. ألعله يقدر أن يلج بطن أمه ثانية ويولد ؟.. وكان جواب السيد المسيح عليه : إن كان أحد لا يولد من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله(يوحنا٣).. وهذا سر الإنفتاح على السماء..

سر الإنفتاح : وفى الإصحاح السابع من إنجيل معلمنا مرقس ، يتحدث عن معجزة شفاء أصم أعقد.. عندما جاءوا إليه بهذا الأصم الأعقد، وطلبوا إليه أن يضع يده عليه ، فأخذ من بين الجمع على ناحية ، ووضع أصابعه فى أذنيه ، وتفلَ ، ولمس لسانه ، ورفع نظره نحو السماء.. وأنّ وقال له : إفثا أى إنفتح ، وللوقت إنفتحت أذناه ، وإنحلَ رباط لسانه ، وتكلم مستقيماً (مرقس ٧:٣٢،٣٥)..

ومن واقع هذه المعجزة ، هناك تقليد فى الكنيسة الأولى ، بأن الشخص الذى يدخل إلى المسيحية ، ينفخ الكاهن فى فمه وأذنيه ، ويقول له : إنفتح.. فهذه هى بداية الإنفتاح ، للتعرف على أسرار ملكوت الله.. والجهاد من أجل السماء..

الحياة من أجل السماء : وعندما ينمو المؤمن بعد المعمودية ينبغى أن يكون نموه نمواً روحياً.. يكون كأغصان يانعة فى الكرمة الحقيقية.. ينمو كل يوم.. يجاهد كل يوم.. يعظ نفسه كل يوم.. ما دام الوقت يدعى اليوم.. يسلك بالروح.. يحيا مع الكل بتدقيق لا كجهلاء ، بل كحكماء.. مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة....

وهكذا يثمر الروح القدس فينا صلاحاً وبراً.. وحقاً (أفسس ٥:٩)..وتكون لنا مع المؤمنين الفضائل هى الأم التى تلد الفضائل الآخرى.. فى رجاء ، وإيمان ومحبة (١ كورنثوس ١٣:١٣).. ونسلك فى تطوييات عظة الجبل..

إننا نرى كيف أن المجتمع يهيء أبناءه لخدمته.. ذاك يسلك فى دروب العلم حتى يؤهل لعمل معين.. الطبيب فى طبه.. المهندس فى معماره.. الزارع فى حقله وزرعه.. العامل فى عمله.. ولا يمكن للمجتمع أن يعطى مكاناً معيناً لأى شخص يعمل فيه.. دون أن يكون هذا الشخص له مؤهل ، يتناسب مع هذا العمل..

طريق السماء: إن الفضائل هى طريقنا للسماء.. ونجاحنا هنا ، هو عربون لدخولنا إلى السماء.. لن يدخل السماء إلا من إختبر طريق القداسة، وسار فى دروبه..

القداسة التى بدونها لن يعاين أحد الرب(عبرانين ١٢:١٤).. القداسة التى ينبغى أن يتحلى بها كل مؤمن ، والتى دعينا إليها لنكون قديسين، وبلا لوم قدامه ، فى

المحبة (أفسس ١ : ٤).. ونظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة ، لأنه مكتوب كونوا قديسين لأنى أنا قدوس (١ بطرس ١ : ١٥، ١٦).. إن السماء هى كرسى الله القدوس ، ولا يمكن أن يتمتع برؤيتها والحياة فيها ، إلا من عاش حياة القداسة..

نافذة القلب : نصلى أن يكون لنا طريق واضح بين قلوبنا وبين السماء.. لقد خُلقنا للسماء... إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يقدر أن يتطلع إلى فوق.. إلى السماء.. وعندما خلق الله الإنسان ، غرس جنة عدن شرقاً ، ووضع فيها الإنسان..

البداية والنهاية :

إن السماء هى بدايتنا إذن.. هى أول مكان وضعنا فيه.. وهى أيضاً نهايتنا.. ونحن سوف نعود إلى السماء.. إلى وطننا الأصلى.. وبعد معركة الجهاد القانونى ، سوف يختتم هذا الجهاد بإكليل المجد.. عندما ندخل إلى السماء.. ونحيا الحياة الأبدية فى أورشليم السمائية ، نحيا حياة ممتدة.. لا يقطعها زمن.. لا يقلقها إنتظار.. لا يؤرقها فكر أرضى.. حياة لا يزعجها مظالم.. لا يقلقها إنتظار.. لا تشغلها أمور عالمية.. لا تهددها شهوة أرضية..

وهناك فى السماء .. عيوننا لن تعرف الدموع.. قلوبنا لن تعرف الحزن.. أفراحنا لن يشوبها كدر.. أجسادنا لن تعرف المرض.. آذاننا لن تسمع الكلمة الرديئة.. سوف تمتلىء حواسنا بنعمة سماوية عجيبة.. وبفرح

لا ينطق به ومجيد..

إذن نحن فى السماء..

سوف نحيا فى شباب دائم..

٦١ - موكب السلام فى أحد الخلاص

أحد الخلاص : يحتفل المسيحيون اليوم بأحد الخلاص أو أحد الشعانين ، وكلمة شعانين تعنى « هوشعنا».. أى خلصنا.. ويسمى يوم الأحد هذا أحد السعف ، وذلك لأن المسيحيين يجهزون أنفسهم.. ويحملون سعف النخيل الأبيض الناصع الذى يرمز إلى طهارة القلب ، ونقاء السريرة، لأن قلب النخل أبيض كقلب المؤمن..

ويذهب المسيحيون إلى الكنائس فى بهجة المناسبة العظيمة ، حيث يعد أحد السعف عيداً سيدياً أى يرتبط بالسيد المسيح ، ويلى هذا الأحد ، أحد القيامة المجيد...

مدينة السلام :

ولقد دخل السيد المسيح إلى مدينة أورشليم.. وهى أيضاً تعنى مدينة السلام حيث كان الكل ينتظر أن يتم الخلاص، ومعه يحدث السلام ، فى مدينة أورشليم.. وكان الناس يجتمعون هناك للإحتفال بعيد الفصح المجيد إذ تمتلىء المدينة بآلاف الزوار، حيث كان الناموس يلزم كل ذكر بالغ ، يسكن على بعد عشرين ميلاً من أورشليم أن يحضر الفصح فى أورشليم ، هذا بالإضافة إلى الآلاف الذين كانوا يحجون إلى أورشليم من أقاصى الأرض وأطرافها ، لحضور هذا العيد الدينى العظيم..

موكب السلام : يقول متى البشير : ولما قربوا من أورشليم ، وجاءوا إلى بيت فاجى عند جبل الزيتون ، حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما : إذهبا إلى القرية التى أمامكما ، فللوقت تجدان أتاناً مربوطة ، وجحشاً معها ، فحلاهما وأتيانى بهما.. وإن قال لكما أحد شيئاً ، فقولا الرب محتاج إليهما.. فللوقت يرسلهما..

فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبى القائل : قولوا لإبنة صهيون ، هوذا ملكك ، يأتيك وديعاً ، راكباً على أتان وجحش إبن أتان.. فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع..

هتافات فى الموكب : دخل يسوع إلى أورشليم فى موكبه الهادىء المتضع.. فلقد كان ركوب الخيل علامة الحرب.. وركوب الحمير علامة السلام.. ولقد كان هذا إعلاناً بأنه ما جاء ليهلك بل ليحب.. ما جاء ليدين بل ليعين.. ما جاء بقوة السلاح ، إنما بقوة المحبة التى هى أقوى من الموت..

وقد أستقبل السيد المسيح إستقبالاً عظيماً ، هادئاً ، وديعاً.. حيث أن الجمع الأكثر فرشوا ثيابهم فى الطريق.. وآخرون قطعوا أغصاناً من الشجر ، وفرشوها فى الطريق.. وجموع الذين تقدموا ، والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين : أوصنا لإبن داؤد أى خلصنا ياإبن داؤد..مبارك الآتى بإسم الرب.. أوصنا فى الأعالى.. سلام فى السماء ومجد فى الأعالى.. وهكذا كانت الهتافات ، نداءات روحية ، تطلب الخلاص الوديع من الشر والخطية..

صدى الموكب : وعندما دخل يسوع إلى أورشليم إرتجت المدينة كلها.. فقالت الجموع : هذا هو يسوع النبى ، الذى من ناصرة الجليل.. وأما بعض الحاقدين من الفريسيين فقالوا له : يامعلم إنتهر تلاميذك .. فأجاب وقال لهم : أقول لكم إنه ، إن سكت هؤلاء ، فالحجارة تصرخ..

وعندما قالوا له : أتسمع ما يقول هؤلاء ؟.. قال لهم يسوع : نعم .. أما قرأتم قط ، من أفواه الأطفال والرضعان هيأت تسبيحاً ..

الملك الباكى : وفى وسط هذا الموكب ، وعندما إقترب السيد المسيح إلى مدينة أورشليم ، بكى عليها ، ونظر إليها قائلاً : إنك لو علمت أنت أيضاً حتى فى يومك هذا ، ما هو لسلامك ؟.. ولكن الأن قد أخفىّ عن عينيك ، فإنه ستأتى أيام يحيط بك أعداؤك بمترسة.. ويحاصرونك من كل جهة ، لأنك لم تعرفى زمان إفتقادك..

فى الهيكـــل : وفى نفس يوم أحد الشعانين ، دخل يسوع إلى هيكل الله ، وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل.. وقلب موائد الصيارفة ، وكراسى باعة الحمام.. وقال لهم : مكتوب.. بيتى بيت الصلاة يُدعىَ ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص..

آخر العمود : أيها الملك الداخل إلى أورشليم.. مرحباً بك فى موكب إتضاعك .. داخلاً إلى قلبى.. هاأنذا أحمل إليك قلباً نقياً ، مثل قلب النخيل.. ورغبة فى السلام ، بغصن زيتون.. أدخل ياربِ إلى قلبى.. وهبنى نعمة الخلاص.. فى يوم الخلاص.. وهب لسوداننا كله ، سلامك الإلهى فى يوم أحدك العظيم.. ونحن فى إنتظار موكب السلام .. فى سودان السلام..

٦٢.ميلاد المسيح وشهود العيان

ميلاد السيد المسيح : تتحدث الأناجيل عن ميلاد السيد المسيح ، ونحتفل نحن بعيد ميلاد المسيح .. وقد دخل الحدث إلى الألفية الثالثة.. وذكر إنجيل متى قصة الميلاد.. وكتب إنجيل لوقا تفاصيل أكثر.. أما يوحنا فتحدث عن الميلاد الآزلى : فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله.. وعندما نقول الكلمة، بصيغة المذكر ، فإن المقصود هنا هو شخص السيد المسيح الذى هو من روح الله ، وكلمة منه..

وعندما تذكر بالمؤنث تكون دالة على كلمة الله ، مكتوبة أم مقولة أو مسموعة.. نقول عنها بالتأنيث إنها تنمو وتزداد.. قوية وفعّالة وأمضى من كل سيف ذى حدين ، وخارقة إلى مفرق النفس والروح ، ومميزة أفكار القلب ونياته.. يبس العشب وذبل الزهر.. وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد..

بذاتى أقسمت خرج من فمى الصدق كلمة لا ترجع ، إنه لى تجثو كل ركبة.. هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى ، لا ترجع إلىّ فارغة ، بل تعمل ما سررت به ، وتنجح فيما أرسلته إليها.. كل كلمة من الله نقية.. الرب يعطى كلمة.. أرسل كلمته فشفاهم ونجاهم..

وتأتى كلمة « كلمة الله «.. بإسلوب المذكر ثمان مرات فى الكتاب المقدس.. لا لتدل على كلمة الله المكتوبة والمقروءة والمسموعة.. إنما لتدل على السيد المسيح ، وإذا كانت اللغة الإنجليزية تستعمل كلمة واحدة هى WORD .. فإنها للتمييز تستعمل الحروف الصغيرة ، للكلمة مؤنثة ، والحروف الكبيرة للكلمة بصيغة المذكر..

وتأتى الكلمة بصيغة المذكر عدة مرات فى الكتاب المقدس هى :

١. بكلمة الرب أسست السموات وبنسمة فيه كل جنودها (مزمور ٦:٣٣)..
٢. قد تتبعت كل شىء بتدقيق من الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة (لوقا ١:١)..
٣. فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله.. والكلمة صار جسداً (يوحنا ١)..
٤. لأن الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة : الآب والكلمة والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد (يوحنا الأولى ٥:٧)..
٥. عن السيد المسيح قال سفر الرؤيا : إن عيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة ، وله إسم مكتوب ، ليس أحد يعرفه إلا هو ، وهو متسربل بثوب مغموس بدم ، ويدعى إسمه كلمة الله (رؤيا ١٩)..
٦. ذكر يوحنا الحبيب : إنه هو الذى شهد بكلمة الله ، لأنه شاهد عيان للسيد المسيح.. ولقد كان لقب كلمة الله ، هو لقب السيد المسيح فقط

، فلقد دعى موسى كليم الله ، ولم يدع كلمة الله.. وإبراهيم خليل الله.. وميخائيل قوة الله.. وجبرائيل جبروت الله.. وروفائيل رأفة الله.. وسوريال بوق الله.. ويقول القرآن الكريم : إنما المسيح عيسى بن مريم ، رسول الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم وروح منه.. إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه ، إسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيهاً فى الدنيا والآخرة ، ومن المقربين..

شهود عيان : لقد جاءت إلينا قصة ميلاد السيد المسيح من خلال شهود عيان ، رأوا ولمسوا وتحدثوا.. بدء بمريم العذراء ويوسف النجار.. وزكريا الكاهن وكثيرون ممن عاينوا هذا الحدث العظيم... وكتبت جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٦/٣/٢٤ عن بردية مصرية تعود إلى القرن الأول للميلاد ، وتعتبر أقدم وثيقة مسيحية فى العالم ، وإكتشفها مؤرخ ألمانى متخصص فى البرديات بجامعة أكسفورد ، وإسمه « كارستن بيتر» ويقول : إن هذه البردية جرى العثور عليها عام ١٩٠١ م فى إحدى كنائس الأقصر ، لكنها لم تحظ بالإنتباه إلى أهميتها ، وظلت فى الكلية المجدلية بأكسفورد إلى أن بدأ العالم الألمانى قبل عامين التعرف عليها ودراستها ، وقد إكتشف الباحث إن البردية تعود إلى عام ٦٠ م .. مما جعلها أقدم وثيقة مسيحية يتم إكتشافها حتى الأن.. وتضم بعض أجزاء آيات من إنجيل القديس متى ، وتستشهد بأشخاص عاشوا فى الفترة التى عاش خلالها المسيح..

ونشرت جريدة « الديلى ميل» البريطانية مقتطفات من كتاب سيصدر عن هذا الموضوع الذى يؤرخ للأناجيل الآخرى ، وسبق كتابتها فى فترة متأخرة نسبياً عن الزمن الذى عاشه المسيح ، إلا إن هذه الوثيقة تثبت إن إنجيل القديس متى يستمد معلوماته من أشخاص وصفهم بأنهم كانوا شهود عيان للسيد المسيح ، كانوا من بين تلاميذه ..

وتمكن المؤرخ الألمانى من علاج بقايا البردية التى وجدها ممزقة إلى ثلاثة أجزاء صغيرة ، ومكتوبة باليونانية القديمة... هذا ما ذكرته جريدة الأهرام ، وبعدها صدر الكتاب تحت عنوان « شهود عيان ليسوع «.. وفى صورة الغلاف مصور عليه ثلاثة أجزاء من البردية المحسوبة إنها أقدم وثيقة فى العالم ، تشهد

لأصالة قِدَم إنجيل متى

ويرى القمص متى المسكين ، إنه إن كانت هذه الوثيقة قد كتبت سنة ٦٠ ميلادية وهى بخط القديس متى نفسه ، ويفترض أن تكون قد أخذت فى رحلتها إلى الأقصر حوالى عشرين عاماً ، وهذا يعنى إن كتابتها سنة ٥٠ م ، ونعلم إن مرقس كتب إنجيله قبل متى ، ونفترض له سنة ٤٠ م.. فهو كتاب قديم كتب قديماً وقرىء منذ زمن مبكر وسط المسيحيين.. وبين اليوم والآخر يوجد ما يؤكد صدق الكتاب المقدس، وعظمة الأحداث التى فيه..

نهنىء الجميع مسلمين ومسيحيين بعيد ميلاد السيد المسيح ، الذى جاء لأجل كل العالم..

٦٣ـ الطيب يُكرم الطيب

حسن الطيب : فى لقاء جمع أحباء تعاونوا معا على تكريم عالم كبير هو البروفسور عون الشريف قاسم ، مر علينا كتاب نموذج عن الطيب صالح « دراسات نقدية».. طبعه رياض الريس للكتب والنشر ، وحرره الدكتور حسن أبشر الطيب.. الطبعة الأولى ٢٠٠١ وقد بهرنى الكتاب ، وأخذنى إليه .. ولكن كانت التعليمات أن نتصفحه كنموذج ، ونعيده إلى صاحبه الذى كان يخشى عليه من سلطة الوزير..

ولكننى عند إنتهاء اللقاء ذهبت إلى بروفسور الطيب وعرضت عليه عرضاً أميناً ، وهو أن أخذ الكتاب لتصويره ثم أعيده إليه.. وقلت له : مع التقدم التكنولوجى ليست هناك حاجة لإستعارة الكتاب ثم عدم إعادته، وأردت أن أقنعه بوجهة نظرى.. وقلت له : إننى إلتقيت بالمطران « يوحنا قلته».. وكان يتكلم عن التعايش والحوار الإسلامى المسيحى.. وذكر أمامى أن مسيحي نجران أقاموا قداساً فى أول جامع إسلامى عام ٦٣٠ م..

وكان هذا بإذن من الرسول الكريم.. وكان عيد القيامة المجيد والذى يستغرق إحتفاله أسبوعاً كاملاً ، لأن عيد القيامة يسبقه أسبوع الآلام ، وهو أسبوع كامل، يتعبد فيه الناس ليل ونهار.. ويقرأون الكتاب المقدس.. ويتهجدون.. وينشدون للسيد : لك القوة.. والمجد.. والبركة.. والعزة إلى الآبد آمين.. ويتغنون بالألحان

الطويلة ، ألحان الحزن على جحود الناس ، آراء المسيح الممجد..

وعندما قرأت هذا فى مقال بالأهرام ، للفيلسوف « المطران يوحنا قلته «.. وإلتقيته فى القاهرة فى أول شبرا ، طلبت منه المرجع وأقنعته بأنه سوف يكون عنده بعد ساعات قصار.. وفعلاً أعطانى المرجع.. وتم تصويره ، وأرسلته إليه بعد ساعات قصار.. ولكن الأستاذ أبشر الطيب قال وبسرعة : لقد أعطيت الكتاب كله لك هدية ، ولا يتخيل أحد فرحتى.. إنها فرحة طفل صغير وجد ضالته المنشودة.. وخبأت الكتاب فى ملابسى الواسعة.. وذهبت إلى عربتى فرحاً سعيداً ، وبدأت أقرأ وأقرأ.. وأنهل من هذا المنهل العذب ، وشكرت المؤلف لأنه أضاء لى طريق التعرف العميق على أديب عظيم هو الطيب صالح..

ولقد كان اليوم كله مفرحاً ، فلقد كانت إدارة الأستاذ بشير البكرى للقاء.. وإعطائه الفرصة كاملة للبروفسور حسن أبشر الطيب ، سبباً فى تعرفنا على حسن أبشر.. وعلى خفة دمه.. وطرافته.. وأدبه... وشعره.. ونثره..

وقد كان كما قال عنه الصحفى لجريدة « الحياة «.. ٢٠٠٣/١٠/٢٠ إنه الرجل الجميل الأصيل ، أينما ذهب وحلّ ، يضىء ، ويضيف بعلمه ، ويهل ببسمته وخفة دمه ، ويضىء ويضيف برباط علاقاته الواسعة ، وبمعرفته المتخصصة فى كل شىء، حتى جماعة قاعة الصداقة..

الطيب يُكرم الطيب : والكتاب صدر فى الإحتفال بالسبعينية للأديب الطيب صالح، الذى وصل عمره فى عام ٢٠٠١ إلى سبعين عاماً.. وهو الأن أبقاه الله يحيا فى مدينة الضباب لندن ، ومتزوج بإمرأة إنجليزية ، وله ثلاث بنات منها..

وفى آخر حديث له فى أخبار اليوم ٢٠٠٣/١١/١١ شكر مديرة الحوار الصحفية أحلام حسن سلمان ، وقال لها : الحمد لله إن أهلى بالسودان لم ينسونى.. قالت له الصحفية : ومن نساك حتى يتذكرك ، رمضان كريم ، وكيف تقضى رمضان فى بلد الضباب ؟.. وكان رده : الله أكرم ، رغم أن رمضان الشهر العظيم فى كل مكان ، هو رمضان ، إلا إننى أفتقد رمضان فى السودان بشدة ، أشتاق للجلوس للإفطار فى الشارع ، والجلوس على البروش المصنوعة من السعف.. رمضان فى الشمال له طعم حقيقى ، وليل رمضان ليس له مثيل..

وعندما قالت له الصحفية : إن السودان فى شوق إليك .. كان رده : وأنا شوقى بلا حدود ، لكل شىء.. مشتاق إلى النيل والنخيل ، وليل السودان الهادىء الجميل، الذى يخلو من التوتر ، والقلق ، والخوف .. وأتوق لرؤية مزارع بسروال وعرّاقى. وهو يمسك طورية ، ومندمج فى العمل وعرقه يتساقط على التراب ، ويتلألأ على جبهته.. ومشتاق لشمسنا الحارقة ، وإلى الجميع دون فرز.. الغربة تجعلك تحب الجميع ، وتشتاق إلى الجميع ، وتحمل هم الجميع دون فرق..

محتويات الكتاب : وكتاب التكريم يشتمل على قسمين ، ويجمع عدة مقالات لمجموعة من الكتاب والأدباء ، أحباء وأصدقاء الطيب صالح.. والقسم الأول هو شهادات مقاربات شخصية تبدأ بحديث أصيل من إبن أصيل ، الأديب محمد بن عيسى ، الذى يناديه سيدى الطيب.. كما يطلق على المتصوفين ، وعنوان مقاله « سيدى الطيب المحترم الوقور».. وبعده تتوالى المقالات ، الصديق الكاتب نبع الصفاء والمودة والحكمة، للسيد الفنان إبراهيم الصلحى ، وهو صديق قديم شاركنا معاً فى اللجنة التحضيرية لأول مؤتمر سكان فى بيروت..

وكان هذا المؤتمر من تنظيم مجلس كنائس الشرق الأوسط.. ثم صديق الطيب صلاح أحمد محمد صالح.. أكرم الناس للسيد عبد الرحيم الرفاعى .. إسمك صار وطنا للسيد سيد أحمد الحردلو.. الطيب صالح فى غربته وإبداعاته.. بلند الحيدرى.. فى صحة الطيب الإنسان محمد الحسن أحمد.. إلى أبى زينب، وقيع دفع الله.. اللقاء الأول مع الطيب صالح عبد المنعم سليم.. الطيب صالح الإنسان النبيل العاشق لوطنه عبد الواحد عبد الله يوسف..

أما القسم الثانى فيشتمل على حوار أجراه السيد بشير القمرى.. وفيه عناوين ، هى « الإنسان يحمل فى داخله معلميه».. مساء الخير ياعرب .. فى إذاعة M.B.C فى تكريم الأستاذ الطيب صالح.. ثم لمحات من السيرة الذاتية.. ثم دراسات نقدية.. لعدة أدباء .. وعناوينها " الأثر الدينى الصوفى " فى أعمال الطيب صالح..

الطيب صالح روائياً.. وشاعراً مبدعاً.. فتنة الطيب بأبى الطيب.. موسم الهجرة إلى الشمال.. قصيدة فى العشق والمحبة.. عرس الزين للطيب صالح.. التراث والتغيير.. الآفاق البعيدة أو إستراحة المحارب.. الإغتراب عند الطيب صالح.. الطيب وصلاح وهوى عزة.. الطيب صالح رجل من كرمكول.. البحث عن الأمان فى أدب الطيب صالح ..

تحديد الجنس الفولكلورى فى إبداع الطيب صالح.. وبعد هذا ، وفى الختام، نصوص مختارة من تأليف الطيب صالح.. وأنا شخصياً من المعجبين بالطيب صالح.. وبتعبيراته الجميلة.. ولقد قال السيد المسيح : كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء (متى ١٣:٥٢)..

ولقد اخرج الطيب صالح ، من كنزه الصالح جدداً وعتقاء... فهو جديد فى التعبير، عتيق فى التصوير ، وهو أعظم سفير.. إنه سفير المحبة .. وقد كتبت عنه أطروحات علمية ، بعدة لغات : الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ..

والعبرية.. نعم اللغة العبرية..

إنه سفيرنا الأن.. وكتاباته موجودة فى إسرائيل.. إنه أول سفير للسودان فى إسرائيل.. وعندما تبدأ العلاقات مع إسرائيل ، ولابد أن يحدث هذا فى يوم من أيام تاريخنا .. أرجو أن لا ينسى أحد ، إن السودان دخل إلى تل أبيب من باب « أدب الرواية».. وكان السفير هو الطيب صالح.. بارك الرب فى الطيبين ، وكل الطيبين.. حسن أبشر الطيب.. والطيب صالح.. صاحب التشبيهات السودانية الرائعة ، والعمل الإبداعى الرائع..

٦٤. الشهر الأخير والتميز والجودة

شهر ديسمبر: فى أوائل شهر ديسمبر الشهر الآخير من عام ٢٠٠٣ يبدأ مهرجان التميز والجودة الأول ، وهو جهد مشكور ، لشركة ملتقى النيلين للإعلان والتسويق والخدمات.. وهو هاجس كبير» للحاج السيد أبو ورقة» ، ذلك الرجل الذى يعطى كل وقته لهذا المهرجان.. ويتصل إتصالات فردية.. ويتعرف أكثر على الأشخاص المتميزين ، الذين سوف يكّرموا فى المهرجان..

ولقد أحب « ورقة» هذا العمل ، وصار مثل الوحى القديم لأننى أعرف إن سيد الإسم» ورقة بن نوفل» كان مصدر وحى وإلهام لنبى الإسلام الكريم ، وعندما مات ورقة ، قال الرسول الكريم : لقد بهت الوحى بموت ورقة..

وسوف يكون المهرجان ورقة أدبية وعلمية .. ورقة أمل ورجاء.. ورقة إخلاص ووفاء.. لذلك الجمع المتميز فى بلادنا، من الذين يعيشون فى الداخل معنا.. ويتمتعون بالشمس المشرقة التى تحمل الشفاء فى أجنحتها ، ومن الذين يعيشون

فى خارج السودان .. ولكن السودان يعيش فى داخلهم ، فناً ، وتعبيراً ، ولغة ، وفولكلوراً من الذين ما زالوا على قيد الحياة ، رجال عطاء.. ومن الذين رحلوا عنا إلى العالم الآخر..

ويشتمل المهرجان على عدة فقرات ممتعة منها : معرض للشركات والمؤسسات والمصانع الحاصلة على هذه الشهادة.. وهنا أذكر شركة ماثيو الوليدة ، التى حصلت على شهادة التميز ISO رغم صغر سنها ، ولكن وراءها شباب محترم ، يحب عمله ، ويحب أن يؤدى على أرقى مستوى ، مما جعلهم فى صدر قائمة المتميزين..

ويشتمل المهرجان على تكريم للشركات والمصانع والقائمين بأمرها وتكريم للعلماء وخبراء الجودة المتميزين ، وتكريم بيوت الخبرة المؤهلة لنيل الشهادة ، وكذلك المانحين.. ومسابقات وجوائز وهدايا وبرامج ترفيهية مصاحبة فى إطار اليوم المفتوح..

وقد كتب كثيرون إلى السيد بورقة ، كل شخص متميز كتب ورقة إلى ورقة يؤيد هذا المهرجان وأنا أعتقد إن " ورقة " نفسه يستحق التكريم ، لأن الذى يقدم الكلمة الحلوة هو أقدر وأقوى من الذى يستقبل الكلمة الحلوة.. والذى يقدم التكريم يستحق هو أولاً التكريم ،لأنه يرى فى الوجود شيئاً جميلاً وأصيلاً..

ولقد كتب السيد عز الدين السيد ، ورقة جميلة راقية ليست تحت يدى الأن ولكنى سمعت ما فيها ، وكتب مركز البرير الثقافى يقول لورقة : وأنتم تعدون العدة لغرس مفهوم التميز والجودة ، فى أوساط مجتمعنا حتى يصبح سلوكاً ، وواقعاً معاشاً.. وتمنى أن تكون إنطلاقة المهرجان هى بالفعل لا بالقول فقط ، فكاً لطلاسم هذا المفهوم فى الإدارة والإنتاج والأفراد.. وحتى تكون بلادنا الحبيبة فى مقدمة ركب الأمم المتقدمة بما تتمتع به من صفات ، تندر بين كافة شعوب العالم.. وأضافت ورقة مركز البرير الثقافى إن كلية علوم التقانة التى وضعت التميز ، والتفرد شعاراً لها منذ نشأتها ، ستكون ممثلة فى المهرجان..

أما وكالة السودان " سونا ".. فلم تخفى إن فكرة المهرجان أدخلت على أنفس أسرة الوكالة ، البهجة والسرور ، وعنوانه " الملف الأنيق" الذى ضمه فى حنو ورقة .. وقد كانت ملاحظة وكالة السودان للأنباء : إن أسماء المتميزين خرج به المهرجان إلى سعة الوطن مداركه ومدارسه ، ولم يقتصر على رؤية ضعيفة ،

وإنما إتسع ليتعامل مع التميز فى كل مجالاته القومية..

ونقل تحيات الدكتور ربيع عبد العاطى مدير الوكالة التى سوف تكون رأس الرمح لإنجاح هذا المهرجان ..

الأعداء والأصدقاء : يتحدث الأدباء عن نوع من الناس يكره الإمتياز ، ويعادى التفوق والجودة.. ويخاف خوفاً شديداً من أن يرى شخصاً يتمتع بموهبة لامعة.. لا يستريح أن يرى تمثالاً جميلاً تنظر إليه العيون بإعجاب.. وتلتف حوله القلوب.. ولكنه يستريح تماماً إذا تحطم هذا التمثال وراه مجموعة متناثرة من الأحجار..

وأعداء الإمتياز لهم إمتيازهم فى الوقوف ضد الإمتياز ، لأنهم لا يملكون صفة جميلة تميزهم عن الغير.. والذى نفسه بغير جمال لا يرى فى الوجود شيئاً جميلاً.. لأن الشخص الممتاز كما يقول الأديب «رجاء النقاش» : هو نقد غير مباشر لأعداء الإمتياز ، يبرز ما فيهم من نقص ويكشف إلى حد يعيشون هم على سطح الحياة ، ويتساءل كيف التغلب على نار هذا الشعور المحرق ؟.. كيف يمكن الوقوف أمام النجاح بدون نجاح ، وأمام القوة بدون قوة ، وأمام الجمال بلا جمال يوازيه ؟..

والغريب إن أهل الإمتياز هم الذين يعطون الفرصة لأعداء الإمتياز ، لأنهم ينصرفون إلى الأشياء الجوهرية فى الحياة.. وأريد هنا أن أتحدث ليس عن أعداء الإمتياز ، إنما عن أصدقاء الإمتياز .. فلقد لاقى مهرجان التميز والجودة الأول ترحيباً من كثيرين ، وتأييداً من وسائل الإعلام.. وتشجيعاً من الدولة التى تقدم فى عيد ثورة الإنقاذ العديد من الأوسمة والنياشين ، للأبناء العظماء.. لهذا الوطن العظيم ..

وفى إعتقادى إن شركة» ملتقى النيلين للإعلان والتسويق والخدمات «.. تقدم للوطن درة فى جبينه.. وسوف يكون المهرجان الأول مقدمة لمهرجانات أخرى ترعى شأن التميز فى مجالات أخرى.. وعلى مستويات متعددة..

السماحة الدينية : ومن بين من سوف يكرمهم المهرجان للسماحة الدينية ، الأب القمص فيلوثاوس فرج ومولانا الشيخ عبد الرحيم البرعى.. والبرعى هو من رجال الصوفية ، وأنا أعتز جداً بأهل الصوفية ، وبأفكارهم الراقية الأصيلة..ونحن نعلم إن أولاد البرعى الأن هم أصحاب الأناشيد الدينية العذبة..

ولقد تمكن هذا الصوفى الحكيم من الإنطلاق الروحى إلى المبادىء السامية ، إن

أهل اليهودية يقولون فى شريعة موسى العين بالعين والسن بالسن.. وفى الإسلام نفس الشريعة والبادىء أظلم ، ولكن مولانا البرعى يرتفع فوق مستوى العين بالعين ..ويطالب المؤمن أن يقدم المحبة للآخرين.. وليس للآخر الذى يحبك ، إنما للذى يعاديك فى نشيده الراقى بوريك حباً أحسن إلى من عاداك ومن يحبك..

وكونه يطالب الإنسان إلى أن يحسن إلى من يعاديه ، فهذا أمر فوق المستوى.. إن أهل السياسة يقولون : نسالم من يسالمنا.. ونعادى من يعادينا.. أما الشيخ البرعى فإن له طلباً آخر ، هو طلب الروح الذى يطلب منا أن نعبر إلى الميل الثانى.. وأن نحب الأعداء .. إن جاع عدوك فأطعمه ، وإن عطش فأسقه..

وهذا نداء السيد المسيح : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم.. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم.. ولهذا يسمى الناس مولانا البرعى « أبونا البرعى «.. لقد رآوا أبوته الحانية ، ليس لأبنائه بالجسد ، إنما لأبنائه بالروح ، الذين يعتزون بأبوته دون أن يتخدج صاحبه.. وهذا فعلاً هو التميز.. فى وطن التميز.. وتحياتى لكل الذين يحتفى بهم فى مهرجان التميز والجودة الأول.. وأعتقد إنهم سوف يقدمون الجوائز لآخرين يستحقونها أفضل منه ...

٦٥. الخرطوم عاصمة الثقافة وعبقرية المكان

عام سعيد : سيكون عام ٢٠٠٥ أحد الأعوام السعيدة فى تاريخ سوداننا السعيد.. وعلى الأخص أن الأخ المهندس محجوب السعيد ، سوف يكون مهندس هذا العمل العظيم، والذى هو « الخرطوم عاصمة الثقافة العربية»..

والحق أن الخرطوم تمتاز بالتنوع ، فهى ليست مدينة عربية فقط ، وإنما أيضاً مدينة أفريقية.. إن حضارة السودان هى حضارة أفريقيا.. وكان إسم السودان ملازماً لكوش.. ولأثيوبيا.. وللنوبة.. وكلها مسميات يقصد بها أهل السودان .. وهم الذين طبعت الشمس المشرقة فى أفريقيا طابعها عليهم.. فصاروا حبة سوداء وسط كل بلدان العالم.. حبة سوداء فيها الشفاء من كل داء...

فلقد كان أهل كوش هم أهل حفيف الأجنحة ، شعب قال عنه الكتاب المقدس : أرض كوش.. يا أرض حفيف الأجنحة التى فى عبر أنهار كوش.. المرسلة رسلاً

فى البحر.. وفى قوارب من البردى على وجه المياه.. أمة طويلة جرداء.. شعب مخوف.. أمة قوة وشدة قد خرقت الأنهار أرضها (أشعياء ١٨)..

والسودان هو الذى يتمتع ليس بنهر واحد ، إنما بعدة أنهار ، تخترق أرضها.. وقد كان أجدادنا أقوياء البنية.. سريعى الحركة.. كانوا جنود محاربين.. تلجأ إليهم دول الجوار ، لكى يساندونها فى الدفاع عن بلادهم.. وكانت دول الجوار تعتز بهم جنوداً مشاركين.. رماة الحدق.. أقوياء أخفاء فى الحركة.. بل إن السودان موعود بالحياة مع الله.. ومن أجمل النبوات عن بلادنا أرض كوش.. إن كوش سوف تسرع بيديها إلى الله (مزمور ٦٨:٣١)..

وهذا ما يذكره داؤد ، وهذا أيضاً ما لم تصل إليه ريشة فنان من أهل السودان يرسم لوحة جميلة يمكن أن تسمى كوش نحو الله.. لكى يصور لنا فنان سودانى ما سوف يحدث فى كوش من نهضة روحية تجعل الأيدى والأرواح تتجه نحو الله.. وتطرق أبواب السماء ، إقرعوا يفتح لكم.. قال ربكم : إدعونى أستجيب لكم..

عاصمة الثقافة : رغم أحداث مؤلمة هزت ضمير العالم ومازالت ، رغم عالم تشتد أمواجه العاتية.. وتكثر المظالم فيه.. فإن المرحلة القادمة سوف تشهد حركة ذات طابع ثقافى.. وعاصمتنا الثقافية سوف تكون أيضا عاصمة السلام.. وعندما يتحقق السلام سوف تكون عاصمتنا الحضارية الخرطوم ، عاصمة للثقافة العربية ، والثقافة الإفريقية.. من خلال حياة ثقافية وحركة روحية تتمثل فى ثقافة السلام .. والتى يمتاز بها أهل السودان... أهل العفو والعافية .. ومن خلال مسرحيات وسمنارات وندوات ومحاضرات تشمل ليس الخرطوم فقط ، وإنما كل العواصم السودانية ..

وبلدنا يتميز بالتنوع ، ليس فى الدين والعرق فقط ، وإنما فى الثقافة نفسها ، وهذا لا يشكل عنصر ضعف ، وإنما عنصر قوة.. نحن قوتنا فى تنوعنا.. وحدتنا الروحية تستوعب ثقافاتنا المتنوعة .. وقلوبنا واسعة ، سعة سودان المليون ميل.. نحن نرحب بكل مناحى الثقافة.. ونستوعبها.. ونطبعها بما لدينا من ميزات خاصة..

ولقد بدأت فكرة العواصم الثقافية فى المؤتمر الذى عقد بالمكسيك عام ١٩٨٢ تحت مظلة الأمم المتحدة ، حيث تبنى المشتركون فى المؤتمر إستراتيجية للسياسات

الثقافية ، تستند إلى أن الثقافة عنصر أساسى فى حياة الفرد والمجتمع .. وأن عملية التنمية الإقتصادية لابد أن تنطوى على بُعد ثقافى جوهرى ، ما دامت فى غايتها تستهدف خير الإنسان..

وبذلك وضعت الثقافة فى أولويات العالم المتصارع والمتخلف عن ركب الروح والقيم.. فالثقافة لها قيمها النبيلة والجميلة.. قيم التسامح والتكافل.. والتكامل.. وقبول الآخر.. وكل القيم الجميلة ليست منعزلة عن الدين ، والعرف ، والتقاليد الحميدة للبشر..

ولذلك تبنت الأمم المتحدة إعلان العقد العالمى للتنمية الثقافية بهدف مساندة برنامج مشترك لكل الأسرة الدولية ، فى فترة عشر سنوات .. تبدأ من ١٩٨٨ إلى ١٩٩٧.. وإحتفلت الدول ، كل على طريقته.. وتطورت الفكرة لتصبح عملية الثقافية ، عملية مستديمة.. وهنا ظهرت فكرة العاصمة الثقافية أو المدينة الثقافية ، حيث يمكن لهذه المدينة أن تحتفل بالعمل الثقافى ، بإختيارها وبطريقتها.. وبناء على أولوياتها.. ولقد تم بالفعل الإحتفاء بعواصم ومدن ثقافية فى أوربا.. وبلاد أخرى..

أما على مستوى بلادنا العربية فلقد قرر المؤتمر العاشر لوزراء الثقافة العرب الذى إنعقد فى تونس فى فبراير ١٩٩٧ لتكتمل مسيرة العواصم الثقافية فى كل البلدان العربية..

وفى هذا العام ٢٠٠٤ م مدينة صنعاء هى عاصمة الثقافة العربية ، وفى العام الماضى ٢٠٠٣ كانت الرباط بالمملكة المغربية هى العاصمة.. والعام المقبل سوف تكون الخرطوم عاصمة الثقافة العربية..

عبقرية المكان : وفى الخرطوم سوف تظهر عبقرية المكان الذى يتميز بإمتيازات خاصة ، وسوف تكتشف فى الخرطوم أيضاً عبقرية الحوار والتعايش والتماذج ، والإنصهار.. بين الثقافات الأفريقية ، والثقافة العربية ، بإعتبار أن التعددية الثقافية تشكل قيمة مضافة لثقافة الخرطوم ، ولابد أن تؤسس عليها مشروعها الثقافى والحضارى..

وسوف تتفجر طاقات المبدعين شعراً ونثراً.. وفناً ورسماً.. إبرازاً لقيمنّا ، وإنفتاحاً على الآخر من بلدان العالم.. والآخر من مواطنينا.. ولقد حضرت بصفتى عضو

المجلس الإستشارى لوزير الثقافة المثقف عبد الباسط ، ووزير الدولة الشاعر صديق مجتبى ، وكنت أتمنى أن يعرض لنا برنامجه شعراً..
وعندما طلبت من السعيد محجوب أن يكون فى تخطيطه الهندسى للخرطوم عاصمة ثقافية ، مساحة للمكتبة القبطية وللنادى القبطى.. وفى الكتب لإعادة طباعة كتاب « تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية «.. الذى كتبه الأب الدكتور» يوحنا فانتينى».. كان التجاوب سريعاً وحاسماً وواضحاً.. وهذا يجعلنى أتفاءل بنجاح كبير متوقع لعاصمتنا الخرطوم ، ليس لعام ٢٠٠٥ فقط ، إنما لعديد من الأعوام..

٦٦. الدكتور مبارك بابكر والحضارة المسيحية

الحضارة المسيحية: لا شك أن السودان له خلفية حضارية مسيحية.. وعلى قياس أهل البحث ، فإنه توجد حقبة مدتها ألف عام.. كانت المسيحية هى ديانة كل الوطن ، كان هناك إجماع تاريخى عليها.. كان الملوك يدينون بالمسيحية ويرسمون فى حماية الملائكة والقديسين..

وكان الشعب يدين بالمسيحية .. وتأثر الفن السودانى بهذه الحقبة ، ورسم صوراً رائعةً وأيقونات جميلة ، ورسم الطفل يسوع نائماً على « عنقريب « سودانى.. والعصر المسيحى فى السودان موجود الأن فى آثار متحف السودان.. صوراً.. وأيقونات.. ولوحات.. وكنائس وملابس رجال الدين..

وفى كتاب التاريخ للسنة الرابعة وسطى ، تسجيل رائع لتاريخ المسيحية فى السودان ، وعلى غلاف الكتاب صورة لأسقف مسيحى يمسك عصا الرعاية ، وقد كتب الأستاذ الدكتور مقالاً عنوانه « أثر الحضارة المسيحية فى إثراء التراث السودانى «.. جاء هذا فى تقديمه لكتاب الأب جيوفانى فانتينى ، راهب الكنيسة الكاثوليكية والذى يخدم فى السودان منذ خمسة وخمسين عاماً ، والكتاب هو تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، ونظراً لقوة هذا المقال ولعمق الباحث الدكتور مبارك بابكر الريح أقدم مقاله كاملاً وبدون تعليق ، فإلى ورقته العلمية..

أثر الحضارة المسيحية فى إثراء التراث السودانى

العوامل التى ساعدت فى دخول المسيحية للسودان :-

كان دخول المسيحية للسودان قديماً نتيجة لتضافر عوامل متعددة أهمها إعتناق الدولة الرومانية للدين المسيحى فى أوائل القرن الرابع الميلادى ، وإعتباره دين الدولة الرسمى بعد أن ناصبته العداء فى أول الأمر ، ونكلت بالمسيحيين الأوائل خصوصاً فى مصر إذ رأت الدين الجديد تهديداً لوحدة الإمبراطورية ، وتحطيماً لمبدأ الولاء للإمبراطور الرومانى ، إذ رفض رواد المسيحية عبادة الأباطرة وتماثيلهم فى المعابد ، ولقد بلغ التنكيل أشده فى عهد الإمبراطور نيرون وبلغ ذروته فى مصر فى خلال عهد الإمبراطور ديوكليتيانوس ، حين قتل ما يقرب من المائة وخمسين ألفاً من الأقباط المسيحيين ، حتى جعلوا فيما بعد أول حكمه (سنة ٢٨٤ م) بداية للسنة القبطية وهو التقويم القبطى الذى لا يزالون إلى يومنا هذا يحسبون به السنين والأيام..

بعد إعتناق الدولة الرومانية للدين المسيحى فى أوائل القرن الرابع الميلادى فى عهد الإمبراطور قسطنطين توقف إضطهاد المسيحيين وتساوى دينهم بالأديان الآخرى فى الإمبراطورية الرومانية وأدى ذلك إلىإنتشار المسيحية فى أرجاء الإمبراطورية ، وتأسست الكنائس فى روما والإسكندرية ، وهكذا إنفتح الطريق أمام البعثات التبشيرية لنشر الدين الجديد ، ولما كانت مصر جزء من الإمبراطورية الرومانية كان من السهل على المبشرين نشر الدعوة ليست فى مصر وحدها التى إعتنق غالبية أهلها المسيحية فى القرن الرابع الميلادى بل نحو بلاد السودان التى تقع خارج سيطرة الإمبراطورية الرومانية..

لقد أدى إنهيار دولة مروى القديمة التى كانت تسيطر على إقليم شمال وأواسط السودان منذ القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادى ، وتفكك أوصالها إن تمكنت القبائل البدوية التى كانت تقطن على جانبى الصحراء من الزحف على منطقة النيل الخصبة ، وبمرور الزمن أدى هذا الزحف البشرى إلى ظهور دويلات وثنية فى المنطقة بين الشلال الأول إلى جنوب الشلال الثانى فى السودان من السهل أن تجتاحها المسيحية..

فقامت دولة (النوباط) بتشجيع من الدولة الرومانية التى كانت تأمل من وراء

ذلك تجنب الإغارات المستمرة بواسطة قبائل البجة فى حدود الإمبراطورية الرومانية (مصر).. وإتخذت دولة النوباط الوثنية مدينة «فرس» التى تقع فى أقصى حدود شمال السودان عاصمة لها.. ولما إعتنقت المسيحية فى حوالى منتصف القرن السادس الميلادى ، كان هذا فاتحة عهد جديد فى علاقاتها مع الدولة الرومانية فى مصر ومع دول حوض البحر الأبيض المتوسط ومع القسطنطينية التى كانت المركز الرئيسى للدين والحضارة المسيحية فى ذلك العهد..

قيام ثلاث ممالك مسيحية فى السودان :-

وتجدر الإشارة إلى أن النصف الثانى من القرن السادس الميلادى قد شهد قيام ثلاث ممالك مسيحية فى السودان ، وهى مملكة النوباط فى المنطقة الممتدة من الشلال الأول إلى الشلال الثالث ، وعاصمتها فرص (٥٤٣ م) وتليها مملكة المقرة التى إتخذت دنقلا العجوز عاصمة لها حوالى (٥٦٩ م) وقد إمتدت هذه الدولة جنوباً إلى المنطقة التى سماها العرب بالأبواب (مروى القديمة) أو منطقة كبوشية الحالية ، والجدير بالذكر أن مملكتى النوباط والمقرة ، إندمجتا فى مملكة واحدة قوية للوقوف فى وجه الزحف العربى الإسلامى فى مصر ، وبالفعل عاشت هذه الدولة الموحدة إلى أن سقطت على يدى العرب عام ١٣٢٣ م..

وقد كانت الدولة الثالثة تعرف بإسم مملكة علوة وعاصمتها سوبا (٥٨٠ م).. وسوبا العاصمة تقع على بعد إثنى عشر ميلاً جنوب الخرطوم على الضفة الشرقية للنيل الأزرق ، وعمرت هذه الدولة المسيحية إلى أن سقطت على يدى الفونج عام ١٥٠٤ م..

أثر الحضارة المسيحية :- لقد أدى تماذج الأفكار المسيحية الوافدة من مناطق البحر الأبيض المتوسط بالحضارة المحلية إلى إثراء الحضارة السودانية وذلك بظهور نوعية جديدة من التقاليد لم تكن معروفة قبل دخول الأفكار المسيحية ، مثال ذلك : أن قامت حركة فنية فريدة نرى مخلفاتها فى اللوحات المسيحية التى وجدت مرسومة على جدران الكنائس ، وبصفة خاصة على جدران كنيسة فرس ، أخذت كل موضوعاتها من القصص الواردة فى الكتاب المقدس (الإنجيل والتوراة)..

وهى نموذج رائع للفن البيزنطى الذى تأثر الفنان بكل عناصره فى الرسم ، وذلك

على الرغم من أن الممالك المسيحية السودانية قد إنقطعت صلتها مع القسطنطينية (إستمبول الحالية).. عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية).. بعد ستين عاما فقط من قيام الممالك المسيحية السودانية بسبب الفتح العربى الإسلامى لمصر الذى كان حاجزاً بين الممالك السودانية والقسطنطينية فإنقطعت الصلة الثقافية بين بيزنطة والسودان المسيحى ، ولكن مع هذا إستمر الأثر البيزنطى قوياً فى السودان ، وهذا أمر يحتاج تفسيره إلى المزيد من البحث والدراسة..

إلى جانب هذا فقد أثرت الحضارة المسيحية على التراث الحضارى السودانى فى أوجه متعددة من الحياة ، وعلى سبيل المثال نرى لأول مرة الفخار يزين برسم الصليب أو برسم كنيسة صغيرة ، وكذلك زخرفة عتب الأبواب وهى مصنوعة من الحجر الرملى برسم الصليب المسيحى ولمبات الفخار ونماذج الزخرفة ..

وفى فن البناء والمعمار ظهرت لأول مرة فى تاريخنا هندسة بناء الكنائس ، وكان يبنى بالطين الأخضر ، وقلة منها تبنى من الحجر والطوب الأحمر (المحروق)..

وليس معنى هذا أن إختفت نماذج البناء المحلى التى كانت سائدة فى عهود ما قبل المسيحية ، بل تعايشت تلك النماذج المتمثلة فى الزخرفة المروية فى البناء وبقايا التقاليد الإفريقية والرومانية مع الفن المسيحى..

وفى مجال اللغات المكتوبة نجد أن اللغة المروية كانت اللغة المكتوبة والمحلية الوحيدة فى تراثنا الحضارى ، ولكن بدخول المسيحية أصبحت اللغة القبطية واليونانية معروفة ومستعملة فى الممالك السودانية ، حيث دخلت بها الكتب المقدسة بالإضافة إلى اللغة النوبية القديمة ، وهى لغة محلية تكتب بحروف إغريقية وقبطية ومروية ، وقد ترجمت أجزاء من الكتاب المقدس إلى اللغة النوبية.. وللأسف لا نعرف سوى القليل من النصوص النوبية وآدابها ، وذلك لندرة النصوص التى عثر عليها، ولضآلة البحث العلمى عنها..

والجدير بالملاحظة إن مجموعة القبائل النوبية التى لا تزال تقطن فى المنطقة من دنقلا بالسودان (ما بين الشلال الرابع والثالث) إلى منطقة الشلال الأول بمصر ، تتحدث بلهجات نوبية مختلفة ، ولكن كلها غير مكتوبة..

لابد من مواصلة البحث عن أصول اللغة النوبية التى ظلت اللغة المحلية للممالك المسيحية السودانية خلال عدة قرون على الرغم من محاصرة اللغة العربية عليها

.. وقد كان من أثر هجرات القبائل إلى غرب السودان إن وجدت نماذج للغة النوبية فى غرب كرفان ودارفور ، ولا تزال قبائل النوبة فى غرب السودان تستعمل فى لهجاتها عدداً من الكلمات الموجودة فى اللهجة النوبية شمال السودان..

٦٧. ملوال وفانتينى وعاصمة الثقافة

ثلاث رجال : حديثنا عن ثلاثة رجال لهم أثر كبير فى تاريخ حضارة السودان.. ولقد إجتمع هذا الثالوث ، أسماء فى كتاب قيّم ، صُدر فى الخرطوم ٨٧٩١.. والمؤلف هو الأب جيوفانى فانتينى ، وهو راهب كاثوليكى تعرفه الخرطوم جيداً، بل تعرفه كل ولايات السودان.. وله فى الخرطوم خمسة وخمسين عاماً ..

فلقد أتى للخدمة فى السودان منذ عام ١٩٤٩.. وهو دكتور فى علوم الأدب واللاهوت ، وله إسهامات أخرى كثيرة ، يُعد مرجعاً رئيسياً ، إن لم يكن المرجع الوحيد ، وكتابه هو « تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث» ..

والعنوان كبير.. والمحتوى أكبر.. والمؤلف من مواليد إيطاليا ١٩٢٣... وهذا يعنى إن له الأن فى عام ٢٠٠٤ واحد وثمانين عاماً.. ولكنه حتى الأن شخص نشط ، ومتكلم، ومحب لخدمته.. ولم يزل لسانه فى العربية مثل الأعجمى ، وله طريقته البسيطة فى شرح الحقائق التى يريد أن يشرحها.. وأدعو له بطول العمر..

وهذا الكتاب نفسه فى اللغة الإنجليزية أقوى بكثير ، وأنا شخصياً أحب أن أهديه إلى أى كبار الشخصيات التى أختار أى شىء أهديها.. ولقد أهديت هذا الكتاب إلى السير مجدى يعقوب طبيب القلب الشهير .. وكان وقتها فى ضيافة بروفسور أحمد عبد العزيز ، وزارنى فى المطرانية ، وكشف على إبنى مينا للتأكد بعد عملية ثقب القلب فى بريطانيا.. ولقد سعدنا بالجميع ، وسعدنا أيضاً بالحديث عن حضارة السودان وعن العصر المسيحى فى السودان الذى أخذ بحساب بداية المسيحية فى القرن السادس ألف عام ، وبحساب إن أول سودانى آمن ، كان وزير الملكة كنداكة سنة ٣٨ م أى ستة عشر قرناً..

أما الشخصية الثانية ، فهى شخص الوزير المثقف الجرىء « بونا ملوال».. والذى عاد هذا العام إلى السودان بعد غيبة طويلة ، سببها إختلاف الرؤى.. ولكنه عاد إلى

وطنه مع تباشير السلام ..

وقد كان وزيراً للثقافة والإعلام، فى عهد الرئيس الأسبق جعفر نميرى.. وكتب الوزير مقدمة الكتاب وقال : إنه يشرفه كوزير للثقافة والإعلام أن يشيد بجهد الأب الدكتور فانتينى وخدمته وتاريخه ، ومحاولته تجلية تراث الأمة ، والذى هو سعى حكومة مايو آنئذ بحسب قوله.. وشكر الجهد المبذول فى إلقاء الضوء على هذه الفترة الهامة من تاريخ الوطن ، وتوضيح الوضع السياسى والثقافى والدينى لبلاد النوبة قبل دخول المسيحية ، ثم عن دخول المسيحية وهو كتاب يعود بنا إلى ماضينا الزاخر لنستلهم حاضرنا المشرق ، وننطلق نحو مستقبلنا الوضاء..

وقال الوزير الأسبق : جداً إن المسيحية هي أول ديانة سماوية دخلت شمال وأواسط السودان فى حوالى القرن السادس ، وقامت على أثرها ممالك إتخذت من المسيحية ديناً رسمياً لملوكها ، وظلت الدين الرسمى للسودان ، منذ تلك الفترة إلى بداية القرن السادس عشر حين قامت سلطنة الفونج..

دكتور مبارك الريح :

أما الشخص الثالث لعنوان مقالنا فهو الدكتور مبارك بابكر الريح أستاذ التاريخ والآثار ، والذى كتب بحثاً فى مقدمة الكتاب ، تحدث فيه عن المؤلف والكتاب وأثر الحضارة المسيحية فى إثراء التراث الحضارى السودانى..

وهو يرى أن المؤلف فانتينى كان مدخله للبحث فى التراث السودانى سفرياته المتعددة لأقاليم السودان بمناسبة الأعياد المسيحية الكبرى ، حيث زار الأماكن الأثرية وتابع عن كثب الإكتشافات الأثرية التى تمت فى السودان خلال الحملة العالمية لإنقاذ آثار النوبة التى إشترك فيها الجهد العالمى والمحلى فى سباق مع الزمن ، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من التراث قبل أن تغمره مياه السد العالى..

وإشترك المؤلف فى بعثة جامعة روما مسقط رأسه لإنقاذ كنيسة سوفقى غرب السودان من ١٩٦٧-١٩٧٠ وكتب عن نتائج العمل عدة مقالات فى الصحف المحلية ، كما أقام العديد من الندوات الدولية حول التراث النوبى السودانى ، وهو عضو فى جمعية الدراسات النوبية فى وارسو.. كما إن رسالة الدكتوراة كان موضوعها آثار كنيسة « فرص» ودخول المسيحية إلى السودان فى القرن

السادس الميلادى.. وكانت الدكتوراة من جامعة نابولى.. ولقد تمكن أن يطلع على مخطوطات ومصادر تاريخية بمساندة المطران بارونى ، والذى لا يمكن للسودان أيضاً أن ينساه ، وينسى محبته لأهل السودان ، والذى بعد أن تقاعد عن قيادة الكنيسة الكاثوليكية، جاء إلى الجنوب ليشرف هناك على خدمة المصابين بالجذام ، وقضى نحبه وهو يخدم السودان..

ويرى دكتور مبارك الريح إن الكتاب جاء تاريخا شاملا لدخول المسيحية وإنتشارها ، وأثرها فى وادى النيل.. وإن الكتاب مفيد للقارىء العادى ، ومهم جداً لعلماء الآثار.. وإن الكتاب دراسة لا غنى عنها للقارىء والباحث معاً ، وإن المؤلف إعتمد فى بحثه على ما جاء فى كتابات المؤرخين العرب والمخلفات الآثرية ووثائق ورسائل الفاتيكان ، وتعرض للوضع السياسى والثقافى والدينى لبلاد النوبة ، قبل دخول المسيحية .. ثم قصة دخول المسيحية وإنتشارها وعلاقاتها مع الدول المعاصرة ، كالدولة الأموية والعباسية والفاطمية والأيوبية..والمماليك...

وكتب كل هذا على ضوء ما جدّ علينا حديثاً من الإكتشافات والمعلومات ورتبه ترتيباً واضحاً لم يغفل حقيقة إن السودان فى كل أطواره التاريخية لم يكن معزولاً عما يجرى حوله فى العالم المعاصر..

وأعلن الريح عن أمله فى أن يسهم هذا الكتاب وغيره من الكتب فى تجلية الحقائق عن التراث السودانى..

عاصمة الثقافة : والخرطوم فى العام المقبل هى عاصمة الثقافة ، وقد تقدمت بإقتراح إلى السيد سعيد محجوب مهندس عاصمة الثقافة ، وبصفتى عضواً فى المجلس الإستشارى لوزارة الثقافة ، وإقتراحى هو : أن يعاد طبع هذا البحث القيم للأب فانتينى ، فهو شاهد على حضارة أهل السودان.. وشاهد على إستقلال أهل السودان الذين لم يقدر أحد على إخضاعهم أو غزو بلادهم ، وحاربوا لأجل الوطن بالأسهم والنبال، وإنتصروا وعاشوا رجالاً ، وماتوا رجالاً.. ونحن فى إنتظار إعادة طباعة كتاب « تاريخ المسيحية فى الممالك النوبية القديمة «.. مع إصدارات الخرطوم عاصمة الثقافة ، والتى سوف تصل إلى مائة كتاب ..

٦٨ـ روح الدعابة والثقافة

روح الدعابة : تعد روح الدعابة هى الحركة الروحية التى ننعش بها قراءتنا بل ما نكتب وما نتحدث به ، ويرى صاحب محاضرة الوجه الإنسانى للثقافة التى كانت إفتتاحا لدار الثقافة بالخرطوم عام ١٩٤٠م .. إننا ينبغى أن نضيف إلى ما نقرأ أو نكتب أو نتحدث أربع صفات إنسانية ، هى روح الدعابة ، ورحابة الخيال ، والتسامح ، والبساطة ، وأفرد الحديث فى هذه المساحة عن روح الدعابة حيث قال السير دوجلاس : أشك فى أن تكون الدعابة قد لقيت حقها الوافى ، من التقدير أو إمكان إستخدامها فى تغيير حياتنا الثقافية من حيث نوعيتها وطابعها ، ولا أعتقد أن هناك ما يكفى فيما كتب عن دور الدعابة فى السياسة ، والدعابة فى الدراسة والبحث العلمى ، والدعابة فى الحياة بوجه عام..

وأرجو أن تقرأها عزيزى القارىء الدعابة بالباء ، وليس بالياء وبأن الدعابة هى روح المرح ، ويستمر المحاضر بأن الدعابة لها وظيفة كيمائية ، فهى تحدث تحولاً فى النسيج الأساسى لفكرنا وتجاربنا وهذا هو السيد « لين يوتانج» أبرز كتاب الصين فى يومنا هذا ، وواحد من أكثر الكتاب الأحياء قدرة على الإضحاك.. قد ألف كتاباً بعنوان « أهمية العيش « وهو كتاب أوصيكم جميعا بقراءته.. فهو كتاب رائع تفتقت عنه قريحة رجل مثقف وتتقاطر فيه فلسفة ناعمة فكاهية..

وقد كتب ما يلى فى فصل من الكتاب عنوانه « حاسة الدعابة «.. إنك إذا أوفدت خمسة أو ستة من أفضل كتاب الفكاهة فى العالم إلى مؤتمر دولى.. ومنحتهم السلطات المفوضة للحكام المستبدين لكان فى هذا خلاص العالم.. فالدعابة تقترن بالضرورة ، بالمنطق السليم ، وبروح العقلانية.. إلى جانب القوى الذهنية الماكرة القادرة على الكشف عن التناقضات والحماقات والمنطق الفاسد.. وتلك هى أسمىّ صورة للذكاء البشرى ، مما يجعلنا نثق فى أن الأمم كافة ستكون ممثلة فى المؤتمر بأحكم وأسلم ما لديها من عقول..

ويسترسل السيد « لين يوتانغ» فى خيالاته.. فيرى فى هذا المؤتمر برنارد شو ممثلاً لإيرلندا ، وستيفن ليكوك ممثلاً لكندا ، وب.ج. وود هاوس أو أولدس هكسلى ممثلاً لإنجلترا ، وويلى روجرز ، لو إنه ما زال على قيد الحياة لكان ممثلاً لأمريكا..

وقد يبدو ذلك فى جملته إغراقاً فى الخيال.. ولكن يجب أن لا يغيب عنا أن هؤلاء

الرجال ليسوا مجرد كتاب لأعمال فكاهية.. فبرنارد شو كاتب مسرحى عظيم.. وستيفن ليكوك أستاذ جامعى (للإقتصاد السياسى).. وأولدس هكسلى كاتب مقالات رائع وعالم إجتماعى مرموق .. وهو ما يعرفه جيداً من قرأ كتابه « الغايات والوسائل»..

كذلك كان ويلى روجرز خبيراً فى علم الفلك.. أما عن ب. ج . وودهاوس ، فمما يستلفت النظر إن السيد هيلر بيلوك ، كتب فى تقديمه لكتاب Week-end Wodehouse ..(مجموعة قصصية كتبها ب.ج. وودهاوس) ما يذكر به قراءة بأنه أعلن فى حديث إذاعى فى أمريكا أن السيد وود هاوس هو أفضل كاتب للنثر باللغة الإنجليزية بين الكتاب الأحياء..

وهذا الرأى ربما يلقى معارضة شديدة لدى أدعياء الثقافة الرفيعة.. ومن الطبيعى أن يعترض عليه كثير من الناس.. ولكن إذا كانت الكتابة حرفة ، فمعنى هذا إن السيد وود هاوس يمسك بناصيتها..

وقد يكون من الصواب أن تفتتح المناسبات الرسمية ، مثل المؤتمرات الدولية والمحافل العلمية ، بعرض أحد أفلام ميكى ماوس ، ذلك لأن إثارة روح الفكاهة لدى المشاركين فى تلك اللقاءات من شأنها أن تهيأهم للنظر بعين العقل والتفاؤل إلى المشكلات المطروحة أمامهم ، فالفكاهة تمتد إلى أعمق أعماق الثقافة وتفتح الطريق أمام عصر الرشاد ، لكى يحل على عالمنا المعاصر ، بعد أن مرت الإنسانية بعصور عديدة إلى يومنا هذا.. أولها العصر الحجرى ، وآخرها العصر الصناعى..

ولم نصل بعد إلى عصر الرشاد هذا.. وهو ما تدل عليه الأحوال الراهنة فى أوربا، وليس بمقدورنا أن نتصور هدفاً أسمىّ من رؤية الإنسانية وقد تشربت مزيداً من روح الرشاد.. وتشبعت بالمزيد من سداد الرأى ، وبساطة التفكير ، وراحة البال، والتحضر فى النظرة إلى الأمور..

ولن يكون العالم المثالى للبشرية ، عالما عقلانيا أو عالما كاملا بأى حال من الأحوال ، وإنما عالماً لا يجد مشقة فى الكشف عن نقائصه ، ولا فى تسوية خلافاته بالعقل والحكمة ، ويتطلب هذا بالضرورة أشياء عديدة فلسفة مستبشرة وبساطة فى التفكير ، حصافة فى الرأى ، وكلها سمات لروح الفكاهة المطلوبة..

أمستردام ٢٠٠٢ : ولقد لاحظت أن العالم الأن يميل جداً إلى روح الدعابة ويعبر

عن نفسه بالفكاهة.. ويعبر عن آماله المفقودة بالنكتة.. وعندما بدأ أهل السودان يتندرون بالنكات قالوا عنا : إننا فى مأزق ، لأن المآزق إن لم نخرج منها بروح الدعابة ، نظل فيها..

وأذكر أننى حضرت مؤتمر لخدام الكلمة المقدسة فى أمستردام ، هولندا عام ألفين.. وكان فى المؤتمر عشرة آلاف خادم للرب.. وكان المحاضر يلقى المحاضرة ولا يسأل عن التجاوب ، وليس فى مقدور أحد أن يقدم له سؤالا.. وكان المؤتمر عن (التكنولوجيا فى خدمة التبشير) ولكن الذى حدث إن كل متكلم كان يبدأ حديثه بإحدى النكات وليس مهما أن تكون مرتبطة بالموضوع ، وكانت روح الدعابة سبباً فى التجاوب ، فالمؤتمر خمس عشر يوما كلها محاضرات روحية ..

وفى كل يوم كان هنا كبرنامج لأخبار المؤتمر ، وكانوا يصورون مناظر مضحكة للمؤتمرين ، مثلما نائم نوم أهل الكهف وقت الكلام ، أو مندفع كركوب القطار.. وأذكر هنا نكتة واحدة قال فيها الواعظ : إن هناك إثنان ضلا الطريق فى منتصف الليل ولم يعرفا أين هما ؟.. لم يجدا من يسألانه ، ومرّ عليهم ضابط بوليس ، سألوه أين نحن ؟.. فسألهم : أتعلمون من أنا ؟.. فهربوا قائلين : إننا فى ورطة حقيقية ، فنحن لا نعلم أين نحن ؟.. وهو لا يعلم من هو ؟..

وفى عالم الروح بالمؤتمر ، إلتقينا وبالدعابة الجميلة تعاملنا..

٦٩ـ ليلة للسلام بدون كلام

بدون كلام : أذكر إننى فى مطلع خدمتى ذهبت إلى القضارف لإقامة ليالى روحية فيها ننشد بكلمة الرب.. وفيها أيضا نتكلم ، وذات ليلة أعلنت عن عظة عنوانها « بدون وعظ «.. وقد إهتم كثيرون بهذا العنوان.. وأتى موعد العظة وسط ترقب كثيرين ، وإخترت لها آية من الكتاب المقدس قالها القديس بطرس الرسول ، تقول : كذلكنّ أيتها النساء كنّ خاضعات لرجالكن ، حتى وإن كان البعض لا يطيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء، بدون كلمة ، ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب، بل إنسان القلب الخفى فى العديمة الفساد ، زينة الروح الوديع الهادىء، الذى هو قدام الله كثير الثمن ..(١بطرس٣:١،٤)..

فإنه هكذا كانت قديماً النساء القديسات أيضاً المتوكلات على الله يزين أنفسهن خاضعات لرجالهن كما كانت سارة تطيع إبراهيم ، داعية إياه سيدها التى صرتن أولادها صانعات خيراً، وغير خائفات خوفاً البتة.. ويأتى هذا الكلام فى الإصحاح الثالث من الرسالة الأولى للقديس بطرس الرسول ، وهو كلام موجه إلى المرأة : أن تكسب الآخرين ، ليس بالكلام ، إنما بدون كلام.. بدون وعظ..

عندما تسلك المرأة سلوكاً روحياً وقوراً.. عندما تكون قدوة ممتازة.. عندما تكون سبباً فى توبة الرجل ، دون أن تعظ الرجل ، إنما من خلال وقارها وحشمتها وزيها المحترم ، وطاعتها لزوجها، وحسن الخطاب إلى الآخر، وعلى الأخص الزوج مثل سارة زوجة إبراهيم، التى كانت تخاطبه ياسيدى..

وهذا النموذج العظيم للمرأة المؤمنة يجعلها المرأة المتكلمة دون أن تتكلم.. واعظة دون أن تعظ.. وعدت أذكر قصتى مع رجل زرت منزله عدة مرات ، ولم أحظ برؤياه.. وعندما رأيته تحدثت معه ، أننى سعيد برؤياه ، ولكنه سألنى : ياأستاذ أن تبحث عنى لكى أسمع عظاتك.. أنا أعلم هذا.. ولكن أريد أن أذكر لك حكمة مهمة وهى : من لا يعمل لنفسه واعظ لا تنفعه كتب ولا مواعظ.. وفهمت الدرس ، ووصلت العظة إلى أعماقى.. والأمر واضح إنه يمكن أن نقدم أعظم التعاليم وأنبل القيّم من خلال القدوة الحسنة..

إن الكلام عن السلام قد صار كثيراً.. ولكن يمكن أن تقدم السلام بدون كلام.. ويمكن أن نحيا السلام بدون كلام.. السلام الذى يصبح واقعا فى بيوتنا هو درس وعظة أفضل من آلاف الأحاديث التى نتكلم بها عن السلام.. إن ترجمة الكلام إلى واقع معاش هو السلام بعينه.. وعندما يمتلىء البيت برائحة السلام ، نشعر بالطمانينة تملأ قلوب أفراد الأسرة بدون كلام..

ليلة السلام : وعندما ذهبت مع وفد شعبى كبير إلى الجارة الحنون «كينيا «.. كان هذا يوم الجمعة الرابع من يونيو لهذا العام المبارك عام السلام ٢٠٠٤.. وقد كانت الرحلة ، رحلة شاقة جداً.. بالطائرة من الخرطوم إلى مطار نيروبى.. ثم بالعربات إلى نيفاشا.. المشوار طويل جداً.. وكانت ساعات الذروة.. العربة تسير ببطء شديد.. وصلنا إلى نيفاشا فيما يقترب إلى أربع ساعات.. ومباشرة دخلنا إلى مائدة العشاء ،

وبسرعة بدأ لقاء ليلة السلام.. وهى ليلة جميلة جعلتنا ننسى كل أتعابنا..

قبل اللقاء كثيرون منا ذهبوا إلى النائب الأول فى جناحه الخاص.. وكان لقاؤه بكل واحد فينا ، لقاءاً دافئاً حنوناً.. إننى شخصياً أدعو إلى الرب من أجله أن يعطه القوة والصحة والعافية ، فهو الرجل الذى نجح فى كسب الآخر.. وجعل العداوة تتحول إلى محبة.. والعدو يصبح كأنه ولى حميم.. لقد وفقه الرب فى أن يستمع ويعالج كل مرارت الماضى.. ويزيل المسافات بينه وبين الأشقاء بعد أن تباعدت ، وإزدادت مع تباعد المسافات ، الشكاوى والتوترات..

رسالة على عثمان نجحت جداً.. ونحن نؤازره بالدعاء والإعجاب.. ولقد عتب علىّ عند اللقاء: إننى لم أسجل له زيارة فى الخرطوم.. وكانت إجابتى إنه فعلاً فى قلبى وفى وجدانى ، ومحل ثقتى وإعجابى.. فلقد كتبت عنه.. وصليت من أجله.. وطالبنى أن يكون لرجال الدين دور فى تعميق مفهوم السلام.. وثقافة السلام.. وأنا أؤمن إنه بمجيء السلام لن ينتهى الأمر.. ولم يتوقف دورنا ، كلا.. نحن مطالبون أكثر بمجهود أكبر، وبعمل أعظم ، لكى نحافظ على إنتصار السلام.. والإنتصار دوما يحتاج إلى سهر لكى نحافظ على بقائه..

وعشنا معا ليلة السلام بدون كلام.. فى نيفاشا.. كان اللقاء بدون كلام.. لم يتكلم على عثمان.. ولم يتكلم جون قرنق.. ولم يتكلم أحد.. بل كان السلام يرفرف بألويته علينا جميعاً.. فى رضى وحبور.. وبهجة وسرور.. على كل وجه من وجوه الحاضرين.. وعرضت رقصات شعبية من الجنوب.. وغنى حسن مصطفى ، ذلك الفنان العملاق ، غنى للوطن ، وكلنا أنشدنا معه.. ووقفنا نهنيء.. ونعلن البشرى بالسلام المجيد..

وأنشد الفنان العريق وردى : ما هنت ياسودانا يوما علينا.. وعندما قال : أصبح الصبح فلا السجن ، ولا السجان .. قام الجميع كلهم يحيون عهداً جديداً مجيداً ، قادم إلينا فيه يحيا المواطن السودانى حراً كريماً.. يرفض الذل.. ويحارب الظلم.. لأن إتفاقية السلام تعطه الحق فى هذا.. وتلزم الدولة أن تحمى حرية المواطن وكرامة المواطن.. لأن دولتنا القادمة ، كرامتها فى كرامة المواطن ، وهكذا عشنا جميعاً ليلة السلام بدون كلام.. وكان الحب هو لغتنا..

٧٠. السفير الألمانى والحضارة العربية

فيرنر فى الخرطوم : كان الدكتور « فيرنر داوم» سفير ألمانيا فى الخرطوم ، وفى ذات يوم إتصل مكتبه بى طالبا الزيارة ، وتحدد الموعد فى يوم ما العاشرة صباحاً.. وذهبت إلى مكتبى فى كنيسة الشهيدين مبكراً.. وأتى إلىّ ضيف أجنبى فى التاسعة صباحاً.. وجلس معى جلسة أدبية لا أنساها..

وكنا خارج المكتب وأولادى يجهزون المكتب للقاء السفير الألمانى.. وتحدثت مع الضيف ، وحادثنى الضيف، وكان الكلام جميلاً عن القبطيات أو الدراسات القبطية.. وأخذنا الحديث حتى العاشرة فقال لى : لابد أن أستأذن لأنك فى إنتظار السفير الألمانى.. وكان هو السفير الألمانى نفسه.. وكان طريفاً وظريفاً.. وبعد هذا صارت بيننا صداقة وألفة.. وكان عندما يلقانى يردد كلمات قلتها فى مناسبات معينة ، ومن بين هذه الكلمات : الأقباط لا يزعجون الحكومة.. ولا ينزعجون من الحكومة.. لقد غربت شمس ليلى إذ بعد نهار.. أنا لا أصدق فهل تصدقون ؟...

وكان يأتى لزيارتى فى عيد الميلاد والقيامة ويجلس ، وينصت ، ويسمع.. وذات مرة كنا نتحدث عن الملاك ميخائيل وإهتمامه بالزروع والأهوية وثمرات الأرض.. وكان فى زيارتى أحباء من غرب السودان ، تكلموا عن هتاف أهل الغرب ، كيل كيل يا ميكائيل بالمد الكبير.. وهو هتاف يستعطفون به الملاك ميخائيل وقت الأمطار.. لكى يزيد الأمطار ويعم الخير..

وسألنى عن الأحوال الشخصية لغير المسيحيين فى السودان ، وكانت إجابتى إن المشرع السودانى هو أحكم المشرعين فى بلادنا لأنه أسند مهمة الأحوال الشخصية للكنائس نفسها.. ولم يتدخل.. وقلت له : إننى أكتب فى» حديث الأحد» ما يقرب من خمسين مقالاً عن هذا الموضوع ، وفى نفس الأسبوع تابع مكتب السفير معى الحصول على صورة من هذه المقالات..

كان دكتور» فيرنر داوم «.. يتكلم اللغة العربية بطلاقة.. وعنده أدب رفيع.. وله قيمّ نبيلة ، فلقد سمعته مرة فى اليوم الوطنى لتحرير ألمانيا ، يتحدث فى الصداقة الشعبية العالمية ، ويشكر الإستعمار الذى خدم ألمانيا خدمة لا ينساها.. وهنا فكرت فى تراثنا الذى أصّل لثقافة الكراهية ، بينما هو يرى الأمر غير ذلك..

وبعد هذا عرفت الكثير عن هذا الرجل السفير المثقف ، الذى يعرف العديد من اللغات ، وليس العربية فحسب، والذى له الكثير من الدراسات ، فهو لا يدرس القبطيات فقط ، إنما هو معجب بالحضارة العربية ودارس لها..ومتعمق فيها.. وهو أيضاً مهتم جداً بالفن ، وبدراسة الأيقونات ، والصور التى توضع فى الكنائس والتى تعبر عن لغة مفهومة لكل الناس، والتى ظلت كما يقول هو : فناً شرقياً.. وإن دير سانت كاترين هو موطنها الأصلى..

السفير والحضارة العربية: والسفير الألمانى معجب ودارس للحضارة العربية.. وهذا توجيه لهذا الجيل ، لأن شبابنا الأن ينشغل بمشاغل أخرى.. ونحتاج إلى أن يضم إلى قاموسه ما كتب وقيل عن الحضارة العربية وعن أمجادها.. وإذا كان أهل الغرب يهتمون بها ، فكيف لا نهتم نحن ؟..

إن السفير يُعد أحد الباحثين فى أعماق الحضارة العربية فى العصرين ، الجاهلى والإسلامى.. وهو يشارك فى الندوات عن هذا ، وله دراسات فى المصاحف اليمنية التى إكتشفت فى أحد مساجد صنعاء القديمة.. والتى يرجع تاريخ كتابتها إلى أوائل العصر الإسلامى..

ولقد قضى السفير الألمانى فى اليمن بالذات عشرين عاما فى عمل دبلوماسى، ومعه عمل ثقافى كهواية.. وكتب عدة كتب باللغة الألمانية مثل : بواكير الديانة السامية.. وهو يتحدث عن الجذور الأفرو آسيوية للديانات الإسلامية والمسيحية واليهودية.. وله كتابان عن القصص الشفاهية فى اليمن.. وكتاب عن الحضارة اليمنية.. وآخر فى فن الأيقونات.. ومجلد كبير فى فنون الزخرفة الإسلامية..

ويُعد كتابه عن الحضارة اليمنية مرجعاً مهماً، لأنه الوحيد الذى يجمع مختلف الجوانب الثقافية ، النحت..والمعمار..والتقاليد ..واللغات.. والديانة.. ولديه كتاب آخر عن الحضارة الألمانية..

أما كتابه عن اليمن ، فلقد أعطاه عنوان « فى بلاد سبأ «.. جاء فى مناسبة معرض لآثار اليمن أقيم فى ألمانيا ٢٠٠٢ م.. وهو نفسه عرض فى بريطانيا فى نفس العام.. ولقد تحدث فى كتابه عن اليمن عن ملكة سبأ فى الفن الملموس ، وعن الصيد المقدس الذى يقام فى أوقات معينة من السنة ، وفيه يطارد الناس نوعا من

الوعول الجبلية.. جلبا للمطر ونماء للمزروعات..

ولقد تمكن من أن يدخل دراسة الديانة القديمة فى اليمن فى سياق دراسة الأديان الأخرى.. وفى حوار له مع الصحفى والروائى محمد الأسعد ، جاء على صفحات العربى عدد مايو ٢٠٠٤ ، يجيب على سؤال عن الصيد المقدس قائلاً : فى كل الأديان السامية القديمة يموت الإله أو يقتل ، ثم يعود إلى الحياة مرة آخرى..

وقد يكون مصدر هذا الإعتقاد ما يشاهده الإنسان من احوال تلم بالطبيعة من حوله.. يحل القحط والجفاف وتموت الخضرة أو تموت الطبيعة ، ثم وعلى رغم هذا الموت ، يجيء الربيع طالعاً من تحت الأرض.. أرض الأموات التى لا يرجع منها أحد ، وتعود الحياة إلى سابق عهدها..

وفى رأيى الشخصى : إن هذا ما تحدث عنه الكتاب المقدس ، عندما يذكر قول السيد المسيح : إن حبة الحنطة إن لم تقع فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير.. من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه فى هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية (يوحنا ١٢:٢٤)..

التحية إلى السفير الألمانى.. والأمل فى أبناء العرب أن يهتموا بحضارة أجدادهم.. ولنا فى بلادنا تاريخ مجيد، وحضارة تليدة ، تدفعنا إلى الأمام.. وتصنع بنا مستقبلاً سعيداً ومجيداً..

٧١- الشريك المخالف

إختلاف الشركاء : ليس هناك مانعا من أن يختلف الشركاء.. وأن يوقفون مسيرة الشراكة ، ولكن هناك شراكات لا يمكن أن تنفصم عراها بسهولة.. وهى شركة الزوج مع الزوجة فى المسيحية ، الزواج عقد لا تنفصم عراه.. عقد أبدى يدوم بدوام حياة الرجل والمرأة.. كلاهما مرتبط بالآخر ما دام حياً.. إنه عقد لا ينفصم إلا بالموت أو بسبب آخر هو دخول شريك غير قانونى إلى هذه الشراكة الزوجية عن طريق خطية الزنى من أحد الطرفين..

وفى الإسلام الحياة الزوجية حياة مقدسة.. والطلاق مسموح به ، ولكنه أبغض الحلال عند الله .. وهذه إشارة ضمنية لكى يستمر عقد الزواج بين الرجل والمرأة أكبر مدة ممكنة ، لأن الطلاق حلال بغيض يهدد كيان الأسرة ، ويشتت الأبناء.. كما

أنه يجعل القيّم الفاضلة ، قيّم باهتة، مما يدفع البعض إلى عدم الإلتزام بالفضيلة..

ويقولون : إن المرأة التى تهتم بالبيت وتبنى وتعمر، إنما هذا ما تعمله الخائبة للغائبة، والخائبة هنا هى الزوجة ، والغائبة هى المرأة التى سوف تأخذ مكان الزوجة ، وتصبح زوجة.. وتجد البيت مكنوساً ومزيناً ومهندماً من الزوجة الأولى الخائبة.. وعلى الإنسان أن يراعى ضميره فيما يقرر، وذلك لأن ضحايا الطلاق كثيرون وثمن الطلاق باهظ جداً، لأنه ثمن معنوى يورث العقد والمتاعب النفسية..

الشريك المخالف : وفى « سالى فوحمر».. للأديب السفير جمال محمد أحمد ، قصة طريفة من الأدب الحبشى ، وهى قصة الزوجة المكاجرة.. ويذكر جمال إن الرجل إسمه « سيوم» والمرأة إسمها « ملمابيت».. وأن الرجل إذا قال يمين قالت المرأة :أحسن شمال.. وإذا قال : جبل ميدوم ، قالت : تمرحنة.. وقال الرجل فى يوم من الأيام : محصولنا جيد هذا العام ، تعالى نبنى بيتاً مستديراً من الحجر ، فقالت له : من الأحسن أن نبنى بيتاً مربعاً من حطب البان..

وفى يوم آخر ألمته معدته فقال لها : الماء الراكد فى النهر هو الذى آلم معدتى.. إنه لا يصلح للشرب.. ومن الأصلح أن تجلبى لنا الماء من المنبع قرب الجبل وراء البيت ، فقالت له : أنت لا تعرف إن ماء النهر فى هذه الأيام أحسن ، ثم حملت جرتها على ظهرها وذهبت للنهر لتحضر ماء ، وأبت أن تسقيه من النبع.. وهكذا إشتد المرض على زوجها.. فقال لها : إصنعى لى فنجان قهوة ياإبنة الحلال ، عندى صداع ، فقالت : لا بل أنت جوعان ، والجوع هو الذى يسبب لك الصداع.. ودخلت المطبخ ورجعت إليه بطبق كبير من البليلة..

وذات يوم إشتاق أن يأكل لحماً فقال لها : قومى وخذى الغزالة التى إصطدتها هذا الصباح وأطبخيها لنأكلها .. فقالت له : لقد أكلت لحماً فى الأسبوع الماضى.. ودخلت لتعد له عصيدة القطاف وتوقظه من النوم لكى يأكل طعاماً لا رغبة له فيه.. وشعر الرجل سيوم إن هذه المرأة تعمل كل شىء بالعكس.. وتفهم كل شىء بالمقلوب.. الشمس عندها قمر.. والبر بحر.. والملح سكر..

وتعلم سيوم مع طول الوقت كيف يكلمها إذا أراد أن يأكل قطعة كعك قال لها : أريد فنجان قهوة..والعكس.. وإذا رأى النهر راكداً يقول لها : ما أحلى ماء النهر.. وإذا

كان عنده ضيوف وأراد لأن يرحب بهم بالغناء والموسيقى قال لها: هذا هدوء بسيط لا يجب أن يعكره أحد ، فتذهب وتحضر فنان القرية.. الشاهد أن الرجل قد عرف دواء المرأة.. أما أهل القرية فكانوا يقولون دائماً : مسكين سيوم ، رجل فاضل.. ما الذى رماه على هذه المرأة الشاذة.. المرأة المشاكسة، ويعطفون عليه..

نهاية المشاكسة : وذات يوم كان مع زوجته فى أديس أبابا وقال لزوجته : نبيت هنا لأن الأمطار فاجأتنا، وقد وصلنا إلى أول الخريف.. قالت له : إنها أمطار يونيو، وستكف بعد قليل ، وركب المسكين بغلة وركبت هى الحصان ، وخرجا من المدينة ومشيا طول الليل ، ووصلا إلى نهر الحواش الذى كان قد إمتلأ بالماء ، مثلما نهر القاش عندنا.. ورأى سيوم أن عبور النهر صعباً، ولكنها قالت: ليس صعباً ، نربط البغلة والحصان فى هذه الشجرة ونعبر نحن..

وحاول معها ولكن هى صممت أن تدخل إلى الماء الذى يفور مندفعاً، ويثور غلياناً ، وجهزت نفسها لتنزل إلى الماء.. وقال لها : تنبهى جيداً، أعبرى من هذه الناحية.. أبعدى عن هذا المكان العميق الذى تحيطه الصخور وتعالى من هذه الجهة أرجوك.. ولكنها مشت لحتفها وسارت عكس التيار.. ودارت مع الماء دوراناً ونزلت لقاع النهر، وصرخ الرجل ينادى زوجته..

وسمع الصراخ أهل القرية ، وشمّر الشباب عن سواعدهم ، وخلعوا ملابسهم ، ودخلوا إلى النهر، ولكن بدون جدوى.. وقال سيوم بعد أن هدأ الجميع : ربما تكون قد إتجهت عكس التيار.. هذا طبعها إنها تكابر فى كل شىء حتى الطبيعة.. وصمم الشباب أن يبدأوا جولة ثانية للبحث عن « ملمابيت» ، وسيوم يضحك من طيبتهم ، وتركهم وركب بغلته وجر الحصان وراءه وهو يقول لنفسه : مسكينة ملو.. صادقت العناد حتى إنتهت إلى الموت.. يرحمها الله إن كانت ستقبل رحمته..

البناء والمناول : وهناك أحاديث كثيرة عن المرأة ، وعن وصايا الله لها : أن تطيع الرجل فى الرب ، كذلكن أيتها النساء كنّ خاضعات لرجالكن.. كما كانت سارة تطيع إبراهيم داعية أياه سيدها..

وفى الأدب الشعبى قصة البناء والمناول.. والمناول هو صبى البناء ، وكان مثل هذه المرأة يتجه عكس الإتجاه.. ورأى البناء أن يقول له شرق إن كان يرغب فى

الغرب.. وذات المرة كان الموقف حرجاً جدا.. فوق مكان عالى.. وخلف المناول هوة تسقطه صريعاً.. وخاف البناء وقال : إن محاولتى فى تغيير الطلب ينبغى أن تتغير ، ولكن الهوة فى إنتظاره ، فقال له سر إلى الأمام وهو يريده أن يسير إلى الخلف.. وأطاع المناول هذه المرة ، وخر مهشماً ..

الأمر يحتاج إلى حكمة ، وليس من الحكمة أن نطلب العكس ، لكى يكون لنا ما نطلب.. ليكن كلامكم نعم نعم.. ولا لا... وما زاد على ذلك ، فهو من الشرير..

٧٢- فقدان المناعة أزمة أخلاق

مرض الإيدز: تحتفل منظمة الصحة العالمية فى الفاتح من ديسمبر باليوم العالمى لمحاربة الإيدز.. ويأتى جهد هذه المؤسسة العملاقة تحت مظلة عملاق كبير هو الأمم المتحدة.. وفى اليوم العالمى هذا تكثر النداءات للعودة إلى الأخلاق.. لأن مرض الإيدز أو فيروس العوز المناعى البشرى يمثل فى جانب كبير أزمة أخلاق يواجهها عصرنا هذا.. حيث يحاول الإنسان أن يترك إلى وراء القيم الإجتماعية والقيم الدينية كوسائل للضبط الإجتماعى.. وعندما ينزل مستوى الأخلاق تكثر مثل هذه الأمراض.. وليس هناك حل أمام البشر سوى العودة إلى الدين والإحتماء بظل القيم الأخلاقية حتى ينجو من الشر الذى سوف يلحق به..

خطورة الإيدز: وتأتى خطورة مرض الإيدز من أنه مرض خبيث لا تظهر أعراضه إلا بعد مضى اكثر من عشر سنوات ، بعد حدوث العدوى.. وقد يظل المصابون بعدوى الفيروس خالين تماما من الأعراض سنوات عديدة ، ولكن بعد تشخيص حالات الإيدز يكون الموت المرعب المخيف فى إنتظار المريض فى مهلة لا تتعدى ثلاثة أعوام..

ولهذا المرض أسباب عديدة يهمنا منها عدم الإنضباط الأخلاقى ويعد الزنى سببا رئيسياً ومباشراً لإنتقال العدوى.. وينشأ هذا الميكروب خارج إطار العلاقات الزوجية الشريفة..

سر الزواج : والوقاية من هذا المرض تأتى من خلال تقديس سر الزواج والعلاقات الزوجية.. وتهتم الأديان بالزواج كأمر مقدس.. وتهتم المسيحية بالزواج وتعامله بإعتباره سر إلهى مقدس.. فالزواج هو إرتباط بين رجل وإمرأة ، يجعلهما روح الله

القدوس جسداً واحداً ، وهنا يصبح كل واحد منهم ملكاً للآخر.. حيث ليس للرجل تسلط على جسده بل المرأة.. وليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل..

وعندما بدأ السيد المسيح خدمته كانت أول معجزة له هى فى عرس قانا الجليل ، لكى يقدس رباط الزوجية.. وعندما سئل السيد المسيح : عما إذا كان مسموحا للإنسان لأن يطلق إمرأته لكل سبب قال : أما قرأتم إن الذى خلق من البدء، خلقهما ذكراً وأنثى ؟.. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ، ويكون الإثنان جسداً واحداً.. إذ ليس بعد إثنين بل جسد واحد ، فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان (متى ١٩ :٤،٦)..

وقد أكد بولس الرسول هذه الحقيقة.. وقال : إن الرجل ليس من دون المرأة.. ولا المرأة من دون الرجل فى الرب.. لأنه كما إن المرأة هى من الرجل ، هكذا الرجل أيضاً هو بالمرأة ، ولكن جميع الأشياء هى من الله (١ كورنثوس ٣٧:٧)..

وقد حكم بولس الرسول بالشجب على الذين يحتقرون رباط الزيجة المقدس ، ويرتدون عن الإيمان مانعين عن الزواج (١ تيموثاوس ٤ :١)..

أخلاق الشباب : وإذا كان مرض الإيدز مرض لا علاج له ، ولا وقاية منه بلقاح ، فإن الحصن الوحيد الواقى منه هو الأخلاق.. وإذا كان هذا الوباء ينتشر أيضا بين الشباب من الخامسة عشر حتى الخامسة والثلاثين من العمر ، فإن هذه المرحلة العمرية هى فئة المستقبل الواعد وتحتاج مقاومة هذا المرض إلى الإهتمام بالتوعية الأخلاقية لشبابنا حتى لا يقعون فريسة لهذا الأخطبوط الشرير..

والشباب هم عماد الأمة.. وهم أملها.. وعندما نجعلهم يتمسكون بالبر والعفاف والطهارة ، نضع فى أيديهم سلاحاً قوياً لمحاربة هذا الشيطان الماكر.. لأن البر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية.. (أمثال ١٤ :٣٤)..

المعاشرات الرديئة : وتنتشر هذه الخطايا بسبب المعاشرات الرديئة ، لذا ينبغى للإنسان أن يختار الجار قبل الدار.. والرفيق قبل الطريق.. ويقدم الكتاب المقدس تحصينا للشباب قائلاً : لا تضلوا فإن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة (١ كورنثوس ١٥ :٣٣).. أهربوا من الزنا.. كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد ، لكن الذى يزنى يخطىء إلى جسده ، فمجدوا الله فى أجسادكم ، وفى أرواحكم التى هى لله (١ كورنثوس ٦).. إصنعوا لأرجلكم مسالك مستقيمة ، لكى

لا يعتسف الأعرج بل بالحرى يشفى.. إتبعوا السلام مع الجميع ، والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب (عبرانيين ١٢:١٣

الخطية والموت : والموت الذى به يهدد مرض الإيدز عالمنا ، إنما هو نتيجة للخطية.. لأن أجرة الخطية هى موت.. ولأن الشهوة إذا حبلت تلد خطية.. والخطية إذا كملت تنتج موتاً (يعقوب ١:١٥)..

وفى اليوم العالمى لمكافحة الإيدز ، لنرفع قلوبنا إلى الله طالبين أن يرفع عنا هذا البلاء.. وأن يعود إلينا الوعى لكى نحيا مع الله ، ونلتزم بأخلاق أولاد الله.. وطوبى للكاملين طريقاً.. السالكين فى شريعة الرب.. طوبى لحافظى شهاداته (مزمور ١١٩)...

وثقوا جميعاً أن الأرض هى ميراث لعبيد الله الصالحين.. لأن المستقيمون يسكنون الأرض.. والكاملين يبقون فيها.. أما الأشرار فينقرضون من الأرض.. والغادرون يستأصلون منها (أمثال ٢).. وتحية لمنظمة الصحة العالمية ، ولكل جنودها ، وهم يجاهدون لإستئصال الشر من عالم هو فى : أزمة أخلاق»..

٧٣. تراب ورماد

لا أعرف لماذا يتكبر الإنسان ؟..

لكننى أعرف إنه تراب ورماد..!!

إنه تراب.. وإلى التراب يعود..!!

إبراهيم يكلم الله : كان إبراهيم يتكلم مع الله.. وكان موضوع الحديث خطيراً.. كان يتحدث عن سدوم وعمورة.. قال الرب : هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله؟.. إن صراخ سدوم وعمورة قد كثر.. وخطيتهم قد عظمت جداً.. لقد قرر الله أن يهلك سدوم وعمورة.. وبدأ حوار من إبراهيم مع الله.. وسأل إبراهيم الله: هل تهلك البار مع الآثيم ؟.. إذا كان فى المدينة خمسين باراً.. أفتهلك المكان ؟.. ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه ؟.. وكان رد الرب : إنى أصفح من أجل الخمسين .. وإبتدأ إبراهيم ينقص العدد إلى خمسة وأربعين.. ثم أربعين.. ثم ثلاثين.. ثم عشرين.. وفى الآخر إلى عشرة..

ولم يوجد فى سدوم وعمورة عشرة أبرار ، لكى يخلص الرب المدينتين بسببهم.. وشعر إبراهيم أثناء المناقشة وكأنه يتجاسر.. فقال : إنى قد شرعت أن أكلم المولى ، وأنا تراب ورماد (تكوين ١٨).. وفى هذا كان إبراهيم يعلم إنه تراب وإلى التراب يعود (تكوين ٣ : ١٩)..

فى كيان الإنسان : لقد حكم الله على آدم.. بعرق جبينك تأكل خبزاً.. حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها.. لأنك تراب وإلى التراب تعود.. وصار هذا الحكم فى كيان الإنسان..

ولهذا كان كثيرون يضعون الموت نصب أعينهم.. حتى لا يأخذهم وهم الحياة.. ويركبهم الغرور.. ويظنون أنهم خالدون إلى الأبد.. ومن هنا ظهرت بعض العادات التى تؤكد أن الإنسان تراب وإلى التراب يعود..

وإليكم بعض الأمثلة :

١. كان ملك من ملوك اليونان كلما ذهب من قرية إلى آخرى ، لكى يقيم القضاء فى ربوع مملكته.. ويفصل فى الخصومات بنفسه.. كان هذا الملك يأخذ معه ضمن رحلته الصندوق الذى سيدفن فيه بعد موته.. وعندما يجلس على منصة القضاء.. يقف أمامه شخص يحمل الصندوق.. وعندما سألوه عن السبب ، أجاب : إننى كلما نظرت إلى هذا الصندوق ، تذكرت أن سلطان الموت أمامى فى كل حين ، فأرتدع عن الغواية..(طقس يحمل الكاهن والشماس تونيته إلى أى مكان ، حتى لو مات يدفن لابساً إياها..)
٢. الماء فى الجماجم : فى إحدى المجتمعات البدائية لوحظ أن أوعية الطعام والشراب كلها جماجم موتى ، فجزع لهذا المنظر، وتقدم يسألهم عن السبب فأجاب حكماءهم : إننا نقصد أن لا ينسى أحدنا الموت ، وحتى إذا نسيناه .. أعادت إلينا هذه الجماجم ذكراه.. فنرتدع..
٣. الملك المكدونى : أمر الملك فيلبس المكدونى أحد خدامه أن يكرر له كل صباح الكلمات التالية ثلاث مرات : أذكر يافيلبس إنك بشر.. وإنك بالموت الذى لابد منه ستترك كل شىء..
٤. الإمبراطور مكسيميانوس : أما هذا الإمبراطور فقد صنع نعشاً لنفسه قبل موته بأربعة أعوام.. وحينما كان يتوجه ، كان يأخذه معه..لكى

يسمع صوتاً يقول له : أذكر إنك سوف تموت لا محالة.. وإنك ستفارق كل شيء..

فهل تذكر أنت ومعك أنا..؟ إننا تراب ورماد..!!

وإننا تراب وإلى التراب نعود..!!

وإن الموت ينادينا أن نعمل لآخرتنا.. ويناجينا أن نعمل للملكوت..!

٧٤- الأسرة الإلهية المثالية

وحدة الأحباب: تقدم فيدرالية السلام العالمى والتى تضم نخبة من أحباء السلام رؤيا روحية جديدة نعتبرها رسالة الله للبشر ، والدعوة هى تكوين الأسرة الإلهية النموذجية.. وقد خاطب رئيس الفيدرالية الأعضاء فى كينيا ، فى لقاء تم يوم ٢٠٠٥/١١/١٥.. وكنت حاضراً لهذا اللقاء، بل تمتعت فيه بإختيارى سفيراً لأجل السلام، لكى أسعى معهم لتحقيق السلام، الذى يجعل من العالم أسرة إلهية نموذجية.. وفى الوثيقة التى قدمت إلىّ كسفير لأجل السلام جاء أنه تماشياً مع دور الأب فيلوثاوس فى السلام وحضوره مشاركاً فى صفوف هؤلاء الناس الذين وهبوا حياتهم للآخرين، وللسلام والقيم العالمية.. والأسر القوية.. والتواصل العالمى.. وعملا نحو تأسيس ثقافة السلام ، وتشديداً لرسالة الأمم المتحدة ، وتخطياً للقيود والحدود ، وعملا لتحقيق أهداف الأجيال ، وتطوير ثقافة السلام.. فقد تقرر إختيار الأب القمص فيلوثاوس فرج، سفيراً لأجل السلام..

نحو أسرة إلهية:

وفى كلمة المؤتمر طرح رئيسه طرحاً روحياً للفكرة الروحية التى تسعى نحو تكوين أسرة إلهية مثالية ، وتساءل عن هدف الله من خلق البشر.. وقال : يازعماء العالم إن الله خلق العالم لكى يتمتع به من خلال علاقة مع أسر مثالية مليئة بالحب الحقيقى.. وقال : إن شكل الأسرة المثالية تقول أن كل فرد فى تلك الأسرة هو مالك للحب الحقيقى لأن الله عندما خلق البشر جعل آدم يمثل كل الرجال، وحواء تمثل كل النساء بهدف أن يكونا مالكين للحب الحقيقى.. وأن أسرع طريقة ليستطيعان بها أن يكون نموهما فى الحب الحقيقى تأمين علاقة الأبوة مع الله..حتى يمكنهما العيش مع الله ، وفى دفء حنانه، وفى أبوته السعيدة كأسرة واحدة مع الله..

وقال رئيس اللقاء : إننى أدعوكم للدخول فى حالة صوفية وتأملية وصلاة لتسألوا الله ما هو مركز هذا الكون ؟.. وسوف تجدون إجابة الله بكل تأكيد إن مركز هذا الكون هو علاقة الأبوة بين الآب والإبن، لأن تعرف العلاقة الأساسية بين الله الخالق، والبشر المخلوقين على صورته ومثاله.. وحدد أن هذه العلاقة تتميز بثلاثة مميزات : هى الحب..الحياة.. النسب..

وعن الحب قال: بدون الحب الأبوى كشرط مسبق لما كان أى واحد منا حياً اليوم.. لقد خلق الله البشر إنطلاقاً من حبه المطلق ليكون رفيقه فى الحب... وهذه العلاقة تكون محوراً للحب.. وتربط بين الله الآب مع البشر كأبناء وبنات له.. وهل هناك ما هو أسمى من أن تكون إبناً لله أو تكونين بنتاً لله ؟.. ولو هناك شيئاً أسمى يسعى إليه الإنسان راغباً فيه ، فليس أسمى من هذا.. وهل يظن أحد أن الله العليم القدير عندما خلق آدم وحواء ، إحتفظ سراً بالموقع الأعلى لنفسه ، وجعل آدم وحواء فى الدرجة الثانية ؟.. كلا .. لا يمكننا أن نتصور أن الله يفعل هكذا مع أبنائه ورفاقه الذين يقاسمونه الحب الحقيقى..

إن الله خلقنا له أبناء لكى نساهم معه فى عمله.. ونكون ورثة له.. لقد وهبنا الله كل صفاته ولم يرغب أن يكون سعيداً بمفرده، إنما نحن شركاء فى السعادة، وشركاء فى الميراث ، وشركاء فى الصفات المقدسة.. وهذا لا يأتى إلينا ونحن فرادى عن بعضنا ، إنما يأتى ونحن معاً فى علاقة تبادلية بين بعضنا البعض، وفى علاقة روحية للآب السماوى.. أما عن الحياة فالسؤال إلينا : كيف يمكن أن نعيش لنكون أبناء لله ؟.. وكيف نُسعد الآب السماوى بحياتنا ؟..إن الله فى بداية عملية الخلق الإلهى، وضع لنا مبدأ العيش من أجل الآخرين.. ونحن فى حاجة إلى أن نجسد الحب الحقيقى ، ونجرب أعمق عواطف الحب الإلهى، ونزيب أحزان الناس، ونُفرح قلب الله الذى هو غير راضى عنا بسبب كوارث البشر الذين لا يحبون ، ولا يعيشون أبوة الله..

ونأتى إلى الميزة الثالثة، وهى النسب.. والنسب يعنى إننا إلى الله منتسبون ، كما أننا إليه منقلبون.. والنسب هو الثمرة التى زرعت فى قلوبنا.. ونحتاج إلى أن نتذكر أننا منتسبون إلى الله، حتى تكون لنا شخصيات نموذجية ونؤسس وطناً لله.. وأمة نموذجية ويبقى فيها الحب متوارثاً عبر الأجيال.. نامياً فى أبنائنا.. وهنا

نحصد مع الحب الحياة ، ومع النسب الإستمرار فى رسالتنا التى خلقنا الله من أجلها أسرة إلهية مثالية..

٧٥. الشعب التائب والنبى الهارب

صوم نينوى : منذ بدء المسيحية هناك إهتمام كبير بالصوم المقدس.. وفى الكنيسة السريانية صوم يسمى صوم نينوى.. لأن هذه المدينة هى إحدى المدن العظيمة التى تحمل ذكرى توبة شعب نينوى فى العهد القديم.. ولأن هذه المدينة جزء من الكنيسة السريانية ، فلقد إهتم السريان بهذا الصوم..

وعندما إعتلى أحد السريان كرسى البابوية فى الكنيسة القبطية ، أدخل صوم نينوى إلى برنامج أصوام الكنيسة هذا فى القرن العاشر الميلادى ، على يد البابا الأنبا آبرآم السريانى ، الذى فى عهده تم تحريك جبل المقطم بالصوم والصلاة.. وصوم نينوى هو صوم لمدة ثلاثة أيام ، بعض الناس يصومونها طياً أى يصومون ثلاثة أيام كاملة بدون أكل أو شرب.. والبعض يصومون إلى وقت الساعة التاسعة.. والبعض يصومون حتى غروب الشمس.. وهذا الصوم هو مدرسة للنسك والتقشف وإستدرار مراحم الله..

الشعب التائب : وقصة نينوى هى قصة الشعب التائب.. فلقد كانت هذه المدينة ، مدينة عظيمة فى الحضارة والتقدم والمعمار والبناء والشوارع والميادين.. ولكن كانت هذه المدينة متخلفة جداً فى عالم الروح.. وتصاعد شر المدينة أمام الله.. وأرسل الله إلى المدينة نبياً هو يونان ، هذا بعد رحلة هروبه ذهب إليها ، وكان ينادى فى شوارعها ويقول : بعد أربعين يوماً تنقلب المدينة...

وتجاوب أهل نينوى مع دعوة يونان.. وسرعان ما نادوا بصوم ولبسوا مسوحاً.. من صغيرهم إلى كبيرهم.. ووصلت الدعوة وقام عن كرسيه وخلع رداءه عنه ، وتغطى بمسح وجلس على الرماد.. وخرج فى البلاد من ينادى عن أمر الملك وعظمائه قائلاً : لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً.. لا ترع ولا تشرب ماء.. وليتغطى بمسوح الناس والبهائم ، ويصرخون إلى الله بشدة ، ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة ، وعن الظلم الذى فى أيديهم ، لعل يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك.. ونجحت هذه التعبئة العامة ، وتجاوب الكل مع

هذا الإستفسار.. وإنسكب الكل عند قدمى الله.. وطرقوا باب مراحم الله.. والله كثير الرحمة.. وجزيل التحنن...

لقد كان شعب نينوى شعباً رائداً فى مجال التوبة..والرجوع إلى الله.. الذى لا يشاء موت الخاطىء ، بل أن يرجع ويحيا.. وقبل الله توبة أهل نينوى وصفح عنهم.. إن الله أبداً ليس ضد الإنسان ، ولكنه ضد الخطية.. وعندما يتغير الإنسان ويتجدد ، ويعود إلى الله ، فإن الله يقبله وبسرعة شديدة..

ولقد شهد السيد المسيح لأهل نينوى .. ولتوبتهم النصوح قائلاً : إن رجال أهل نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان ، وهوذا أعظم من يونان ههنا (متى١٢:٤١)..

النبى الهارب : أما يونان صاحب هذه الدعوة المقدسة ..والذى تمكن من تغيير قلوب الناس ، وكان ناجحاً فى رسالته فإنه هو نفسه هارب من وجه الرب ، فلقد أتت إليه الدعوة من الله أن يذهب إلى نينوى ولكنه هرب إلى ترشيش.. وكان هروبه غريباً جداً لأنه يعلم أن الله موجود فى كل مكان.. فكيف يمكن لإنسان أن يهرب منه ؟..

لقد ركب يونان السفينة هرباً من وجه الرب.. وفى وسط البحر حدثت عاصفة رياح شديدة ، ونوء عظيم حتى كادت السفينة أن تنكسر.. خاف الملاحون وصرخوا كل واحد إلى إلهه ، وطرحوا الأمتعة فى البحر.. ومع هياج البحر، هاج كل الركاب يفكرون فى النجاة ، ولكن يونان كان نائماً فى جوف السفينة.. وكان نومه ثقيل جداً.. وطالبه الملاحون بأن يستيقظ لكى يصلى مع الناس إلى الله... وسألوه فأجاب : بأنه هارب وخائف من الرب..

وكان لابد ان يلقى شخصاً فى البحر ليكون فدية لكل من فى البحر.. ووقعت القرعة على يونان الذى رحب بهذا وأعلن أن كل ما يحدث من رياح عاتية إنما هو بسببه.. ألقى يونان فى البحر ، ولكن الله أعد له حوتاً كبيراً ليبتلعه.. وظل يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام ، بعدها قذف به الحوت على الشاطىء بالقرب من نينوى ، وكانت له الرسالة : أن يذهب إلى نينوى ، وفعلاً قد ذهب لأنه لا يمكن لأحد أن يهرب من وجه الله أو يهرب من رسالته فى الحياة..

٧٦. الضعفاء الأقوياء

صفتان متناقضتان : يبدو دوماً إن الفرق واضحاً بين الضعف والقوة.. وإننا نكون إما ضعفاء أو أقوياء.. ولكن الأمر ليس كذلك ، فالإنسان يجمع فى داخله الضعف والقوة.. والضعف أمام الله هو الذى يهب القوة.. فشعورنا بالضعف هو الذى يجعل الله يعطينا أن نكون أقوياء.. لأن قوة الله فى الضعف تكمل..

وهكذا يكون ضعفنا لحساب حياتنا الروحية.. فالألم الذى يتحمله الإنسان ، إنما هو هبة وعطية من الله ، فلقد كانت حسابات بولس الرسول تقوم على هذه القاعدة ، حيث يقول : وهب لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط ، بل أيضاً أن تتألموا لأجله (فيلبى ١ :٢٩)..

فالألم لأجل خدمة الله ونشر مبادئه السامية هو ألم مقبول.. وهو بركة وعطية تتساوى مع عطية الإيمان ، فكما أن الله ينير بصائرنا بالإيمان ، هكذا يعطينا نعمة الصبر وقبول الآلام..

شوكة فى الجسد : كان بولس رسول المسيحية وفيلسوفها العظيم ، قد أصيب بشوكة فى الجسد.. كان مريضا والبعض يقول : إنه كان هناك جرح فى جسده يخرج صديداً مستمراً.. والغريب إن هذا الصديد وضعه الناس على جراحاتهم ، فنالوا نعمة الشفاء.. أما هو فقد إستمر معه الألم..

وكان هو نفسه له تطلعات روحية.. وكانت له رحلات سياحية بالروح ، فلقد كان يرى رؤى كثيرة.. وقد أختطف إلى السماء الثالثة وهو لا يعلم إن كان هذا الإختطاف بالجسد أم بالروح ، ولكنه أختطف إلى السماء.. وأسرى إليها ، ورأى ما لم تره عين.. وسمع ما لم تسمع به أذن.. وعاش فيما لا يخطر على قلب بشر.. ورغم كل هذا كان بولس يعانى من هذا المرض..

ولقد إعتبر أن هذا المرض إنما هو نعمة روحية تجعله لا يستكبر ، فقال : ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات ، أعطيت شوكة فى الجسد ، ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع.. من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى فقال لى : تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل (٢كورنثوس ١٢)..

آلام الحياة : إن آلام الحياة لا تتوقف.. وعندما تسلط نعمة الله على آلام الحياة ،

نرى ما لا يرى.. ونفهم أن هذه الآلام هى جزء لا يتجزأ من قضية خلاصنا ، وهى ضمان لمزيد من الإرتفاع والتعمق مع الله.. فنحن نرى الله فى آلام الحياة.. ونعلم أن آلام هذا الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا.. وأن آلام الزمان الحاضر لن تتوقف فى الزمان الحاضر.. بل سوف يستمر الألم مدرسة روحية تؤكد ضعفنا أمام الله..

والإنسان الحكيم هو الذى يفتخر بمثل هذه الضعفات..فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى والضرورات ، والإضطهادات ، والضيقات لأجل المسيح ، لأنى حينما أنا ضعيف، فحينئذ أنا قوى (٢ كورنثوس ١٢: ٩، ١٠)..

وهنا تتحول الآلام إلى قوة فى النفس ، حيث تعد الآلام مرسلة من الله لتامين القوة الإلهية التى فينا ، ولهذا لم يرضى رجال الله بالآلام فقط ، بل كانوا يسرون بها ويعدونها أكاليل يدخلون بها إلى السماء.. وهم سعداء فخورين بها..

بولس الرسول : وأكثر من تحدث عن الضعف والقوة هو بولس الرسول.. فلقد كان يفرح بأن يكون ضعيفاً والآخرين أقوياء.. لأننا نفرح حينما نكون ضعفاء ، وأنتم أقوياء (٢ كورنثوس ١٣: ٩).. وهو بهذا يطلب القوة للآخرين مثلما طلب المعمدان الزيادة للسيد المسيح ، والنقص له عندما قال : ينبغى أن هذا يزيد وإنى أنا أنقص.. ولقد لاقى بولس الكثير من العذابات والقسوة.. والإضطهادات.. وعددَ أمامنا أنواعاً عجيبة وعديدة من صنوف الآلام.. فهو فى الأتعاب أكثر.. فى الضربات أوفر.. فى السجون أكثر.. فى الميتات مراراً كثيرة.. من اليهود خمس مرات ، قبل أربعين جلدة إلا واحدة.. ثلاث مرات ضُرب بالعصى..مرة رُجم..ثلاث مرات إنكسرت به السفينة .. بأسفار مراراً كثيرة.. بأخطار سيول ، بأخطار لصوص.. فى تعب وكد.. فى أسهار مراراً كثيرة.. فى جوع وعطش.. فى أصوام.. فى برد وعرى (٢ كورنثوس ١١: ٢٣، ٢٧)..

وهذا التقرير الذى ذكره بولس عن الأتعاب ، إعتبره بولس دليلاً على نجاح خدمته.. لقد كان يفرح بالألم مثل الرسل الذين عندما خرجوا من السجن بعد أن ضربوا ، كانوا فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا لأجل إسم الله القدوس.. والذين يعيشون لله فى التقوى فى المسيح يسوع يضطهدون.. ويظل المؤمنون هم الضعفاء أمام الله.. وهم الأقوياء بالله لأنهم موضوعون لهذا ، وعتيدون أن

يتضايقون لكى تظهر حياة يسوع فى جسدنا المائت.. ونحن ضعفاء أقوياء نؤكد أن قوة الله تكمل فى ضعفاتنا.. ونظل هكذا ضعفاء وأقوياء..

٧٧. النفوس الحكيمات والجاهلات

مثل العذارى : فى الأيام الآخيرة ، كما فى الأيام لخدمة السيد المسيح التى لم تتعدى ثلاث سنوات ، وبضعة شهور.. كان السيد يتحدث كثيراً عن ملكوت السموات.. ولما كان ملكوت السموات أمر روحى كبير وعالى المستوى عن أفهام البشر ، تكلم السيد المسيح بأمثال عديدة عن الملكوت العتيد لكى يبسّط هذه الحقيقة الإيمانية العالية المستوى..

وتحدث فيما تحدث عن مثل العذارى قائلاً : حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى ، أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس.. خمس منهن حكيمات.. وخمس جاهلات.. أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتاً.. وأما الحكيمات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن.. وفيما أبطأ العريس ، نعسن جميعهن ونمن.. ففى نصف الليل صار صراخ ، هوذا العريس مقبل ، فأخرجن للقائه.. فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن.. فقالت الجاهلات للحكيمات : أعطينا من زيتكن فإن مصابيحنا تنطفىء ، فأجابت الحكيمات قائلات : لعله لا يكفي لنا ولكن ، بل إذهبن إلى الباعة وإبتعن لكن ..

وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس ، والمستعدات دخلن معه وأغلق الباب.. أخيراً جاءت بقية العذارى أيضا قائلات : ياسيد ياسيد إفتح لنا..فأجاب وقال : الحق الحق أقول لكن إنى ما أعرفكن.. فإسهروا إذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها إبن الإنسان (متى ٢٥)..

الحكمة والجهل : هذا مثل روحى يحمل رموزاً معينة.. فالعذارى يرمزون إلى النفس البشرية العذراوية التى تنتظر الرب لها.. والعريس هو المسيح وليس بالمعنى الذى نعرفه ، فالمسيح هو عريس النفس البشرية التى ترغب فى الإقتران به .. طريقاً ، وحقاً ، وحياة.. والعرس هو السماء.. فالسماء هى فرح دائم ، وعرس مستمر ، حيث نحيا فى الأبدية المجيدة مع الرب..

ولقد كانت كلهن عذارى ، ولكن هناك فرق بين الحكيمات والجاهلات.. فالحكمة

هنا هى الإستعداد للسماء ، بملء المصابيح بزيت الأعمال الصالحة.. أما الجهل فهو عدم الإستعداد لليوم الآخير.. والجهل بالساعة يجعل البعض يعتقد أن فى مقدوره أن يملأ مصباح الحياة بعد الحياة..

إن الحياة فقط هى الفرصة لنا أن نتوب.. وأن نعمل .. وأن نبذل .. وأن نلتقى كل يوم مع الله من خلال خدمة أبنائه.. فالجاهلات لم يتقابلن مع العريس ، لا فى الحياة ، ولا فيما بعد الحياة.. فلقد حملن مصابيح فارغة ، وكن سلبيات فى الحياة ، فالسلبية مصباح ينطفىء بينما الإيجابية مصباح يضىء الحياة.. هكذا فليضىء نوركم قدام الناس ، لكى يرى الناس أعمالكم فيمجدوا أباكم الذى فى السموات..

وعندما أتى العريس دخل المستعدات ، ولم يدخلن غير المستعدات.. فلقد أغلق الباب.. وهذا يعنى نهاية الحياة.. وبعد أن ينتهى زمان الحياة يغلق الباب على حياتنا هذه.. ولا يفتح عليها إطلاقاً ، إنما يفتح على الأبدية التى تبدأ ولا تنتهى.. والتى هى نهار دائم.. ونعمة دائمة.. وفرحة قائمة.. مع العريس السماوى..

فالزواج هنا هو إقتران النفس البشرية بالله بعد رحلة الحياة.. وليس الكل من حقه أن يتمتع بهذا الإقتران ، إنما فقط النفوس الصالحة العابدة التى عاشت لله فى الأرض ، هى فقط تستحق مكافأة السماء.. لأن السماء هى إمتداد للأرض.. فلقد تمتع الحكيمات بالحياة الجديدة ، كحياة شركة وإتحاد مارسوه على الأرض.. لقد عشن وهن على الأرض الحياة الداخلية كحياة شركة وإتحاد مع العريس.. أما الجاهلات فليست عندهن خبرة روحية ، إنما هن يعشن خارج الأبواب.. فى هامش العبادة ، لهم المظهر دون الجوهر ، وعلى هذا هن غير مستحقات للدخول إلى عرس السماء..

العدد خمسة : ويركز فى المثل على عدد خمسة.. وهذا العدد له مدلول روحى.. فلقد تقدم داؤد لحرب جليات ، وكان فى جرابه خمس حجارة ملس.. ولقد إنتصر وهزم جليات الذى كان بضخامته رمز لفحولة الشيطان وشراسته ، ولكنه فى لحظة.. وبقوة الإيمان صار ملقياً على الأرض أمام مؤمن ، هو طفل صغير..

وعدد خمسة هو جراحات المسيح الخمس فى يديه وفى رجليه وفى جنبه وإكليل الشوك الذى على جبينه.. كما إن عدد خمسة هو رمز للحواس الخمس : فالجسد لا يدرك شيئا إلا عن طريق المدخل ذى الخمسة أبواب: النظر والسمع والشم واللمس

والتذوق.. ومن يضبط نفسه ، ويضبط حواسه ، هو حكيم ، أما من يتركها دون حراسة فهو جاهل وخاسر..

ويأتى عدد خمسة فى حديث السيد المسيح مع المرأة السامرية التى كان لها خمسة أزواج وفقدت قيمها ، وروحها ، ولكنها تابت لكى تقدس حياتها مع الله.. فليعطنا الله أن نكون من الحكماء العقلاء حتى ندخل مع العريس إلى أفراح السماء..

٧٨. أكرم أباك وأمك

يوم الأسرة : يأتى عيد الأسرة ، كيوم من أيام الوفاء والإخلاص فى حياة البشر ، حيث يجتمع الآباء مع الأبناء، ويتبادلون هدايا المحبة وتعبيرات الود.. وللأب والأم مكانة عظيمة ، ومحترمة ، وعيد الأسرة هو محاولة طيبة لتذكير الأبناء بجميل الأمهات والآباء، وعطائهم ومحبتهم.. وإكرام الآباء والأمهات هو وصية إلهية مقدسة.. وتُعد الوصايا العشر عهداً مقدساً بين الله والإنسان..

ولقد تكلم الله بها بفمه الطاهر.. وكتبها بنفسه بأصبعه على لوحين من حجر (خروج ٢٠).. وقد إستلم موسى لوحى العهد.. ومن بين الوصايا العشر ، وصية واضحة تقول : أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض..

وتأتى هذه الوصية فى مقدمة وصايا اللوح الثانى بإعتبار أهمية دورها ، وأهمية التعامل بها ، فإن الله نفسه تشبه بأب.. وهو الآب السماوى الذى يعطى ويعول.. وتشبه أيضاً بأم فى حمل رسالة الرجاء والتعزية ، كما تعزى الأم أبنائها ، هكذا أعزيكم أنا .. يقول رب الجنود.. كما شبه محبته بحنان الأم عندما وقف يبكى أمام أورشليم وهو يطلب أن يجمعها كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها (متى ٢٣:٣٧)..

إحترام الوالدين : وإحترام الوالدين هو أمر إلهى عظيم.. ومن يحترم ينال بركة كبيرة ، وقد وضح العهد الجديد هذه البركة فى إنها طول عمر وخير.. وهذا وعد من الله لكل من يحترم الوالدين.. ويكسب رضاؤهما وبركاتهما حتى إن البعض يرى أن رضا الوالدين وراء كل خير يحصل عليه ، وخلف كل نجاح يحرزه ويحققه..

ويذكر لنا الكتاب المقدس كيف قام الملك سليمان الحكيم من على عرشه لكى

يلقى أمه.. وسجد أمامها.. ووضع كرسياً لأم الملك ، فجلست عن يمينه (ملوك الأول ٢).. ويذكر الكتاب أيضا عن يوسف الصديق وهو نائب فرعون فى حكم مصر.. وكان خاتم فرعون فى يده.. وكان الناس يركعون أمامه ، يوسف هذا عندما إستقبل أبيه يعقوب راعى الأغنام ، إستقبله بالمركبات والخيول ، وقدمه لفرعون ، ولم يستنكف من أبيه ، بل قدمه وأخوانه على إنهم رعاة مواشى ...
(تكوين ٤٦)..

والسيد المسيح له المجد أطاع الآب السماوى حتى الموت ، موت الصليب (فيلبى ٢ :٨).. وفى حياة السيد المسيح على الأرض كان خاضعاً لمريم ويوسف.. ولقد إهتم وهو على صليب الألم والعناء بأمه العذراء ، وسلمها ليوحنا الحبيب لكى يرعاها ويصير لها إبناً.. كما أنه قال : إنه لم يأت ليصنع مشيئته بل مشيئة أبيه.. (يوحنا ٦:٣٨)..

والأمثلة على إحترام الأبناء للآباء كثيرة فى الحياة ، وفى الكتاب.. ونذكر هنا قصة إبراهيم وإسحق.. لقد أطاع الأب وصية الله.. وأطاع الإبن رغبة أبيه.. ومضى معه ، يحمل السكين والحطب.. وبنى المذبح مع أبيه.. وصعد على المذبح لكى يقدمه الأب محرقة.. ولم يعترض.. ولم يهرب.. إنما أطاع طاعة كاملة..

وفى سفر أرميا ، قصة بنى ركاب ، نذكرهم فى إعجاب لأنهم إحترموا وصية أبيهم.. وكانت الوصية : لا تشربوا خمراً ، أنتم ولا بنوكم إلى الأبد.. وسمع الأبناء الوصية ، حتى أن الله كافأهم لهذا ، بأن لا ينقطع لبنى ركاب إنسان يقف أمام الله كل الأيام (أرميا ٣٥)..

سراج ينطفىء : والذى يحترم الوالدين سراجه يظل منيراً.. وكما يقول الحكيم : من سب أباه أو أمه ينطفىء سراجه فى حدق الظلام (أمثال ٢٠:٢٠).. والعين المستهزئة بأبيها ، والمحتقرة إطاعة أمها تقورها غربان الوادى ، وتأكلها فراخ النسر (أمثال ٣٠:١٧)..

ولقد لعن الرب كنعان ، لأنه لم يستر أبيه نوح فى عريه (تكوين ٩).. وقد كانت شريعة موسى تحكم بالقتل رجماً لكل إبن معاند ومارد ، لكى تقتل الأبناء المتمردين ، تنتزع الشر من جماعة المؤمنين (تثنية٢١)..

ولتتذكر دوماً إن الله هو أبونا ، نحن الطين وهو جابلنا (أشعياء ٦٤:٨).. ونحن

نصلى أبانا الذى فى السموات ، نكرم كل الآباء والأمهات.. ونصلى أن يجنبنا الله ، ويقينا شر اللعنات ، ويعطينا أن نحيا فى البركات ، بركة رضا الوالدين .. وكل عيد أسرة.. وكل أسرة تحيا المحبة.. ويظللها الحنان.. ويملأها الإيمان..

٧٩- عبد الرحمن المهدى عظيم إبن عظيم

أم درمان: لم أرى فى حياتى شخصاً أحب أمدرمان مثلما أحبها زميل دراستى بروفسور أحمد دياب ، وتظهر عليه علامات العاشقين.. جسد ضعيف. وعقل متقد.. وعبارات سريعة الحضور فى وصف الحبيبة التى توجت على رأسه.. الجميلة بين الجميلات، العظيمة بين العظيمات.. بل أجملهن وأعظمهن أمد رمان.. والمدينة من روعتها تحمل إسم أنثى، فهى أم لدرمان بحسب رأيه.. ومحبوبة أحمد دياب يعشقها كثيرون ولكنه يحب أن يكون أول العاشقين.. وله حق فى هذا العشق.. وهو يحلم بها ويسأل : أرأيتم من تحبها نفسى ؟.. وهو يدافع عنها ويتكلم عن تفاصيل هذه الطالعة من البرية كأعمدة من دخان معطرة بالمر واللبان، وبكل أذرة التاجر ولا يترك محفلا إلا ويتغنى بأم درمان، ولا يترك عمره يمر إلا ويكتب عن أم درمان، وعن رجال أم درمان..

ويأتى آخر كتبه من معهد بحوث ودراسات العالم الثالث، عن الإمام عبد الرحمن المهدى ، سيرة واسرة.. ومسيرة سياسية، وعلاقة بالشقيقة مصر.. ثم صور ووثائق .. يكتب ليس كناقل إنما يحلل التاريخ.. ومن نتائجه النهائية يستخلص رؤية مستقبلية جديدة ونافذة.. كما قال الدكتور الباقر أحمد عبد الله فى تقديم الكتاب..

وهكذا يصبح التاريخ مع أحمد دياب ليس سرداً لأحداث وحوادث، إنما فلسفة روحية تؤكد قف دون رأيك فى الحياة مجاهداً.. إن الحياة عقيدة وجهاداً.. ولأننى أحب أم درمان، أحببت بروفسور دياب. ولأنه معذب فى هذا الغرام طالبت فى دعوة محبة، دعوة لتكريم أحمد دياب..

وقد طلبت من صديقى وعزيزى بروفسور محمد عثمان محمد صالح، أن يقوم هو بهذا التكريم فهو يملك القلم ويملك التوقيع.. ومازلت فى الإنتظار، وأرجو ان لا أنتظر طويلا، فإن لم يقم البروفسور بهذا، فسوف أقوم أنا مع قبيلة الأقباط ، أقباط

المسالمة بتكريمه فى نادى المكتبة القبطية التى تحمل عبق التاريخ، وجمال غزال المسالمة.. وملحمة الحب الحقيقى وتكريم رجال أم درمان..

وفى فاتحة الكتاب وبالخط الكبير تأتى كلمات مضيئات من كتاب " صور من حياة السيد عبد الرحمن المهدى" الصادر فى لندن ١٩٨٦م لمؤلفه جراهام توماس.. والكلمات تقول : عرفت عنه مقدرته الفريدة على إستقطاب الناس من مختلف الأجناس، لتأييد دعواه ، ومواقفه ، كما عرف عنه الكرم الشديد والولاء والصداقة.. وكان مسلماً ورعاً مخلصاً، رحب الصدر بمثابة الأب للجميع ، وبوفاته فى عام ١٩٥٩م ، حُرم السودان من أحد أعظم رجال الدولة.. فقد كان السيد عبد الرحمن إبناً عظيماً لرجل عظيم..

الإبن العظيم: وهذا الإبن العظيم هو محور كتاب بروفسور أحمد دياب.. وكتب الدكتور الباقر أحمد عبد الله فى التقديم ، وقفة متأنية أمام مسيرة الأحلام السودانية.. وقد أعجبتنى عبارة مسيرة الأحلام السودانية ، وأنا واحد من أهل الرومانسية الحالمين أحلاماً سودانية، بسودان سعيد وجديد، فيه تحيز نحو المواطن، وفيه رخاء للمواطن الصابر الذى ظل ينتظر حتى تفجر البترول ، ولم يحصل بعد على مزاياه، بل لم يزل تحت عبء الزيادات فى السلع الرئيسية فى الكهرباء، فى السكر ، فى البترول نفسه ، وأعتقد ان أحداً لا يطالبه بصبر آخر، أو زمن آخر للصبر، ومنذ الآن زماننا هو زمان المواطن السودانى الذى يجب أن يحيا الرفاهية والوفرة والرخاء، وتتناقص الإلتزامات المادية ، لكى يتمتع بالحياة ..فالعوائد وضرائب الزراعة أعباء ثقيلة.. ولم نفقد الأمل، وسوف نظل نحلم حتى يتحول الحلم إلى حقيقة، والأمانى تصبح إرادة مقدسة طاهرة.. ومجتمعنا يصير مجتمعاً شفافاً نقياً..

ويرى الباقر إن أحمد دياب فاجئه برؤيا جديدة لمفهوم التاريخ نفسه ، فلسفة يتجاوز فيها البحث النظرى وينتقل إلى الإنحياز لعامة الناس.. ويسمى الباقر هذه الفلسفة الثورية للتاريخ ، أى النظرة التأملية المستقبلية لتاريخ ما هو آتِ، ويحدث هذا فى روح تمرس وإعتداد بالذات فى بساطة تعبر عن طبيعة أهلنا الطيبين..

وبروفسور دياب بطل ملحمة معارك الذات.. والكتاب قيم جداً، وصاحب الترجمة عظيم جداً.. والأحداث تتوالى ، والرجل صاحب دور متعاظم.. فهو صاحب ريادة .. ووطنية شاملة..فلقد كان عون الناس على الرزايا.. وكما قال عنه عبد الوهاب

عزام أمين جامعة الدول العربية : إنه رجل عظيم، لو تلقى تعليمه فى أوربا ، لكان من اساطين السياسة، والمدرسة السياسية التى تقود أوربا اليوم..

وتغنى الشاعر أحمد محمد صالح بعبد الرحمن المهدى، وتعاطفه مع الناس.. فكم فرجت كفاك فى المحل كربة.. وكنت لكل النائبات فؤمل.. تهش إذا جاء الفقير ميمما.. وتبدأه بالنيل من قبل أن يسأله.. إن هذا الكتاب تاريخ جدير بالدراسة.. وهو وثيقة.. وممتلىء بالوثائق.. وسوف تستمر مسيرة الأحلام السودانية.. وأرجو أن نلاحظ أن أحمد دياب ليس من الأنصار، ولكنه بكتابه يناصر أهل المهدى..

٨٠.الزعيم القبطى وعيد الفطر

مكرم عبيد : لقد كان الزعيم مكرم عبيد ، هو الزعيم القبطى المرموق فى حزب الأغلبية.. وكان سكرتير الحزب الوفد.. وإرتفع بمستوى المشاركة الوطنية إلى أعلى عليين.. وكان وزيراً للخارجية .. ووزيراً للمالية فى آن واحد.. وكان أديباً لبيباً عجيباً.. كانت كلماته هى خارجة من فم الذهب ، كلمات كالذهب.. ولقد جمع الأستاذ أحمد قاسم جودة بعضاً من كلماته فى كتاب أسماه « المكرميات والمكرميات « هو قطعة أدبية رفيعة.. وفى أدبه كان إحترام للكل.. وإحترام لأخوانه المسلمين، وإعتزاز ليس بعده إعتزاز بمناسباتهم السعيدة..

عيد الفطر : وفى كلمة مناسبة عيد الفطر ألقاها الزعيم القبطى على ضريح الزعيم سعد زغلول فى عام ٣٤٩١ م ، كانت تهنئة طيبة لكل المسلمين من بنى الوطن بمناسبة عيد الفطر المبارك.. وقد إبتدأ كلامه قائلاً : العيد المبارك ؟! ثم بدأ يتساءل: هل هى كلمة أنا قائلها أم ناقلها ؟.. وهل أنا أشعرها أم أصورها ؟.. ذلك تساؤل أكاد أسمعه همهمة، وأتخيله بسمة ، فتنفرج عنه شفاة بعض أولئك المتذحلقين المتدينين الذين يدينون بالمدينة دون الدين ، وليس إلى هؤلاء إلا كلمة أصارحهم بها ، وقد صارحتنى بها نفسى ، هى : إن البركة كل البركة فى صوم الصائمين، المحرومين ، الجائعين ، القانعين.. ولا يحسبن أحد أن حقى فى تهنئة أخوانى المسلمين ، مستمد من صلة فى الدنيا دون الدين.. كلا فالحق إن هو إلا سبيل واحد، وإن يكن ذا طرفين وقبلة واحدة ، وأن تكن بين حرمين ، فلنتحدث عن هذا الحق من ناحيته وعلى صورتيه..

الدين والدنيا : أما من ناحية الدنيا ، فما أجملها من دنيا تلك التى فرقت أو بالأحرى فرعت فجمعت بين المؤمنين على إختلاف مذاهبهم فى الدين... فما من عيد للمسلمين أو المسيحيين إلا ونفتح له الدور لإستقبال الفريق الآخر.. لا عن مجاملة بل عن مؤاخاة ، ومجاورة ، ومزاملة ، وأما من ناحية الدين أفتجمعنا فى الوطن محبة الإقليم ، ولا تجمعنا فى الله الرحمن الرحيم ؟..

أو نكون إخوة فى الوطن ، وفى إنسانية هذا العالم الأصغر ، ولا نكون أخوة فى الله ، والله أكبر.. ألا فلنرتفع بالدنيا إلى مستوى الدين ؟.. وبالأرض إلى أعالى السماء ؟.. إذا شئنا لأرواحنا أن تحيا حياة النعيم فى دار الشقاء..

الصوم والفطر : ويستمر مكرم عبيد قائلاً : مبارك إذاً هو شهر الصوم وكل صوم.. وقد إشترعته الأديان السماوية ، رياضة روحية أكثر منه رياضة بدنية.. نعم فما الصوم عن شهوة البطن إلا صيام عن شهوة الحيوان ، إرادة الله رمزاً للصيام عن شهوات النفس البشرية أو شهوة الإنسان ، وما شهوة الإنسان إلا شهوة السلطان، ولست أعنى بالسلطان الحكم بل التحكم.. تحكم الأقوياء فى الضعفاء والأغنياء فى الفقراء ، والعلماء والمتعلمين فى عقول الجهلاء ، وقلوب البسطاء ، بل يا ويله الإنسان من تحكم شهوات النفس ، وتحكم العاصفة فى العاطفة ، فلو إنه راضى نفسه على الصوم الروحى ، كما يروض جسمه على الصوم المادى لرأيناه يقوى دون أن يستعبد ، ويغضب دون أن يحقد ، ويتمنى دون أن يحسد ، ويكسب أكبر الكسب مما يقصد !!

ألا ليت الإنسان يدرك إن الصوم فى الدين هو التضحية فى الدنيا ، وإذا كان مظهر الصوم أن لا يأكل ، فجوهر الصوم أن يبذل ، ثم يبذل.. ذلك هو الدين.. وتلك هى الوطنية ، فإذا كانت الوطنية من الإيمان ، فالإيمان مظهره التضحية والحرمان، ولا ريب عندى إننا إذا إشترعنا الصوم ديناً ودنيا فلن تفيض فى صدورنا ينابيع الحياة ، ولن تشيخ فى أبصارنا مصر الفتاة ..

آخر العمود : ونحن قد أهديناكم تهنئة الزعيم القبطى ، ونهديكم معها أطيب تهانينا بهذه المناسبة السعيدة ، راجين أن تجمعنا مظلة المواطنة.. وتسعدنا كل مناسباتنا.. فأعيادكم هى أعيادنا.. وفرحتكم فرحة لنا.. وكل عام وأنتم فى سودان الخير تنعمون.. وفى حلل السعادة تبتهجون.. وتتعايشون.. وتتوالون..

٨١. الوصية بين القبول والرفض

قانونية الوصية : ليس هناك مانع فى المسيحية من الوصية.. زمن حق كل مسيحى أن يوصى لغيره بما يوصى به.. وتثبت الوصية فى وثيقة تحرر لدى الرئيس الدينى ، وبحضور شاهدين أو أكثر.. ويمكن للموصى أن تكون وصيته سرية أى لا يراها الرئيس الدينى نفسه ، وفى هذه الحالة يضعها فى مظروف ويختم المظروف ، ويوجد لدى الرئيس الدينى سجل تقيد فيه الوصية.. وخزينة لحفظ الوصية ، وتنطبق الوصية على كل ممتلكات الموصى منقولة ، كانت أو ثابتة وبمنافعا مقيدة بمدة معلومة أو مؤبدة.. كما تحوز الوصية بالمنافع كأن يوصى شخص لأحد بأن يسكن داره أو بأجرتها ، والموصى له بالسكنى لا تجوز له الإيجاره ، والموصى له بالإجارة لا يجوز له السكنى..

بطلان الوصية : تُعد الوصية باطلة فى ثلاث حالات : أولها : إذا أقدم الموصى له على قتل الموصى أو شرع فى قتله عمداً .. أو إشترك فى إحدى هاتين الجنايتين بإحدى طرق الإشتراك القانونية..

وقصد المشرع بهذا الحفاظ على حياة الموصى.. وثانى أسباب بطلان الوصية : يرتبط بإعتناق الموصى له ديناً غير الدين المسيحى إذ لا يجوز أصلاً أن تكون الوصية لمن يرتد عن الدين المسيحى ، ما لم يعد إليه قبل وفاة الموصى.. والسبب الثالث : إذا مات الموصى له قبل موت الموصى ، إلا إذا كانت الوصية تشمل الموصى له وورثته..

حدود الوصية : لا تنطبق الوصية على كل التركة ، إنما على أجزاء منها.. وفى حالة قبول الورثة للوصية وإجازتها ، لا إعتراض.. ولكن الوصية فى قانون الأحوال الشخصية لها حدود هى :

١. إذا لم يكن بين الورثة فرع وارث ، تطبق الوصية على ثلاثة أرباع التركة..
٢. إذا كان للوصى ولد واحد ، وإن سفل أى أولاد الولد ، فلا تنفذ الوصية إلا من النصف..
٣. فى حالة أن يكون الموصى ولدان أو أكثر ، فلا تنفذ الوصية إلا من الربع..
٤. إذا لم يكن للموصى ورثة مطلقاً ، كانت وصيته صحيحة..
٥. إذا أوصى لأحد الورثة ببعض المال ، أخذه فوق نصيبه ، بشرط أن يكون

داخلاً ضمن النصاب الذى لا يجوز الإيصاء به.

القبول والرفض: ولا تتم الوصية إلا بقبول الموصى له صراحة أو دلالة.. ومن حق من أوصى أن يرجع فى الوصية ، إما بإقرار صريح يثبت فى ورقة تحرر لدى الرئيس الدينى أو نائبه على الوجه المقرر ، أو بفعل يزيل إسم الموصى به ، ويغير معظم صفاته ، ومنافعه أو يوجب فيه زيادة لا يمكن تسليمه إلا بها.. أو بتصرف من التصرفات التى تخرجه عن ملكه ، وكذا خلط الموصى بغيره وبحيث لا يمكن تمييزه.. فمن حق الموصى أن يعدل فى الوصية.. أو يلغيها كما شاء فى أيام حياته.. وتستمر قوانين الوصية لكى تقدم بعض التفصيلات ، وفى الباب الخامس كالأتى :-

١. المادة ٢٢٤ تقول إنه : لا يعد رجوعاً مبطلاً للوصية ترميم الدار الموصى بها ولا هدمها..
٢. المادة ٢٢٦ تقول : إنه إذا أوصى بشىء لشخص ، ثم أوصى به فى وصية أخرى لشخص آخر ، ولم ينص فى الثانية على إبطال الأولى ، فإن الموصى به يكون للشخصين معاً..
٣. إذا كان لشخص ولد غائب وبلغه أنه مات ، فأوصى بماله لغيره ، ثم ظهر أن الولد حى ، فللولد ميراثه دون الموصى له..
٤. إذا لم يكن للموصى عند عمل الوصية فروع ، فأوصى بماله إلى غير فروعه ثم رزق بعد الوصية بولد أو ولد ولد ، وإن سفل بطلت الوصية ، وإنتقل الميراث إلى الفروع الذين رزق بهم..
٥. وإن كانت الوصية لفرع موجود وقت عملها ، فمن يولد بعد ذلك من الفروع بثلثاء أقرانه بالمساواة ، فيما بينهم ، فإن كان المستجدون أقارب غير فروع وكانت الوصية لغرباء ، فللمستجدين النصف ، وللموصى لهم من قبل النصف الآخر.. أما إذا كانت الوصية لأقارب متساوين فى القرابة مع المستجدين ، فالقسمة تكون بينهم جميعاً بالتساوى..

القانون الموحد : ويلاحظ أن القانون الموحد كمشروع معد من كل الكنائس فى مصر ، لم يذكر أى شىء عن الوصية.. رغم أن مجموعة ١٩٣٨م، تحمى مبادىء معينة فى الوصية ، وتزود عن حقوق الأحول وترفض أن تكون الوصية من مسيحى لغير مسيحى..

٨٢. العادات الضارة

جمعية ضد العادات الضارة : فى السودان الأن إهتمام كبير بموضوع خطير هو «العادات الضارة «.. وتأتى جمعية محاربة العادات الضارة فى مقدمة المهتمين بهذا الأمر.. وتركز الجمعية حربها خلال هذه الأيام ضد الخفاض الفرعونى.. أو ختان البنات.. وهو عادة من العادات الضارة.. يسبب للمرأة ألماً وحسرة وضيقاً وكآبة ، تلازمها طوال رحلة الحياة..

ويرى البعض إن هذا الخفاض سبب عند كثيرين للطلاق.. حيث يطلق الرجل إمرأته لهذا السبب ، هذا طبعا عندما يسمح الدين بالطلاق.. ففى المسيحية لا طلاق إلا لعلة الزنا.. وفى اليهودية « الله يكره الطلاق «.. ولكنه مباح ومسموح أن تعطى المرأة كتاب الطلاق..

وهكذا أيضاً فى الإسلام حيث يسمح الدين بالطلاق ، ولكنه يقيم خطوطاً للرجعة حتى يعم السلام فى الأسرة ، ويتجنب المجتمع النتائج السيئة للطلاق.. كأمر مباح، ولكنه ليس محبوباً ولا مرغوباً فيه..

العادات الضارة : وليس الخفاض الفرعونى هو العادة الضارة فقط.. بل هناك العديد من العادات الضارة التى تهدد المجتمع ، والتى يعود فيها الضررعلى الفرد.. والأسرة.. والوطن.. وكل هذه العادات تحتاج إلى من يشرحها.. ويتتبعها.. ويقدم أسلوباً مقتعاً للناس لكى يقلعوا عنها..

ومن بين هذه العادات الضارة مثلاً التدخين وهو ضرر للمدخن ، وضرر للذين لا يدخنون ، عندما تدخل رائحة الدخان إلى رئة من لا يدخنون.. كما إن كارثة المخدرات فى عصرنا هذا تُعد طريقاً للموت والدمار ، حيث تترك المخدرات ضحاياها مكسورين ، مذلولين ، يائسين ، تائهين.. يندبون حظهم العاثر ، ويضيع منهم مستقبلهم الذى كان ينبغى أن يكون مستقبلاً واعداً..

ويبلغ عدد ضحايا المخدرات فى العالم ما يقرب من مليار مذهول ، يعيشون عالم المجهول فى تيه وذهول.. وفى السودان تكوّن أول مجلس أهلى لمكافحة المخدرات والإدمان ، وهو يحتاج إلى دعم معنوى لكى يؤدى دوره المنوط به.. والعادات الضارة كثيرة جداً فى داخل بيوتنا ، فالمشاكل الأسرية .. وصراع الأب مع الأم..

وتقسيم البيت إلى أحزاب ، وتبادل العبارات النابية ، وعدم إحترام الكبار.. كل هذا يؤثر فى الصغار ، حتى إنهم يخرجون ممتلئين بالعقد النفسية التى تجعلهم يتهربون من الزواج أو يكررون مأساة بيوتهم ، فتنشأ أسرهم مفككة غير مترابطة..

المسيحية تحارب العادات الضارة : وتحارب المسيحية كل العادات الضارة إنطلاقاً من رسالتها الروحية التى تملأ القلب سلاماً.. وتحرر إرادة الإنسان.. وترفض أن يستعبد الإنسان لأى عادة ما.. حتى ولو كانت أمراً بسيطاً.. وذلك لأن الإنسان الذى خلق حراً ينبغى أن يحيا حراً.. وهذه بعض أضواء على طريق محاربة المسيحية للعادات الضارة:

١. المسيحية ترفض رفضاً باتاً ختان البنات.. وعلى هذا فعادة الخفاض الفرعونى ، هى عادة غير مقبولة إطلاقاً.. ولقد كان الختان مفروضاً على الذكور فقط عند اليهود ، وعندما أتت المسيحية تحرر الإنسان من الختان ، وأصبح ختان الذكور أمر يرتبط فقط برغبة الإنسان ، ولكنه ليس أمراً دينياً مفروضاً ، وهذا ما قرره أول مجمع مسكونى فى أورشليم (أع ١٥
٢. لا تقبل المسيحية أن يتحكم فى المؤمن أى عادة من العادات ، حيث يقول بولس الرسول فيلسوف المسيحية: فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت ، التى هى فى ظل الأمور العتيدة ، ولا يخسركم أحد الجعالة (كولوسى ٢:١٦).. وذلك طلباً لتحرير الإنسان من عبادة البطن ، حيث يخدم الناس بطونهم (رومية ١٦:١٨).. وحرباً للشهوة التى عندما إشتهى بها شعب إسرائيل أكل اللحوم ، أنزل الله لهم السلوى ، فأكلوا دون ضابط أو رابط ، حتى خرج اللحم من مناخرهم وصار لهم كراهة.. وماتوا من فرط الأكل.. ودفنوا فى قبور فى البرية ، سميت قبور الشهوة (عدد ١١)..
٣. والعادات الضارة هى عثرة كؤود أمام المؤمن ، ومن إرتكبها لا يرث ملكوت السموات التى هى هدف المؤمن فى الحياة.. وفى هذا يقول بولس الرسول : أم لستم تعلمون إن الظالمين لا يرثون ملكوت الله.. لا تضلوا.. لا زناة ولا عبدة أوثان.. ولا فاسقون.. ولامأبونون.. ولا مضاجعو ذكور.. ولا سارقون.. ولا طمّاعون.. ولاسكيرون.. ولا شتّامون.. ولا خاطفون ، يرثون ملكوت الله (كورنثوس الأولى ٦)..

٤. تؤكد المسيحية إن الإنسان سيد الكون، وإنه إذا كان سيد الكون ، فينبغى أن يكون سيد نفسه.. فالمؤمن يقول : كل الأشياء تحل لى ، ولكن ليس كل الأشياء توافق.. كل الأشياء تحل لى .. لكن لا يتسلط علىّ شئ .. (كورنثوس الأولى ٦ :١٢).. ومن هذا المنطلق تقدم المسيحية الشخصية السوية التى تنمو فى طريق سليم ، وتسير فى مسلك قويم ، وتقدم على مواجهة المشاكل ولا تقر الهروب من المشكلة كحل للمعضلة.. إنما تواجه الواقع .. وتغير ما فى داخلها.. لأنه لو حكمنا على أنفسنا لمَ حُكم علينا من أحد.. ولأن كل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شئ (١ كو ٩)..

٥. تقدم المسيحية إشباعاً كافياً لمتطلبات الإنسان الروحية والنفسية بما يجعله قادراً على التحكم فى ذاته.. رافضا لكل عادة ضارة.. وتقدم المسيحية حلا لمشاكل التوتر التى تؤدى إلى تبنى عادات ليس فى صالحنا.. لأن الإيمان يفتح باب الأمل والرجاء ، ويملأ القلب بالإيمان والصبر.. ويأخذ الدين بيد الإنسان لكى يحرره من كل عادة ضارة ، وينصّبه سيداً على الكون ، وخليفة لله على الأرض..

٨٣. الـزواج السعـيد

أول زواج : عندما نقرأ فى سفر التكوين نعرف شيئاً عن أول زواج تم على وجه الأرض.. والشاب الطموح الذى تزوج هو آدم.. والعروس التى إقترن بها لكى تكون شريكة حياته هى حواء.. ولم يختر آدم شريكة حياته.. إنما إختارها له الله بنفسه.. وقد سعد بها آدم سعادة لا يعّبر عنها.. ولكن شهوة العيون.. وتعظم المعيشة.. كانت بداية الإرتباك فى هذا العيش الجديد.. وأمام المعصية صدر أمر إلهى : أن يغادر آدم وحواء عشهما.. ويذهبا إلى عش آخر..

وتبدأ بعد هذا رحلة مَشقة وعناء.. آدم يأكل خبزه بعرق جبينه.. وحواء تتألم وتتمخض فى الولادة.. ومنذ ذلك الوقت بدأت رحلة الألم والأمل.. رحلة السعادة والشقاء لكل بنى آدم..

آدم وحده : فى البدء خلق الله السماوات والأرض.. وكانت الأرض خربة وخالية.. وعلى وجه الغمر ظلمة.. وروح الله يرف على وجه المياه.. وقال الله : ليكن

نور ، فكان نور.. وبعد هذا توالت خلقة الله للجلد.. والأرض.. والنهار والليل.. والحيوانات والطيور.. والزرع.. والضرع.. كل هذا تم فى ستة أيام.. وفى اليوم السادس خلق الله الإنسان على صورته.. وأعطى الله السلطان للإنسان أن يتسلط على سمك البحر.. وطير السماء.. وكل حيوان يدب على الأرض..

حواء من آدم : بدأ آدم وحده.. ثم أوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام.. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً.. وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم إمرأة ، وأحضرها إلى آدم.. فقال آدم : هذه الأن عظم من عظامى.. ولحم من لحمى .. هذه تدعى إمرأة لأنها من إمرىء أخذت..

لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته.. ويكونان جسداً واحداً.. وصارت حواء معيناً نظير آدم أى مساوية له.. فلم يخلق الله حواء من رأس آدم حتى لا تتكبر عليه.. ولا من قدم آدم حتى لا يستهين بها.. إنما من ضلعه لكى تكون مساوية له .. وحمل آدم فى كل ضلوعه.. حباً.. ورغبة.. إلى حواء.. وكان أول زواج فيه آدم واحد.. وحواء واحدة.. رغم أن الأرض كانت واسعة جداً.. ولكن إرادة الله أن يكون الأصل هكذا.. ذكر وأنثى.. وبهذا تجنب تعدد الزوجات. وتعدد الأزواج.. وبدأت من هنا شريعة الزوجة الواحدة..

قدسية الزواج : وقد قدس السيد المسيح الزواج.. وجعله سراً مقدساً ، فيه ننال نعمة غير منظورة ، بطريقة منظورة.. حيث حتى الأن ، وإنطلاقاً من إحترام السيد المسيح للزواج وتقديسه له.. يتم الزواج فى الكنيسة.. وأمام الهيكل المقدس.. ويستلم الرجل زوجته فى حضور الكنيسة .. وهيبة روح الله القدوس.. وتصبح الأسرة مقدسة فى المسيح.. الذى يجمع بين الإثنين.. ويكونان جسداً واحداً.. وما جمعه الله لا يفرقه إنسان..

أول معجزة : وكانت أول معجزة للسيد المسيح فى عرس ، كان قد دعى إليه فى قانا الجليل (يوحنا٢).. وفى العظة على الجبل قال السيد المسيح : قيل من طلق إمرأته فليعطها كتاب طلاق.. وأما أنا فأقول لكم : إن من طلق إمرأته إلا لعلة الزنى، يجعلها تزنى.. ومن يتزوج مطلقة ، فإنه يزنى (متى ٢١،٢٢!:٥)..

وعندما جاء للسيد المسيح الفريسيون ليجربوه قائلين له : هل يحل للرجل أن يطلق إمرأته لكل سبب ؟.. فأجاب وقال لهم : أما قرأتم إن الذى خلق من البدء

خلقهما ذكراً وأنثى ؟.. وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته، ويكون الإثنان جسداً واحداً.. إذاً ليس بعد إثنين بل جسد واحد.. فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان.. قالوا له : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق ؟.. فقال لهم : إن موسى من أجل قساوة قلوبكم إذن لكم أن تطلقوا نساءكم ، ولكن من البدء لم يكن هكذا (متى ١٩: ٢،١٢)..

زواج سعيد : وفى وثيقة قديمة وجدت صلاة إلى الله من أجل زواج صالح سعيد.. وهاأنذا أهديها إلى كل زوجين وهما على عتبة الحياة السعيدة.. وتقول الصلاة : أيها الرب إله السماء والأرض.. يامن ألجمت الهواء والمطر.. دع نورك يشرق على وجهيهما.. وهما يخطيان عتبة حياتهما معاً.. إجعل نفسيهما منفتحتين كالنوافذ للشمس.. وعقليهما متسعين لنور الفهم المتبادل.. أعطهما الرضى كسقف فوق رأسيهما.. والتواضع كبساط تحت قدميهما.. أمنحهما حنان المحبة فى أيام الحزن.. وعزة المحبة فى أيام الفرح.. دع أصوات الأطفال ترن عذبة فى آذانهما.. ووجوه الأطفال تسطع فى منزلهما.. لا تسمح يا الله بأن يعكر الجسد صفوهما.. ولا مخالب الطمع تجرحهما.. أعطهما قلبين متسامحين.. دع الجمال يسكن بينهما.. تفضل يارب وأجعل زواجهما صالحاً فعلاً... وهبهما ملء البركة والنعمة مدى الحياة.... آميـــن..

٨٤- بركات رمضان وعودة الرأى الآخر

مستشار الرئيس : إتصل بى الإبن والأخ المبارك/ الصادق بخيت ، المستشار الصحفى للرئيس ، ينقل إلى نبأ عودة الرأى الآخر بدون شروط ولا قيود ، وهذا الإبن والأخ رجل محترم ، متحرر ، مثقف ، وكان إتصالى به إتصالاً مستمراً من أجل عودة جريدة « الرأى الآخر « الغراء.. بعد توقفها.. والحمد لله تعود الجريدة من جديد لكى تكون كما كانت منبراً حراً للرأى..

والأمل دوماً أن يصبح الرأى الآخر ، هو الرأى ، فهذه هى سمة الديمقراطية ، ولا مانع أن نرى فى يوم ما من الأيام المقبلة أن أصحاب الرأى صاروا أصحاب الرأى الآخر.. لهذا ينبغى أن نقرأ المستقبل ونفهم أعماق الأحداث ، وليس ما يحدث الأن مفاجاة أو مباغتة ، إنما هو أمر طبيعى .. فلقد تمكن أصحاب الرأى من أن

يكونوا سبباً فى قوة الرأى الآخر.. لأن الإنسان حر ، ولأن التغيير مطلوب ، ولأن المعارضة مطلوبة ، لكى تصحح مسار الرأى الذى عندما يعتد بنفسه ويقيد الحريات لا تكون النتيجة إلا أن يفقد قناعة الناس به ، ويتحول أصحاب الرأى الآخر إلى أصحاب الرأى..

وأعتقد إنه لا يمكن لأحد مهما أوتى من قوة حتى ولو كانت قوة البلاغة أن يحجم الرأى الآخر أو يعصف به.. والإعتداد بالرأى دون الإفساح للرأى الآخر مصيره دوماً إلى الفشل ، بعد أن يفقد إلتفاف الناس حوله ، ويصبح صاحب أفكار فقدت دفء المبادىء وحرارة الحركة..

بركات رمضان : وتعود جريدة « الرأى الآخر» إلينا فى شهر رمضان المعظم ، الشهر الذى يعتز به أخواننا المسلمين ويعتبرونه شهر الرحمة والغفران والمحبة والتسامح ، وأعتقد إن شهر رمضان لهذا العام يتضافر مع إستعداد أهل الكتاب لعيد الميلاد المجيد .. ميلاد السيد المسيح.. لإستقبال الألفية الثالثة للسيد المسيح له المجد.. وكلاهما معاً يعلنان إستجابة السماء لشعبنا السودانى الصابر.. والذى عاش أياماً صعبة وقاسية ، وكاد أن يضيع ضحية خلافات وإختلافات ، وإحتراب وخصومات فى الداخل ، وعلاقات باردة تصل إلى القطيعة مع دول الجوار..

والحمد لله إن الله إستجاب ، وإن السماء تحركت لمطالب شعبنا الطيب ، ولقد كنت أقول دوماً : إن الله لا يمكن أن يترك هذا الشعب المبارك ، وإنه سوف يتدخل بنفسه فى الوقت المناسب.. وكان كثيرون يقولون : لقد صبرنا كثيراً.. واليوم أرى إن الصبر قد تكلل بتجاوب الله معنا..

والحمد لله سوف تشهد الأيام المقبلة خيراً كثيراً فى الداخل والخارج ، وتشهد إنفراجاً لا مثيل له فى علاقاتنا مع أشقاءنا ، فنحن لا نقوى على العيش فى أجواء ملبدة بغيوم تعكر صفو سمائنا ، وسوف نكافأ على هذا الصبر الطويل ، ولن ننسى الجهود المشكورة التى تقف وراء مساعى السلام الأن ، وأرجو أن يهتم الرئيس البشير أن يكون صاحب قرار السلام ..

وآمل أن تشهد الأيام القادمة المؤتمر الدستورى الجامع ، الذى يجمع كل أهل السودان لتقرير مصير السودان ، وأن يجتمع الكل معاً ، وتنتهى أيام القطيعة.. وتتوقف حرب الجنوب .. ويعود الوطن رقماً قوياً لا يقبل الإنقسام..

ولم تكن رغبة إنفصال الجنوب ، سوى إفراز طبيعى لجو مشحون بالخلافات ، ولكن عندما نجتمع معاً لن يفرقنا أحد ، لأن الرباط ، رباط روحى قوى من صنع الله ، وما جمعه الله لا يفرقه إنسان.. ومن حق الشعب أن يحلم أحلاماً جميلة بعد كوابيس مزعجة كادت أن تفقده سلامه ووطنه..

الرأى الآخر : وإذ أهنىء أسرة تحرير جريدة « الرأى الآخر».. أقدم تحية لهم ولصبرهم ، ولطول آناتهم ، فلقد عاشوا أقسى الأيام ، ولكنهم لم يتخلوا عن مبادئهم ولم يبيعوا ضمائرهم ، إنهم صورة مشرقة للشعب السودانى البطل ، الذى يصبر على المكاره دون أن يدخل فى المكاره..

وسوف يستمر عمل الله قوياً فى بلادنا العظيمة.. وسوف يستمر كفاح رجال الرأى الآخر وكل محرر فيها ، كفاحاً قوياً شريفاً نظيفاً .. وعلى قمتهم إمرأة عظيمة هى رئيسة التحرير ، ومعهم عبد العزيز الجعلى بكل شهامة الجعلية ، والتحية لكل أعضاء الجريدة ..

والتهنئة لكل قراء الجريدة ، ففى شهر رمضان المبارك أتت إلينا بركات عودة « الرأى الآخر».. جريدةً وفكراً، وسوف ندخل إلى الألفية الثالثة بسودان حر أبىّ.. يسير فى طريق الكرامة والرخاء.. بكل أمل ورجاء.. وإخلاص ووفاء.

٨٥- الآن.. وليس بعد الآن!!

أهمية القرار: عندما يرغب الإنسان فى أن يحيا مع الله ، وأن يتوب إلى الله ويؤوب.. فهذا قرار مهم للغاية ، ولكنه قرار لا يحتمل التأجيل.. ولقد عرف هذا الأمر رجال الله ، وكان إهتمامهم بالحديث عن أهمية القرار وتشجيع الإنسان على أن يتخذ قراره.. ويغير مساره.. ويحيا مع الله الذى ليس هناك حياة فى سواه.. والعمر منا يمضى.. والأيام بنا تمر.. ونحن نحيا فى طريق غير طريق الله.. ولا نأخذ من الإبتعاد عن طريق الله إلا الشقاء.. لا شىء غير الشقاء.. والشقاء دوماً هو الفرق بين إرادتى وإرادة الله.. الله يريد وأنا أريد.. الله يريد لى الخير والبر والسلام والحب ، وأنا لا أريد.. وهنا يكون الفرق.. ويزداد الشقاء.. وكلما إقتربت إرادتى من إرادة الله ، كلما قلّ الشقاء فى حياتى ، إلى أن تحدث نقطة التلاقى بين إرادتى وإرادة الله.. وهنا يقول المؤمن للرب : لتكن مشيئتك.. لتكن إرادتك لا

إرادتى .. وهنا ينتفى الشقاء.. وينتهى.. فاللحظات التى فيها نحيا فى إرادة الله ، نحيا فى هناء ويغيب منا الشقاء..

الفرصة الأن : والفرصة للحياة مع الله هى الأن. فليس فى الموتى من يشكر.. ولا فى القبور من يمجد الله.. هذا وإنكم عارفون الوقت ، إنها الأن ساعة لنستيقظ من النوم.. قد تناهى الليل وتقارب النهار ، فلنخلع أعمال الظلمة ، ونلبس أسلحة النور(رومية ١٣: ١١، ١٢)..

وهوذا الأن وقت مقبول .. هوذا الأن يوم خلاص.. (كورنثوس ٦: ٢).. واليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم (عبرانين ٤: ٧).. وصوت الله فى أعماقنا.. يدعونا كل يوم إلى الحياة معه.. ولكننا نهرب من صوت الله... وتشغلنا أصوات أخرى فى عالم اليوم حتى يضيع منا عالم الغد.. والغد هو الأبدية التى فى إنتظارنا، ونحن مطالبون بأن نجهز أنفسنا لها ، فالأبدية مواجهة مع الله..

خدعة التأجيل : لا تؤجل حياتك مع الله إلى الغد.. فالغد قد لا يأتى أبدا.. لأن الإنسان أيضا لا يعرف وقته.. كالأسماك التى تؤخذ بشبكة مهلكة ، وكالعصافير التى تؤخذ بالشرك ، كذلك تقتنص بنو البشر فى وقت شر إذ يقع عليهم بغتة (جامعة ٩: ٢١).. يقولون إن الشياطين إجتمعت تحت إمرة رئيسها تناقش أو تتآمر على الإنسان.. والمؤامرة هى أن يخضع الإنسان للشيطان ويرفض أن يحيا مع الله..

وكأن الشيطان لم يكتف بأن يكون هو الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس.. أراد أن يرفع صوته ويحارب الإنسان ، ويفرغه من الفضيلة ويخضعه تحت قدمى الرذيلة.. ويقولون إن باب النقاش بدأ ، وكل من لديه خطة من الشياطين المنحرفين يقدمها للرئيس.. قال أحدهم : أرى أن نجول وسط الناس ، فنحن الذين يمثلون أمام الله فى وسط بنو الله.. ونحن الذين لا نشبع من الجولان فى الأرض، والتمشى فيها كما يقول سفر أيوب..

ونحن عندما نجول وسط الناس سوف نضع فى قلوبهم العديد من الأوهام.. وأفكار الشك فى أن دعوى الوحى أباطيل وأوهام ، وعندما يشكون سوف يتعثرون ويغرقون فى بحار الأوهام التى صنعناها لهم.. وكان رد الرئيس : إن هذا أمر قد لا ينجح ، فأنتم تعلمون أنه يوجد أيضا ملائكة جوالون..

وأيضا لكل شخص ملاك حارس ، وهذا الملاك قوى عندما يقرر أى بنى البشر أن

يتوب.. ولقد إنتهرنا الملاك من قبل عندما حاولنا أن نجعل من قبر موسى حفرة للإبتعاد عن عبادة الله (يهوذا ١:٩).. وسكت الشياطين لحظة ، ثم قام شيطان آخر وقال : نحن سوف نسخر كل قوانا فى إقناع الإنسان بأنه أساساً لا يوجد إله ، وبالتالى فليس هناك حساب ، ولا ثواب ، ولا عقاب ، وهذا يجعلهم يتلذذون بالدنيا وينسون الآخرة.. ويأكلون ويشربون لأنهم غداً يموتون ..

وهذا يجعل جحيمنا يمتلىء بالغافلين الملحدين.. ولم يقتنع رئيس الشياطين بالفكرة ، لأن الله أعطى الإنسان حكمة ، وخلقه على صورته ومثاله.. والجاهل فقط هو ليس الذى يقول فى قلبه ليس إله.. ولأن الله وضع فى كيان الإنسان أبدية يفكر فيها.. وطبع وصاياه على صفحات ضمائر الناس..

وبعد مناقشات ساخنة عديدة، قام شيطان خبيث وطلب فرصة الكلام وقال : نحن لن نضع فى قلوب الناس أوهاماً.. نحن لن نجعلهم ينكرون وجود الله.. نحن سوف نشجعهم على الذهاب إلى دور العبادة.. وسوف نتركهم يقرأون الكتب المقدسة.. والكتب الروحية.. وسوف ندعهم يحفظون كلماتها ، ولكن عندما يعزمون على التوبة فقط ، سوف نطلب منهم التسويف والتأجيل لمزيد من الدراسة ، ولكثير من التعمق.. وسوف نؤكد لهم إن مراحم الله واسعة ، حتى يمر بهم الوقت ويموتوا فى خطاياهم..

وكانت هذه الفكرة الشيطانية هى الناجحة بين كل الأفكار.. لهذا أقول لكم ، ما قاله أوغسطينوس : ما أعظم قيمة الزمن !! كيف لا ونحن إذا تصرفنا به حسناً حصلنا على الله نفسه ، ونحن نلاحظ أن أكثر سكان الجحيم ليسوا من الكافرين بقدر ما هم من المؤجلين.. وإن الهالكين برحمة الله أكثر من الهالكين بعدله.. لذلك أكرر إننى ينبغى أن أحيا مع الله ، وأتوب إلى الله.. الأن.. وليس بعد الأن..

٨٦- شهود القيامة وتذكار العيد

عيد القيامة : فى يوم الأحد الخامس عشر من الشهر الرابع لهذا العام المبارك .. العام الأول فى الألفية الثالثة لميلاد السيد المسيح ، تحتفل كنائس الشرق بعيد قيامة السيد المسيح ، وتأتى القيامة فى فجر اليوم الثالث لموت السيد ، بعد أن صلب على خشبة الصليب.. وعندما مات وضع فى قبر جديد..

وقامت الحكومة بوضع أختام على القبر ، كما وضعت قوة عسكرية بوليسية لحماية القبر.. وكان الهدف من هذا أن لا يقوم السيد المسيح ، لأنه كان قد تكلم كثيراً عن قيامته.. ولكن السيد المسيح قام حياً من بين الأموات ، وإنتصر على الموت.. وكان إنتصاره هو أول إنتصار للإنسان على الموت.. فهو باكورة الراقدين ، وقد قام ولم يمت ثانية ، ولن يموت ، فهو أول من قاموا من بين الأموات ، وهذه عينة حية لمَ سوف يحدث فى القيامة فى اليوم الآخير..

وعيد القيامة هو عيد إنتصار الحق الأعزل على الباطل المسلح.. وسيطرة الباطل دوماً إلى حين ، ولكن مجىء الفجر هو اليقين..

شهود القيامة : وعندما قام السيد المسيح ، قام من ذاته ، قام والقبر مغلق.. وبعد القيامة أتى الملاك ودحرج الحجر.. عن فم القبر.. وأتت النساء يحملن معهن الحنوط لتكفين جسد ميت ، ولكنهن وجدن الحجر مدحرجاً عن القبر ، فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع ، وفيما هن محتارات فى ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة.. وإذ كن خائفات ومنكسات وجههن إلى الأرض قالا لهن : لماذا تطلبن الحى من بين الأموات ؟.. ليس هو ههنا ، لكنه قام (لوقا٢٤)..

وهذان الرجلان هما ملاكان.. وقد تحدثا مع المريمات وذكرن النساء بأن يسوع كان كلامه واضحاً : إنه ينبغى أن يسلم إبن الإنسان فى أيدى أناس خطاة ، ويصلب وفى اليوم الثالث يقوم... وتذكرن كلام يسوع ، ورجع النساء إلى التلاميذ ، وبعد هذا ذهب التلاميذ إلى القبر ليتأكدوا من حقيقة القيامة..

ورأت المريمات السيد المسيح.. وظهر السيد المسيح لجماعة التلاميذ فى أمسية الأحد ، دخل إليهم وهم مجتمعون بسبب الخوف من اليهود.. دخل والأبواب مُغلقةٍ.. محكم إغلاقها ، وأراهم يديه وجنبه ، وفرحوا به وقدم لهم سلامه وإرساليته : كما أرسلنى الآب ، أرسلكم أنا.. ولما قال هذا نفخ وقال لهم : إقبلوا الروح القدس ، من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أُمسكت... وعندما حضر التلميذ الغائب توما أراد أن يتأكد بنفسه ، فظهر يسوع لهم ثانية وطلب من توما أن يتأكد بنفسه ويلمس بأصبعه جراح المسيح ، وقال له : لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً (يوحنا ٢٠)..

ظهورات القيامة : وشهود القيامة كثيرون وقد ظهر السيد المسيح ثلاثة عشر مرة

بعد قيامته.. وقبره حتى الأن هو القبر الفارغ.. والأن أكفان السيد المسيح الموجودة تُعد دليلاً قوياً على قوة قيامته.. حتى أن بعض علماء الإستنساخ يريدون شيئاً لكى يعجلوا به المجىء الثانى للسيد المسيح ، وهم لا يفهمون عن المجىء الثانى شيئاً ، لأن السيد المسيح سوف يأتى كما صعد إلى السماء ، لأنه قام ثم صعد.. وهو بحسب ترتيبات المجىء الثانى لن يولد ثانية ، لكى يجىء ، فهو حى الأن ، هو المسيح الحى..

وعندما يأتى لن تطأ قدمه على أرضنا هذه ، بل سوف يختطف المؤمنين ، ويأتى على السحاب ، ومن هنا تبدأ الحياة الأبدية على الأرض الجديدة ، والسماء الجديدة التى يسكنها البر.. وفيما يلى ترتيب الظهورات الثلاثة عشر :

١. لمريم المجدلية (مرقس ١٦ :٩،١١)..(يوحنا ٢٠ :١١،١٨)..
٢. لنساء كثيرات (متى ٢٨ :٩،١٠)..
٣. لبطرس الرسول (لوقا ٢٤ :٣٤)..(كورنثوس الأولى ١٥ :٥).
٤. لتلميذى عمواس وهما كليوباس ولوقا (مرقس ١٦) .. (لوقا ٢٤)..
٥. للتلاميذ ما عدا توما فى عشية أحد القيامة (يوحنا ٢٠)..
٦. للتلاميذ ومعهم توما فى اليوم الثامن للقيامة (يوحنا ٢٠)..
٧. لسبعة رسل على بحر طبرية (يوحنا ٢١ :١،٢٣)..
٨. للرسل فى الجليل (متى ٢٨).. (مرقس ١٦)..
٩. لأكثر من خمسمائة أخ دفعة واحدة (كورنثوس الأولى ١٥ :٦)..
١٠ ليعقوب الرسول (كورنثوس الأولى ١٥ :٧)..
١١. للرسل فى أورشليم (لوقا ٢٤).. (أعمال ١)..
١٢. للرسل وآخرين فى بيت عنيا (مرقس ١٦).. (لوقا ٢٤).. (١كو ٥ :٧)
١٣.للقديس بولس الرسول (أعمال ٩).. (كورنثوس الأولى ١٥ :٨)..

تذكار العيد : وفى تذكار عيد القيامة المجيد ، نقدم أطيب التهانى إلى كل البشر ، فى كل الأوطان والبلدان ، لأن المسيح أتى خلاصاً لجميع الناس.. وغيرت رسالته قلوب كثير من الناس.. وسوف يعمل فينا سر التغيير إلى حياة أفضل ، تتناسب مع من مات السيد من أجلهم وقام.. وكل عام وأنتم بخير وسلام..

٨٧. الذين يسبحون بحمد ربهم

طقس ملائكى : إن التسبيح بحمد الرب هو أمر يستحقه الرب الذى يهتم بكل المخلوقات ، ويرعى الإنسان والحيوان..والطيور والدواب.. ويشبع كل حى من رضاه .. سواء كان على الأرض أم فى السماء.. فالله هو ضابط الكل الذى يسير كل المسكونة.. ويملأ مجده السماء بكل مخلوقاتها.. والتسبيح بحمد الرب هو طقس ملائكى ، فالملائكة يسبحون بحمد ربهم .. ويستغفرون لمن فى الأرض.. وفى السماء ترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم.. حيث أن الرب يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته.. والإنسان مطالب بالتسبيح للرب ، ويشكره على كل نعمة ، وبهذا يتشبه الإنسان بالملائكة حيث يشاركهم فى طقس التسبيح للرب..

سيمفونية العبادة : إننا كبشر على مر التاريخ رأينا ملائكة.. وسمعنا معا عبادة الملائكة لله.. وعندما أتى الخبر المفرح بمولد السيد المسيح ظهر جمهور من الجند السماوى ، ورنموا ترنيمة السماء.. المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.. وكأن الملائكة تذكر الإنسان بأن الملائكة هم الذين يعرفون سيمفونية العبادة.. وهم يطلبون مشاركة البشر..بل مشاركة كل الكائنات الحية.. فكلما يشرق فجر جديد يبدأ طقس التمجيد ، ويردد البشر عبارات تؤكد مجد الله.. وعظمة الله.. وتزقزق العصافير.. وتغرد الطيور..وتصيح الديوك.. ويمتلىء الكون بحركة هائلة لكى تكتمل سيمفونية العبادة..

ويعبر الجميع عن محبة الله وشكره.. وعظمته وجلاله ومجده.. ويكون الملائكة أشبه بأوتار قيثارة يوقع عليها الله أحلى الأنغام.. وأنغام التعبد هى أنغام رائعة عذبة..فيها كل رقة.. وهى تفوق الخيال فى ترانيم قدسية لإجلال الخالق.. القدوس. الذى مجده ملء كل الأرض.. وإذا كانت أنغام التعبد تبدأ فى السماء فإنها تتسع كما تتسع الدائرة العظيمة.. وتتجه تموجات ألحان السماء إلى بقاع الأرض.. وفى الأرض عندما يستمع البشر أناشيد السماء.. تملأ الحلاوة قلوبهم .. وينجذبون لموجة التهليل وتتفق الأرض مع السماء متحدة فى فرح غامر لا ينطق به..

عرش الله : وأمام عرش الله ، تتم أعمق التسابيح التى تقدمها طغمات الملائكة

الواقفون قدام العرش العظيم.. وقد رأى بعض رجال الله عرش الله فى رؤياه.. وتحدثوا عن هذا المنظر العظيم.. وعن طغمات الملائكة التى تسبح الله ترنيماً وتهليلاً.. وخشوعاً.. وخضوعاً.. وسجوداً وتعبداً.. ونذكر هنا بعض هذه الرؤى..

١. رؤيا أشعياء: لقد رأى أشعياء عرش الله المهيب ، ورأى السيد الرب جالساً على كرسى عال ومرتفع.. وأذياله تملأ الهيكل.. السيرافيم واقفون فوقه.. لكل واحد ستة أجنحة.. بإثنين يغطى وجهه.. وبإثنين يغطى رجليه ، وبإثنين يطير.. وهذا نادى ذاك وقال : قدوس.. قدوس .. قدوس.. قدوس رب الجنود.. مجده ملء كل الأرض.. فإهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وإمتلأ البيت دخاناً.. فقال أشعياء : ويل لى.. إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين ، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين.. لأن عينى قد رأتا رب الجنود.. فطار إلى أشعياء واحد من السيرافيم ، وبيده جمرة أخذها من على المذبح بملقط ومس بها فمه وقال له : إن هذه قد مست شفتيك ، فإنتزع إثمك وكفر عن خطيتك (أشعياء ٦)..

٢. رؤيا حزقيال: وإذا كان أشعياء قد رأى السيرافيم ، فإن حزقيال قد رأى الكاروبيم أو الشيروبيم.. والسيرافيم يعنى إسمهم « الملتهبون بالنار أو المحترقون أو المتوهجون «.. هم متوهجون بنور الله وساجدون أمام الله.. أما الكاروبيم فهى كلمة عبرية تعنى « الممتلئون معرفة أو الحكماء».. وإذا كان السيرافيم لهم ستة أجنحة ، فإن الكاروبيم ممتلئون عيوناً كدليل اليقظة الدائمة والحراسة المستمرة.. وقد رأى حزقيال مجد الرب خارجاً من على عتبة البيت وواقفا على الكاروبيم.. ورأى لكل واحد فى الكاروبيم أربعة أوجه.. وأربعة أجنحة (حزقيال ٩:١٠، ٢٠).. وقد كانت أول معرفة لنا عن الكاروبيم ، عندما أوكل إليهم حراسة باب الفردوس بواسطة السيف النارى المتقلب ، وكأنه ومضة برق.. وعندما كان حزقيا يصلى كان يقول : أيها الرب الجالس فوق الكاروبيم (٢ملوك ١٩:١٥).. وداؤد يرنم قائلاً: ركب (الرب) على كروب وطار، وهف على أجنحة الرياح (مزمور ١٨:١)..

٣. سفر الرؤيا :أما سفر الرؤيا فهو سفر السماء.. وهوالذى كشف أمامنا عرش الله.. وأعلن لنا على عظمة هذا العرش.. وما يخرج من بروق ورعود وأصوات.. وتحدث عن الذين يقفون أمام العرش.. الحيوانات الأربعة.. الأربعة وعشرون قسيساً وكلهم يعطون مجداً وكرامة ، وشكرا للجالس على العرش الحى إلى أبد الآبدين (رؤيا ٤).. وهؤلاء هم الملائكة « جماعة الساجدين لله».. فهل ترغب فى أن تنضم إلى هذه الجماعة وتسبح وتمجد وتشكر الخالق ؟.. أعتقد إن هذا هو أقل ما نفعله نحو خالقنا العظيم..

٨٨. العام الخامس للإنقاذ

خمس أعوام: تحتفل البلاد بمرور خمسة أعوام على ثورة الإنقاذ الوطنى.. ونتحدث عن الإنجازات التى تمت خلال هذه الفترة.. ونتحدث أيضا عن التحديات التى فى إنتظارنا.. وكيف يمكن أن يتحول التحدى إلى إنجاز ؟..

طريق التحدى : لقد إختارت الثورة طريق التحدى.. والثورات لا تتم إلا بالدخول من باب التحدى.. وطريق التحدى ليس طريقاً من أسفلت ، نعبُر به من الخرطوم إلى عطبرة.. كلا..إنما هو طريق الثورة كلها.. وهو دخول من الباب الضيق..وتأتى قوة الثورات فى مسيرتها فى طريق التحدى.. وإذا كان لنا إمكانية صنع القرار.. فنحن فعلاً قد وضعنا أقدامنا على طريق التحدى..

وفى إتكالنا على الله الذى منه يأتى عوننا.. نعتمد على الذات فى بناء الوطن العظيم.. نتحدى الشر.. نتحدى الخطية.. نتحدى الشيطان.. نتحدى الأنانية بالإيثار.. نتحدى الكراهية بالمحبة.. نتحدى التعصب بالحوار.. نتحدى الرذيلة بالفضيلة..

المشروع الحضارى : وعندما تعلن ثورة الإنقاذ عن المشروع الحضارى.. فإننى أفهم هذا المشروع الحضارى.. أفهمه ليس كمشروع إسلامى مصمد ، إنما أفهمه كمشروع من أجل رخاء الوطن.. مشروع يهتم بأعمال الدين ، كعامل حيوى فى البناء الإجتماعى.. وتفجير الطاقات الدينية لبناء السودان الجديد..

وعلى هذا تهتم الدولة بإرساء القيم الدينية السمحة.. فى الإسلام.. وفى المسيحية .. وهذا يكون دور رجل الدين دوراً حضارياً.. حيث يهتم رجل الدين فى خطبة

الجامع وفى منبر الكنيسة بإرساء القواعد الدينية والقيم الروحية السمحة..

معاً ضد التعصب : ونحن معاً ضد التعصب.. وضد فرض الرأى على الآخرين.. المواطن المتعصب هو أعمى ، يسير فى طريق مظلم.. هناك فرق بين الحماس للدين والغيرة عليه.. وبين التعصب الإعلامى..

لقد عشنا فى السودان ، منذ أن كان السودان.. عشنا معاً.. فى ود وتوادد. المحبة بساط نسير عليه جميعنا.. والسلام حياة نحياها ، وننال بركة السلام وتطويبة صانعى السلام.. لأنهم أبناء الله يدعون.. والدين رسول سلام.. والتدين حرية وعطاء.. وليس عبودية فى إرتخاء.. التدين حرية ، هى حرية مجد أولاد الله..

نموذج حضارى : وسوف يظل السودان نموذجاً حضارياً لكل بلدان العالم... فهو وطن متعدد.. ومتميز.. متعدد الأديان.. والثقافات.. والأجناس.. والأعراق.. ولكنه متميز.. الناس فيه يتعايشون..يعرقون ويكدحون.. يقتسمون لقمة العيش.. يشربون ماء النيل بخيراته.. يقتسمون معاً نسيم الحرية.. يحترمون بعضهم البعض .. يتوجهون جميعاً نحو الإله الواحد رغم تعدد الأديان.. لا يكرهون.. ويُكرهون.. ويتوحدون معاً.. رغم تعدد الأجناس.. وتتلاقى الثقافات.. والنتيجة هى وطننا الطيب الذى نعيش فيه ، ويعيش فينا..

٨٩. يا وليد السلام قرر لنا السلام

يحتفل المسيحيون اليوم بعيد الميلاد المجيد.. ميلاد السيد المسيح له المجد والإكرام.. والسيد المسيح هو وليد السلام.. وهو ملك السلام.. وهو الذى دعى إلى السلام.. وأقام سلاماً بين الأرض والسماء.. وبين الإنسان وأخيه الإنسان.. وبين الإنسان ونفسه..

لكل الوطن : وعيد ميلاد السيد المسيح ، هو عيد فى السودان لكل أبناء السودان.. هو عطلة رسمية لكل المواطنين.. ومناسبة قومية يعتز بها الوطن.. تزدان شوارع بلادنا بلافتات التهنئة... وتنتشر فى ربوع بلادنا أشجار الميلاد الخضراء.. أشجار محبة تثمر وداً وإخاء.. أشجار السلام تثمر صلحاً ووفاء.. أشجار الإيمان تثمر عطاءً وطهراً ونقاءً ..

مسيح الكل : والسيد المسيح ، هو مسيح كل الناس.. هو مسيح الخطاة والمؤمنين..

هو مسيح الأشرار والتائبين.. هو الذى أتى من أجل الكل.. وقدم رسالته إلى الكل.. وليس من إنسان يجهل إسم المسيح.. وليس من شخص لم يسمع عنه.. إنه الشاب الممتلىء حماساً.. الذى أيقظ حماس البسطاء.. وشحذ فكر العلماء.. ودخل فى حوار هادىء، هادف مع كل الناس..

حاور الشاب الغنى.. وإستمع إلى المرأة الخاطئة.. وتناقش مع الكتبة.. وتحدث إلى السامرية.. وتحاجج مع كل طوائف اليهود.. وجالس الفقراء والمعدمين.. وأجاب على علامات الإستفهام.. وإحترم ضمير الإنسان.. وفتح أبواب السماء أمام الكل.. ولم يكفر أحداً..

وأعلن إن السماء تفرح بخاطىء واحد يتوب.. وإن من يقبل إليه لا يخرجه خارجاً.. ونادى وسط العالم :

إن عطش أحد ، فليقبل إلىّ ..
لأن من يشرب من هذا الماء يعطش..
من يشرب من الماء الذى أعطيه...
أنا ، فلن يعطش إلى الأبد..
وقال لكل متعب ومتألم :
تعالوا إلىّ ياجميع المتعبين
وثقيلى الأحمال ، وأنا أريحكم..
إن من يؤمن بى ، تجرى فى بطنه
أنهار ماء حى..

شوارع الخرطوم:

وسوف تظل شوارع الخرطوم دليلاً ، لا يقاوم على وطن محب يعيش المحبة.. ويرفض الحرب.. ويعشق السلام..

ففى شوارع الخرطوم تمر مواكب الميلاد.. وترتفع لافتات التهانى الطيبات.. ويشدو الشباب المسيحى بترانيمهم.. يتغنون للمسيح.. ويتنادون بالسلام.. وعلى شاطىء النيل الخالد.. يركض الكتاب المقدس.. فى حركة حرة.. فى معرض كبير.. يفتتحه وزير الثقافة مع الشاب الثائر نائب الوالى..

ومن الباخرة « الفلك « على شاطىء النيل.. يفوح عبير الحرية.. فى صلاة

يرفعها المسيحيون إلى الله.. يطلبون الخير لبلادهم.. والسلام لوطنهم..

ياوليد السلام :

فيـــا وليــد السلام ..

يا ملـــــك السلام ..

نريد ان نسمع نشيد الملائكة ..

على أرض سوداننا الواعد..

وهى تعزف على قيثارة الزمن ..

لحـــــن الســـلام ..

المجد لله فى الأعالـــــى

وعلى الأرض الســـــلام

وبالناس المســرة ..

هل تأخر السلام ؟ : ولقد تأخر السلام فعلاً .. لماذا يمشى السلام بخطوات بطيئة..؟ نعلم يارب.. إنك لست السبب فى هذا .. ولا حتى الزمان هو السبب .. إن العيب فينا..

فى إرادتنا الشريرة ، التى تحارب السلام.. فى ضعاف النفوس ، الذين يستفيدون من الحروب .. ولكن يارب..

من أجل أهلنا الطيبين..

من أجل مواطنينا المسالمين..

يا ملـــك الســلام ..

قرر لسوداننـــا السلام ..

كفانا حروب .. كفانا دمار..

كفانا إضطراب.. كفانا عدم إستقرار ..

كفانا يارب كفانـــا..

كفانا شقاء الغلاء ..

كفانا بؤس البـــلاد ..

كفانا سلاح الفنـــاء ..

وأعمل يارب بقــوة ..

لكى يتحقق الســـلام ..
على أرض وطن السلام..
لكم التهانى :
وإلى كل مواطن أقدم تهنئة الميلاد..
ولكل مواطن أُحمّل المسئوليـــة ..
مسئولية الصلاة من أجل السلام ..
ومسئولية الصبر من أجل السلام..
ولنضع أيدينا فى أيدى بعضنا ..
وكل الأيادى نضعها فى يد الله ..
وكل الركب تجثو خاضعة لله..
وعندما تصفو القلـــوب..
سوف يتحقق ســـلام اللـــه ...

٩٠ـ كامل إدريس ورؤيـة المستقبل

كامل إدريس:عند بدء تعارفى مع أستاذ الجيل بروفسور حسن أبشر الطيب صاحب إطلالة « فى عشق الوطن «.. وصاحب ومحرر الطيب صالح « دراسات نقدية».. وصاحب مؤلفات عديدة.. وصاحب وجهة نظر سديدة.. تقول : بأن المواطن ينبغى أن يحب الوطن..ولا يهم من الذى يحكم الوطن ؟..

ومن داخل الوطن تبدأ الحركات الوطنية التى ترفض تدمير المنشآت لكشف رزايا الحكام، إنما تعمل فى هدوء، مثلما نور الفجر الذى عندما يشرق ، يخرج العالم عن صمته فتغرد الطيور، ويصيح الديك الفصيح، وغير الفصيح.. وتتحرك الحياة والفجر صامت، يقدم لكل هؤلاء مقومات الحياة..

وذات يوم دعانى بروفسور حسن إلى ملاقاة السودانى الأصيل كامل إدريس، فى لقاء بالخرطوم بحرى ترحيباً بالقادم من الخارج ، لكى ينضم إلى ثقافة أهل إطلالة فى عشق الوطن.. وأتى كامل إدريس من خارج السودان ليسهم إسهامة حقيقية فى بناء السودان.. والفارس المغوار القادم من الإغتراب ليحيا مع الأحباب، فى

وطن الأحباب حاملاً للدكتوراة، وحامل لهموم الوطن وقضاياه.. ومتطلع لمستقبل مجيد..

وقد كتب رؤياه فى كتاب هو « السودان ٢٠٢٠م» تقويم المسار ورؤية المستقبل، ولقد أعطى لكتابه فرصة من الوقت ، ولكن هذا الوقت لا يمكن أن يذهب هباء منثوراً لئلا يكون لمستقبلنا قاتلا، إنما هو وقت فيه يتم السلام، وقد تم.. وفيه يحدث الوئام الذى يحتاج إلى مجهود ، فما زلنا نعانى من الشرق.. ومن الغرب.. وسوف يحدث التوافق حتى يبدأ السودان العظيم فى دروب الرفاهية والتنمية..

وصديقنا هو المدير العام للمنظمة العالمية الفكرية ، إحدى منظمات الأمم المتحدة المتخصصة، والأمين العام للإتحاد الدولى لحماية الأصناف النباتية الجديدة ، ولكنه يدون ملاحظة واضحة هى أنه وضع مؤلفه بصفة شخصية بحتة ، وليس للمنظمتين اللتين يقودهما ، أى مسئولية رسمية ناجمة عن هذا المؤلف أو محتواه..

وإن كنت لم ألتقى دكتور كامل إدريس سوى مرة واحدة ، فقد إلتقيت برؤياه فى كتابه الجميل ، والذى طبع طباعة أنيقة ، دار نشر أنيقة.. والدكتور إدريس خريج كلية القانون جامعة الخرطوم ، وخريج جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، وهو لم يكتب متى ولد ؟ ولا متى تخرج ؟.. ولربما لو كتب لعرفت هل هو زميل دراسة ؟.. فإننى تخرجت من جامعة القاهرة فرع الخرطوم ، وكنت أذاكر لأكون أول الخريجين فى جامعة الخرطوم وفى المكتبة على وجه التحديد، وكان كثيرون يظنون إنى طالب بجامعة الخرطوم..

وكامل إدريس قاموس فى العلاقات الدولية ، ومحامى ومحاضر وسفير، واكسبه كل هذا علاقات مع دوائر علمية، نهّل منها وصار مرجعاً هاماً.. وهو شخصية سودانية قومية فاعلة فى الحياة العامة، وله مبادرات عديدة فى مجالات الوفاق الوطنى وإحلال السلام والتنمية والإستقرار الذى لولاه لما تقدم السودان.. وهو شخصية عالمية مرموقة نال أرقى الشهادات الفخرية، من أرقى جامعات العالم.. وكتابه « سفر نفيس « قدم تحليلا نقدياً لمسيرة التاريخ.. تاريخ السودان المعاصر ، وإستخلص من المسيرة الدروس والعِبر.. وقدم رؤيا إستراتيجية شاملة بصيرة لمستقبل السودان..

والرؤيا هى تصور للمستقبل.. وكما يقول سليمان الحكيم : بلا رؤية يجمح

الشعب، أما حافظ الشريعة فطوباه(أمثال ٢٩:١٨).. وعن صهيون يقول : ناخت فى الأرض أبوابها.. لا شريعة.. أبناؤها لا يجيدون رؤيا من قبل الرب.. وعندما تكون هناك ليلة بلا رؤيا ، كما يقول ميخا (٦:٣).. فإن الأمر يكون قاسياً..
قوة الكتاب: وكتاب كامل إدريس « السودان ٢٠٢٠» كتاب قوى .. ويستمد قوته من أن الكاتب سودانى مثقل بحب الوطن، وخبير فى التخطيط.. مختبر لتجارب الحياة.. وهو ليس متسرعاً ، إنما متملياً صابراً مقدراً لهذه المرحلة الفاصلة فى تاريخ السودان.. وفى هذا يقول: لقد تمليت فى كثير من الأفكار التى تطرح والمبادرات التى تقدم ، فألفيت الكثير منها يتولد من جو النزاعات المتنوعة والمتعددة التى سادت مرحلة ما بعد الإستقلال وينطبع بها..

وحرصاً أن يبلغ السودان مراسى السلام.. ومرافىء الأمن والإستقرار، وتنداح أمامه فرص التقدم ليغدو قادراً على صنع الخير لأهله وللناس من حوله ، رأيت من مسئوليتى واجباً علىّ وحقاً لى أن أسهم بالرأى بما عساه أن يعين فى تقويم المسار برؤية إستراتيجية تتشرف مستقبلا آمناً.. مستقراً.. منفتحاً على التقدم يصنعه كل بنيه ولمصلحتهم على سفن العدل والمساواة والإنصاف، وليغدو السودان كذلك عضواً فاعلا فى دوائر إنتمائه الحضارى والإقليمى ، وفى الأسرة الدولية..

لقد أسعدتنى رؤية كامل إدريس وأتمنى أن تتحقق هذه الرؤية ، وأن تكون وبمشيئة الله سوف تكون تحقيقاً لأحلام المواطن السودانى الصابر والمثابر والذى صبر كثيراً.. وينتظر للرخاء بشيراً..

٩١. المسيحية في القرآن

ينظر القرآن إلى النصارى ، نظرة محبة وتقدير وإحترام.. يدعوهم القرآن إنهم « أهل الكتاب «.. والكتاب هنا هو الكتاب المقدس الذى يشتمل على عقائد المسيحيين وأسس إيمانهم القويم..

ويتكلم القرآن عن النصارى بإعتبارهم دعاة خير.. ورجال إيمان.. ويصفهم بأنهم مؤمنون ، وليسوا كفرة ولا مشركين.. وليسوا متكبرين ، ولا متسلطين.. ويقدم القرآن دعوة واضحة للمحبة والإخاء.. والمشاركة والتعاطف..
مؤمنون عابدون : تحدث القرآن عن إهتمام المسيحيين بالعبادة.. وأمرهم بالمعروف..

ونَهيهُم عن المنكر.. وإهتمامهم بعمل الخير.. وتلاوتهم للإنجيل.. وإيمانهم.. وحياة التقوى التى يعيشون فيها.. وفى هذا يقول :

من أهل الكتاب أمة قائمة ، يتلون آيات الكتاب أناء الليل وأطراف النهار ، وهم يسجدون.. يؤمنون بالله واليوم الآخر.. ويأمرون بالمعروف.. وينهون عن المنكر.. ويسرعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين (سورة آل عمران ١١٣).. ويقول أيضاً : الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به (سورة البقرة ١٢١)..

- ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن إتقوا الله (سورة النساء١٣١)
- والذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون (سورة القصص ٥٢)..

الجدال الحسن : ومن واقع إيمان القرآن بأن المسيحيين من المؤمنين.. يؤمنون بالله وبالكتاب.. وباليوم الآخر.. وهم من الصالحين.. يقدم القرآن دعوة إحترام فى المناقشة والجدل.. ويرفض الجدل السخيف.. والمباحثات الغبية . وفى ذلك يقول :

- لا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن.. إلا الذين ظلموا منهم.. وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا.. والذى أنزل إليكم.. وإلهنا وإلهكم واحد.. ونحن له مسلمون (سورة العنكبوت ٤٦)..

مركز الإفتاء: ولم يقتصر القرآن على الأمر بحسن مجادلة أهل الكتاب ، بل أكثر من هذا وضع النصارى فى مركز الإفتاء فى الدين.. فهم أصحاب رأى وخبرة ، وهم لديهم الإمكانيات والمعرفة من خلال إنجيلهم الذى جعل فى قلوبهم رأفة ورحمة.. وهكذا قال القرآن :

- فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك ، فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك (سورة يونس ٩٤)
- وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً ، نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (سورة الأنبياء ٧)

- وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناه الإنجيل ، وجعلنا فى قلوب الذين إتبعوه رأفة ورحمة..(سورة الحديد ٢٧)

أقربهم مودة : ويرى القرآن إن النصارى هم أقرب الناس مودة للمسلمين.. وهو بهذا يضع الأساس المتين لعلاقات الود والإخاء والإحترام.. فكل واحد له دينه.. لكم دينكم ولى دين.. وكل واحد يحترم دين الآخر.. ويتعامل معه بالمودة والرحمة والمحبة والتآخى. وفى سورة المائدة يقول :

لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا.. ولتجدن أقربهم مودة الذين قالوا : إنا نصارى.. ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً ، وإنهم لا يستكبرون ..

ليسوا مشركين : ويلاحظ فى الآية القرآنية السابقة ما يلى :

١. تمييز النصارى عن الذين أشركوا ..
٢. ذكر النص ثلاث طوائف. اليهود.. والذين أشركوا.. والنصارى..
٣. لو كان النصارى هم المشركين لِمَ صح هذا الفصل والتمييز..
٤. هذا ، وهناك العديد من النصوص القرآنية التى يميز فيها القرآن بين المشركين

والمسيحيين مثلما يلى :-

- إن الذين آمنوا والذين هادوا ، والصابئين والنصارى ، والمجوس ، والذين أشركوا.. إن الله يفصل بينهم يوم القيامة.. إن الله على كل شىء شهيد (سورة الحج ١٧)
- إن الذين آمنوا والذين هادوا ، والنصارى ، والصبئين من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحاً ، فلهم أجرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون(سورة البقرة ٦١)

وختاماً.. هذا هو بساط المحبة ، على أرض السودان ، الموجود منذ أقدم الأزمان...

٩٢. الأقباط يزرعون المحبـة

الرأى العام : عنوان حديث الأحد لهذه المرة ، هو لكاتب وصحفى مرموق مخضرم فى جريدة الرأى العام الغّراء.. هو الأستاذ محجوب عروة.. ولقد أعجبنى العنوان ، وأعجبنى مضمون الكلام.. فلقد تحدث عن إفطار رمضان الذى أقامته الكنيسة القبطية.. ودعا إليه نيافة الأنبا دانيال ، ونيافة الأنبا صراباموون ، وكل أبناء الطائفة القبطية.. وإجتمعوا معاً حول مائدة إفطار رمضان فى النادى القبطى الذى هو صورة حضارية لشعب متحضر.. ونموذج ثقافى لشعب مثقف.. ومثال روحى لطائفة قبطية تعشق الروح وتعَلى من شأن الروح..

ونتحدث حديث الروح وسط عالم ملتهب بمحبة المادة والمادية.. عالم يحترق بنار الذاتية والأنانية.. وأصحاب رسالة الروح هم إنفتاح من السماء على الأرض.. وهم بركة ،والعالم محفوظ من الله ببركة هؤلاء البسطاء الذين يعلّون من شأن الروح.. وهم كأقباط مؤمنون بأن الله هو الذى صنع التنوع والتعدد الموجود فى السودان.. تنوع الأديان والأعراق والثقافات ، لكى يجعل السودان نموذجاً لكل العالم ، بل لكى يجعله عالماً كاملاً يحيا فيه الناس المحبة ولا يتصارعون.. ولا يتنافرون.. إنما يتنافسون فى محبة الله، ويعبرون عن محبتهم كل بطريقته ، والآب السماوى يرقبنا ويفرح بنا ، ويشد من آزرنا ، ويؤكد تعايشنا ومحبتنا..

فالحضارة هى أن نقبل الآخرين على ماهم عليه.. دون أن نفرض عليهم أفكارنا.. أو نقهرهم بأغلبيتنا.. أو بأيدولوجيتنا.. الحضارة هى أن نحب بعضنا بعضاً ، رغم كل هذه الإختلافات.. وعلى هذا لا تعتبر هذه الإختلافات إبتلاء من الله.. إنما حباً لنا.. ورغبة فى أن يكون سوداننا صاحب رسالة روحية ملهمة لكل بلدان العالم..

وطنية الأقباط : والأقباط مواطنون صالحون.. حملوا هموم الوطن.. وفرحوا بحلوه ومره.. وعاشوا الحلومر ليس فى شهر رمضان فقط ، إنما فى كل شهور العام.. والأقباط إيجابيون شاركوا فى كل قضايا الوطن..إستشهدوا فى المهدية .. وفى أكتوبر.. وشاركوا فى كل تحركات وطنية ، وعبروا عن نبض الشارع السودانى.. وعاشوا ديمقراطية ، وناقشوا كل الأمور تحت أشجار النيم والتبلدى.. وشاركوا فى ثورة ١٩٢٤ م..

وكان من الرواد الأقباط : وهبة حنا الجد الأكبر لعائلة حنا إبراهيم بالمسالمة،

والذى يسجل إسمه الأن فى سجل رجال ثورة ١٩٢٤ وهو الجد الأكبر للقمص باسليوس حنا إبراهيم.. وثورة ١٩٢٤ إندلعت فى السودان ضد ما للإستعمار من طغيان.. وعندما أطفأ الإستعمار هذه الثورة ، وقدم رجالها للمحاكمة ، أتى إلينا أقباط من مصرمحامين نبهاء ، يدافعون عن أخوانهم المسلمين والأقباط الذين قادوا ثورة ضد الإستعمار.. فالأقباط يفهمون كيف تكون المشاركة ؟.. وهم لا يحبون أن يكونوا وقوداً لحروب داخلية غير عادلة.. ولكن يحبون أن يكونوا فداء للوطن فى قضاياه النبيلة.. فى إتجاهه نحو السلام.. نحو حق الدماء.. نحو الوفاق.. نحو جمع الشمل..

أقباط السودان : وأقباط السودان وعلى مر الأزمان.. يزرعون المحبة.. يزرعونها بجهودهم.. ويروونها بعرق المحبة.. بدموع الوفاء والإخلاص.. ولقد كانوا لهذا رواداً فى السودان.. فهم أمناء على السودان وعلى مصالح السودان..

فلقد كان خليل بك إبراهيم ، أميناً لبيت المال فى أول حكومة إسلامية.. وهم خبراء أمناء ورواد أوفياء ، بدءاً بالتجار ، كل التجار.. الذين تركوا نقادة موطنهم، وعاشوا هنا فى السودان.. ثم تفوقوا فى مجالات عديدة.. فأول طالبة جامعية كانت« أنجيل إسحق».. وأول طبيب أسنان سودانى هو الدكتور « الفونس بيشاى».. وأول وزير ولاية هو « منير إسحق «.. وأول مهندسة سودانية هى « هدى حبيب«.. وأول مؤسس مصانع هو « بسطا شاكر».. وأول وزير زراعة هو « وديع حبشى».. وأول نقيب محاميين سودانى هو « لبيب سوريال «.. وأول وزير صحة فى مايو هو الدكتور « موريس سدره».. وأول مهندس فى النقل الميكانيكى هو « لبيب دميان «.. وأول مزارع هو « سعد « صاحب قضروف سعد الذى سميت القضارف كلها بإسمه.. وأول معلم هو الأنبا « صرابامون».. وأول مؤسس لصناعة النسيج هو « إبراهيم بسخيرون».. وأول محطة أتوبيس هى « محطة مقار سيدهم «.. بشارع الحرية ، وهكذا.. والأقباط يعتزون بمحبتهم للسودان.. وبحبهم لمصر.. لهذا هم يراقبون فى فرح وسعادة الحركة الدبلوماسية النشطة ، لإعادة العلاقات المصرية السودانية..

فالأقباط فيهم يتمثل وادى النيل مصر والسودان.. وهم يشتاقون إلى عودة الأملاك المصرية لمصر.. وعودة جامعة القاهرة.. والمدارس المصرية ، ويترقبون

أن تمتلىء شوارع عواصمنا بالأساتذة المصريين الذين خدمونا وعلمونا ، وحملوا معنا هموم حضارتنا..

وسوف يظل الأقباط يزرعون المحبة فى كل عهد.. وتحت ظلال الوطن العظيم الذى يجمع بيننا.. وعلى ميزان المواطنة التى هى أساس لكل الحقوق والواجبات.. ولتعود الأيام ويستمر الأقباط « زارعو محبة «..

٩٣- أمير الشهداء بطل الإنقاذ

أمير الشهداء: تطل على الكنيسة القبطية خلال شهر نوفمبر ذكرى الشهيد العظيم مارجرجس الرومانى.. والكنيسة القبطية عريقة فى الإيمان.. عميقة فى التقوى.. وهى كنيسة الشهداء التى صدرت إلى السماء آلاف لا تحصى من الشهداء.. ومارجرجس هو واحد من شهداء القرن الرابع الميلادى..أبلى بلاءاً حسناً.. وكان بطلاً عملاقاً.. صبوراً جسوراً.. قوياً. أميناً فى رسالته.. خاصة رحلة الآم وعذابات تقشعر الأبدان من مجرد ذكرها.. ولكنه كان قوياً.. متمسكاً بإيمانه.. مؤمناً بمسيحه.. كان أميناً إلى الموت فنال إكليل الحياة ..

على القلاع والحصون: ولهذا الشهيد البطل شهرة عظيمة فى كل بلدان العالم.. فهو رمز للبطولة .. ووجدت صورة منقوشة على جدران الكنائس ، وأيضاً بالأكثر على القلاع والحصون فى إيطاليا وليبيا.. وغيرها.. ويرسم رسم بطل يمتطى جواده وتحت قدميه تنين.. وفى يد الشهيد حربة مسلطة على التنين لقتله ، والإنتهاء منه.. ولذلك سمىّ مارجرجس أمير الشهداء..

بطل الإنقاذ : ومنذ القرن الرابع وحتى اليوم يظهر هذا الشهيد لكثيرين ، ويصنع معجزات مع كثيرين.. وتمتلىء كنائسه الآثرية ببقايا آلام البشر بعد ان صنع معهم معجزات أشفية.. فتركوها فى كنائسه.. فالذين أعياهم المرض.. وساروا على عربات المُقعدِين أو أجهزة المعّوقين، نالوا الشفاء ، وتركوا أسِرتهُم كدليل مادى على صدق معجزات القديس.. ومارجرجس بلا منازع هو بطل الإنقاذ..

هو سريع النجدة أى إستجابة النداء سريعاً.. يستغيث المؤمنون به وبكراماته.. فيأتى سريعاً.. وينقذهم من اللصوص.. من قطاع الطرق.. وهو الذى ينقذ وينجى..

بقوة الرب الذى فيه.. لأن الله إلهنا ليس إله أموات بل إله أحياء.. والشهداء هم أرواح عاملة ، وليسوا أرواحاً خاملة.. أرواح الشهداء تشعر بنا.. وتسمع لندائنا.. وتتحرك لتلبية طلباتنا وفق إرادة الله ضابط الكل..

ضد الإستعمار: كان الرومان قد إستعمروا أغلب بلدان العالم.. ودخلت روما فى صراع ضد المسيحية.. وأصدر الأباطرة أوامر عديدة بالقضاء على المسيحية.. وإبادة المسيحيين.. وقد كان الإضطهاد ضد المسيحية بدرجات متفاوتة من إمبراطور إلى آخر.. بحسب مزاجه الخاص..

وقد بلغ الإمبراطور دقلديانوس أقصى حد فى إضطهاد المسيحيين ، فقد أكد روحه التعسفية فى منشور صدر عن القصر الإمبراطورى.. وفيه أمر بهدم جميع الكنائس، وإحراق كل الكتب المقدسة.. وفصل الموظفين فى الدولة. وحرمان المسيحيين من حق المواطنة.. وصدر الأمر العام بأن يقدم المسيحيون بخوراً فى معابد الأصنام.. ولكن المسيحيون رفضوا.. وأصروا.. وصمموا على عدم السجود ، إلا للإله الواحد..

وقد كان مارجرجس واحد من الشباب القوى الذى وقف ضد أمر الإمبراطور.. ففى عنفوان الشباب وعلى قمة جبل الإيمان.. وفى بطولة الفرسان ، قرر الشاب إن الإستشهاد الشريف خير من العيش الذليل.. وعلقم العذابات خير من ماء الذل.. ومن ثم مزق بطلنا منشور الإمبراطور فى ميدان عام.. على مرأى من الشعب.. وعلى مسمع من رقباء الإمبراطور وكلاب السلطة الذين يجوبون كل البلاد.. وكان هذا العمل تحدياً واضحاً ضد الإمبراطور.. وضد السلطة الطاغية المستبدة..

طريق الآلام : وفى الوقت الذى حاز فيه البطل جرجس إعجاب الجماهير من بنى وطنه.. قبض عليه جنود الإمبراطور ، وهو زميل لهم ، وإقتادوه إلى»والى» المدينة لكى يلقى جزاؤه.. ومن هنا بدأ طريق الآلام.. وكان مستعداً لكى يحتمل كل شىء من أجل المسيح .. حاسباً عار المسيح ، غِنىَ أفضل من كل كنوز العالم.. متأكداً إن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا.. حاسباً إن هذا هو كل الفرح ، أن يتألم من أجل المسيح.. وقد جاهد مدة سبع سنوات.. ذاق خلالها العديد من العذابات.. والآلام والسخرية والإهانات.. ولكنه كان فى كل يوم يقف فى ساحة

الإستشهاد.. وقد ضمد الرب جراحاته..

وقد آمن كثير من الوثنيين بإسم المسيح بسبب جرأته.. وقوة إيمانه.. وإنتهى به الأمر إلى الإستشهاد بعد سبع سنوات من العذاب .. وإنضم إلى قديسى السماء ، لكى يعمل المعجزات بقوة الله الذى فيه..

إسم عظيم : وقد صار إسم مارجرجس هو إسم عظيم.. يسمى به المؤمنين.. ويتباركون به.. ويبنون الكنائس على إسمه.. ويرسمون صوره فى الكنائس والبيوت ، بإعتباره بطل الإنقاذ.. وأمير الشهداء.. والعظيم فى القديسين ..

وقد عرف التاريخ عدة قديسين بإسم مارجرجس .. نذكر منهم مارجرجس المصرى ، الذى إستشهد فى آواخر القرن الرابع .. والذى سماه أبوه بإسم مارجرجس تيمناً بالقديس الرومانى.. وأيضا مرجرجس المزاحم الذى كان من أبطال الإستشهاد فى القرن العاشر الميلادى.. تستمر المسيرة.. ويستمر إسم جرجس.. وجورج.. وجورجيوس.. كلها أسماء ترجع إلى رغبة الناس فى تمجيد ذكرى بطل الإنقاذ..

ذكرى دائمة : وسوف يظل الشهداء.. شهادة حية لله.. فهم شهود لله.. فى عملهم.. فى قوة إيمانهم.. فى عمق محبتهم.. فى جسارة بطولتهم.. وهم لم يحبوا حياتهم حتى الموت.. وكان الله فى حياتهم أغلى من حياتهم ، فبذلوا حياتهم فداءً وعطاءً.. وسوف تظل ذكراهم باقية .. فتحية إلى شهداء الإيمان.. وتحية إلى شهداء الأوطان الذين يمجدهم الشعب.. ويعيشون فى بركاتهم.. ويستشعرون نور إيمان قلوبهم الذى ينير لنا طريق الحياة..

٩٤- الإستقلال والحرية والعام الجديد

عيد الإستقلال : مع إشراق فجر اليوم الأول فى العام الميلادى الجديد ، يشرق على سوداننا المجيد عيد الإستقلال ، ذلك اليوم السعيد الذى يتفاخر على الأيام ، ويذكرنا بجهاد الأجداد وسعيهم الدؤوب لتحرير السودان. هو حرية القرار وحرية الإرادة الشعبية.. ولقد بدأ إعلان الإستقلال من داخل البرلمان فى اليوم التاسع عشر من شهر ديسمبر.. عندما إلتفت كل القوى الوطنية داخل البرلمان نحو الإستقلال كقرار جرىء..

ولقد تجاوبت المعارضة مع الحكومة ، وهل يمكن أن يكون للإستقلال معارض؟.. لقد صار هناك يومان لنذكر الإستقلال ، يوم الإعلان، ويوم رفع العلم ، وإذا كان قد مضى على الإستقلال من السنين ما يزيد على نصف القرن .. ولم يحصد السودان ثمارا تتناسب مع هذا العمل الجليل ، ولم يزل السودان يحتاج إلى مزيد من التنمية حتى يكون فى مصاف الدول المتقدمة ..

وأعتقد إن يوم الإستقلال هو يوم مراجعة النفس .. فماذا صنعنا بعد الإستقلال؟.. وماذا قدمنا ؟.. وماذا أعطينا ؟.. إنها فرصة لعتاب الأجيال لنا.. وفرصة لحساب الأيام لنا.. وإذا كان السودان هو أول من أعلن الإستقلال بين بلدان أفريقيا.. وهو البداية الحقيقية لإستقلال أفريقيا ، فما هو موقف السودان الأن.. يكفى آفة الحرب ، وهى إبتلاء صعب ، ولكن بوادر الأمل تشرق هذا العام مع مباحثات مشاكوس التى صارت هى الأمل الكبير، لأيقاف نزيف الحروب.. وسوف يأتى فجر السلام على وطننا الكبير ونحن نصلى أن تستمر مسيرة السلام ، ولا تعرقلها التوترات ، ولا الإنفعالات ، ولا العدائيات .. فيكفى ما مر بنا من أيام.. وما ضاع من عمر بلادنا، بسبب الإحتراب..

وأنا من المتفائلين إن السلام سوف يأتى فى أوائل العام ، وتتحقق به أحلامنا السعيدة ، ونبدأ فى بناء السودان الجديد بقلب جديد، وبعزم من حديد ، وبإرادة مستقلة هى إرادة من أعلنوا الإستقلال وعاشوا به وفرحوا ، وينتظرون ثماره الطيبة ، خيراً ورجاءً وأملاً ورخاءً وبناءً ونماءً.. وعلى عتبة العام الجديد أركع خاشعاً.. وأسجد عابداً.. وأصلى راجياً أن يتحقق السلام ويبسط ألويته على بلادنا المجاهدة ، وعلى شعبنا الصابر المثابر..

العام الجديد : ومع عيد الإستقلال المجيد ، نستقبل أيام العام الجديد.. وهذه فرصة جديدة أعطاها لنا الله لكى يكون الوقت لصالحنا وليس ضداً لنا.. لأن كل يوم يمر بنا، إنما يقترب بنا إلى الأبدية التى فى إنتظارنا ، والأبدية هى مستقبلنا ، وهى التى تحتاج منا إلى السهر الروحى واليقظة الواعية...

وسهر الأبدية ، هو سهر فى الصلاة ، وفى العبادة ، وفى إستدرار مراحم الله، لأن الأبدية على الأبواب.. وكما قال السيد المسيح : لقد أقبل عليكم ملكوت الله..

والأبدية السعيدة هى ملكوت الله عندما يملك الله على قلوبنا ، ولهذا فمنذ الأن يطلب الله منا عطاء القلب وكأنه يقول لنا: لقد تعودتم معى على الأخذ دون العطاء..

أنتم تصلون وتطلبون وتأخذون ما تريدون ، ولكنكم لا تعطون.. وعندما نسأل : ماذا نعطى ؟.. وماذا لدينا لنعطى ؟.. يجيبنا الله : ياإبنى أعطنى قلبك ، ولتلاحظ عيناك طرقى ، وهذا هو أعظم أنواع العطاء لله فى أول العام الجديد.. ومع عطاء القلب يكون لنا إستقلال القلب ، وذلك عندما يصبح القلب كله لله، لأن الله يريد القلب كله ، بكل دقاته ، وآناته ، حتى يشفع فينا روح الله بأنّات لا ينطق بها ، وبدقات تنبض لله ، وتتحرك نحوه ، ويصير القلب طاهراً ، ونصلى : قلباً نقياً أخلق فينا يا الله، وروحاً مستقيماً جدده فى داخلى..

وعندما يكون الداخل لدينا نظيفاً نحيا حياة سعيدة.. ونتجه نحو أبدية أسعد.. فنجاحنا فى دنيانا هو الذى يحقق سعادتنا فى آخرتنا ، ويظل أول يوم فى العام هو يوم فيه نجلس مع أنفسنا ونحاسب أنفسنا ، ونعطى حساب وكالتنا.. نحن وكلاء على ما لدينا من مواهب ، ومن وقت ، وعمر.. ومن نِعم وخير.. وطوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده ، يجده أميناً فى القليل ، فيقول له : كنت أميناً على القليل أقيمك على الكثير.. والقليل هو متاع الدنيا.. والكثير هو ملكوت السموات..

ولكن إن تكاسل العبد عن آداء دوره ، وإدارة وكالته ، فسوف يكون نصيبه مع المرائين ، وهناك يكون البكاء وصرير الأسنان.. ربى وإلهى أشكرك لأنك أنعمت على وطنى بالإستقلال والحرية.. وأشكرك لأنك أعطيتنى عاماً جديداً هو فرصة جديدة للنقاء والصفاء والسهر.. إتصالاً بك ربى..

وعلى عتبة العام الجديد.. أضع يدى فى يدك ربى.. فكن معى.. ساندنى وآزرنى.. طهرنى وباركنى.. وبارك كل أبناء وطنى .. حتى ننعم بالحياة الطاهرة المقدسة أمامك.. يا قدوس القديسين آمين...

٩٥. المولود العجيب وذكرى ميلاده

ميلاد المسح : تحتفل الكنيسة الشرقية بعيد ميلاد السيد المسيح له المجد ، فى السابع من شهر يناير كل عام ، والحقيقة إنه اليوم التاسع والعشرين من شهر كيهك القبطى.. وليس هناك إختلاف بين الشرق والغرب ، إنما هو فرق فى التوقيت..

وهذا ليس خلاف لاهوتى ، إنما هو خلاف يرتبط بالتقويم ، فمنذ البدء تم ربط تواريخ الأعياد بحسب شهور كل بلد ، فإرتبط تقويم الشرق فى الكنيسة القبطية بالشهور القبطية.. وإرتبط تقويم الغرب بالشهور الغربية الميلادية..

وعندما صار هناك فرق فى الوقت ، بعد عدة قرون ، تم فى الغرب رفع هذا الفرق ، وذلك لأن العام ليس فقط ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع فقط.. إنما هو أكثر من هذا بدقائق تجمعها القرون بأيام.. والأمر يحتاج إلى دراسة حسابية ، سوف أقدمها فى مقال آخر.. إنما للحق نقول : إن هذا الفرق لم يكن ليظهر قديماً ، ولم يظهر سوى الأن بعد أن صار العالم قرية صغيرة ، ومن يدرى ربما يجلس يوماً رؤساء الكنائس معاً ، ويتفقون معاً على موعد واحد ، فلقد إتفق الكاثوليك مع الأقباط الأرثوذكس ، على قضايا لاهوتية خطيرة كانت عثرة على مدى قرون كثيرة..

المولود العجيب : ومولودنا هو المولود العجيب.. وقد قال فيه أشعياء « يدعى إسمه عجيباً « (أشعياء ٩:٦).. فلقد أتى هذا المولود إلى عالمنا منذ أكثر من ألفى عام ، وفى كل عام نجلس معاً حول ذكرى ميلاده.. كثيرون يجلسون فى صمت ، وكثيرون يقفون فى عبادة.. وكثيرون يسجدون لذكراه العطرة.. وكثيرون يكتبون.. ويقرأون.. ويدهشون.. ويسبحون.. فى محبته سياحة روحية..

لقد إختار أن يولد فى أصغر الأوطان .. وهو فلسطين.. وفى أصغر إقليم فى فلسطين ، هو الجليل.. وفى مكان مغمور ، هو بيت لحم.. ولكنه سيد الكون.. وبيت لحم نفسها صارت كعبة مقدسة يحج إليها كل أهل العالم.. وصارت أيضا بفعل الحروب والرغبة فى الإحتراب بؤرة توتر ساخنة ، يصعب وصول البعض إليها ، ولكن سوف تظل مرتبطة بمولد السيد المسيح ملك السلام..

وسوف يتجه العالم كله نحو السلام ولا يمكن لترنيمة السلام التى أنشدتها

الملائكة أن تظل فى العالم هباءاً منثوراً.. المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.. وسوف يستمر كلام السماء.. مجداً لله.. سلاماً للأرض.. مسرة للناس.. ومهما حاول العالم المتحارب أن يفقدنا سلامنا ، وأن يضيع فرحتنا ، فنحن فى إنتظار عمل الله الذى يدرك بسر التغيير ، قلوب المتحاربين ، وعطشى الدماء ، ويجعلهم رسل محبة ودعاة سلام. . فالعالم لم يدرك بعد معنى نشيد الملائكة السمائى ، ولكن بالإيمان بالله لا نفقد الأمل فى عمل الله..

النسيم والعاصفة : والسيد المسيح رقيق كالنسيم ولكنه ثائر كالعاصفة ، لين كالعود الرطب ، غير إنه قوى لا يلتوى ولا ينصهر ، وهذا هو العجب فى المولود العجيب.. فيه تلاقى النقيضان، وإئتلف الضدان حول مزوده الوضيع ، إجتمع رعاة بيت لحم بحكماء المجوس فألتقى الفقر بالغنى ، وعانقت السذاجة الحكمة وإتحد إيمان البساطة والتسليم بإيمان البحث والعلم ، وتصالح اليهود والأمم ، ومثل بين يديه الرعاة عباد الإله الواحد القدوس مع المجوس ، عباد الكواكب والشموس..

كان وديعا دون أن يكون ضعيفاً.. ضحى بذاته وأنكر نفسه حتى الموت.. لكنه أعلن قيمة نفسه ، وقدر رسالته ، فقال: سمعتم إنه قيل للقدماء.. أما أنا فأقول لكم : قد تكلم غيرى بالصدق ، لكنى أنا هو الحق.. أنتم تسلكون فى حياتكم مسالك كثيرة ، لكن أنا هو الطريق.. أنتم عائشون فى هذه الحياة ، لكن أنا هو الحياة..

كان مسالماً إلى أبعد الحدود ، ولكنه طلب من أتباعه أن يتخذوا موقفاً صريحاً حاسماً بين النور والظلام.. عاش بيننا لكن لم يكن واحداً منّا.. كان يختلف عنا إختلافاً كبيراً فى أمر جوهرى ، وهو إنه كان بلا خطية ، وهو الوحيد الذى قال : من منكم يبكتنى على خطية.. فى قلبه الجريح إلتقى الحب القوى بالكراهية .. فلقد أحبّ الخطاة حتى الموت ، لكنه أبغض الخطية حتى الموت..

هو لغز الأجيال ، لكنه يحمل مفتاح كل لغز فى هذا الوجود.. ونحن فى عيد ميلاده نحتاج إلى أن نقترب إلى تعاليمه.. ونراجع كلماته ، وعطائه ، ومعجزاته ، وإذا عشناها سوف نحيا فى السلام.. السلام الشامل.. والسلام العادل أيضاً.. فهو مولود عجيب ، فيه تلاقى الحق مع الرحمة.. وكلما إقتربنا إليه وجدنا حلولاً لمشاكلنا.. حتى نتلاقى معه فكراً وروحاً.. وهنا يتحقق ميلاد المسيح ..

٩٦- أنطاكية ومولد المسيح

عيد الميلاد: يحتفل المسيحيون بعيد الميلاد المجيد ويستقبلون عام ٢٠٠٦ م بالأمل الكبير ، وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل.. وإذا كانت الآمال ، آمالاً روحية فهذا يعنى إننا نسير فى الطريق الصحيح.. ونسبر غور قيم روحية تحتاج أن نتعمق فيها..

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الأجساد..والمناسبة روحية وحوجتنا إلى راحة الروح كبيرة ، ورؤيانا الروحية أن نحيا بالروح ، فأنت بالروح لا بالجسم إنسان.. وتتألق إنسانيتنا بألق أرواحنا..

وميلاد السيد المسيح رغم إننا نستقبله بوسائل مادية عديدة ، ولكنه كان ميلاداً هادئاً متواضعاً.. طفل لا يجد موضعاً فى المنزل.. فتقتنع أمه بأن تلده فى مزود بقر.. وهو عندما كبُرَ كان يذكر هذا ويقول : للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكار، أما إبن الإنسان فليس له أين يسند رأسه..

عندما ولد طفل المزود كان العالم فى غفلة ، صحيح إن عام ميلاده لم يكن عام حروب ، ولكن مَن مِن الناس علم بهذا الميلاد العجيب ؟.. يوسف النجار كان فى فرحة، ليس فى إمكانه أن يعلن عنها.. وكيف يفرح بطفل ليس له أب ؟. هو الوحيد الذى كان يعرف السر ، إنه حبل بها من الروح القدس.. والقابلة « سالومى» التى رافقت» مريم»والطفل حتى فى رحلة الهروب ، كانت معجبة جداً بالحدث ، وطبعاً لم تأخذ أجرة تعبها ، ولم تجد حوافز من الآخرين.. وأين هم الآخرون هؤلاء ؟.. لم يشعر بيسوع إلا عالم الروح ، تحركت السماء ملائكة ونجوماً ، ظهر نجم المسيح فى المشرق لحكماء هم المجوس ، وكان النجم غريباً..

كان نوره يظهر وقت إشراق الشمس ، وكان النجم يتابعهم ، يقف حيثما يقفون ، ويمشى عندما يتحركون.. وكانت حركة الملائكة يظهرون فى رؤى الليل» ليوسف النجار» ، ويظهرون ظهوراً واضحاً فى وضح النهار لرعاة الأغنام ، ويترنمون نشيداً هو من تأليفهم وموسيقاهم وآداؤهم .. المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة.. ظهر الملائكة ، ملاكاً بمفرده ومجموعة معاً، هى جوقة أناشيد روحية..

لماذا أنطاكية ؟: أنطاكية كان لها دور كبير فى نشر الإيمان المسيحى.. وفى تقديم الطفل يسوع للعالم كله..وأنطاكية تم بناؤها نيكاتور وسماها على إسم أبيه « أنطيوخوس».. وأقام الكثير من المدن بهذا الإسم ، وإختار لها الموقع عن طريق نسر أطلقه فى الهواء طائراً ، وإستقر بعد خمسة عشر ميلاً من البحر.. وملأ المدينة بالزخارف الرائعة والمبانى الجميلة..

وتقع انطاكية سوريا على نهر العاص.. وتقترب إلى البحر الأحمر.. وقد إحتلت هذه المدينة مكاناً متميزاً فى العصر المسيحى الأول.. وفى أنطاكية كتب القديس متى إنجيله ، وإستقرت الأبحاث على هذا لِمَ لهذه الكنيسة الأنطاكية من شهرة عالية..

وإنجيل متى هذا يمثل المصالحة بين الجناح اليهودى المنتصر المتشدد فى التمسك بالناموس ، الذى يمثله يعقوب الرسول ، وبين الجناح المتشدد ضد اليهودية ، الذى يمثله بولس الرسول .. كان إنجيل متى يمثل الفكر الوسط ، الدقيق ، المقنع..

وفى أنطاكية أطلق لقب مسيحيين على أتباع يسوع لأول مرة ، ودعى التلاميذ مسيحيين فى أنطاكية أولاً.. وكان فى أنطاكية عدد غير قليل من اليهود الذين قدموا مجالاً خصباً لتعاليم المسيحية ، ومدينة أنطاكية مدينة عالمية ، كان دورها أن تكون البشارة بالسيد المسيح عالمية ، وتجاوب هذا مع رغبة بعض المسيحيين الأوائل الذين رفضوا أن تكون المسيحية محصورة فى الحدود الضيقة اليهودية..

كان نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة دخيلاً على أنطاكية ، وصارت المسيحية لها مهد فى أنطاكية ، والتى صارت فيما بعد نقطة الإنطلاق لرحلات بولس الرسول ، وحظيت أنطاكية بسجل مشّرف ، وأعطيت من الأمم مكاناً بارزاً لزمن طويل ، ومن أنطاكية كان فم الذهب.. ومن أنطاكية كان كأس أنطاكية والتى صنع بها السيد المسيح سر الشكر وأعطاها لتلاميذه ، وهى موجودة حتى الأن قيد البحث والدراسة..

وهكذا ترتبط أنطاكية بميلاد السيد المسيح ، وبقصة إنتشار المسيحية ، ونحن نحتفل بعيد الميلاد المجيد نصلى أن يكون قلب كل واحد فينا مهداً للسيد المسيح،يولد فيه ، وتجرى فى باطننا أنهار ماء حى ، تجعلنا نعلى شأن الإيمان المسيحى ونحفظ كلمات المسيح فى قلوبنا ، ونترجمها إلى عمل فى المجتمع ، يهدف إلى تمجيد إسم الله..

وليعد إلينا عيد الميلاد ، ليجعل أيامنا كلها أعياد وحياتنا فى توفيق وطننا فى تقديم وسداد ونعمة ، وبركة مولود المزود تكون معنا ولنا ، وفينا ، ومنا، وبنا...

٩٧. ميلاد السيد المسيح ورسالة النجار

عيد الميلاد: يحتفل المسيحيون بعيد ميلاد السيد المسيح ، يذكرون يوماً عظيماً، فيه ولد الرفق والمرؤوات، والهدى والنور الذى أشرق على المسكونة ولد فى بيت لحم.. إختار أماً هى أبسط النساء ولكنها أتقى الناس.. وأعظمهم طهارة وعفافاً.. وأتى فى بلد صغير يحمل عبق التاريخ ، ذكريات مجيدة لداؤد جده الذى أتى من نسله..

وبميلاد المسيح صار العالم تاريخاً قبل ميلاده، وبعد ميلاده .. وصار هو مركز التاريخ ، نقطة البداية لعهد جديد.. ونقطة النهاية لعهد قديم.. أتى إبن الإنسان لأجل الإنسان ، وإنفتح الطريق بين الأرض والسماء.. جاء الملاك يحمل البشارة الطيبة ومعها السلام والأمان والإطمئنان..

تأكد من الإيمان، فكان الأمان ، لأنه إن لم تؤمنوا فلا تأمنوا.. إلى الناصرة جاء الملاك جبرائيل.. ملاك البشارة.. جبرائيل الواقف قدام الله.. إلى عذراء مخطوبة لرجل إسمه يوسف ، وإسم العذراء مريم ، فدخل إليها الملاك وقال : سلام لك أيتها الممتلئة نعمة الرب معك مباركة أنت فى النساء ، فلما رأته إضطربت من كلامه ، وفكرت ما عسى أن تكون هذه التحية ؟.. فقال لها الملاك : لا تخافى يامريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين إبناً وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيماً ، وإبن العلى يُدعى ، ويعطيه الرب الإله كرسى داؤد أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد.. ولا يكون لملكه نهاية..

فقالت مريم للملاك : كيف يكون هذا ، وأنا لست أعرف رجلاً ؟.. فأجاب الملاك وقال لها : الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظللك ، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى إبن الله..

رسالة النجار : ونحن عندما نذكر الميلاد، لابد أن نذكر يوسف النجار. والذى كان له دور لا يمكن تجاهله فى قصة ميلاد السيد المسيح ، ويذكر إنجيل القديس متى: كيف تعامل يوسف النجار مع هذا الحدث ؟.. وكيف إنه كان أهلاً لأن يتحدث معه

ملاك الرب ثلاث مرات هى :

١. عندما وجدت العذراء حبلى من الروح القدس ، وكان يوسف خطيبها ورجلها ، وعندما رأى هذا عالج الأمر فى حكمة وهدوء ووقار.. ورفض أن يشهر بها ، وقرر أن ينسحب إنسحاباً هادئاً دون ضجيج ، رغم إنه رجل شرقى وأهل الشرق يتعاملون مع مثل هذا الحدث معاملة خشنة.. وهو أيضاً يهودى والشريعة اليهودية تحكم على المرأة فى مثل حالة مريم العذراء بالرجم حجارة حتى الموت.. والأمر هنا لا يحتاج إلى شهود ، وهنا يقول متى الإنجيلى : فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها ، أراد تخليتها سراً.. ولكن فيما هو متفكر بهذه الأمور ، إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلاً: يايوسف إبن داؤد ، لا تخف أن تأخذ مريم إمرأتك، لأن الذى حُبل به فيها هو من الروح القدس ، فستلد إبناً وتدعو إسمه يسوع ، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم ، وأيد الملاك شهادة نبوة تمت فيها هى : هوذا العذراء تحبل وتلد إبناً ويدعون إسمه «عمانوئيل» الذى تفسيره «الله معنا» .. فلما إستيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب..

٢. بعد مجىء المجوس وإنصرافهم ، إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلاً: قم وخذ الصبى وأمه وأهرب إلى أرض مصر ، وكن هناك حتى أقول لك.. لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه ، فقام وأخذ الصبى وأمه ليلاً ، وإنصرف إلى مصر ، وكان هناك إلى وفاة هيرودس ، لكى تتم نبوة هوشع والذى قال هذا فى عام ٧٥٣ قبل الميلاد..

٣. بعد موت هيرودس ظهر ملاك الرب فى حلم ليوسف فى مصر قائلاً: قم وخذ الصبى وأمه وإذهب إلى أرض إسرائيل ، لأنه مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبى.. وكان أن أوحىّ إليه فى حلم ، ربما عن طريق ملاك أو بطريق آخر ، أن ينصرف من الجليل إلى الناصرة ، لكى يتم أقوال الأنبياء إنه سيدعى ناصرياً..

حوار السحّار: وفى كتاب المسيح عيسى بن مريم للأديب عبد الحميد جودة السحّار ، صورة أدبية جميلة لِمَ جاش فى قلب يوسف النجار من مشاعر ، عندما علم بأن مريم حُبلى دون أن يعرف من هو الرجل؟.. وكما يصف السحّار ، إنطلق وهو حزين ونفسه موزعة بين الرجاء واليأس ، إذا أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وبراءتها ،

وإذا أراد أن يبرئها ذكر ما يقوله عنها الناس ، وقرر أن يذهب إلى مريم وكان هذا الحوار..

- بلغنى ما يقول الناس عنك.. وقد حرصت على أن أميته وأكتمه فى نفسى ، فغلبنى ذلك ، فرأيت الكلام فيه أشفى لصدرى..
- قالت مريم فى ثبات ، فقل قولاً جميلاً..
- ما كنت أقول إلا ذلك ، فحدثينى هل ينبت زرع بغير بذر ؟.. هل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟.. فهل يكون ولد من غير ذكر ؟..
- قالت : نعم.. نعم.. نعم.. ألم تعلم إن الله أنبت الزرع من غير بذر.. ألا تعلم إن الله أنبت الشجر من غير غيث ؟.. وإنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة الشجر ، بعد أن خلق كل واحد منهما وحده أو تقول لا يقدر الله على أن ينبت الشجر ، حتى إستعان عليه بالماء ؟.. ولولا ذلك لم يقدر على إنباته..
- قال يوسف : لا أقول ذلك.. إن الله يقول : للشىء كن فيكون.. وأطرق مفكراً.. وشعر إن هذا من الله وقال : إن الله بشرنى بالمسيح عيسى بن مريم..

بركات طفل المزود فلتكن معنا.. ونقول تعالى عندنا فى السودان أقم بيننا... فى قلوبنا بالإيمان.. وأجعل من قلوبنا لك مسكناً .. وعيد ميلاد سعيد..

٩٨. ألف ميل لتحية طفل المزود

حكماء المشرق: فى ذكرى ميلاد السيد المسيح ، نذكر اليوم حكماء المشرق.. ورحلة الألف ميل التى ساروها لكى يقدموا هداياهم لطفل المزود.. فهم حكماء أتوا لملك الحكمة السيد المسيح ، يقدمون فروض الطاعة له.. ولقب من ألقاب السيد المسيح إنه الحكمة.. الحكمة تنادى فى الخارج.. فى الشوارع تعطى صوتها.. تدعو فى رؤوس الأسواق .. فى مداخل الأبواب.. فى المدينة تبدى كلامها..

ألعل الحكمة لا تنادى ؟.. والفهم ألا يعطى صوته عند رؤوس الشواهق ؟.. عند الطريق بين المسالك تقف.. بجانب الأبواب .. عند ثغر المدينة .. عند مدخل الأبواب

تصرخ لكم : أيها الناس أنادى ، وصوتى إلى بنى آدم.. وفى سفر الحكمة إن الحكمة هو القدوس المولود الوحيد لله.. وضياء النور الآزلى.. تحيا عند الله وتجلس إلى عرشه ، والحكمة أم كل المخلوقات ، والحكمة أسرع حركة من كل متحرك ، تنفذ كل شىء.. وتدبر كل شىء.. وتقدر على كل شىء.. وتجدد كل شىء.. وهى ثابتة فى ذاتها.. وتحل فى النفوس القديسة.. فتنشىء أحباء لله وأنبياء..

وقد وردت كلمة حكمة عن الكلمة العبرية ‹» حكمة» ثلاثمائة مرة فى العهد القديم.. كما ترجمت كلمة حكمة إلى معرفة وإلى تعقل وإلى فطنة ، وجميعها تؤدى معنى « الحكمة».. ويعرف البعض الحكمة بأنها الوصول إلى الغاية ، بإستخدام الوسائل الشريفة .. والحكيم هو من يهتم بأمور الله بنفس الغيرة ، التى يهتم بها الآخرون بالأمور المادية..

ويقول إنجيل متى عن حكماء المشرق : إنه لما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك ، إذا مجوس من المشرق قد جاءوا إلى أورشليم قائلين : أين هو المولود ملك اليهود ؟.. فإننا رأينا نجمه فى المشرق ، وأتينا لنسجد له.. وهؤلاء هم مجوس.. وكلمة مجوس كلمة إيرانية الأصل.. وقد رصدها العلماء فى كتابات هيرودت كإشارة إلى إحدى قبائل بلاد مادى ..

وكانوا دارسى فلك.. ومولعين برصد حركات النجوم وعلاقتها بأحداث الأرض وتأثيرها.. وفى نفس الوقت كانوا على درجة عالية من التعبد ، ويؤمنون بالله الواحد.. ويمارسون الخير والصلاح ، ويعفون عن الشر ، ويؤمنون بالصلاة ، ويعملون فى الزراعة ، ويلتقط العلماء سماتهم الوطنية من ملابسهم التى صورهم بها التقليد القديم .. فهم فارسيون ، ويرى كثير من آباء الكنيسة إنهم حكماء من فارس، ولكن إستوطنوا فى بلاد مادى .. ومن واقع عبادتهم التوحيدية كانوا فى إنتظار المسيا..

أما عددهم فقد قدر بقدر هداياهم الثلاثة ، ذهباً ولباناً ومراً.. والحكى فى أمرهم كثير.. وفى أسمائهم ووظائفهم كملوك ملخيور، وبلتاصر ، وكاسبار.. وإن واحداً من الهند والآخر من مصر، والثالث من اليونان..

وهذا كله محاولة لتأكيد عالمية البعثة ، ويقولون : إنهم نالوا المعمودية على

يد القديس توما.. وإن الملكة هيلانة إحتفظت بعظامهم وأودعتها كنيسة « أجيا صوفيا» بالقسطنطينية ، ثم نقلت إلى ميلان بإيطاليا.. وأخيراً إستقرت فى كتدرائية كولونيا.. وقبل الميلاد بألف وأربعمائة عام ، تنبأ بلعام عن هذا النجم قائلاً: أراه ولكن ليس الأن أبصره ، ولكن ليس قريباً يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل..

وهذا النجم العظيم هو النجم الذى تقدم المجوس كوكباً فى السماء ، حتى أتوا إلى اليهودية يقولون : أتينا لنسجد له..

ألف ميل للتحية : حضر هؤلاء المجوس رحلة ألف ميل ، لتقديم هداياهم ، وعندما سمع هيرودس الملك إضطرب ، وجميع أورشليم معه.. هم متأكدون يقولون : رأينا نجمه فى المشرق.. ولكن هيرودس الملك لا يعلم شيئاً عن هذا .. ولأجل هذا جمع كل رؤساء الكهنة.. وليس بعضاً منهم.. وكتبة الشعب، وسألهم : أين يولد المسيح؟.. وكانت الإجابة معروفة وحاضرة، فقالوا له : فى بيت لحم اليهودية ، لأنه هكذا مكتوب بالنبى : وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا ، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل..

وبدأ هيرودس من خلال فكر المؤامرة يتحدث مع المجوس سراً ، ولا أدرى لماذا ؟.. وأى سر هذا ؟.. إذهبوا وإفحصوا بالتدقيق عن الصبى ، ومتى وجدتموه فأخبرونى ، لكى آتى أنا أيضاً ، وأسجد له..

ذهب المجوس وإلتقوا بالملك ، صاحب الكوكب السمائى ، والمولود فى مزود حقير ، وكان الوحى إليهم ، أن لا يعودوا إلى هيرودس ، وإزداد هيرودس غيظاً وإعتبرها من المجوس سخرية ، وقتل أطفال بيت لحم .. وقد خيل إليه إنه سوف يقتل المسح الوليد.. ولكن شُبه له لأن خطة الله لا يقدر أن يدمرها أعظم الملوك..

لقد أتى المجوس من على بُعد ألف ميل ، تحية لطفل المزود ، وهو الأن ليس على بُعد منّا ، إلا إذا إبتعدنا نحن.. إنه قريب لكل واحد فينا.. فمرحباً به ملكاً على قلوبنا..

٩٩. كنيسة الاسكندرية في ليبيا

كنيسة الاسكندرية: ولدت كنيسة الاسكندرية يوم مولد الكنيسة الأولي في يوم الخمسين و الذي حدث في العقد الثالث من القرن الأول ، و بعد هذا تحمل القديس مرقس و هو من مواليد افريقيا و بالتحديد من مواليد ليبيا تبعة التبشير في الإسكندرية ، وجاء اليها و مر في شوارعها، وتمزق حذاؤه فذهب إلي إسكافي هو إنيانوس و الذي عندما كان يصلح حذاء مرقس إخترق المخراز يده فصرخ ألماً قائلاً باليونانية إيوس ثيئوس أي يا الله الواحد و كان هذا هو مدخل الحديث لمرقس وكان أيضا مصدر دهشة له فان هذا نداء توحيد في أمة متعددة الألهة، و بعدها بدأ مرقس ببيت إنيانوس و الذي صار أول البطاركة القبط بعد مرقس الذي هو احد السبعين رسولاً الذين اختارهم السيد المسيح بنفسه وأوصاهم بالخدمة و الكرازة بملكوت الله كما ذكر العاشر من انجيل لوقا دون إن يذكر أسماءهم، وتحملت كنيسة الإسكندرية مسئولية المسيحية في بلاد النوبة جنوب الوادي و في الخمس مدن الغربية أي ليبيا الحالية، و يقال إن أسقف الإسكندرية كان يسمي بطريرك الإسكندرية و النوبة و الحبشة و الخمس مدن الغربية منذ انيانوس ثاني البطاركة، و يري البعض إن إنيانوس أقام قساً كبيراً علي ليبيا بدرجة خوري إبسكوبس أو مساعد أسقف و إن البابا ميليوس او ميلانيوس ٦٩ م هوأول من رسم أساقفة لمساعدته من بينهم أسقف ليبيا – الخمس مدن الغربية.

و استمرت كنيسةالإسكندرية وعلي راسها الأن البابا شنودة الثالث المائة و السابع عشر في البطاركة ، و لكنيسة الإسكندرية مساهمات لآهوتية و روحية علي مستوي العالم كله فعلي المستوي اللآهوتي وضعت الكنيسة قانون الإيمان النيقاوي و الذي صاغه أثناسيوس قبل أن يعتلي عرش البابوية كما وضعت حساب الأبقطي او الكرمة الذي وضعه البابا ديمتريوس الكرام و هو حساب دقيق مثل اللوغريثمات و يحدد من خلاله عيدالقيامة لكل الكنائس كل عام و ظل هذا إلي زمن كبير بعدها افترق التقويم الغربي عن التقويم الشرقي وعلي المستوي الروحي قدمت كنيسة الإسكندرية الرهبنة المسيحية لكل العالم و كل رهبنة الآن في غير رحاب كنيسة الإسكندرية انما تستقي مبادئها الرهبانية من تعاليم الكنيسة القبطية ، و يلقب

أسقف الإسكندرية بالقاب منها رئيس الأساقفة، بطريرك الكرازة المرقسية، بابا الإسكندرية، و يري البعض إن لقب بابا بدأ منذ أول بطريرك و يري البعض أن أول من لقب به هو البابا ياروكلاس، كما كانت كنيسة الإسكندرية ترسل رسائل روحية و لآهوتية إلي كل الكنائس في العالم ، وتتميز حتي الأن بأنها كنيسة تقليدية هي صورة مصغرة للكنيسة الأولي وتحافظ علي الرأي المستقيم و لا تقبل زيادة او نقصان علي ما تسلمته من مؤسسها مرقس الرسول، و لايملك حتي قادة الكنيسة أن يغيروا أي شئ من عاداتها و طقوسها و التُخم القديم الذي وضعه الآباء الأولين.

و خلال سنوات قلائل من تبشير مرقس دخلت المسيحية الي كل بلاد مصر، و صارت هي الديانة الرئيسية و عندما كان الفتح العربي لمصر في القرن السابع الميلادي كانت مصر وقتها قد حققت الاجماع العام أي إن كل مواطنيها كانوا يدينون بالمسيحية تبعاً للكنيسة القبطية الأرثوذكسية. و كانوا يتكلمون اللغة القبطية التي كانت لغة كل البلاد و كانت لها لهجات للوجه البحري و الصعيد و الفيوم.

وعاشت الكنيسة القبطية رحلة الأم وإضطهادات عبر كل العصور و قدمت العديد من الشهداء حتي إنها تسمي كنيسة الشهداء و بدأ تقويمها القبطي منذ عام ٢٨٤م عندما كان آكبر المضطهدين يشن عليها اقسي إضطهاد ، و خرجت من إلم إلي إلم تعبر رحلة حياتها، و قد إختار محمد حسنين هيكل آية تعبر عن هذا من أشعياء ١٥:٣١ و تقول الاية : أمشي متمهلاً كل سني من أجل مرارة نفسي.

كنيسة ليبيا: و دخلت كنيسة الإسكندرية مشرفة روحية علي كنيسة ليبيا بإعتبار مكانة بابا الإ سكندرية، و قد بشر مرقس الخمس مدن الغربية « او بنتابوليس » قبل أن يبشر في الإسكندرية و ذهب إلي هناك المرة الأولي قبل الإسكندرية و المرة الثانية بعد أن نظم لكنيسة الإسكندرية اسقفاً و عدداً من المساعدين كهنة و شمامسة، و هذا يعني أن مرقس و هو من مواليد القيروان اوسيرين اوكيرين في ليبيا إهتم أول ما إهتم بتأسيس كنيسة ليبيا، و سكان ليبيا الاصليين هم من قبائل البربر انضم اليهم من اليونان و اليهود والرومان العدد الكبير و قد أقر مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥م أن يعطي لبطريرك الإسكندرية كل الحقوق التي كانت له علي إساقفة مصر و ليبيا و هي مامايكا والخمس مدن الغربية، و كان أسقف

الإسكندرية رئيساً لأساقفة الإسكندرية و إيضاً رئيساً لإساقفة بنتابوليس. و كان بابا الإسكندرية يرسم مطراناً لليبيا و يرسم له إساقفة بإختيارة لكي يساعدونه في الخدمـــة و كانت تسمي مطرانية بتولماييس، و كان بابا الإسكندرية يرسل الرسائل العديدة الروحية إلي أساقفة ليبيا و نذكر هنا أن البابا ديوناسيوس الإسكندري أرسل نسخة من مؤلفاته إلي مطران بنتابوليس كما إيضا أرسل إليه مؤلفات آخري و يري دكتور «كبد» KIBD أن كنيسة الإسكندرية من عام ٢٠٠ – ٢٥٠ م أمتازت بالتقدم الروحي و بخضوع كل أساقفتها في مصر و ليبيا للبابا الاسكندري، كما كان بابا الاسكندرية يتدخل لمقاومة أي خطر يأتي من المبتدعين علي كنائس ليبيا، و لقد كان أريوس صاحب البدعة اللآهوتية المسماة بإسمه كاهناً ليبياً و لهذا أهتم بطاركة الإسكندرية بتعميق المفاهيم اللآهوتية وسط رجال الدين في ليبيا.

و كانت كنيسة ليبيا علي غرار الكنائس القبطية مبني و معني اتجاه نحو الشرق و حامل ايقونات قبطـــية و قداس مرقسي و الحان قبطية و مذابح مفتوحة مغطاة بقماش مطرز تطريزاً قبطياً، و رسوم علي الحوائط والجدران بل رسوم علي الأرض بطريقة الفسيفساء، و المقابر أيضا يدفن الميت وجهه نحو الشرق و تذخر شواهد القبور بآيات من الانجيل، و تحفل ليبيا الان بالعديد من الآثار المسيحية التي تحتاج الي مزيد من الدراسة ، كما تعتز الكنيسة الليبية بمطارنة أحياء و مفكرين و روحانيين و بالعديد من شهداء العقيدة الذين فضلوا الموت عن ترك مسيحهم ، و في كنيسة ليبيا عدد ليس بقليل من الرهبان و النساك والسواح سياحة روحية و الذين ذكرهم القرآن الكريم سائحون عابدون و سائحات تائيات عابدات و يوجد حتي الآن آثار لنحو ستمائة دير قبطي من الإسكندرية حتي السلّوم.

١٠٠. الآثار المسيحية في الجماهيرية الليبية

العصر المسيحي: كانت الجماهيرية الليبية عن بكرة أبيها في تاريخها القديم أمةً مسيحية تدين بدين السيد المسيح و تخضع للبابا الإسكندري الذي كان يرسم لهم الأساقفة و ليس أسقفاً واحداً انما مطران واحد و تحت رئاسته عدد من الأساقفة يكونون من ليبيا و يقوم المطران بترشيحهم إلي البابا الإسكندري الذي يقوم برسامتهم، و تذكر المصادر التاريخية أن العصر المسيحي في ليبيا بدأ من القرن

الأول المسيحي حيث كان القديس مرقس و هو يهودي من مواليد ليبيا قد زارهم مرتين مرة قبل تبشيرة في مدينة الإسكندرية و مرة بعدها كانت قبل أن يستشهد علي يد أهل الإسكندرية عام ٨٦م، و يستمر العصر المسيحي في ليبيا مزدهراً إلي ما بعد دخول الإسلام في القرن السابع، و يذكر إحسان عباس في كتابه تاريخ ليبيا أن المسيحية كانت قاصرة علي أجزاء من ا لساحل الليبي و ان بعض أقباط ليبيا ظلوا في زي البربر و كانوا يتكلمون باللغة القبطية حتي زمان البكري ١٠٨٦م الذي يذكر إن أجداد الليبين كانوا أقباطاً و ربما يقصد أنهم كانوا تابعين للكنيسة القبطية و يذكرون أن « اجدابيا» كان أهلها أقباط و لديهم بقايا كنيسة قبطية قديمة ، و هذا يعني أن العصر المسيحي في ليبيا إمتد إلي القرن الحادي عشر، وهناك وثيقة قديمة تؤكد أن المسيحية في ليبيا أستمرت إلي أواخر القرن الثالث عشر و من هذه الوثيقة وعلي هديها يري القس منسي يوحنا أنه قد بطل إرسال أساقفة إلي الخمس مدن الغربية في أيام البابا يوحنا السادس ١١٤٦- ١٢١٦م و أن ملوك المسلمين شددوا النكير علي البطاركة المصريين حتي أقبل أهل الخمس مدن علي الدخول الي الاسلام، و تأتي بعد هذا ابحاث تؤكد ان المسيحية ظلت في ليبيا حتي القرن السادس عشر الميلادي معتمدة علي وثيقة هي طرس بركة صادر من البابا الاسكندري يؤنس ١٤٨٤ – ١٥٢٤م لمطران الخمس مدن الغربية، وتشير الابحاث الي ان آخر مطران ليبي هو المطران قرياقوص في القرن السادس عشر و أنه أضطر الي مغادرة ليبيا حين دخل العثمانيين إليها بعد احتلالهم مصر عام ١٥١٧م، و منذ القرن السادس عشر انتهي العصر المسيحي في ليبيا و بعد هذا قام قداسة البابا شنودة الثالث برسامة نيافة الأنبا باخوميوس للبحيرة و الخمس مدن الغربية في ٢١/٢١/١٩٧١م ليبدأ خدمته بين الأقباط المقيمين هناك و ليس في الجماهيرية الليبية الأن شخص ليبي واحد مسيحي و لكن هناك آثار مسيحية عديدة تؤكد وجود العصر المسيحي.

الآثار المسيحية:- لقد إختفت المسيحية من الجماهيرية الليبية و لكن هناك بعض العقائد و التقاليد والممارسات باقية كرواسب المسيحية حيث يحتل أسم ميلود او ميلاد مكانة كبيرة، كما يهتم البعض برشم الصليب و يذكر عن قبائل الطوارق الذين تركوا المسيحية الي الاسلام أنهم لا يزالون يزينون سيوفهم و دروعهم بصلبان

قبطية الشكل متعللين بأنها تقيهم من العين الشريرة، كما يستخدمون الشهور البربرية في أشكالها اللاتينية ، و يوجد كلمات مسيحية باقية مثل كلمة أنجيلوس بمعني ملاك، و يظل رشم الصليب وشماً حتي الآن لدي الرجال والنساء في ليبيا أثراً مسيحياً باقياً و يعد رشم الصليب عندهم علامة مقدسة للحماية ليس في ليبيا فقط انما في المغـــرب و ينقش علي أسقف القلاع والحصون الصحراوية الجنوبية ، و في داخل منازل البربر ، وعلي أعتاب الأبـــواب و أقفالها من الداخل و علي السجاد و كل الأدوات الخشبية والجلدية والفخارية، وحتي الآن يعد يوم الأحد يوم الراحة عند بعض القبائل البربرية، بل إن هناك تبادل لعبارات يقولها المخطئ نحو الآخر حاللني او سامحنـــي و يرد الآخر الله يباركك و هي عبارات سلوك قبطية الأصل، وحتي الآن توجد آثار العديد من الكنائس التي كانت تخدم الليبيين المسيحيين و قد بنيت علي الطقس القبطي ، وتوجد مذابح مسيحية قديمة مفتوحة من الجوانب الأربع و لم تزل المقابر المسيحية في ليبيا تضم عدة رسوم مسيحية و نقوش تمثل الراعي الصالح يحمل خروفاً في وسط عدد من الحملان بين غصني زيتون و حوله شكل نصف دائرة، و توجد بعض صور منحوتة علي جدران المقابر رسم يمثل آدم و حواء و إبليس علي هيئة ثعبان ، و رسم لهجرة العائلة المقدسة إلي مصـــر، و تكتب عبارات مسيحية علي بعض جدران المقابر، كما عثر علي آثار مسيحية كثيرة في السراديب الموجودة تحت الكنائس في قري لملومة ومسة و أم هنية، و بالقرب من مدينة « طلميته» وجدت عبارات تقول : أغستو يرقد بسلام في الرب ، روفو وجوليا ينتظران يوم القيامة، و حتي الآن توجد آثار لكنائس كثيرة العدد في أرياف الجبل الأخضر، و في مغارات الجبانة الشرقية بدونه علي شاطئ البحر مقابر مسيحية تمتلئ بالرموز المسيحية، وحتي الآن توجد آثار كنائس مسيحية في مدينة ابولونيا او سوسة مثل الكاتدرائية التي ترجع الي عهد جوستنيان و طول صحن هذه الكنيسة ٥٢م و عرضها ٢١م و سقفها من الخشب ، والكنيسة الوسطي في نفس مدينة ابولونيا وحالة هذه الكنيسة أقل جودة من الكاتدرائية والكنيسة الغربية والتي قدم عنها علماء الآثار دراسات مستفيضة في عام ١٩٥٨-١٩٥٩ و هي حتي الآن اعمدة من رخام و قد إنهار سقفها وهناك عدة كنائس أخري لم تزل حتي الآن في بنغازي كنيسة برنيس، و كاتدرائية مدينة سيرين او القيروان

والتي ترجع إلي القرن الخامس الميلادي و من يدخلها الآن يشاهد فيها كرسي الأسقف أمام المذبح الذي لا تزال قاعدته موجودة هناك، و كنيسة قصر ليبيا مدينة الامبراطورة «ثيئودورة» وهناك كنيسة رسمت علي شكل صليب مربع أقيم علي إحدي زراعيه هيكلان آخران، و أيضا كنائس قصر سيلو علي سطح الجبل الاخضر، و كنائس مدينة لملمودة او ليمنياس SAINOMIL ، و كنائس قرية أم سالم، و كنيسة فيكوس أو زاوية الحمامة، وكنيسة قرية رأس الهلال، و قرية سيدي سيد علي هضبة سيرنيكا، و كنائس مدينة طوكرة، و زاوية الأرجب، و كنيسة أم هنية و كنيسة الأبراج، وكنائس حتي الآن في أبو قصير، قرية سيدي عبد الواحد، قصر مخيمر، و ما في ليبيا الآن من إمتداد أثري للمناطق المعمارية المسيحية علي مساحات واسعة، و هذا العدد الكبير من الكنائس الباقية يدل بكل تأكيد علي مدي إنتشار المسيحية في وقت مبكِّر، و زيادة أعداد معتنقيها من جميع الطبقات المدنية والريفية و من الأجانب والسكان المحليين سواء كانوا من الإغريق أو الرومان أو الأقباط أو اليهود أو البربر، و توجد آثار لعدة أديرة تصل الي ستمائة دير في الصحراء المصرية الليبية في المنطقة الممتدة من الإسكندرية حتي السلُّوم، و بعد هذا الحديث عن الآثار المسيحية في الجماهيرية الليبية أطالب السفير الليبي المثقف ممثل ليبيا في السودان أن يدعم عدة زيارات من علماء الآثار في السودان الي آثار ليبيا العظيمة.

١٠١. ليبيا في الكتاب المقدس

لوبيا و ليبيا: كان أول إسم لليبيا هو لوبيا و هو إسم قديم ينحدر من الجغرافيا القديمة، و هناك إختلاف حول المنطقة التي تسمي بهذا الإسم ، و يؤيد أكثر المؤرخين أن أرض لوبيا هي الأرض الواقعة بين حدود مطروح الغربية و حدود برقة الشرقية في هذه المنطقة كان يسكن اللوبيون، و منها كانوا يواجهون فراعنة مصر و يحاولون الإستيلاء علي ضفاف وادي النيل ، و قد عدد المقريزي في خططه كور مصر فذكر غرباً كورة الإسكندرية و كورة مريوط و كورة لوبيا و مراقية، و في آخر أرض مراقية تلقي أرض انطابلس و هي برقة، و اللوبيون هم من الجنس الأسمر و قد انقرضوا من هذه المنطقة التي يسكن فيها الآن جماعات

من سلالات العرب الخلّص، و قد هجر إسم لوبيا منذ عهد اليونان في قورين و بعد أن فتحها العرب لم ينطقوا الإ بكلمة طرابلس او برقة كما يري الطاهر احمد الزاوي في كتابه تاريخ الفتح العربي في ليبيا، إصدار دار المعارف.

و تذكر دائرة المعارف الإيطالية أن إسم ليبيا قديم ينحدر من الجغرافيا القديمة، و أول من أخرجه إلي الإستعمال العالم الجغرافي «مينوفللي» في كتابه جغرافية ليبيا المطبوع في تورينو ١٩٠٣ ليدل به علي الولاية التركية التي تشمل طرابلس و برقة ثم اتخذته إيطاليا إسما رسمياً لولاية طرابلس بعد ان اعلنت سيادتها عليها في ١٩٢٩/٥/٢٤م و منذ ذلك الحين شاع إستعماله في جميع انحاء العالم و شمل طرابلس و برقـة و فـزان و الواحات التابعة له، و عندما أُعلنت الدولة الليبية في ١٩٥١/١٢/٢٤م أخذت كلمة ليبيا و أطلقتها علي ما أطلقها عليه الإيطاليون علي ما بين حدود مصر و تونس و ما بين البحر الابيض و حدود السودان كما سمت نفسها الدولة الليبية، و قد أعترض أهل طرابلس علي إسم ليبيا و اقترحوا أن تسمي « الدولة الطرابلسية» و في الأدب الإغريقي هناك الربة ليبيا أي ان ليبيا هو إسم إلاهة يونانية قديمة، و قد عثر الأثريان « بروشر و سميث» سنة ١٨٦١م علي نقش بارز نقلاه الي المتحف البريطاني و يمثل المعبودة « ليبيا» و هي تضع اكليلاً علي رأس الحورية فورينا بينما هذه تحاول الفتك بأسد، و في أدب اليونان أن العذراء الاسطورية فورينا هي بطلة صيد الأسود و أنه لما رآها الإله ابوللو خاف عليها و أخفاها عن الإلهة « ليبيا» و هناك من كتب عن « لوبيا» مثل مصطفي بميو في كتابه المجمل في تاريخ لوبيا و لكن اسم ليبيا هو الإسم المعمول له الآن، و لقد وفد عدد من أهل اليونان الي ليبيا و ربما أعطوها هم هذا الإسم و كان قدومهم سلمياً و سبباً في خير البلاد كما يري بروفسور زاهر رياض في كنيسة الإسكندرية في أفريقيا و كان قدوم اليونان إلي هذةالمنطقة في القرن السابع قبل الميلاد.

ليبيا في الكتاب المقدس:- و قد ذكرت ليبيا في الكتاب المقدس بوضوح كما ذكرت نواحي القيروان الليبية كما يلي:-

١- حضر أهل ليبيا حلول الروح القدس علي التلاميذ سنة ٣٤م و هو يوم مولد الكنيسة المسيحية عندما آمن ثلاثة آلاف نفس بعد أن سمعوا عظة بطرس الرسول من خلال ترجمة فورية قام بها الروح القدس حيث كان بطرس يتكلم

بلغته و كل واحد يسمع كلام بطرس بلغته الخاصة! و كان الإعجاز هنا ليس في كلام بطرس فحسب و أنما كان الإعجاز في الترجمة و كان الإعجاز في ظهور الروح القدس علي شكل السنة منقسمة كأنها من نار و إستقرت علي كل واحد من الرسل المجتمعين حتي بهت الجميع و تعجبوا قائلين بعضهم لبعض أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين؟ فكيف نسمع كل واحد منا لغته التي ولد فيها! و كان من بين الحاضرين من هم من نواحي ليبيه التي نحو القيروان (أعمال الرسل الاصحاح الثاني).

٢- و قبل حلول الروح القدس علي التلاميذ و أثناء رحلة أسبوع الآلام التي عاشها السيد المسيح و أثناء حمله للصليب تحت وطأة الآلام يذكر إنجيل مرقس و هو نفسه ليبي من مواليد ليبيا أنهم سخروا رجلا مجتازاً آتياً من الحقل هو سمعان القيرواني ليحمل الصليب مع يسوع و أن سمعان هذا هو والد الكسندروس و روفس و يقول رجال اللآهوت إن هناك علاقة وطن و سكن بين مرقس و سمعان القيراوني و أن هذا القيرواني من افريقيا قد أسهم بأن تحمل افريقيا كلها صليب المسيح مع المسيح و يذكر قصة حمل سمعان الليبي لصليب المسيح كلّ من إنجيل متي ٢٧:٣٢ و إنجيل لوقا ٢٣:٢٦ و إنجيل مرقس ١٥:٢٠.

٣- عند الحديث عن قوة الحوار الذي كان يقوده اسطفانوس رئيس الشمامسة و أول الشهداء يذكر أن قوماً من المجمع الذي يقال له مجمع الليبرتيين أي الأحرار و القيراونيون أي أبناء ليبيا حيث كانت القيروان او سيرين هي أعظم الخمس مدن الغربية في ليبيا هؤلاء و غيرهم كانوا يحاورون اسطفانوس و لم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به! و لكن هذا إثبات أن أبناء سيرين القيروان هم أهل تدين و حوار(اعمال ٦:٩).

٤- و عندما مات أسطفانوس شهيداً إنطلق المسيحيون يبشرون بيسوع بين أهل اليونان و كان بين هؤلاء المبشرين قيروانيون و كانت يد الرب معهم فآمن كثيرون بمناداتهم (اعمال ١١:٢٠).

٥- كان لوكيوس القيرواني أحد المعلمين المسيحيين الذين كانوا يخدمون الرب و يصومون و قد قام لوكيوس مع رفاقه بترسيم بولس وبرنابا بوضع الايدي عليهما (اعمال ١٣:١)! و تقع فيرين او سيرين الان في الجماهيرية الليبية في الجبل الاخضر و يطلق عليها إسم شحات و يري ممدوح حقي في كتابه ليبيا العربية أن كلمة شحات هي تحريف لكلمة شهيد ! بينما يري داود حلاق عالم الآثار أن الاسم مشتق من شيهيت او شيهات التي تطلق علي موطن الرهبان الأقباط و معناها ميزان القلوب.

١٠٢. حضارة ليبيا عبر التاريخ

حضارة ليبيا:- عاشت ليبيا حضارة عريقة و عظيمة عبر تاريخها المجيد وتقوم مصلحة الآثار في الجماهيرية الليبية الآن بمحاولات متعددة للكشف عن حضارة ليبيا و أعماقها التاريخية و قد سجلت جامعة روما أهمية هذه الإكتشافات الحديثة و قال رئيس البعثة الفرنسية بمدينة سوسة تعليقاً علي دراسة الكهوف المعلقة بالجبل الاخضر تحت عنوان أوشاز الأسلاف و أوشاز جمع و شز و هو البناء المعلق علي صخور الجبال، إن هذا العمل المتمثل في دراسة سكان الجبل الأخضر من الذين سكنوا الكهوف المعلقة في هذه المنطقة والذين اختفوا اليوم، هذا البحث يستحق الإعجاب و أهنئي قسم الآثار الذي يخدم التراث و الثقافة بصفة عامة في ليبيا.

و كدليل علي حضارة ليبيا فإنها إستقبلت المهاجرين من بلاد اليونان المتاخمة لها و اعتمدت الزراعة اقتصاداً لما تمتعت به من أمطار حتي صارت مخزناً للخير و الغلال لبلدان العالم و حلاً لضيقات المجاعات التي تعرضت لها البلاد المجاورة، وعلي أرض ليبيا قامت زراعة السلفيوم و هو نبات طبي بري، و فيها تأسست مدرسة سيرين الفلسفية، وتعد ليبيا أول البلدان في أفريقيا التي طبقت النظام الجمهوري و أقامت أكبر اسطول بحري، كما كان علي أرضها اول تحالف بين الخمس مدن الغربية و إلي بعض المحطات الحضارية في تاريخ ليبيا.

١- ليبيا تستقبل مهاجرين:- كتب المؤرخ اليوناني هيرودوت أن جزيرة تيرا THERA قد تعرضت لموجة من الجفاف لمدة سبعة أعوام عجاف في أوائل القرن السابع قبل الميلاد كما كانت تمتلئ مزدحمة بالسكان و أوصي لهم كهنة معبد دلفي الشهير بالهجرة الي الساحل الليبي و وقع إختيارهم علي منطقة برقة الحالية و هي منطقة ذات مناخ معتدل، و قد وصل أهل تيرا الي جزيرة بلاطيا ثم تحركوا إلي الداخل علي هضبة الجبل الأخضر و كانوا يقولون عن هذه المنطقة أنها بها ثقباً في السماء كناية عن وفرة امطارها، و كان زعيم جماعة المهاجرين إسمه ارسطو و قد دعي سياسياً باطوس و هي كلمة ليبية تعني ملك وأسس باطو أول مستوطنة يونانية حول سيرين او القيران عام ٦٣١ ق.م و تزايد عدد السكان فيها وتوالت الهجرات من الجزر اليونانية المجاورة، وعندما تكاثر السكان تأسست مدينة اخري هي "هسبيريدس" موقع مدينة بنغازي حالياً ثم توشيرا أو توكراً، و قد نشأت علاقات اجتماعية بين اليونان و ليبيا و كانت

المصاهرة والإشتراك في عادات اجتماعــية و تقاليد في العبادة، وعندما كانت الإختلافات أرسل اليونان المشرع المشهور" ديموناكس" لكي يضع تشريعات تساعد علي استقرار المنطقة و قد وجد اسمه منقوشاً علي إحدي عملات سيرين.

٢-الذهب الأخضر:-وصف شاعر يوناني أراضي ليبيا بأنها سهول تحلق حولها سحب سوداء، و قد إشتهرت زراعة السيلفيوم و سمي بالذهب الاخضر لأن عصيره المجفف كان يباع بوزنه فضة، و يقول علي فهمي خشيم في كتابه نصوص ليبية أن الاقباط عرفوا هذا النبات الطبي و استخدموه كدواء لعلاج أمراض البرد والمعدة و لأهميته الإقتصادية الكبيرة نجده منقوشاً علي نقود الإغريق في ليبيا و قد ظل يصدر إلي الخارج بثمن غال خلال العصر البطلمي و لكنه أصبح نادراً في العصر الروماني و قد ساعد علي رخاء المنطقة خمسمائة عام متواصلة.

٣-مدرسة سيرين الفسلفية:إشتهرت ليبيا و علي الأخص الخمس مدن الغربية بمدارس الموسيقي، و ظهر فيها شعراء مثل كليماخوس الذي اختير اميناً عاماً لمكتبة الإسكندرية ، و مثل اراتوسفين الذي رأس مكتبة الإسكندرية و وضع تقويماً فلكياً قديماً و حدد بدقة محيط الكرة الأرضية، كما تأسست مدرسة سيرين الفلسفية التي امتد تأثيرها إلي عدة قرون و كان لها أثرها في العصر المسيحي و قد أسسها أرستيبوس تلميذ أبيقور رائد الفلسفة الأبيقورية التي تري أن اللذة هي الخير الأعظم و قد أغلق بطليموس الأول هذة المدرسة ثم فتحت من جديد.

٤-جمهورية ليبيا:عندما سقطت الأسرة الباطسية التي كانت تحكم المستوطنات اليونانية في ليبيا حدث تحول إلي نوع من النظام الجمهوري حيث أختصت كل مدينة بشئونها السياسية و الإقتصادية كما في بلاد اليونان.

٥-دبلوماسية الشعب:في خريف عام ٣٣٢ ق.م توجه الإسكندر المقدوني من وادي النيل إلي واحة أمون سيوة لكي يستشير كهنة معبدها الشهير و بالقرب من مدينة مرسي مطروح تقابل مع سفــراء سيرين و كانوا دبلوماسيون شعبيون حكماء أعلنوا له الولاء و قدموا هداياهم فعيَّن لهم حاكماً من قبله و تمكنوا بهذا من تجنيب بلادهم ويلات الفتح و الفاتح.

٦-كانت الخمس مدن الغربية في ليبيا مخزن غلال اليونان فلقد أنقذت اليونان من مجاعة عظمي في عهد الأسكندر المقدوني و أرسلت نحو مليون أردب من الحبوب و هذا يعني غزارة الإنتاج الزراعي الذي يكفــي و يفيض.

٧-الاسطول البحري:كان لديّ ليبيا أسطولاً بحرياً قوياً، تاجرَ مع مصر وبلاد أخري و وصل الي الجزر البريطانية حاملاً الحبوب ، و قد عثر علي عملات ذهبية و نحاسية في جزر الأزور بالمحيط الأطلسي و موجودة حالياً بمتحف السويد دليلاً علي وصول السفن الليبية إلي المحيط الأطلنطي و قد جاء هذا في يوميات العالم السويدي « هاي دال» مع مركب البردي رع رقم ٢ في أهرام ١٩٧٠/٧/٣١م.

٨-الاتحاد الفيدرالي:قام اتحاد فيدرالي بين الخمس مدن الغربية نتيجة للإصلاحات الدستورية التي إقترحها مشرعان يونانيان هما اكديموس، و ديموفانوس نحو ٢٥٠ ق.م عندما تم فصل سيرين عن أبولونيا لميزان بين المدن الخمس و قد عثر علي عملة نقدية من القرن الثالث قبل الميلاد مدون عليها كلمة الاتحاد KOINON ، و قد شيد الامبراطور هدريان مدينة بإسمه.

٩-بـــلاد الذهـــب :قال الشاعر اليوناني بندار PINDAR أن مدينة فوريني مدينة أقيمت علي عرش من ذهب و سميت منطقة شرق بنغازي بأنها " جنة الدنيا" و حددت الاساطير اليونانية القديمة مغارة لبثي بأنها موضع النعيم والجحيم و التي سماها العرب الشق الكبير و هو فالق في مغارة طويلة من الجحيم و قال بطليموس :إن أرواح الموتي تشرب منه فتنسي أفراحها السابقة علي الأرض

١٠٣. ليبيون حول يسوع

إرسالية السبعين :هناك أسطورة تحكي أن يسوع عندما أنهي خدمته علي الأرض و رفع حيا إلي السماء هناك استقبلته الملائكة و امطرته بوابل من الأسئلة أسئلة بعد الترحيب به، و كانت الأسئلة هل انتصرت للخير في كل الأرض؟ هل تمكنت من زرع مبادئك الفاضلة وسط قلوب قاسية؟ هل نشرت الفضيلة؟ هل قضيت علي الرذيلة؟ هل صار الناس أبراراً أخياراً؟ هل نبتت في قلوب الناس محبة أبدية لله ؟! و ابتسم يسوع قائلاً: لقد تركت إثني عشر تلميذاً و سبعون رسولاً!!

عندما اختار السيد المسيح تلاميذه الأثني عشر قضي الليل كله في الصلاة وتم إختيار أقوي العناصر للتلمذة و عندما إختار سبعون رسولاً وضع الأمل فيهم أن يعملوا للروح بصفتهم أقوي العناصر الروحية و زودهم بالنصائح الغالية و عرّفهم بواقع خدمتهم انهم سوف يكونوا حملاناً بين ذئاب و وجههم إلي خدمة واسعة عريضة و وهبهم مواهب روحية عظيمة، و أمسك بقلوبهم رابطاً إياها نحو السماء

حتي يسعي كل واحد ان يكون اسمه مكتوباً في السماء و قال لهم: إن الحصاد كثير و لكن الفعلة قليلون، إذهبوا ها أنا ارسلكم مثل حملان بين ذئاب ، لا تحملوا كيساً و لا مزوداً و لا أحذية و لا تسلموا علي أحد في الطريق و أي بيت دخلتموه فقولوا أولاً سلام لهذا البيت فإن كان هناك إبن إسلام يحل سلامكم عليه و الإ فليرجع إليكم، و أي مدينة دخلتموها أشفوا المرضي الذين فيها و قولوا لهم قد إقترب منكم ملكوت الله، و نجح الرسل في رسالتهم و رجعوا فرحين قائلين: يارب حتي الشياطين تخضع لنا بإسمك ، فقال لهم رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء ، ها أنا اعطيكم سلطاناً لتدوسوا الحيات والعقارب و كل قوة العدو و لا يضركم شئ و لكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل إفرحوا بالحري ان أسماءكم كتبت في السموات (لوقا١٠) و كان السيد المسيح سعيداً جداً بارسالية السبعين رسولاً حتي ذكر عنه الإنجيل إنه تهلل بالروح و قال : أحمدك أيها الآب رب السماء و الأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء و الفهماء و أعلنتها للاطفال ، نعم إيها الآب لأنه هكذا قد صارت المسرة أمامك ، و كأن هذا العمل هو أعظم اعمال يسوع علي الأرض لأنه استمرار لمسيرته و نشراً لتعاليمه و اتساعاً لملكوت السموات علي الأرض.

ليبيا كانت هناك :-و تؤكد بعض الأبحاث أن هناك عدداً من أبناء ليبيا كانوا من بين السبعين رسولاً:

١- أولهم مرقس الكارز الأفريقي الذي ولد في سيرين و الذي يعني اسمه مطرقة و اذا كانت ليبيا هي موطن ميلاده فهذا يعني أنه ليبي بالميلاد و ان ليبيا هي موطنه الاصلي كما يقول كثيرون و من بينهم سليمان مظهر في مجلة العربي اغسطس ١٩٩٢م بل إن المؤرخ وعالم الآثار الليبي داؤد حلاق يري ان مرقس ينحدر من اصل عربي من خلال هجرة عربية إلي شمال افريقيا قبل الفتح العربي بعدة قرون و إن إمه إسمها الأقدم هو حنة و إسمها ايضاً مريم و حنة إسم بربري لكل سيدة فاضلة و هي تسمية تطلق علي الجدات والدة الاب او والدة الام فهي حن او حنة لانها مصدر حنان مثلما نسمي في السودان الجدات بالحبوبات أي نبع المحبة للأحفاد.

٢- تشير بعض الكتب اليونانية و القبطية أن سمعان القيريني وولديه الإسكندر و روفس كانوا من بين السبعين رسولاً الذين اختارهم السيد المسيح و هذا ما ذكره أبن كبر في مصباح الظلمة مخطوط رقم ١٥ بالمتحف القبطي، و سمعان

القيريني او كما يكتب القيرواني ذكره القديس متي بالاســــم (متي ٢٧ : ٣٢) و بأنه حمل صليب المسيح مع المسيح و أن افريقيا كلها حملت صليب المسيح في سمعــان القيرواني، و قد ذكر أيضا في إنجيل لوقا(٢٣ : ٢٦) بأنه كان آتياً من الحقل أما مرقس البشير فقد كان يعرفه معرفة شخصية و ربما كان صديق صباه و يذكر انه والد الأسكندر و روفس و هذا يعني أن السبعين رسولاً صاروا اربعة مرقس و سمعان و الإسكندر و روفس (مرقس ١٥ : ٢٠).

٣- و تذكر مصادر مسيحية رجلاً خامساً ليبياً من بين السبعين رسولاً و يسمي بولنياس القيريني من نفس بلد سمعان و أولادة و تسميه بعض المصادر كبريانس و قد بشر في ينسابور و ربطه الأشرار في ذيل حصان و جروه حتي أستشهد و نال إكليله.

٤- و يأتي لوكيوس القيرواني الذي ذكر في أعمال الرسل (١٣ : ١) و الذي كان مع بولس الرسول في كورنثوس عام ٥٧ و الذي يشير التقليد الروماني إلي أنه أحد السبعين رسولا و يعتبر أول اساقفة سيرين.

٥- أما رسالة تيطس فإنها تذكر (٣ : ١٢) تخيكوس او تشيكوس و طبقاً لتقليد مصري قديم فإنه كان من بين السبعين رسولاً و إعتبره التقليد البيزنطي من اساقفة سيرين و هو الرقم السابع من السبعين و من ليبيا.و قد ذكر سفر أعمال الرسل أعداد من نواحي ليبية التي نحو القيروان حضروا حلول الروح القدس يوم الخمسين (اعمال ٢) و كان من بين الذين تشتتوا بعد رجم اسطفانوس رجال قيروانيون كانوا يبشرون بيسوع (أعمال ١١ : ٢٠) و يقولون أن سمعان نيجر كان من البربر في ليبيا ثم إعتنق اليهودية ثم المسيحية (اعمال ١٣ : ١) و هكذا تكاثر شباب ليبيا تجمعا حول يسوع من السبعين ثم من المبشرين.

١٠٤ . مرقس الرسول يكتب إنجيله في ليبيا

مصر أم ليبيا : تجمع المصادر المسيحية علي أن انجيل مرقس هو أقدم الأناجيل كتابة بحسب رأي دائرة المعارف البريطانية و يختلف كثيرون حول تاريخ كتابته فإبن كبر يقول أنه كتب في سنة ٤٥م و يري القديس إيريناوس أنه كتب بعد إستشهاد بطرس و بولس أي سنة ٦٧م و يري فم الذهب أنه كتب في مصر بعد سنة ٥٥م او حوالي سنة ٦١م و الثابت ايضا أنه كتب باللغة اليونانية ثم ترجم بعد ذلك إلي اللاتينية و القبطية و كل هذه مجرد آراء إفتراضية ربما لا يوجد ما يؤكدها، و قد

ظهرت دراسة جديدة عن مارمرقس ترتبط بما أكتشف من آثار إكتشفها عالم الآثار الليبي داود حلاّق وهو رجل مسلمَ يحب القديس مرقس و يعتز برسالته الروحية و يري إنه من عظماء ليبيا و قد اكتشف هذا العالم مقرات مارمرقس الدينية في الجبل الأخضر و يري إن التنقيبات الأثرية و الدراسات اللاحقة سوف تكشف المزيد من خبايا سيرة هذا القديس الرسول الليبي الذي عاصر السيد المسيح عليه السلام بحسب تعبيره و قد سجل هذا في كتاب عنوانه مرقس الانجيلي صدر عن الهيئة العامة للسياحة مصلحة الآثار ، الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمي عام ١٩٩٣م.

إنجيل مرقس : و في كتاب داؤد حلاّق عن مرقس الانجيلي إعتزازاً وطنياً بالقديس مرقس الذي لا يشك حلاّق في أنه أتي بنورالمسيح الي الساكنين في ظلمة الوثنية و ظلمة الاستعمار الروماني و يعتبره بطلاً وطنياً لأن الخلاص من الوثنية هو النور الإلهي الذي يطرد الاستعمار و حلاّق يعتبر كتابة عن مرقس مجرد مقالة متواضعة تمثل وجهة نظره في رجل عظيم من أرضه و محاولة للتعريف ببعض من خبايا سيرته العطرة و هو يناقش العديد من الأمور و يؤكد أن مرقس كتب إنجيله في ليبيا و يتساءل إذا لم يكتب مرقس إنجيله في أرض وطنه فأين له أن يكتبه ؟! و هو يري ان ليبيا منذ القدم لها نصيبها في المحبة و السلام و يقول : ألم يكن اوزوريس هو الإله الذي هبط من السماء أو الإله المتجسد الذي ولد من ليبيا و هو الذي يرسم للناس سبل المحبة و التعاون و السلام فيمكث بينهم فترة من الزمن وهو هنا يسجل بركات للتاريخ الليبي، و أذكر هنا أن هذا الإله اوزوريـــس مصري و ليبي في نفس الوقت و أذكر ايضاً ما قيل عن الملك الفرعوني خوفو صاحب الهرم الأكبر أنه تزوج إمرأة ليبية إعتزازاً بعلاقات مصر مع ليبيا .

و يري داؤد حلاّق أن القديس مرقس قد إختار مكاناً ملائماً لكتابة إنجيله في أحد الأودية الوعرة البعيدة عن تواجد الرومان ثم شرع معاونوه في إختيار البقعة المناسبة و التي لا تري بسهولة حيث تم حفر المقر في جوف الصخر و كذلك حفر الأماكن الخدمية الأخري في ذلك الوادي الساحر، وادي الإنجيل ذو الينابيع العذبة المتدفقة، حيث أعد مقراً محفوراً في الصخور مخصصاً بالذات لتدوين علمه، هذا المقر الذي أكتشفه العالم الأثري داؤد حلاّق محفوراً علي هيئة تقرب من جذع صليب

بطول ١١ متراً وعرض أربعة أمتار و إرتفاع حوالي مترين و نصف و أهم أثرين في هذا المقر الذي يرتفع حوالي عشرة أمتار عن سطح الأرض وجود حفر لجذع صليب و أسفله مصطبة حجرية ثابتة في اصل الجدار لا مبرر لوجودها إلا لغرض واحد و هو استغلالها كمنضدة للتدوين و يري حلّاق ان مرقس كتب انجيله في هذا الوادي الذي يحمل هذه المواصفات و لهذا اتخذ الوادي إسم « وادي الإنجيل « كما ان النبع المتدفق من خلال الصخور في هذا الوادي يعرف بإسم « عين الإنجيل « و هذا الوادي لا يبعد عن وادي مرقس إلا بمسافة تقدر بحوالي خمسة عشر كيلومتراً إلي ناحية الشرق و غرب درنة بحوالي عشرون كيلومتراً.

و يري حلّاق مؤكداً أن مرقس كتب إنجيله في الخمس مدن الغربية في وادي الإنجيل أن مرقس مكث في مصر مدة قصيرة بالنسبة لسنوات عمره و غير كافية للكتابة، كما أن مدينة الاسكندرية لم تكن تصلح لتدوين الإنجيل لأنها كانت تعج بما لا يقل عن ثلاثة أرباع مليون نسمة من أجناس متعددة و يري حلّاق أن مرقس الذي ترعرع في الجبل الاخضر في أحضان الطبيعة لا يمكن أن يفضل مدينة صاخبة لكتابة و لتدوين الإنجيل بل إنه يفضل وادياً جليلاً طبيعته بكر و لا تسمع فيه ضجه ما يقرب من مليون من خليط البشر بل يسمع في وادي الإنجيل حفيف اوراق الشجر مع النسيم و تغاريد عصافير السماء الصغيرة و خرير الماء العذب المنبثق من صدر الصخور هذا المكان حيث صمت الطبيعة و نطقها في آن ليخلو إلي الله ليدون عملاً كبيراً للأمم، و يستدرك داؤد الأمر ليقول أن هذا لا يعني أن مرقس لا تروق له مدينة الإسكندرية لأنه اختار هذا المكان بجوار الطرف الشمالي الشرقي من الجبل الاخضر، و يري حلّاق أن طول الفترة التي قضاها مرقس البنتابوليس بين جماهير شعبه و في ربوع وطنه ليبيا و كذلك العثور علي الأثر المسيحي مثل جذوع الصلبان و مجموعات الحنيات و المعموديـــات و رسوم صهريج خيدرة او هيدرة و بقية ما يشبه رأس الأسد و الأسماء الملتصقة بالأماكن مثل وادي مرقس، وادي الإنجيل، عين الإنجيل ، هيدرا كهف اموناس يضاف الي ذلك الأعداد الكثيرة من الكنائس التي تمثل اليوم مجرد بقعاً أثرية بإمتداد الخمس مدن لهذا كله يقرر حلّاق ان مرقس دون إنجيله في «وشز الإنجيل» في وادي الإنجيل ، و يستشهد أخيراً بدائرة المعارف البريطانية التي تفيد بأن مرقس كتب انجيله في مكان ما في الشرق يتكلم اللغة اليونانية و يرجح ان هذا المكان هو البنتابوليس صاحبة الثقافة اليونانية.

١٠٥. وادي مرقس في ليبيا

حول مرقس:حول مرقس و عنه و فيه كتب العديد من الكتب و كتبت الكثير من المقالات في المخطوطات القديمة و في المجلات القبطية و كتب الأنبا ساويرس أسقف الاشمونين كتاباً عن مرقس الرسول نشره «بارجيه» عن مخطوط رقم ٩٣١ بالمكتبة الاهلية بباريس و كتب كامل صالح نحلة كتاباً عنوانه تاريخ القديس مرقس الرسول.

وكتب المطران غريغوريوس بهنام السرياني كتاباً بعنوان بيت مرقس في اورشليم بالقدس ١٩٦٢م و هناك مخطوط عربي لكاتب مجهول بعنوان حياة مارمرقس الرسول من ميامر دير السريان، و عن مرقس كتب كل مؤرخي الكنيسة عامة و الكنيسة القبطية بوجه خاص فهو المحطة التي يجتمع حولها المؤرخين عندما يذكرون الكنيسة القبطية و التي تسمي باسم مرقس الكنيسة المرقسية، و يتألق بين كتب مارمرقس كتاباً كتبه قداسة البابا الأنبا شنوده الثالث و هو كتاب جامع لكل ما قبله من كتب ، و كل من كتب عن مارمرقس يعد من ابناء مارمرقس الذين تمتعوا بخدمته و نالوا بركة المسيحية علي يديه، و يأتي شاهد من أهل مارمرقس و هو باحث الآثار المشهور داود حلاّق و الذي كتب كتاباً عنوانه مرقس الإنجيلي أصدرته الهيئة للسياحة بالجماهيرية الليبية مصلحة الآثار تحت عنوان كبير هو أوشاز الأسلاف و التي يشير فيها الي مخابئ محاجر الصخر في ليبيا و التي أكتشفت فيها بعض الآثار المسيحية و في تقديمه لكتابه عن مرقس الأنجيلي يقدم إعتذاراً يقول فيه : في الختام أتوجه بكامل الإعتذار إلي أتباع مرقس الانجيلي القديس والرسول فيما لو بدرت منا أي اخطاء او هفوات في ما يتعلق بالجوانب الدينية المسيحية فإذا ما حصل ذلك فإنه راجع فقط لقلة علمنا، و إننا علي أتم الإستعداد لقبول النقد و التصويب لكل الحقائق الكاملة و هو يعلن أنه مدين بحسنات هذا العمل لكل من أعانه، أما السيئات والأخطاء فهو المسئول عنها و في إعتقادي ان كتابه عن مرقس كله حسنات وهذه الحسنات ترجع إليه شخصياً، و إذا كان البعض ينتقد الكاتب بأنه يقدم مرقس بإعتباره سياسياً جسوراً واجه الغزو الروماني علي الصعيدين الديني و الوطني فإن مرقس كان كذلك و كانت وطنيته أن حرر بني

جنسه من العبودية و الرق و حررهم بحرية أولاد الله و متعهم بأمجاد الملكوت و لقد حمل داؤد موسي حلاّق زمام المبادرة فكان أول كاتب مسلم يكتب عن مارمرقس بنفس مستوي حماس المسيحيين له فهو ابن بلده ليبيا فلقد ولد مرقس في ليبيا و صار أحد رجال ليبيا العظماء و هو يري أن مرقس سمي لابيوس أو لباوس بمعني ليبي و يشهد مرقس على عظمة رجال ليبيا الذين تقدموا في مسيحية الروح و كانوا علي مستوي المسئولية المسيحية في نشر الإيمان المستقيم.

وادي مرقس: و في مقدمة المؤلف يقول داؤد أن مرقس الإنجيلي صاحب أقدم الأناجيل و أنه قد كتب الإنجيل في وادي الإنجيل في ليبيا و أن هذا الوادي لم يزل يحمل إسم العمل الكبير الذي انجزه مرقس، و في أجراف صحيفة اخري أعد مرقس مقره الديني المسيحي المبكّر، كما اعد ايضاً مقرات إدارة أعماله في واد مجاور لوادي الإنجيل و ما يزال هذا الموقع يحمل إسمه بالذات « وادي مرقس « كما أرسي إستراتيجية معاقل الأجراف- الأشاوز المعلقة- بإمتداد أودية الجبل الاخضر الصخرية و أسس نقاط المراقبة في مواجهة البحر كذلك المرافئ المخفية، ونشر التعاليم المسيحية فلقد عاش مرقس سبعون عاماً يحمل لواء النضال ضد أعتي امبراطورية في ذلك الزمان و أخيراً قدم رأسه فداء لمن آمن به و سجل إسمه في سفر الحياة.

و يأتي كتاب عالم الآثار الليبي عن مرقس الإنجيلي بعد أكتشاف هذا العالم خلال ثلاثة أعوام من ١٩٨٥- ١٩٨٧م للمقر الأثري الذي يحوي الحنيات أو حضن الآب والمعمودية و بقية تمثال رأس الأسد و المقر الديني المسيحي بوادي الإنجيل و الذي يعتبر داود حلاّق هو أول مكتشف لهذا الأثر النفيس و هو نفسه يعتبر هذا العمل بمثابة وقفة إجلال و لمسة وفاء لأحد رجال ليبيا العظماء الذي وقف في وجه الشر عبر أزمنة غير سالمة فأعطي للدنيا بأسرها برهانا علي عمق الإيمان و محبة الأوطان، و يستمر مؤرخنا ليحدثنـــا عن صمت الحوليـــات و المصادر الرومانية عن ذكر كل ما كان يجري علي أرض الواقع في ليبيا لأن هذا الواقع لا يرضي عنه الإمبراطور و يري أنه من واجبنا إذا اردنا أن نقدم خبزاً صحياً لأجيالنا فعلينا ان نغربل دقيق المصادر المغرضة للتخلص من شوائب ضارة، فقد إستمعنا للغير كثيراً و لقد آن الآوان ليستمع اولئك الغير لنا و لو قليلاً، إن هناك من يستكثر علي هذه

الأرض الليبية أن تنجب رجالاً شرفاء و أن تكون لهذه الأرض فضائل علي كثير من الناس فلقد آوت هذه البلاد المسيحيين الأوائل فوجدوا فيها الحضن الحنون، منابع الماء العذب، و ثمار الغابة و أعشاب السفوح و أوشاز الأجراف، و عسل البر، وعندما جثم الرومان و طاردوا أتباع المسيح في مذبحة دامية لا تنتهي عبر قرون و لقد كانت جبال ليبيا هي الملاذ الأمن لاقباط مصر و كانت صحراء ليبيا قد تحولت الي سيمفونية أبدية رائعة في تسابيح الرهبان عبر الزمان و في سياحات الأباء السواح من ليبيا و من مصر تكاملاً مصرياً ليبياً روحياً عبر الزمان، و سوف تتطلع كل الأجيال إلي مرقس البشير و مرقس يعني مطرقة و قد كان فعلاً مطرقة حطمت الشر و مهدت طريق الفضيلة ليسلكه أهل الروحانية ، و يعتقد داؤد حلاّق و نحن معه أن التنقيبات الأثرية و الدراسات اللاحقة سوف تكشف عن المزيد من خبايا سيرة هذا القديس الرسول الليبي الذي عاصر السيد المسيح عليه السلام.

١٠٦. الرهبنة الليبية في العصر المسيحي

إحتضان الأبدية: في حوار بين وزير الثقافة الفرنسي في حكومة ديجول مع الصحفي المشهور محمد حسنين هيكل قال الوزير : لقد كانت مصر هي التي اخترعت الابدية و قوله حق لأن مصر القديمة هي التي احتضنت الابديـــة و لأن عقائد مصر القديمة كانت قريبة الشبه برموز العقائد المسيحية مفتاح الحياة الذي يكاد ان يكون شكله صليبياً و البعث و القيامة و الثالوث، و عندما رحبت مصر بالمسيحية بدأت كنيسة مصر القبطية تلعب دوراً هاماً و حيوياً و رغم ان مصر كانت مستعمرة رومانية و لكن بطريرك الإسكندرية كان يقف علي قدم المساواة مع بطاركة القدس و روما و اسطنبول بل و هناك من كانوا يتصورون أنه ارفع منهم، و امتداداً للتوق إلي الأبدية و الشوق الي حياة مجيدة بعد الموت جاءت الرهبنة القبطية كأول عطاء قبطي إلي كل الكنائس المسيحية الأخري، و قامت الرهبنة علي العزوبية الإختيارية حيث يكرس الراهب نفسه للعبادة دون هموم الزواج و علي الفقر الإختياري عندما يختار أغني الأغنياء ان يكون فقيراً الي الله و يوزع أمواله علي الفقراء و يترك نصيبه من الدنيا قاصداً الآخرة مثل الشاب انطونيوس الذي عندما سمع قارئ الإنجيل يقول : إذهب و بع كل مالك و وزعه علي الفقراء و تعال ورائي حاملاً الصليب قام علي

الفور بتحويل الكلام الجميل الي سلوك روحي و ترك ثروة هائلة في قريته هي اموال واملاك وصلت الي مائتي فدّان في أخصب بقاع مصر في قمن العروس و أودع شقيقته في دير للعذاري و خرج من العالم لا يملك شيئاً من مقتنياته لكي يضع اقدامه علي طريق الأبدية و يملك آخرة صالحة، و قد كان أنطونيوس نفسه سبباً في ذيوع الرهبنة و في دخولها أعماقاً روحية لشباب اوروبا المرفّه الغني المدلل، و كتب أثناسيوس كتابه عن أنطونيوس و إنتشر الكتاب و معه تفشي خبر الرهبنة في كل اصقاع الدنيـــا و بدأ اولاً بمندوبي الملك أو رجال الأمن الذين كانوا يراقبون أثناسيوس و هو يكتب في المنفي و ظنوا أنه يكتب منشورات تحرض الناس ضد الملك هؤلاء قرأوا عن رهبنة انطونيوس و كانوا ثلاثة تركهم الأول في أول الطريق قاصداً خلا ص نفسه و اقنع الثاني ثالثهم أن يقدم تقريره إلي الملك بمفرده و ذهب الثالث أمام الملك و خرج من عنده الي الرهبنة واجتمع الثلاثة معا شبابا فتيا مقتنعاً بالابدية سالكاً طريق الرهبنة، و كانت الرهبنة و لم تزل تقوم علي الطاعة لأباء الروح حتي إن راهباً أطاع معلمه و زرع عصا مات كل الإنبات فيها و شاءت إرادة الله أن تصبح العصا شجرة تحمل ثمار الطاعة بعد أن رواها الراهب البسيط عدة أعوام رغم بعدها عن موقع عبادته .

الرهبنة الليبية: بدأت المسيحية في الخمس مدن الغربية علي أرض ليبيا الفتية قبل مصر! و بدأت الرهبنة في مصر و في نفس الوقت بدأت في ليبيا و استمرت قوتها و كيانها من الرهبان الأقباط و إمتلأت الصحراء المصرية الليبية بديارات الرهبنة أديرة عديدة تكاد أن تكون متلاصقة تظهر في آثار حتي الأن كمجموعة أديرة قبطية وصلت إلي ستمائة دير في المنطقة الممتدة من الإسكندرية حتي السلوم! و يري دكتور باندو أنه ما دامت سيرنيكا تابعة للكرسي الاسكندري فلا بد أن تكون هناك رهبنة مرت بنفس أطوار رهبنة مصر بل وصلت الي مستوي كبير روحي و ساعد علي هذا طبيعة المنطقة و علي الأخص الجبل الأخضر حيث بنيت الأديرة و بيوت المتوحدين في المغاير و في صخور الجبال أو ما يسمي بالاوشاس المعلقة في قمم الجبل و التي مارس فيها رهبان ليبيا الإختلاء بالرب و عاشوا فلسفة الإختباء دخولا إلي الصخرة و نحتوا لأنفسهم في الصخر مسكناً! و لم يكن هذا الإختباء خوفاً من أحد مثلما قيل لموآب إخلوا المدن و اسكنوا في الصخر و كونوا كحمامة تعشش في جوانب فم الحفرة (ارميا٤٨:٢٨) بل كان الإختباء هروباً من ضوضاء الدنيا

و ملذاتها الي الله حيث يجلسون الي كلامه المقدس و يسلكون سلوكاً روحياً و يستغفرون ربهم و يصلون لأجل أنفسهم و لأجل الذين ليس أحد يذكرهم و لأجل كل الناس طالبين سلاماً للعالم و أمنا و أماناً لبني البشر.

و في ليبيا ساعدت سهولة الحركة و قرب المسافة علي انتقال الرهبنة إليها في سهولة و يسر و في وقت قياسي إلي مارماريكا و بنتابوليس الي ليبيا العليا و ليبيا السفلي و ازدادت الحركة الرهبانية الليبية كما و كيفا في جماعات رهبانية ثم استقرت في أديرة ثابتة، و يذكرأن الأميرة الرومانية ميلانيا قد تبرعت بمبلغ من المال خص به مستلم التبرع الأنبا بموا رهبان ليبيا، وبالقرب من سيرين أو شحات او شيهات هناك دير ليبي بإسم دير مقاريوس و يسمي حالياً مقارنس او مقارنوس قد بني علي شكل قباب و كأنه صورة طبق الأصل لدير ابو مقار في وادي النطرون في نظام قلاليه و هندسة مبانيه .

و يذكر الذين سجلوا تاريخ رهبنة مصر قصصاً متعددة عن رهبان ليبيا الذين تعبدوا في الصحـــراء و أحياناً كان معهم رهبان أقباط و تسجل المخطوطات القبطية ذهاب القديس مكاريوس إلي صحراء ليبيا، و يتكلم بلاديوس عاشق تاريخ الرهبنة عن راهب ليبي كبير السن توجه إليه جماعة من الفلاسفة و أظهر علماً غزيراً، و الراهب إسطفانوس الليبي صديق الأنبا أنطونيوس و كثيرون مثل موسي الليبي، إسطفانوس ، و كان الراهب الليبي لا يغادر ديره إلا للضرورة مثلما رهبان مصر و مرقس المتوحد الليبي الذي كان له خمس و تسعون عاماً لم ير وجه انسان و قد هرب القديس إيلاريون من مديح الناس الي صحراء ليبيا و كثيرون غيرهم يؤكدون إزدهار الرهبنة الليبية.

١٠٧ . رهبان هم فرسان ليبيا

العصر المسيحي:- إنتشرت المسيحية بتعاليمها السمحة في كل بقاع العالم و كان لها في الشرق طابعاً مميزاً فلقد إمتدت منذ بدأت و لم تنقطع في مصر حيث كانت كنيسة الإسكندرية كنيسة رئيسة وسط الكنائس الرئاســية و استمرت في ممالك النوبة المسيحية مدة ألف عام بدءا بالدخول الرسمي لها في القرن السادس الميــــلادي و حتي القرن السادس عشر، و أيضاً في ليبيا بدأت منذ القرن الاول

حتي القرن الثالث عشر و إستمرت لمدة ألف و ثلاثمائة عام، علي أن تاريخ البدايات و النهايات ليس تاريخاً قاطعاً فلقد افل نجم المسيحية في ممالك النوبة و لكن بقيت بعد هذا عدة قرون في مجموعات صغيرة و هكذا أيضاً في ليبيا إستمرت المسيحية حتي القرن السادس عشر.

و تحملت كنيسة الإسكندرية مسئولية النوبة و أثيوبيا و الخمس مدن الغربية ولهذا إزدهرت الرهبنة في هذه البقعة الكبيرة من العالم لأن كنيسة الأسكندرية هي مصدر الرهبنة في كل العالم فلقد نشأت الرهبنة في مصر و عنها و منها و بها كانت الرهبنة في كل المواقع و الكنائس الاخري، و الرهبنة نسك روحي و إمتناع عن الزواج في عزوبة إختيارية تذوق عذوبة الحياة الروحية مع الله، والرهبنة إنفصال عن الكل و إرتباط بإله الكل، و الرهبان هم فرسان أشاوز في عالم الروح يعلون من شأن الروح و يعيشون إنطلاق الروح و ينفكون من قيود العالم منطلقين نحو حياة الروح متعمقين في فضائل النسك، راكعين عابدين خاشعين يعدون أنفسهم للحياة الأتية و قد إختاروا أن يسهروا سهراً روحياً في صلوات و أصوام و إبتهالات و مطانيات هي ركعات روحية مع طهارة النية، و اذا كنا نريد ان نتحدث عن الرهبنة في ليبيا في العصر المسيحي لها فإننا نقول ما قاله الباحث دكتور باندو و أورده دكتور ميخائيل مكسي في كتابة تاريخ المسيحية و آثارها في الخمس مدن الغربية و هو أنه ما دامت منطقة سيرنيكا تابعة لكرسي الإسكندرية و الرهبنة نشأت في مصر قبل غيرها فلا بد أن تكون هناك رهبنة علي أرض ليبيا أيضاً و انها قد مرت بأطوارها كما مرت بها في صحراء مصر الغربية، أما المؤرخ رومانيللي فيؤكد أن الرهبنة قد إنتشرت فعلاً في ليبيا عن طريق مصر خصوصاً أذا وضعنا فى الإعتبار أنه قد قامت حياة ديرية نامية في الصحراء المصرية الليبية و ليس أدل علي ذلك من وجود آثار لنحو ستمائة دير قبطي في المنطقة الممتدة من الاسكندرية حتي السلّوم و أشارت المصادر المصرية بأن الفرس قد خربوها في أوائل القرن السابع و لقد ساعد قرب المسافة و سهولة المواصلات علي التواصل و انتقال الحياة الرهبانية بسهولة كبيرة في وقت قياسي الي كل من ماماريكا و بنتابوليس أي الخمس مدن الغربية لان بنتاهي خمسة و بوليس مدينة، لقد دخلت الرهبنة الي ليبيا في وقت مبكر جداً و ربما من عهد الراهب انطونيوس عام ٢٧٠م و بعد هذا

ازدادت الحركة الرهبانية الليبية كما و كيفاً و كانت صحراء ليبيا مقراً للرهبان بل إن السواح و هم رهبان متوحدون دخلوا إلي جوف صحراء ليبيا و كانت الأديرة موطنا لرهبان ليبيين مع رهبان أقباط و قد حظي رهبان ليبيا بتعاطف كثيرين من أهل الخير في العالم و يروي المؤرخ بلاديوس أن الأميرة الرومانية ميلانيا قد أبلغته انها اعطت مبلغاً من المال للراهب القبطي بموا و طلب هو من تلميذه أن يوزع هذا المال علي رهبان ليبيا و ان لا يعطي أي جزء منه لرهبان مصر، و كان هذا العطاء عام ٢٩٣م و هذا الإهتمام من الراهب القبطي برهبان ليبيا يؤكد وجود الرهبنة و يشير الي الحاجة الي المال لتعمير أديرة ليبيا.

داؤد حلاّق:- و لقد اهتم عالم الآثار داؤد حلاّق بدراسة كشفية لأوشاز الأسلاف و التي هي مغائر معلقة علي قمة الجبل الأخضر، و قد أثبت فيها وجود كنيسة و دير أُطلق عليه اسم صرح مرقس الديني وفي وادي مرقس الذي يعرفه تاريخ ليبيا، وتم العثور في قمة الجبل علي مقرات مسيحية عبارة عن كهوف بعيدة المنال و فرت للمسيحين الأوائل ملاذا آمناً لممارسة شعائرهم الروحية عبر أجرف صخرية وعرة لم يذكرها باحث قبل حلاّق بل لم يصل إليها رحالة فيما قبل، و أعتقد أن هذه الكهوف أيضاً كانت موطناً للرهبان المتوحدين الذين يحبون الإختلاء علي قمم الجبال و في الأماكن البعيدة عن أعين الناس، و يذكر حلاّق دير مقاريوس و الذي يقع في منطقة مهجورة الي الشرق من سيرين أي شحات الأن و تسمي حالياً مقارنس او مقارنوس و يري حلاّق انه يشبه دير ابومقار بوادي النطرون مصر في نظام القلالي و هذا يعني ان رهبنة أبومقار قد وصلت سريعاً إلي ليبيا، و عندما ندرس سير رهبان مصر نقرأ عن ذهاب بعضهم الي صحراء ليبيا للتعبد زاهدين مثل الأنبا مكاريوس الإسكندري و تحدث بلاديوس عن رهبان من ليبيا مثل اسطفانوس و امونيوس و ماراوغريـــس و موسي الليبي الذي اسهبت الحديث عنه إيريس حبيب المصري و كان رهبان ليبيا يرتدون نفس زى رهبان مصر الأقباط.

١٠٨. الإضطهادات و الشهداء في ليبيا

مأساة طويلة : تعرضت المسيحية للاضطهاد منذ أيامها الأولي و عندما كان السيد المسيح في المهد صبياً طلب الملك هيرودس أن يقتله ظاناً أنه سوف يسلب

عرشه و هرب يوسف بالطفل و أمه إلي أرض مصر، و قد شنت الوثنية إضطهاداً للمسيحية ليس له مثيل و كان الفن هو إختراع آلات لتعذيب المسيحيين و مع الوثنية كانت اليهودية حيث خاف رؤساء الكهنة و الكتبة و الفريسيين علي مواقعهم و رغم انهم كانوا يفهمون أن اليهودية تنبأت عن المسيح و قتل إسطفانوس و الزج بالرسل في غياهب السجون و وضعهم في مقاطر من حديد و حراسة المسيحي الواحد بأربعة أرابع، و وسط مشاهد الكراهية الشيطانية و القسوة البالغة ظهرت فضيلة المسيحيين تشع ببريق أصالتها حيث كان الشهيد قبل الرحيل يصلي من أجل الذين اضطهدوه و يطلب لهم الهداية و قد أستجيبت صلواتهم وتحول الذين كانوا يقودون الإضطهاد الي شهداء ماتوا علي إسم المسيح الذي حاربوه بضراوة، و قدم الشهداء مفهوماً جديداً للألم و لم تهزمهم الآلام بل فهموا سر الألم و اعتبروه عطية من الله لأجل النقاء و الوصول الي الشفافية، و كانوا أثناء الإضطهادات يتطلعون الي السماء و رأي بعضهم السماء مفتوحة لإستقبالهم بدءا بأول شهيد الذي رأي السموات مفتوحة و رأي عرش الله مروراً بشهداء عديدين رأوا الملائكـــــة و هم يضعون أكاليل الإستشهاد علي رؤوس الشهداء.

و لم يتهرب مسيحيو ليبيا من دفع ضريبة الإيمان ألماً و إضطهاداً و استشهاداً و إذا كان الدكتور نقولا زيادة و الأستاذ بازامة الليبي يقولان أنه لم تحدث اضطهادات عنيفة في بنتابوليس فربما يكون هذا بسبب عدم العثور علي معلومات وافية و يؤكد الباحث القبطي دكتور ميخائيل مكس و هو صاحب اوفي و اعمق دراسة عن المسيحية في ليبيا أنه من المؤكد انه لم ينج أي جزء في امبراطورية روما من الاضطهاد الروماني للمسيحية بل إن الاضطهادات نفسها كانت دوماً بدرجة اشد في الشرق أكثر من الغرب و يذكر عن دقلديانوس اعتي اباطرة الإضطهاد والذي اعتبر أول عهده بالحكم سنة ٢٨٤م بداية تقويم الشهداء القبطي أنه كان من أشد الأباطرة الرومان إضطهاداً للمسيحيين في الشام و مصر و ليبيا الشرقية التي كانت تابعة له بل قد قام دقلديانوس بتقسيم ليبيا الي قسمين سيرنيكا و مارماريكا و ربما كان هذا إمعانا في إضطهاد منظم و حكام متعددين يتفننون في تعذيب المسيحيين.

شهداء ليبيون: و يري عالم الآثار الإيطالي رومانيللي أنه قد حدثت إضطهادات رومانية شديدة في بنتابوليس غذّاها اليهود و الوثنيون بالفتن و الدسائس لديّ

الحكام الرومان المحليين و يري بعض الدارسين ان كهوف الجبل الأخضر قد آوت كثير من المسيحيين الأولين أثناء مطاردتهم لهم في ليبيا في فجر المسيحية اسوة بما كان يتم في سراديب روما، و قد بنيت كنائس ليبيا في مواقع بعيدة عن الأنظار و بنيت مخابئ للعبادة و الهروب من الأخطار، و تعرضت الكنائس الليبية الي الهدم، و أحرقت الكتب المقدسة و منعت الإجتماعات الدينية و أعتقل عدد كبير من مختلف درجات الإكليروس في ليبيا.

و أكدت الآثار المكتشفة في ليبيا مروراً واضحاً لمرحلة اضطهاد شرس، فلقد عثر علي نقش حجري يوناني الكتابة يرجع لعام ٣٠١م يتضمن إحدي قرارات دقلديانوس باضطهاد المسيحيين و عثر جودتشايد علي أقفاص الحيوانات المتوحشة في المسرح الروماني بسيرين و قال إن المسيحيين كانوا يلقون الي الوحوش التي كانت بها مثلما كان يحدث في مسارح روما، و الأغرب من هذا أن البابا ديونسيوس نفي إلي ليبيا أكثر من مرة، و هناك العديد من الكنائس التي بنيت علي أجساد شهداء ليبيا   حيث كانت تعلن الكنيسة غناها في حصولها علي أكبر عدد من أجساد الشهداء.

و يروي بروفسور زاهر رياض عن استشهاد عدد كبير من مسيحيي سيرنيكا و ماماريكا و لكن أحدا لم يدون سيرهم و قد إطلع الأب لوكوين سنة ١٧٥٠م علي مخطوط قديم يدل علي كثرة شهداء سيرين، و عندما ذكر البابا ديونسيوس الإسكندري (٢٤٩ – ٢٥١م) قصة الشهداء الثمانية عشر الذين ذهبوا موتا إلي ربهم قال أن بينهم أربعة من ليبيا، و نذكر بعض شهداء ليبيا مثل الشهيد مقار الذي قال عنه البابا إن مقار الليبي الجنس كان مباركاً مثل إسمه مستحقاً لتطوبيات الرب و هذا أُحرق حياً في ٢٥٠/١٢/٨م . و إرتوت ارض ليبيا بدم الشهيد باسيليوس الوزير الذي أرسل الي والي بنتابوليس لتعذيبه و استشهد علي أرضها، و الشهيد تادرس الأسقف الذي رسمه البابا ثيئونا نحو سنة ٣٠٤م و كان فنانا يجيد فن الزخرفة و عن طريق فنه دخل إلي قلوب الوثنييـــن و تم القبض عليه و جُلد حتي سالت دماؤه و إنتهي الأمر باستشهاده و هنا قرر لوميوس الحارس و معه حراس روما الإيمان بالمسيح و استشهدوا معه، و من بين شهداء ليبيا قائد روماني هو الشهيد تادرس، و شهيدات مثل سيبريلا و لوسي و أروا، و قد استشهد مارمينا

العجايبي علي أرض ليبيا، أما الأسقف بسوثي فقد أدار حواراً مع الوالي الذي إتهمه بالسحر نظراً لنضارة جسده و رد الاسقف إنني اشفقت عليك يا صديقي العزيز لأنك لم تعرف بعد انه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان. و هناك ايضا سيكوندس كاهن برقة و الراهب أبانوب المعترف و كثيرون شهدوا للمسيح و إستشهدوا لأجل المسيح في ليبيا.

١٠٩. الفرار الي قمة جبال ليبيا

الفرار الي القمة: علي مستوي عالم الروح كثيرون يفرون فراراً الي الله و كثيرون أيضاً يفرون فراراً من الله، الهاربون فراراً الي الله يلجأون اليه ركنا ركيناً و حصناً منيعاً لأن إسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق و يتمنع، و الهاربون فراراً من الله لا يصعدون الي فوق إنما ينزلون الي مدارك سفلية لا يعلمون مداها و لا يدرون إلي أي منقلب ينقلبون، كان إيلياس رجل الله علي رأس الجبل و جاء إليه جنود الملك يقولون أ سرع و إنزل هكذا يقول لك الملك و لكنه رفض أن ينزل (ملوك الثاني ١) لأن هذا النزول كان يعني روحياً إنحدارة إلي العالميات، وإيليا هذا كان له عُلية يتعبد فيها و بعده صار الناس يبنون حجرة عالية للتعبد و السجود و التهجـــــد، و في تاريخنا عندما تضايق أهل نوبة الشمال ذهبوا إلي الجبال يستنجدون بها من بطش الحكام و سميت نوبة الجبال و لكنهم بكل اسف هاجروا دون ان تهاجر معهم بيوت الله و ضاعت منهم سبل العبادة و انتهي بهم الأمر إلي العبادات الأممية المتنوعة و يقدم لنا الجبل الاخضر في ليبيا نموذجاً للفرار إلي أعلي إلي سفوح الأودية الصخرية السحيقة و هناك بنوا مقرات مرتفعة هربوا فيها من عوادي الزمن و صمموا معاقلهم بطريقة تجنبهم مخاطر الناس و الرياح قرباً من منابع الماء و التجأ الناس اليها حقبة زمنية يقدرها المكتشف الأثري الليبي داؤد حلاّق بسبعة أو ثمانية قرون و يشرح لنا في كتاب أوشاز الأسلاف كيف تكيف هذا المجتمع مع وضعه المعلق في ملاذات شاهقة؟ و كيف عبروا الآلامات و تخطوا المحن عبر الزمن، و قد قام داؤد حلاّق مع مجموعة من الرفاق بإكتشاف هذه المعاقل التي ترتفع إلي مستوي سبعين متراً، و ذهب إلي فوق عن طريق الحبال و سار علي حافة الموت و شعر بالعجز و الضآلة أمام مساكن اجداده المعلّقة و أمام جزء لا يستهان به من تاريخ بلاده ليبيا العظيمة طالباً عبر الليالي عوناً من

الله العلي القدير و تعاون معه مجموعة من أبناء ليبيا تطوعاً و اختياراً و بدأوا دراستهم كنواة لدراسات يستكملها متخصصون و يكشفون عن هذا الآثر العظيم و كانت رحلة الكشف مساحتها خمسة آلاف كيلومتر مربع و زمانها ثلاثة أعوام كاملة هي ١٩٨٥-١٩٨٦-١٩٨٧م، وتم تصوير المكان بطائرة مروحية بعدها كان الإستكشاف.

جبال ليبيا : و صعد داؤد و الرفاق إلي معاليق فوقية متعددة و تذرعوا بالصبر و طول الأناة و الوعي لكي ينيروا تاريخاً غفل عنه التاريخ و يعتّرفوا بجزء من القديم لأن حضارة بناء الأوشاز او الملاذات الشاهقة هي حضارة تثبيت محبة الوطن وعدم الفرار أو الهجرة منه مهما كانت المحن والكوارث و تؤكد أن هذا الجزء من الوطن استطاع ان يعيش دون ان يمد يده لأحد بل طوّع كل الظروف لصالحه و قدم افكاراً رائدة في إستمرارية الحياة و يقول مؤلف اوشاز الأسلاف ان التاريخ الليبي يزدحم بالحقائق و من ليبيا يأتي دائماً شئ جديد، و يتحدث عن الحياة في القمة هكذا رغم أن القمة مخاطرها هي الوقوع من فوقها و لكنه يؤكد أن الناس عاشوا في هذه الأوشاز و ربوا أولادهم تربية حسنة و كانوا يهتمون في التربية بضم الاطفال إلي الصدور و الهدهدة قبل النوم ليشعروا بالحنان و يشبوا بنفسيات متزنة، و هذا ما تنادي به النظريات الحديثة في التربية و هذا عين ما تحدث عنه الشاعر اشعياء النبي في القرن السابع قبل الميلاد عندما قال لأبناء أورشليم فترضعون و علي الأيدي تحملون و علي الركبتين تدللون كإنسان تعزية أمه هكذا اعزيكم أنا و في اورشليم تعزون (اشعياء ٦٦) أما دفء الصدور و حنانها فقد عاشه يوحنا الذي كان يتكئ علي صدر يسوع(يوحنا١٣:٣٥) وبالاختصار فإن حضارة سكان الأوشاز غنية بشتي الجوانب و مجالات متشعبة تؤكد الحرص علي الحياة و السير في حذر و تدقيق حتي لا يضيع الطريق، و قد عثر الباحثون في الأوشاز علي كمية من الآثار من بينها إبرة خياطة دقيقة من الخشب و محبرة صغيرة و خلايا نحل و بقية من عقيد عقد نسوي فكانوا يجمعون اللقي لكي تدرسها علماء الآثار و قد تم إكتشاف عدد من الكنائس المحفورة في الأجراف و أهمها ما اطلقوا عليه صرح مرقص الديني، و ستكون هذه الكنائس موضوعاً لدراسة العصور المسيحية الاولي ، و يري داؤد حلّاق في بحثه هذا ان المجاعات والأوبئة التي حدثت في القرن الثاني عشر كانت سببا في إستنباط فكرة إعداد الأوشاز و هي ملاذات اضطرارية في

اجراف الأودية السحيقة و لكنه في الفصل الثالث من أوشاز الأسلاف يؤكد عثوره علي إكتشاف قطرات دينية مسيحية معلقة في كهوف باجرف أودية الجبل الأخضر و يري انها تعود الي الفترة المبكرة للمسيحية و قد فهمت من هذا ان الذي ابتكر الأوشاس هم المسيحيون و أنهم لجاؤا اليها في القرون الآولي بينما لجأ أهل ليبيا من المسلمين اليها في القرن الثاني عشر و لكن أعتقد أن بين هؤلاء كان يوجد عدد من مسيحي ليبيا الذين استفادوا بهذه الكنائس القديمة في صرح مرقس و في وادي الانجيل، و البحث طبعاً سوف يستمر و أرجوا ان يستمر و أن يقوم الباحثون بإلقاء الضوء علي هذا الكشف العظيم من أبن ليبيا عالم الآثار العظيم و الذي إختار جزءا من تاريخ مارمرقس القديس الليبي العظيم.

١١٠. مغامرة في محاجئ الصخور الليبية

أوشاز الأسلاف : في عام ١٩٨٩م ظهر في عالم الكتب كتاباً يحمل إسم « أوشاز الأسلاف « كتبة العالم الليبي الأثري داؤد حلاّق صدر عن مصلحة الآثار الليبية ، و ذلك بعد ثلاثة أعوام انتهت عام ١٩٨٧ قضاها الباحث مع مجموعة من أبناء وطنه في سبر غور هذة الأوشاز، و عندما سمعت بهذا الكتاب كان العنوان غريباً عليّ و لكن فهمت بعد هذا ماذا تعني الأوشاز و هي مقرات نقشت في محاجئ الصخور في الجبل الأخضر بليبيا و يري المؤلف أن هذه المنطقة لم تجد إهتماماً حتي من الرحالة و أن هناك تعريف مقتضب قدمه الرحالة الأخوان ميتشي حيث سميت مقرات جوية و لكن المؤلف يري أن إسم وشز هو الإسم الذي يغطي المجال العلمي بأكمله و الأوشاز هي مجرد مقرّات صعبة المنال و هي ملاذات اضطرارية آمنة خلال عصرها ترتفع جميعها عن سطح الأرض ارتفاعات متفاوتة من تسعة أمتار إلي خمسين متراً، و معظم الأوشاز تجوفات طبيعية في الإنحدارات الصخرية بجوانب الأودية الصخرية و أستعين احياناً في توسيعها و تحسينها بواسطة النحت أو إشعال النار و تكسير الأحجار ، و قد شُيد داخل بعضها غرف بطوب البناء و حفر داخل بعضها مخازن للغلال و حيزات لتخزين الماء وأعدت داخل معظم الأوشاز مناحل لتربية النحل و الحصول منه علي الغذاء و الدواء و الشمع، و إنشئت بكثير منها شرفات مهيبة من الخشب تمتد في الجو أمام فوهة الوشز و تبلغ مساحة الشرفة أحياناً ستين متراً مربعــاً و بالوشز كل المرافق الضرورية بدراسة فذة أتت

بعد التجارب و الخبرات، و يقع الوشز في بقعة عويصة من السفح الصخري و لا يهم إرتفاع الوشز بقدر ما تهم تلك البقعة التي يصعب الوصول إليها، و لا يمكن الصعود و الهبوط إلا باستعمال حبل او سلاسل و إستخدام أدوات معينة كما يلزم جداً عدم إغفال الشجاعة و المهارة و الخبرة.

و لهذا كانت محاولة داؤد حلاّق مع الرفاق هي مغامرة في محاجئ الصخر الليبي و يقول حلاّق ان هناك أسماء متعددة أطلقت علي هذه الكهوف المعلقة في ملاذات شاهقة فقد أطلق عليها أنها معلقة و جمعها معلقات أو معاليق بما يعني مقر يشبه الغار او المغارة و يطلق إسم معلقية علي النمط الصغير من حيث المساحة والسعة، كما أطلق عليها طيارة لوجودها في مكان مرتفع، و أيضاً طبقة ثم كاف من كهف أو كهوف و سميت أيضاً تيقة من تاق و إشتاق وخرج و بان و هذا يعني أن المرء يشتاق الي الأوشاز و لكنها صعبة المنال ، و تسمي الأوشاز أيضاً شرايحية لأن سقفها شريحة من صخر و لكن المؤلف يؤيد كلمة « أوشاز» و هي كلمة تعني المكان المرتفع الذي يلجأ إليه أو ما أعد في عجالة و تعني أيضاً التهيؤ للشر بمعني الإستعداد للهروب من شر الناس الي مكان لا يصل إليه الناس، و لم يلجأ إنسان ليبيا الي السكن في الأوشاز إلا مضطراً تحت وطأة ظروف و أحداث خطيرة إلي أبعد حدود الخطر، لأن اللجوء إلي هذه الأوشاز العالية التي تقع جميعها في سفوح صخرية سحيقة و تحيط بها مخاطر السقوط لأنها قطرات تقع علي حافة الموت و كان سبب هذا الإضطرار أولا المجاعات التي حصدت كثيرين عندما تفشي مرض الطاعون و الأوشاز في ارتفاعها هواء نظيف لا يساعد علي نشر الوباء كما أن هجوم البربر علي الناس كان قاسياً فإلتجأوا إلي هذه الأماكن التي لا يقدر أن يصل إليها المعتدين.

و يقول حلاّق أنه من المرجح ان يكون مطلع القرن الثالث عشر الميلادي هو أنسب تاريخ بدأت تظهر خلاله فكرة تحصين الكهوف بصورة تعوق الدخلاء، ثم تلاه إنشاء و إعداد الأوشاز المعلّقة عبر سفوح الأودية الصخرية ذات الإنحدار العمودي و استمر إستغلال تلك الأوشاز كمساكن فعلية الي مطلع القرن التاسع عشر الميلادي حيث نعثر علي تاريخ مدون و هو عام ١٨٢١م عندما زار الرحالة بيتشي منطقة الجبل الأخضر و شاهد عائلات تسكن في تلك الأوشاز و سمّاها « مقرات جوية» ،

و يؤكد هذا التاريخ تحليل بعض ما عثر عليه حلّاق في الأوشاز من طوب و حبل من الجلد و أخشاب في إيطاليا و أتت التحاليل لتقول أن هذه الأشياء لا يقل عمرها عن ١٥٠ عاماً.

محاجئ الصخور :و للصخور في الكتاب المقدس مكانة كبيرة حيث تعد الصخور ملجأ للانسان بل أن داؤد المرنم في الزابور يقول الرب صخرتي أقول لله صخرتي لماذا نسيتني، إنما الله انتظرت نفسي، من قبله خلاصي انما هو صخرتي و خلاصي و ملجأي، كن لي صخرة ملجأ ادخله دائماً، امرت بخلاصي لأنك صخرتي و حصني، أنت إلهي و صخرة خلاصي.

أما أشعياء النبي و الشاعر فإنه يتحدث عن الصخرة بل يدخلها أمام هيبة الرب و يقول: أدخل إلي الصخرة و أختبئ في التراب من أمام هيبة الرب و بها عظمته، بل الإنسان كله عندما يتشامخ سوف يخفض التشامخ و يدخلون في مغاير الصخور و في حفائر الأرض بل يدخلون في نُقر الصخور و في شقوق المعاقل (اشعيا ٢) و لقد شبه السيد المسيح بالصخرة هكذا يقول بولس : لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم و الصخرة كانت المسيح، و قال السيد المسيح لبطرس انت صخرة وعلي هذه الصخرة ابني كنيستي و كان من بين رموز المسيح في الكنائس القديمة صخرة و ربما يكون صخرة الكعبة و هي الحجر الاسود رمزاً للسيد المسيح عندما كانت في الكعبة كنيسة مسيحية.

و نعود إلي أوشاز الأسلاف في صخور الجبل الأخضر لنقول أنها يوم أسســـت بواسطـــة مرقس و المسيحيون الأوائل كانت رمزاً إلي الإختباء في المسيح و الإحتماء به ضد عوادي الزمن و يقولون أن هذه الأوشاز لم يسكنها أهل ليبيا سكناً مستمراً إنما كانوا يلجأون إليها فقط في زمن المجاعات و الأوبئة و الحروب و أنها كانت لا تبتعد عن فكرة المخابئ في العصر الحديث إن صحت المقارنة.

١١١. الكنيسة القبطية والوحدة

نحو الوحدة : ولدت الكنيسة القبطية يوم مولد الكنيسة الاولي من رحم واحد كانت البداية و لم يكن مرقس الرسول الليبي المولد هو الكارز الاول لكنه المنظم الأول و المؤسس الأول للكنيسة القبطية ، كانت مصر حاضرة يوم الخمسين مع دول الجوار

من ليبيا والقيروان، و كانت مصر تمتلئ باليهود المتدينين و الذين ولجوا الي المسيحية يوم الخمسين وعادوا إلي مصر لكي ينشروا الطريق الجديد بين الناس، و كانت الإسكندرية عاصمة ثقافية يُشار إليها بالبنان و لقد بدأت المسيحية من الإسكندرية قادمة من الخمس مدن الغربية بنتابوليس ليبيا لأن مرقس آثر أن يبدأ وسط أهله في ليبيا و التي هاجر منها إلي فلسطين و لكن بقي قلبه و صحبه و خلانه هناك فجاء إليهم يحمل نور المسيح، و كانت أول كلمة سمعها مرقس خلال رحلته في شوارع الإسكندرية هي « إيوس ثيوس» أي يا الله الواحد سمعها من إسكافي كان يصلح له حذاءه المتهرئ، و كانت هذه هي بداية التبشير و بيت الإسكافي هو اول البيوت التي اعلنت الإيمان المسيحي بل صار إنيانوس أول الجالسين علي كرسي الكرازة المرقسية بعد مرقس أحد السبعين رسولاً، و كانت كنيسة الإسكندرية كنيسة تبشيرية لقد حملت الإيمان المسيحي الي النوبة و اثيوبيا و تحملت مسئولية تنظيم الخدمة في الخمس مدن الغربية وهي كنيسة افريقية قامت بترجمة الكتاب المقدس الي لغة الأقوام التي تبشر بينها ، فكانت أول كنيسة في العالم تقوم بحركة ترجمة الآداب المسيحية الي اللغات الأجنبية، و عندما حملت الكنيسة القبطية لواء الكرازة شعلة روحية نارية إلي أفريقيا أوجدت ما أسماه بروفسور زاهر رياض عوامل الوحدة بين شعوب هذه الدول فكانت الديانة الجديدة عاملاً حضاريا له أثره في تقدم افريقيا في الوقت الذي كانت فيه اوربا تحيا في عزلة حضارية و كأن دخول المسيحية الي هذه الاجزاء الافريقية قد قلب ميزان القوي و جعل هذا الركن من أفريقيا يلعب دوراً قيادياً في العالم.

و صارت الكنيسة القبطية هي أم كنائس افريقيا، إليها يتطلع الأفارقة يرضعون من لبنها العديم الغش و يرضعوا و يشبعوا من ثدي تعزياتها و يعصروا ويتلذذوا من درة مجدها، وهنا تصبح الكنيسة المرقسية أمّاً حنونا ترعي و تشرف و ترسم الأساقفة و تدير الشئون الروحية حتي إن الأقباط جالوا في أفريقيا مع كنيستهم يتحملون عبء المباني و الرسوم و الفن دون ان يلغوا وجود الثقافات الأفريقية بل أتاحوا المجال للفنان الأفريقي ان يرسم و يعبر و يكتب شعراً و نثراً لاهوتاً و تفسيراً، و هنا قامت كنيسة الإسكندرية بتوحيد مصر مع السودان و مصر مع الحيشة و مصر مع ليبيا علي الأقل في وحدة الكتاب المقدس و وحدة الطقس

الكنسي و وحدة اللاهوت و وحدة القداس الإلهي و وحدة الهرم الكنسي الذي يأتي علي قمته بابا الإسكندرية الذي يشرف بأبوة روحانية علي كنائس أفريقيا و الذي لا مانع عنده أن تتأخي كنائس الأبناء مع أبوته فكنيسة اثيوبيا الآن كنيسة أخت للكنيسة القبطية بحسب آخر بروتوكول بينهما.

مصر و ليبيا : لقد صنعت كنيسة الإسكندرية وحدة روحية قوية مع كنائسها في افريقيا فوحدت بين مـصر و السودان في كنيسة النوبة التي استمرت عشرة قرون ، و وحدت بين مصر و إثيوبيا الحبشة أكسوم و التي تحفل حتي الآن بتراث روحي غني و مشترك كما وحدت مصر مع ليبيا و التي بدأ فيها مرقس الكرازة قبل أن يأتي إلي الإسكندرية، و أفرد مقالي هذا للحديث عن وحدة مصر و ليبيا من خلال كنيسة الإسكندرية و تأتي قمة هذه الوحدة في أحاديث المطران الليبي سينيسيوس أو أثناسيوس الليبي كما يحلو لي أن أدعوه، و لديه عدة مكاتبات مع البابا ثاؤفيلس الذي رسمه مطرانا بجواره رغم انه متزوج و له ثلاثة اولاد و قال في أحدي رسائله للعاهل القبطي: نحن نتطلع إلي الإسكندرية حيث تبتهج قلوبنا كما نتطلع نحو أمنا سيرين، و قد أعجب مطران ليبيا بإهتمام البابا القبطي و كتب اليه ما نصه: إلي رئيس الأساقفة الحكيم أتمني لكم راحة البال و طول العمر و قد نلنا بركة عظمي بدوام حياتك و بإنجازاتك الرائعة في مجال التعليم المسيحي بما كتبت من سلسلة رسائل عيد الفصح التي تزداد علي مر الأيام، و أن الرسالة التي أرسلتها لنا في العيد الأخير قد ثقفت و أبهجت مدننا الخمس كثيراً بما فيها من طراوة اللغة و عمق الأفكار.

و قد أضفي مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥م الصفة الرسمية لسلطة بابا الإسكندرية علي مصر و ليبيا والخمس مدن الغربية و إقترنت مصر مع ليبيا و الرسالة الي شعب مصر و ليبيا و قد حفظ لنا التاريخ حتي القرن التاسع عادة إرسال بأبوات الإسكندرية لرسائل عيد الفصح لكل الكنائس المصرية و الليبية.

مصر مع ليبيا كانا وحدة واحدة خلال العصر المسيحي في ليبيا و الذي بدأ منذ القرن الأول حتي ما بعد القرن الثالث عشر و مظاهر هذه الوحدة نذكر من بينها وحدة الكارز لأن مصر و ليبيا لهما كاروز و مبشر واحد هو مرقس الرسول و وحدة القداس الإلهي حيث إعتمدت الكنيستان القداس الذي كتبه مرقس الرسول و

نظمه البابا كيرلس، و وحدة الكنائس لان الكنائس في مصر و ليبيا ذات طراز واحد تتجه نحو الشرق و تزين بحامل الايقونات وفق نظام واحد في كل الكنائس يضع الصليب في القمة و تحته الإثني عشر رسولاً ثم أيقونة السيد المسيح علي اليمين و العذراء علي يمين السيد المسيح، و وحدة اللاهوت حيث كانت القضايا اللاهوتية موضع إهتمام البابا الإسكندري و متابعة أساقفة و مطارنة ليبيا، و وحدة الطقوس أو النظم و الترتيبات الكنسية و وحدة تبادل الكهنة و حضور أبناء ليبيا إلي المدرسة الإكليريكية بالإسكندرية و خدمة كهنة ليبيين في مصر و أقباط في ليبيا، و وحدة التقويم حيث كان سكان ليبيا يستعملون الشهور القبطية و يقول العالم الأمريكي هيلارد أن ليبيا الشرقية تتجه دائماً نحو مصر و يقول الأثري بيركنز أن العمال و المهندسين الأقباط قد إشتركوا في بناء الكنائس في بنتابوليس و بقاياها الحالية تكشف عن تأثرها الواضح بكنيسة الإسكندرية و كانت مصر مكان العلم لأهل ليبيا و كانت ليبيا اجمل منفي لباباوات الإسكندرية حيث قضي البابا ديوناسيوس و البابا أثناسيوس فترات طويلة في بنتابوليس أثناء الإضطهادات و كان الباباوات يزورون ليبيا زيارات رعوية و كان المطارنة يزورون الكنيسة الأم في مصر.

١١٢. مطارنة ليبيا في المجامع المسكونية

المجامع المسكونية :- يقصد بالمجامع المسكونية إجتماع بطاركة و أساقفة كل كنائس العالم و تأتي كلمة مسكونية بمعني تمثيل كامل لكل كنائس المسكونة و في الوقت نفسه إجماع مسكوني كامل و لديّ الكنيسة عموماً أربع مجامع مسكونية كانت تمثل كل المسكونة و كل الكنائس و هذا قبل الإنشقاق إلي كنيسة غربية و كنيسة شرقية، و إنقسمت الكنيسة في مجمع خلقيدونيا عام ٤٥١م و بعد هذا الإنقسام لا يمكن ان توجد مجامع مسكونية بمعني مسكونية العالم و وحدة الكنيسة و أي مجمع بعد هذا التاريخ يمكن أن يكون مسكونياً لكنائس الكاثوليك في المسكونة او لكنائس الارثوذكس في العالم كله و لكنه يفقد الإجماع الكنسي الذي فقدته الكنيسة.

(١) و أول المجامع المسكونية هو مجمع اورشليم الذي إنعقد في عام ٥١م لمناقشة أمر هام يرتبط بدخول الأمم الي المسيحية و كان هناك رأيان متعارضان أولهما أن يدخل الأممي بواسطة طقوس اليهودية أي الختان و

التطهير و ثانيهما ان يدخل الأممي إلي المسيحية مباشرة دون الإلتزام بأي طقس أو نظام يهودي ! و يذكر الإصحاح الخامس عشر من سفر أعمال الرسل هذا المجمع الذي حضره أكبر هامات الرسل في كنيسة الرسل و الذي نوقشت فيه قضية الامم و تبودلت الكلمات ذات البراهيـن و الإقناع من بطرس الرسول الذي رفض ان يوضع نير علي عنق التلاميذ لم يتحمله الآباء و لا الأبناء و جاء بعده حديث يعقوب الرسول و الذي قال ان لا يثقل علي الراجعين الي الله من الامم بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام و الزني و المخنوق و الدم! و أجمع الرسل رؤساء الكنائس علي هذا و أوكلوا المهمة الي بولس يرافقه برنابا و سيلا و يهوذا لنقل قرار المجمع إلي الكنائس و يقول القرار أنه قد رأي الروح القدس و نحن أن لا نضع عليكم ثقلا اكثر غير هذه الأشياء الواجبة ان تمتنعوا عما ذبح للأصنام و عن الدم والمخنوق و الزني التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعماً تفعلون . كونوا معافين! و حاملي الرسالة جمعوا الجمهور و رفعوا الرسالة التي لاقت قبـولا و فرحاً و صارت مصدر تعزية للامم! و يلاحظ هنا ان هناك رأياً جمعياً أجمعت عليه كل قيادات الكنيسة و كتب في صيغة قرار ملزم لكل الكنائس و لم يخرج أحد علي هذا الإجماع بعد هذا الإجتماع في مؤتمر مسكوني لكل الكنائس.

(٢) و يأتي بعد هذا المجمع المسكوني الثالث بعد قرابة ثلاثة قرون و أقل قليلا و بالتحديد في عام ٣٢٥م و كانت الكنيسة قد إتسعت و حضر المجمع ثلثمائة و ثمانية عشر اسقفاً و كان من بينهم بعض المعترفين الذين اعترفوا بالمسيح و كانوا قاب قوسين أو أدني من الاستشهاد و لكنهم لم يستشهدوا بسبب وقوف سيل الاضطهادات و ما لحقها و كان بعضهم قد أطلق سراحه من السجن بواسطة الإمبراطور قسطنطين ! و قد إهتم هذا المجمع بمناقشة بدعة أريوس الكاهن الليبي الجنس الذي كان كاهناً في مدينة الإسكندرية و حرم أريوس و كتب قانون الإيمان النيقاوي و الذي صاغ عباراته أثناسيوس عندما كان شماساً و صار هذا القانون عاماً لكل كنائس المسكونة و يبدأ بالقول بالحقيقة نؤمن بإله واحد! و قد أصدر هذا المجمع عشرون قانوناً أخري من بينها القانون السادس الذي يقر بمسئولية بابا الاسكندرية عن ليبيا والخمس مدن الغربية حيث يرسم لها مطارنة و أساقفة.

(٣) المجمع الثالث هو مجمع القسطنطينية الذي انعقد عام ٣٨١م من مائتي أسقف تحت إمرة الملك ثيؤودوسيوس و الذي كان يرغب في إستئصال كافة

البدع و الهرطقات أهمها هرطقة مقدونيوس الذي أعتبر ان الروح القدس مخلوق و قد أضاف هذا المجمع إلي قانون الإيمان نصاً يؤكد لآهوت الروح القدس و إنه منبثق من الآب.

(٤) أما المجمع الرابع فهو مجمع أفسس المسكوني تم انعقاده في مدينة أفسس عام ٤٣١م تحت رئاسة البابا كيرلس الاسكندري و حضره مائتي أسقف و ناقش بدعة نسطور و أقر مقدمة قانون الإيمان التي تعطي مريم العذراء مكانتها اللائقة بها.

مصر و ليبيا : و كانت مصر و ليبيا معاً في ساحات هذه المجامع لأن كنيسة الخمس مدن الغربية كانت تحت رعاية بابا الاسكندرية الذي كان يذهب إلي المجامع و يأخذ من يمثل ليبيا و كان مطران ليبيا يوقع علي قرارات هذه المجامع و هنا نذكر أن مجمع نيقية حضره زفريوس الليبي أسقف مدينة برقة و الأسقف واثيس أسقف برنيس، و الاسقف تيطس أسقف مرسي مطروح، اما مجمع القسطنطينية فقد حضره الأسقف مكسيموس أسقف زاجليس الآن سيدي براني، و يمثل أساقفة ليبيا حضوراً مكثفاً في مجمع افسس حيث كانت كنيسة ليبيا قد انتعشت و تكاثر عدد المؤمنين و الكنائس و قد حضر الأسقف زنوبيوس و وقع علي قرارات المجمع باسم أسقف برقة، و الاسقف افوبتيوس شقيق سينيسيوس المطران المشهور و صوَت مرتين ضد هرطقة نسطور، و الأسقف صموئيل من إسقفية ديثيس، و هكذا كان أساقفة ليبيا شركاء في المجامع المسكونية و شركاء في إتخاذ القـرار و لهم دورهم و دفاعهم و لاهوتهم و نقاشهم و مساجلاتهم.

١١٣ . أدبيات المطران الليبي

المطران الليبي : يعد المطران سينسيوس أو كما أسميه أثناسيوس الليبي من أشهر أساقفة الخمس مدن الغربية قاطبة في تاريخها الطويل و قيل عنه انه أعظم نائب لبابا الاسكندرية في بنتابوليس و وصفه «هاردي» بأنه أسقف فوق العادة، و كانت ثقافة هذا المطران ثقافة عالية بسبب تعليمه العالي كما يعد أكثر من راسل البابا ثاوفيلس و هو الذي أحبه و زوجه بفتاة مصرية و هو الذي رسمه مطراناً عن قناعة بشخصيته الفذة، و هو من مواليد ٣٧٠م وترك العالم في شبابه و له من العمر خمسة و اربعون عاماً، و رغم أن مدته مطراناً هي خمس سنوات و لكنها

مباركات مثل الخمس خبزات، و لقد ترك لنا آثاراً أدبية رفيعة كان قد بدأ الكتابة قبل رسامته مطراناً بل خاف من مسئولية المطرانية لئلا ينحدر بها من عرش الفلسفة و لكنه قال: سأدرك ان كرسي الكهنوت ليس انحداراً عن عروش الفسلفة وحياة السكون والتأمل بل علي النقيض سوف يكون درجة للصعود إليها.

و للمطران عدة مؤلفات من بينها دراسة عن العناية الإلهية، و أهمية شغل أوقات الفراغ، و كتاب عن الأحلام، و ملحمة شعبية في مدح فضيلة الشجاعة و عثر في آثاره علي ١٥٦ رسالة موجهة إلي أشخاص متباينين في مراكزهم الدينية والاجتماعية و الرسمية، كما عثر علي عشر قصائد وثنية طويلة و قد نظم أيضاً بعض الترانيم المسيحية، و أشعاره هي نوع من الشعر الفلسفي الصوفي و يعتبره البعض أصدق مثال للشعور الديني المسيحي في القرن الخامس و نقدم هنا بعض نماذج من أدبياته الرائعة و كلماته القوية و تعبيراته الرصينة.

(١) وقف سينسيوس أمام الأمبراطور قبل ان يتقلد منصب المطران و كان يمثل الشعب امـــام أركاديوس و يطالب بتخفيف عبء الضرائب و قال للامبراطور في القسطنطينية عقر دار الرئاسة: إن البر أساس الحكم، إن الملك يجب ان يكون أكثر نقاء و شفافية من الجميع و أن يكون جندياً يعيش بين خبراء القتال، و بيَن للملك واجبات المُلك في السلم و دعاه إلي الإهتمام بالقيم الروحية و دراسة الفلسفة.

(٢) في عظته الأولي بعد رسامته مطراناً يقول مخاطباً كل مؤمن: لكي تكون بإشتراكك في الإحتفال بالعيد مستحقاً لنوال نعمة الله، لا تجعل قلبك يميل إلي ملذات المائدة بل قدم للرب كأساً من عصير الزهور المروية بدموع التوبة، و لقد كان هذا المطران رساماً و رسم العديد من اللوحات و كانت كتاباته لوحات فنية أجاد فيها الرسم بالكلمات.

(٣) في العظة الثانية له يقول : إنها ليلة مباركة تجلب النور للأثمة، نوراً أعظم من ضوء شمس النهار، أنظروا إنه ليس من اللائق علي أية حال أن تقارن أجمل الاشياء علي الارض بالخالق النور الحقيقي الذي تستنير به النفوس المظلمة، فهو يشعل الشمس الملموسة، و هو الذي يحل فينا و يقدسنا، و إن سرت بهذا الإدراك امكن لروحك ان تسعد و إلا ستشقي كل أيام حياتك.

(٤) كان في أول اسقفيته متأثراً بأساطير التراث اليوناني و يذكر عندما تحدث

عن نزول المسيح إلي الجحيم و فك أسري الرجاء الكلب الخرافي سربروس الذي يعض الأشرار في العالم الآخر كما يذكر تيتان الإله الإغريقي صاحب القوة الخارقة و يقول:

نزلت الي الهاوية
حيث قبضت المنية
علي أعداد هائلة من الناس
!!!
و خاف منك المكان القديم
و هرب عنك «سربروس « العظيم
،،،
حررت أرواح الأبرار من وسط الظلام
بعدما تحملت وحدك الآلام
و قدمت للآب ترنيمة الحمد و ذبيحة السلام
!!!
و عند صعودك إلي العلاء
تزعزعت شياطين الهواء
و ترك « تيتان « مفاتيح الأضواء
!!!
و عرف إنك ابن الرب
الكلي الفهم و الحب
مصدر النور و اللهب

(٥) و سرعان ما تعمق سينيسيوس في حب الله وتفهم مدارك اللاهوت و طالب الناس بالإختلاء مع الله:

ما أسعد الهارب من نداء الذهب
و كل من ترك أرض التعب
بعدما تعلّق بخطي الرب
+ + +
ما أبهج الذي بعد قسط من الضيق

وبعد تجرُّع مرارة الطريق
يحيا في تأمل بفكر دقيق
في ظل الإله الصديق

+ + +

قومي يا نفسي ارتوي من نبع الحياة
و أعبدي الرب الإله
و أصعدي للعلا بلا توان عن النجاة
و اصطلحي مع فادي الخطاة

(٦) و اختم هذه المختارات بأن هذا المطران كان له العديد من الصلوات فهو يصلي من أجل زوجته و من أجل ابنائه من اجل نفسه و في صلاته الوداعية قبل رحيله يقول: أيها المسيح الساكن في الاعالي، ارحم عبدك الخاطئ المسكين، الذي كتب هذه الترانيم ، و حررني من الخطايا التي دخلت إلي قلبي و إسمح لي أن اعاين بعد رحيلي مجدك السمائي.

١١٤ . مطران ليبيا القديس و الأديب

الخمس مدن : تعد الخمس مدن الغربية مركز تبشير القديس مرقس الرسول فهو من مواليد القيروان و هي سيرين التي أنشأها الإغريق في الجبل الاخضر بعيدة عن الساحل لتكون في مأمن من خطر قراصنة البحار و قد قدمت مدينة القيروان أيضاً سمعان القيرواني الذي حمل صليب المسيح (مرقس ١٢:٥١) و أيضاً لوكيوس القيرواني الذي كان من الأنبياء و المعلمين في الكنيسة الأولي (اعمال ١:٣١) و إسم القيروان صار علماً علي الإقليم كله أما باقي الخمس مدن الغربية و التي كانت تسمي « بنتابوليس « أي الخمس مدن فهي برنيق و محلها الآن بنغازي، و برقة و تسمي حالياً المرج و طوشيرا و تسمي طوكرة و هي ميناء بحري و تغير إسمها لتصبح « أرسينوس « علي إسم أم بطليموس الثالث و أبولنيا و التي هي مرفأ سوسة و كل هذه المنطقة تكون ليبيا الحالية و التي كانت كلها عن بكرة أبيها في القرون الأولي تدين بالمسيحية التي لم يبق منها الآن سوي إسم ميلود أي ميلاد و

وشم هو علامة الصليب يرسم وشماً علي الايدي و علي الاخص إبهام اليد اليمني وقاية من حسد الحسّاد ، و قد كانت كنيسة ليبيا ذات زخم روحي عميق و كنائس و أديرة و شمامسة و شمّاسات و رهبان و راهبات في نمو روحي مذهل و علي غرار الرهبنة القبطية و امتلأت صحراء ليبيا بالنساك و المتوحدين و السوّاح و يقولون إن الحركة الرهبانية تنامت كما و كيفا في عهد الجماعات الرهبانية الشهيرة بدءا بعام ٢٧٠م ثم استقرت في أديرة ثابتة و يؤكد الباحثون في مسيحية ليبيا وجود آثار باقية لنحو ستمائة دير في المنطقة الممتدة من الإسكندرية حتي السلوم، و كانت رعاية كنائس ليبيا مسئولية الكنيسة القبطية الارثوذكسية و كان البابا القبطي يرسم الأساقفة للخمس مدن الغربية و كان يلقب بابا الإسكندرية والنوبة و الخمس مدن الغربية و قد كثرت الأديرة في « مارماريكا» و يقول المؤرخ بلاديوس أن الأميرة الرومانية ميلانيا قد أبلغته أنها أعطت مبلغاً من المال للأنبا بموا ليوزعه بنفسه علي الإخوة الرهبان في ليبيا لأن أديرتهم فقيرة جداً و كان هذا عـــام ٣٩٢م و هذا يعني فوازرة الأديرة الليبية لنفس تاريخ الرهبنة القبطية و لا مانع أن يكون شباب ليبيا قد قصدوا أديرة مصر و شباب مصر قد قصدوا أديرة ليبيا .

المطران الأديب : و من بين مطارنة ليبيا يتألق المطران الليبي « سينسيوس» و ربما تكون من إسم اثناسيوس هذا رأيي و قابل للنقاش، كان هذا المطران قد تمت رسامته بواسطة البابا ثاوفيلس و تاريخ المطران ٣٧٠ -٤١٥م ، و كان متزوجاً من أمرأة مصرية و قال عنه دكتور « نايل» أنه أعظم نائب لبابا الاسكندرية في بنتابوليس و وصفه آخر بأنه «أسقف فوق العادة» و كان أكثر أساقفة ليبيا إتصالاً بالكنيسة الأم في مصر بسبب ثقافته العالية و روحانياته الرفيعة و كان صديقاً حميماً للبابا القبطي ثاوفيلس و كان يعتز بأنه تلميذ الأستاذة هيباشيا أستاذة الفلسفة الأفلاطونية الجديدة في مدرسة الإسكندرية الوثنية وظل يراسلها حتي بعد رسامته مطراناً، و كان قائداً حربياً لامعاً، و تلميذاً مجتهداً لأساتذة الفلسفة، و كان شخصيته قيادية أرسله أهل بلده موفداً لمقابلة الإمبراطور البيزنطي و هناك قدم أقوي مرافعة في خطابة بليغة و صريحة بين فيها واجبات الملك في السلم و دعاه إلي الإهتمام بالقيم الروحية و دراسة الفلسفة، و كان رساماً يجيد رسم اللوحات الفنية كما كان هاوياً لعلم الفلك ، و هو يعد مؤسساً للفلسفة الواقعية،و كان متردداً في قبول

الرسامة اسقفاً لبلاد ليبيا هارباً من هذه الكرامة و كانت من أعذاره أنه متزوج بإمرأة يحبها جداً و له منها ثلاثة أولاد و توجه وفد كبير من شعب بنتابوليس إلي البابا المرقسي يلحون علي اختياره أسقفاً و لهذا شعر سينيسيوس أن هذه هي إرادة الله و وافق علي الإنخراط في سلك الكهنوت الليبي و تمت رسامته عام ٤١٠م بحسب أجماع الآراء، و ارسل من خلوته رسالة الي الأباء الكهنة يقول لهم اليست القوة الإلهية هي التي سمحت بضعفي و هي نفسها الهمتني بالموافقـــــة و سوف تساند خدمتي لأنني أعتقد أنني لست أهلاً لهذا العبء الثقيل لذلك هل ترفعون أيديكم إلي الله للصلاة من أجلي و اطلبوا من كل الشعب أن يصلي من أجلي و أنا مقتنع أن كرسي الكهنوت ليس إنحداراً عن عروش الفلسفة بل علي النقيض هو خطوة للصعود اليها، و واضح أن هذا المطران الليبي فيلسوف و قديس و أديب حتي أنه أحدهم قال عنه إنه أقرب إلي عالم الأدب منه إلي عالم القداسة ، و له تراث كبير من العظات و قصائد الشعر الروحية و العظات الفلسفية و لم يمر علي كنيسة ليبيا مطران بمستواه الأدبي و الفلسفي و الروحاني و كانت عظاته منظمة و منسقة و مركزة.

١١٥. سائح من ليبيا

الآباء السّواح : امتلأت الكنيسة القبطية بطغمة الآباء السّواح الذين عاشوا السياحة الروحية و تركوا الكـــــل و التصقوا بإله الكل الكائن علي الكل إلهاً مباركاً و الآباء السّواح هم بشر مثلنا يأكلون و يشربون و يجوعون و يعطشون و لكنهم يتركون العالم و ينصرفون من أديرتهم إلي أماكن خلاء بعيدة عن عيون الناس و هناك يتعبدون للرب طول الوقت لا يهمهم ما يأكلون فقد يأكلون من عشب الأرض و يهيئ لهم الله ماء الشرب قدر حاجتهم، و في القرآن الكريم كلام عن هؤلاء السّواح و ذلك لأن الأدب الإسلامي له خلفية من الكنيسة القبطية الأرثوذكسية و جاء الحديث عن السّواح و عن السائحات و عن السياحة، والسائحون هم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون أما السائحات فهن قانتات تائبات عابدات سائحات و عن السياحة يقول القرآن الكريم فسيحوا في الأرض أربعة أشهر و السّواح يسيحوا

في حب الله، و يسيحوا في الأرض زمناً طويلاً حتي تنتهي حياتهم و قد لا يعرف عنهم أحداً شيئاً إلا قبل رحيلهم بأيام معدودة، و بعض الآباء السّواح رهباناً في الأديرة يتركونها و يتعبدون في أعماق الصحراء و بعضهم يذهب للسياحة الروحية دون ان يبدأ برهبنة الدير، و عندما كان قداسة البابا راهباً متوحداً في مغارة بالجبل ناجي السائح الروحي قائلاً:

كل ما حولك صمت و سكون
و هدوء يكشف السر المصون
اعتزلت الناس حتي ما تري
غير وجه الله ذي القلب الحنون
و تركت الكون بل انسيته
لم يعاودك إلي الكون الحنين
هل تري العالم إلا تافهاً
يشتهي المتعة فيه التافهون
أنت لحن الروح يسري هادئاً
يسكب النشوة في القلب الأمين
أنت قلب هائم في حبه
انت سر ليت شعري من تكون
انت روح سارح في عمقه
يجتلي الأعماق في صمت رصين
أنت في صمتك سراً لن يري
قدس أقداسه إلا الصامتون

سائح من ليبيا : طلب مني مؤتمر الدراسات الإفريقية الذي يقام في جامعة القاهرة قسم الدراسات الإفريقية أن أقدم ورقة بحثية عن كنيسة الإسكندرية في ليبيا لأن مرقس مبشر كنيسة الإسكندرية من مواليد ليبيا و لأنه إهتم بالتبشير فيها قبل الاسكندرية ثم بعد الاسكندرية ذهب يفتقد القطيع الصغير في ليبيا، و قد إشتهرت ليبيا بالكنائس و الأديرة و الرهبنة و الأساقفة رجال اللاهوت الفلاسفة و الأدباء و

الشهداء و الأباء السواح الذيـن تعمقـوا و ساحوا في الأرض و عاشوا كطيور السماء و قد أعجبني جداً سيرة القديس الليبي السائح مرقـس المتوحد و الذي هو من قديسي القرن الرابع الميلادي، و قد وجدت سيرته في مخطوطة يونانية قديمة، و هو من الأباء السواح الذين عاشوا أطول مدة بعيداً عن العالم فهو عاش مائة و ثلاثون عاماً و لمدة خمس و تسعون عاماً لم ير إنساناً قط و تبدأ القصة بأن القديس السائح القبطي سرابيون ظهر له ملاكان حدثاه عن شيخ متوحد يسكن جبل «برقة» في ليبيا و لم يكن السائح القبطي يعرف أين توجد برقة هذه و عندما سأل استدل علي المكان فسار رحلة مداها ثلاثون يوماً إلي أن وصل و عند وصوله سمعه يقول: يا رب أن يوماً واحداً في حضرتك خير من ألف عام في قصور البشر، ثم التقي مع السائح الليبي و سأله عن الناس وعن الإيمان و عن الخدام وعن العجائب الروحية و راح السائح الليبي يحكي قصته إلي الأنبا سرابيون و يقول له ها قد مرت خمسة وتسعون سنة قضيتها في هذا الكهف و علي هذا الجبل المقدس، لم أذق فيها أي طعام بشري، و لم ارتد ملابساً ما عدا تلك ، و في الثلاثين عاماً الأولي عانيت بشدة من الجوع والعطش و العري، و كم يكون كل هذا التعب اذا ما قورن بفخاخ الشيطان، كان طعامي طين الغدير و شرابي ماء البحر ، و قد اقسمت الشياطين ألف مرة علي دفعي الي هوة سحيقة إلي أسفل الجبل و كانوا يطلقون صيحات مزعجة و يقولون : أخرج من هذه المنطقة التي إغتصبتها منا لأنه منذ خلق العالم لم يتجاسر إنسان علي التواجد فيها، و بعد مدة طويلة اشفق الله عليّ و منح جسدي قوة خاصة و قد ذقت سعادة الفردوس و رأيت نعيم الملكوت و بالايجاز فأن الله لم يرفض لي رغبة في التعمق في المعرفة و في التأملات الروحية، و قال السائح الليبي لضيفه إن هذه الليلة هي آخر أيامي و سأرحل إلي الأبدية و هيا بنا نصلي، و فجأة أضاءت مغارة السائح بنور مبهر و تعطرت برائحة جميلة و قال السائح وداعاً أيتها المغارة الغالية التي عشت فيها مع الله روحاً و جسداً و ستحتفظين بجسدي حتي يوم القيامة، وداعاً أيها الجسد موضع الكد و التعب و العوز، بسببك عانيت من الجوع و العطش و البرد والحر، و الآن تقلد المجد و البهاء، وداعاً عيناي اللتان سهرتا الليالي الآن أغلقا الجفون، وداعاً قدماي العاريتان اللتان كلّتا من الوقوف طويلاً

خلال الصلاة، وداعاً إخوتي النسّاك القديسين الذين يعيشون في مغارات الجبال و المتوحدين في الصحاري، وداعاً أيها المضطهدون من أجل ملكوت السموات، وداعاً يا مؤمني الكنيسة ، وداعاً أيها المساكين بالروح، وداعاً أيتها الأرض ليعش كل من عليك في سلام و في محبة المسيح، و في تلك اللحظة أسلم السائح الليبي الروح و قال سرابيون لقد أقمت قبراً لرجل لم يكن العالم مستحقاً له ثم عاد الي موقعه بعد أن رقد السائح الليبي في سلام راحلا الي الأبدية السعيدة.

١١٦- العذراء مريم والمرأة النوبية

العذراء مريم :عندما نقول العذراء بالألف واللام يكفى أننا نشير إلى هذه القديسة الطاهرة مريم العذراء.. هذه العذراء التى أحبها المسيحيون محبة كبيرة.. وأكرمها المسلمون إكراما كبيراً.. فهى عند المسيحيين الطاهرة الحنون.. الإكليل غير المضمحل.. العروس الطاهرة.. الحمامة الحسنة.. أم عمانوئيل.. نعمة إبراهيم. خلاص إسحق. فخر يهوذا. كرازة موسى.. الحجر الجوهر.. رفعة الصديقين.. خلاص أشعياء.. نعمة أليشع.. التى شهد لها جميع الأنبياء .. عصا هارون.. أم الكلمة.. الزهرة المقدسة التى للبخور.. التى ولدت الكلمة بغير زرع بشر.. تابوت عهد النعمة.. جنة وفردوس.. زرع طاهرمبرور.. سالمة من الشرور.. شفيعة فى المؤمنين. صلاحاً للخاطئين.. ضياء فى البرية.. طاهرة ونقية.. غالية وثمينة.. فاضلة وأمينة.. لوح العهد الجديد.. معونة لمن يريد.. نسل طاهر مغبوط.. هيكل نقى مضبوط.. ياقوت غالى الأثمان.. زهرة فى البستان .. خليلة سليمان.. دواء يبرى التعبان.. ويضعون على مريم فى الصلوات أكاليل من ذهب ..وأكاليل من فضة.. وعلى رأسها إكليل جوهرى، فهى القديسة العظيمة المؤمنة ، والتى قيل عنها طوبى لمن آمنت باسم الرب..

والعذراء مريم يكرمها الإسلام ، إكراماً عظيماً.. ورغم أن القرآن الكريم لم يذكر فيه إسم أى واحدة من بنات حواء حتى حواء نفسها. ولكنه ذكر إسم مريم عدة مرات...و أطلق إسمها الميمون على إحدى سور القرآن الكريم ، وهى مريم الصديقة التى صدقت كلام الله.. المؤمنة برسالة السماء.. التى عاشت فى المحراب

تتعبد وتتهجد حتى تحركت السماء نحوها وكانت رسالة الله إليها: يامريم إن الله إصطفاك وطهرك وإصطفاك على جميع نساء العالمين.. يامريم أقنتى لربك وأسجدى ، وأركعى مع الراكعين.. إذ قالت الملائكة : إن الله يبشرك بكلمة منه ، إسمه المسيح ، عيسى بن مريم ، وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين.. وأذكر فى الكتاب مريم إذ إنتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فإتخذت من دونهم حجابا، فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا...

المرأة النوبية: والمرأة النوبية وعلى الأخص فى العصر المسيحى والذى غطى وبدون إنقطاع تاريخى مدة عشرة قرون وبعدها إستمر فى كيان المجتمع النوبى ، تقاليدا وعادات وللمرأة القبطية مكانة كبيرة لدى المرأة النوبية ، لأن الكرازة بالمسيحية بدأت إنطلاقاً من إمرأة قبطية ، هى الملكة ثيؤدورة أى عطية الله .. وكانت زوجة الإمبراطور جوستنيان الرومانى ، والذى كان قد أرسل بعثة إمبراطورية لتبشير ممالك النوبة المسيحية بعد أن أصدر قرارا بإغلاق معبد الالهة إيزيس.. والذى كان يحج إليه أهل النوبة فى أسوان . وكانوا يأخذون تمثال الملكة فى إحتفال بهيج .. ويمرون به في شوارع المدينة ، ويقصدون نهر النيل للحصول على البركة .. وشعر الإمبراطور أنه قد آن الأوان لكى تدخل المسيحية إلى النوبة، وجهز بعثة من المبشرين وكهنوت ومعلمين ولاهوتيين.. وزود البعثة بخطابات توصية لحكام الأقاليم المصرية، وعلى الأخص أسوان..

وكان هذا فى القرن السادس الميلادى ، بعد إنشقاق الكنيسة إلى غرب وشرق.. إلى أهل الطبيعتين والطبيعة الواحدة للسيد المسيح، ويبدو أن الإمبراطور حكى وهو من الكنيسة الغربية لزوجته القبطية الأورثوذكسية عن ما أداه من عمل روحى تبشيرى عظيم .. فلقد وضعت عليه الضرورة .. وويل له إن لم يبشر.. ولكن المرأة القبطية كان لها تطلعات أخرى.. فهى تحب كنيستها القبطية وتعتز بها وبإيمانها الأورثوذكسى.. وتعضد على الحفاظ على التخم القديمة الذى وضعه آباؤها ، فأسرعت هى إلى إرسال بعثة تبشيرية آخرى يرأسها راهب قبطى هو يوليان ، الرجل الذى إمتلأ قلبه بمحبة السودان فى مملكة النوبة.. فأرسلته على رأس مجموعة للتبشير وزودته بالمؤن والكتب.. وكان قلبه قد إمتلأ بمحبة التبشير وتنقل بنشر المسيحية وسط مملكة النوبة .. وزودت الإمبراطورة القس يوليان ،

بخطاب إلى حاكم أسوان لكى يعطل بعثة الإمبراطور إلى وقت .. حتى تدخل بعثتها التبشيرية .. وقد كان..

وبعد هذا ظهرت المرأة النوبية فى العصر المسيحى ، ملكة تجلس عن يمين الملك.. إمرأة قلبها يمتلىء بدفء الحنان والحكمة .. وحسب تقليد النوبة كانت الملكة الأم لهامكانتها ورؤياها وطموحاتها.. فبدأت تؤدى رسالتها خير أداء.. وقد رسم الفنان النوبى الأميرة النوبية مرثا وهى فى حماية القديسة مريم العذراء.. وبينما كان مجد مريم يتعظم.. فى المشارق والغروب كان مجدها يتألق فى مملكة النوبة المسيحية.. ورسم الفنان النوبى مريم العذراء تحمل الطفل يسوع .. ووضعت صورة مريم العذراء على يمين السيد المسيح.. وصارت مريم العذراء قدوة صالحة، للمرأة النوبية ، حتى أن مريم إنعكس جمالها عليها ، فرسم الفنان النوبى ، مريم العذراء فى ملامح نوبية وفى سمرة جمالها..

١١٧. مرحباً بالزيت المقدس في كنيسة الشهيدين المقدسة الجمعة ١٢ طوبة - ٢١ يناير ٢٠٠٠

(١) في يوم الاثنين ٢٠٠٠/١/٢٤م حضر نيافة الأنبا دانيال مطران الخرطوم المكرم و قد عاين الصور و وضع يده المباركة علي الزيت الناضح علي صورة السيد المسيح و علي صورة السيدة العذراء مريم و هي تحمل الطفل يسوع و شم الرائحة الزكية و قال نيافته ليتمجد اسم الرب القدوس.

(٢) أمسية يوم الثلاثاء ٢٠٠٠/١/٢٥م حضر نيافة الانبا تيطس أسقف الكنيسة اليونانية الروم الأرثوذكس و عاين الأيقونات و أخذ بركة الزيت المقدس و القي باللغة اليونانية كلمة تشجيع و أقام تمجيداً مع أبونا اليوناني.

(٣) في يوم الاثنين ٢٠٠٠/٢/٢م حضر نيافة الأنبا صرابامون أسقف أم درمان و زار الكنيسة و أخذ بركة الأيقونات و قال ما أبعد أحكام الله عن الفحص ثم أضاف ان عمل الله لا يمكن أن يتوقف و قد لمس الزيت بنفسه و بيده المباركة. بركتهم تكون معنا آمين.

مرحباً بالزيت المقدس

في

كنيسة الشهيدين المقدسة

في صباح الجمعة الثاني عشر من شهر طوبة المبارك الحادي و العشرون من شهر يناير الشهر الأول في الألفية الثالثة للسيد المسيح إستيقظت كنيسة الشهيدين بالعمارات علي كنز من كنوز البركة حيث تفجر في هذا اليوم ينبوع خير و بشير حب و نذير سلام و أمانة و عندما كان في الكنيسة قطيع صغير يصلي و يبتهل الي الله.. و كان القس صليب فاروق يرفع الذبيحة أمام عرش النعمة .. و كان حاضراً القمص أبيب البراموسي.. و وسط صلوات المصلين و دقات تسبيح الدف .. و هزات موسيقي المثلث التريانتو لاحظ الشمامسة الذين يقودون موكب الترنيم و الترتيل لاحظوا معاً زيتاً ينضح علي حامل الأيقونات في عدة صور، بل في كل الصور التي تقف أمام المؤمنين تحت صور الاثني عشر رسولاً.. و في لحظة واحدة بل في لمحة واحدة نضح زيت مقدس علي عشر أيقونات هي بالترتيب من اليمين أيقونة السيد المسيح و الظهور الإلهي المجيد و مارجرجس أمير الشهداء و صورة القديس لوقا الطبيب و صورة القديس العظيم الأنبا انطونيوس أب الرهبان.. و من ناحية اليسار أيقونة السيدة العذراء تحمل الطفل العظيم ملك الملوك الرب يسوع المسيح و أيقونة البشارة.. وأيقونة رئيس الملائكة ميخائيل و أيقونة القديس مارمرقس و أيقونة القديس العجايبي مارمينا.. و مع العشر أيقونات و في نفس الوقت نضح زيت مقدس من صورة القديس المعاصر القس عبد المسيح المقاري المناهري صاحب شال المعجزات و صورة القديس العظيم الانبا انطونيوس المعلقة في مدخل الكنيسة الغربي.

مسار البركة:- و قد بدأت مسيرة البركة لتستمر حتي يومنا المبارك وهو اليوم الثاني من الشهر الثاني من الألفية الثالثة أي بعد مرور إثني عشرة يوماً علي هذا الحدث الاعجازي العظيم و كانت مسيرة البركة كما يلي:-

(١) صباح الجمعة ١٢ طوبة و مع برد طوبة الذي يجعل العجوزة كركوبة كان وسط البرد القارس كان دفء البركة و جاءت حرارة القديسين.. و المؤمن دوماً يجد الدفء و الحنان عند البرد في كلمة الرب الملتهبة.. كما يجد البرد و السلام وسط آتون حر العالم الملتهب سبعة أضعاف لأن الرب معه كما كان مع الفتية في آتون النار.. و في هذا اليوم العظيم الجمعة كانت الايقونات الأثني عشر تنضح زيتاً.. و قد لاحظ الحاضرون هذا و سرعان ما تفشي الخبر و عم كل العاصمة المثلثة و حضر كثيرون و هجموا بنفس

واحد علي البركة و أخذوا الزيت من الايقونات دون أي نظام و إلهنا إله ترتيب و نظام مما تسبب في إيقاف البركة و عدم نضح الزيت علي كل الصور..

و كان القمص فيلوثاوس فرج خارج الخرطوم و ذهبوا إليه يستدعونه للحضور للبركة و حضر القمص في الرابعة مساء و ذهب توا و مباشرة الي كنيسة الشهيدين .. و حكوا له عن آثار الزيت و رائحة الزيت .. و لكن شيئاً لم يكن موجوداً و رفع الكل قلبه الي الله و كانت الكنيسة تمتلئ بجموع الشعب الذين حضروا و إستجاب الرب للدعاء و نضح زيت في الجانب الايمن لصورة السيدة العذراء و كان هذا الزيت سبب بركة للكثيرين و رشم الأب كل الحاضرين و كان الزيت يظهر كلما ضغطه أبونا بالإصبع و أثناء هذا ظهرت هالة كبيرة غير الهالة الصفراء حول أيقونة السيد المسيح له المجد كما ظهرت نقطة زيت واضحة في جبهة القديس مارمرقس بالأيقونة الموجودة في مدخل الكنيسة الغربي يمين الباب الكبير و فجأة أيضاً و بمتابعة رؤيا الحاضرين ظهرت يد خلف السيد المسيح في الصورة تشبه يد مارمينا العجايبي و كأن مارمينا صنع هذا الجو العطر ثم وضع يده خلف السيد المسيح .. و أن كنا نعلم أن هناك ما يسمي أيقونة الحماية و فيها السيد المسيح خلف مارمينا فلا مانع أيضاً ان يكون مارمينا خلف السيد فكلنا نسير خلف المسيح و نتبع أثر خطواته فلقد ترك لنا مثالاً لكي نقتفي أثر خطواته .. و لا ننسي ان نذكر ان يوم الجمعة هذا هو ثاني يوم عيد الغطاس و هو أيضاً عيد رئيس الملائكة ميخائيل.

(٢) في يوم السبت ١٣ طوبة الموافق ٢٢ يناير ٢٠٠٠م و كان هذا اليوم يوافق عيد عرس قانا الجليل و هو عيد من الاعياد السيدية و عيد القديسة دميانة والقديسة مهرائيل و في هذا اليوم المبارك وسط هذا الزخم من تذكارات القديسين و في الصباح الباكر وجد الزيت في وجه السيد المسيح عند اللحية و ذلك في أيقونته التي يحملها حامل الأيقونات في كنيسة الشهيدين.

(٣) في يوم الاثنين الموافق ١٥ طوبة ٢٤ يناير و حوالي الساعة الثانية بعد الظهر كانت حركة الزيت المقدس ذات إيقاع سريع حيث ظهرت في أيقونة مارجرجس بحامل الأيقونات و في أيقونته الموجودة شمال باب الكنيسة الغربي وفي صدر مقصورة شهداء الفيوم ، كما ظهر الزيت علي أيقونة السيد المسيح فوق الجبهة علي شكل صليب إلي نهاية الانف و علي نفس المستوي في صورة السيدة العذراء و وجد أيضاً الزيت فوق تاج الطفل

يسوع في نفس الصورة.

(٤) في يوم الأربعاء ٢٦ يناير ٢٠٠٠م تحرك الزيت بغزارة علي شكل صليب ونضح فوق وجه مارمينا في صورة صغيرة معلقة في أخر الكنيسة بجوار المدخل الغربي و إستمر الزيت في النزول الي ان وصل الي حد ركبته بالصورة صباح يوم الخميس ٢٧ يناير ٢٠٠٠م.

(٥) و في صباح الجمعة الموافق ٢٨ يناير ٢٠٠٠م و بعد القداس الالهي مباشرة لوحظ وجود الزيت في شكل نقط علي أيقونة السيد المسيح بطرف الكم اليساري و علي ذراع السيد المسيح في أيقونة الظهور الإلهي و في أسفل صورة مارجرجس بحامل الأيقونات و في أسفل أيقونة القديس لوقا الطبيب و البشير.

(٦) و في صباح السبت ٢٠ طوبة بعد القداس الالهي بدأ الزيت الذي في ايقونة مارجرجس يتزايد مكوناً شكل حربة، و كأن الشهيد يؤكد للمؤمنين إنتصارهم علي عدو الخير .. و في الثانية عشر من ظهر يوم السبت نفسه بدأ أبونا يرشم البعض من الركن الأيمن في أيقونة السيدة العذراء مريم و إذا بالزيت فجأة يظهر بكمية أكبر و بشكل أوضح في نفس المكان..أما في الخامسة ظهراً فقد حضر وفد الي الكنيسة وهم الأب القمص مرقس فيلمون من أم درمان و القمص إيليا الانطوني من الخرطوم بحري و إثناء مرورهم علي الأيقونات ظهر صليب من زيت علي صورة مارمرقس بالمدخل الغربي للكنيسة و ثلاثة صلبان فوق أيقونته الكبيرة الموجودة في نفس المكان.

(٧) في مساء يوم الاحد الموافق ٣٠ يناير ٢٠٠٠م ظهر زيت بصورة وأضحة علي الصورة الكبيرة للشهيد مارجرجس الموجودة في المدخل الغربي.

(٨) في يوم الأثنين ٣١ يناير ظهر الزيت في صورة القديس العظيم الأنبا انطونيوس داخل الزجاج و تزايد الزيت في صورة مارمرقس.

سر الوقت:- إن الوقت الذي ظهرت فيه هذه الرائحة الذكية و الزيت المقدس في أيقونات كنيسة الشهيدين هو وقت فيه يأتينا دفء المحبة رغم برودة الجو وسط حضور القديسين وفي جو من التذكارات المقدسة و هذا وقت رضي بالله (مز ٦:٢٣) انه فعلا وقت لطلب الرب (هوشع ٢١:١٠) و لقد قال السيد المسيح يأتي وقت تقولون فيه مبارك الاتي باسم الرب (لوقا ٣١:٥٣) و الحمد لله لقد أتي هذا الوقت و هو وقت مقبول وزمن خلاص.

أ- برودة طوبة :- أتت إلينا هذه البركة في شهر طوبة المبارك والمشهور

بشدة البرد و ذلك لكي نحيا في دفء القديسين و حرارة الروح التي كانت لهم لأن حرارة الروح تنسينا برودة الجو.

ب- عصر القديسين:- و تأتي الينا البركة في الشهر الأول من العام الأول للألفية الثالثة للسيد المسيح وسط حضور القديسين. وعصرنا هو عصر القداسة و كنيستنا هي كنيسة القديسين و علي قمة هرم القداسة في كنيستنا يجلس سعيداً علي كرسي مارمرقس الرسول القديس البابا شنودة الثالث و في كنائس السودان نتمتع برئاسة الحبر الجليل الأنبا دانيال الرجل الروحاني الذي يجلس علي تلال من ذهب و نيافة الحبر الجليل الأنبا صرابامون الذي يجلس علي كرسي الحكمة و المشورة الحسنة و الشباب الطموح الواعد الصاعد بالكنيسة في مصاعد المجد.

ت- تذكارات القديسين: و قد بدأت بركة الزيت الطيب في كنيسة الشهيدين في اليوم الثاني لعيد الغطاس المجيد، في الذكري الشهرية لرئيس الملائكة ميخائيل ثم توالت بعد هذا أعياد القديسين.

* استشهاد القديسة دميانة.
* عرس قانا الجليل.
* القديسة مهرائيل.
* القديسان مكسيموس و دوماديوس.
* نياحة القديس العظيم الأنبا انطونيوس.
* نياحة القديسة ايلارية ابنة الملك زينون.

و قد تضافرت معا كل هذه العوامل لكي ندرك أبعاد سر الوقت المناسب لمجئ البركة لأن لكل امر تحت السموات وقت.

الرائحة الزكية:-و لقد لوحظ أن الزيت القادم الينا عبر صور القديسين زيت غير أي زيت آخر إنه زيت مقدس صنعته السماء و ليس معاصر الزيوت ان له رائحة زكية طيبة و لقد قالت إحدي بنات الكنيسة لقد صارت ثيابنا و أجسادنا تحمل هذه الرائحة الزكية.. و الرب دوماً يحب ان يتنسم منا رائحة الرضي (تكوين ٨:١٢) و يحب ان تكون ذبائحنا رائحة سرور للرب (عدد ٣:٥١) و هو يري في نفوسنا البشرية و يشم رائحة أدهاننا و هي أطيب من كل الأطياب (نشيد ٤:١٠).

و نحن في هذه المناسبة السعيدة و عندما فاحت رائحة الزيت في كل الكنيسة و انتقلت إلي أنفاس المؤمنين الحاضرين شعرنا بوجود الرب يسوع بيننا و كما امتلأ بيت لعازر في بيت عنيا برائحة الطيب عندما أخذت مريم منًا من طيب ناردين خالص كثير الثمن و دهنت قدمي يسوع و مسحت قدميه بشعرها (يوحنا ٢١).. هكذا شعرنا ببركة رائحة الطيب و ان كان الطيب قدمته مريم أخت لعازر عن البشر فان الطيب الذي في كنيسة الشهيدين هو مقدم إلينا من محب البشر الذي مات عنا.. و الذي يهبنا معه كل شئ.

و لقد تحدث بولس الرسول عن موكب الروائح الزكية الطاهرة.. موكب نصرة يقوده الرب يسوع .. و لكن شكراً لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين و يظهر بنا رائحة معرفته في كل مكان لأننا رائحة المسيح الزكية لله في الذين يخلصون و في الذين يهلكون لهؤلاء رائحة موت لموت و لاولئك رائحة حياة لحياة و من هو كفؤ لهذه الأمور (كورنثوس الثانية ٢ :١٤-١٦).

و لقد كان بولس نفسه يقبل بركات الإخوة باعتبارها نسيم رائحة طيبة ذبيحة مقبولة مرضية عند الله (فيلبي ٤ :١٨).

و الغريب ان القديسين يحملون الرائحة الزكية للمسيح في حياتهم و عند مماتهم ايضاً.. و إذا كان الموت يجعل رائحة الإنسان غير مقبولة فإن الله سمح لبعض القديسين ان يحملوا الرائحة الزكية في موتهم و بعد موتهم و هذه بعض الأدلة:-

١- يذكر سنكسار اليوم الخامس من شهر توت عن القديسة صوفيا التي عندما استشهدت أخذت إمرأة مسيحية جسدها الطاهر و لفته بلفائف ثمينة و وضعته في منزلها و في يوم عيدها كانت تظهر من جسدها الطاهر روائح طيبة مع إشعاع من نور.

٢- و عن الشهيد القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة يذكر السنكسار اليوم الخامس عشر من شهر توت المبارك أنه عندما تم نقل جسد القديس بعد ثلاثمائة عام من نياحته فاحت من القبر روائح طيب فاخرة، و سمعت أصوات الملائكة يسبحون قائلين المجد لله في الاعالي و علي الارض السلام و بالناس المسرة.

٣- يذكر سكنسار اليوم العاشر من شهر بابه أن القديس سرجيوس و الذي كان

من كبار الجنود المتقدمين في بلاط الملك مكسيميانوس و من أصحاب الحظوة لديه انه عندما أستشهد وضع جسده المقدس في تابوت من الرخام و شهد من قصدوه للتبرك ان دهناً طيباً ينبع من هذا الجسد شفاءاً للمرضي.

٤- تذكر سيرة القديسة كترينا انه حتي الآن تفوح من جسدها المسجي في ديرها رائحة زكية في يوم عيدها.

الخلفية الكتابية:- و للزيت مكان في الكتاب المقدس و له مكانة .. فالزيت بشير خير و نذير رخاء والزيت وعد مقدس بالبركة فلقد أسكن الله شعبه في أرض تمتلئ بأشجار الزيتون و التي تعتبر الزيت بركة إلهية يبارك الرب ثمرة أرضك و خمرك و زيتك (تثنية ٧:٣١) يأتون إلي جود الرب علي الحنطة و علي الخمر وعلي الزيت (أرميا ٣:٢١) و للزيت في الكتاب المقدس خلفية روحية هي:-

(١) الزيت رمز للنعيم في آخر الأزمنة و هذا يأتي في الوعد الذي تحدث عنه هوشع النبي عندما يقطع الله عهداً مع الناس و يكسر القوس و ينزع الحرب من الأرض و بعدها يقول للنفس البشرية: و أخطبك لنفسي إلي الأبد و أخطبك لنفسي بالعدل و الحق و الإحسان و المراحم أخطبك لنفس بالأمانة فتعرفين الرب و يكون في ذلك اليوم أني أستجيب يقول الرب استجيب السموات و هي تستجيب الأرض و الأرض تستجيب القمح و المسطار و الزيت (هوشع٢).

(٢) الزيت رمز للأعمال الصالحة .. في مثل العذاري العشر من حكيمات و جاهلات يظهر الزيت باعتباره عنصراً مهماً في قضية أمجاد الأخرة حيث يدخل الحكيمات اللائي أخذن زيناً في آنيتهن مع مصابيحهن .. و يرفض الجاهلات لأنهن فارغات من الزيت و عندما يغلق الباب يغلق بعد دخول الحكيمات و يغلق دون الجاهلات اللائي لم يعرفن قيمة الزيت (متي٢٥).

(٣) من بين علامات خيرات المسيا و عصر المسيا ان الله يعطي دهن فرح عوضا عن النوح و هكذا قالت النبوة عن المسيا روح السيد الرب علي لأن الرب مسحني لأبشر المساكين أرسلني لأعصب منكسري القلب لأنادي للمسبيين بالعتق و للمأسورين بالاطلاق لأنادي بسنة مقبولة للرب .. لأجعل لنائحي صهيون لأعطيهم جمالا عوضا عن الرماد و دهن فرح عوضا عن النوح و رداء تسبيح عوضا عن

الروح اليائسة (اشعيا ٦١) فدهن الفرح هو زيت الأمل و الرجاء في عصر المسيا عصر الرجاء.

(٤) اوصي السيد المسيح له المجد بالصوم الطاهر المقبول امام الله وقال : و أما انت فمتي صمت فأدهن رأسك و أغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائماً .. و هنا صار الزيت دهن بهجة لكي يظل الوجه نضراً و لا يري أحد آثار الصوم و يمتدح الصائم فيضيع أجره (متي ٦:١٧).

(٥) تحدث الكتاب المقدس عن الإرتباط بين وفرة الزيت و حياة الرخـــاء و الإزدهـــار.. و ارضعه عسلاً من حجر و زيتاً من صوان الصخر (تثنية ٣٢:١٣).. مبارك من البنين أشير ليكون مقبولاً من إخوته و يغمس في الزيت رجله (تنثية ٣٣:٢٤) و كأن الزيت جوهرة غالية يكون وضعها عند الأرجل دليل الرخاء و الرفاهية.

(٦) المزمور المئة والثالث والثلاثون يتحدث عن الزيت كصورة مشرقة للهناء و السلام من واقع مسكن الإخوة معاً في هدوء و إطمئنان هوذا ما أحسن و ما أجمل ان يسكن الإخوة معاً مثل الدهن الطيب علي الرأس النازل علي اللحية لحية هارون النازل إلي طرف ثيابه مثل ندي حرمون النازل علي جبل صهيون لأنه هناك أمر الرب بالبركة حياة إلي الأبد..

(٧) الزيت يمسح به الملوك فهو دهن البهجة.. أحببت البر و أبغضت الأثم من أجل ذلك مسحك الله بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك (مزمور ٤٥:٧).

(٨) الزيت يعني الآختيار الإلهي فعندما اختار الله شاول لكي يكون أول ملك علي إسرائيل أخذ صموئيل قنينة الدهن و صب علي رأسه و قبله و قال: أليس لأن الرب قد مسحك علي ميراثه رئيساً (صموئيل الاول ١٠:١) و عندما جاء موعد إختيار داؤد ملكاً قال الرب لصموئيل قم إمســـحه لأن هـــــذا هو فأخذ صموئيل قرن الدهن و مسحه في وسط إخوته و حل روح الرب علي داؤد من ذلك اليوم فصاعداً (صموئيل الاول ١٦:١٣).

(٩) في الزيت الشفاء.. و بدونه عدم الشفاء ففي شرح اشعياء لآلام البشر عندما يبتعدون علي الرب يقول: تركوا الرب إستهانوا بقدوس إسرائيل كل الرأس

مريض و كل القلب سقيم بل جرح و أحباط و ضربة طرية لم تلين بالزيت (اشعيا ١:٦) و في مثل السامري الصالح وضع علي الجريح الطريح زيتاً و خمراً و الزيت هنا للشفاء و الخمر للتطهير (لوقا ١٠) و لقد استمرت الكنيسة في إستعمال الزيت كأداة من أدوات الشفاء في سر مسحة المرضي من واقع رسالة يعقوب : أمريض أحد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه و يدهنوه بزيت بأسم الرب و صلاة الإيمان تشفـــي المريض و الرب يقيمه و أن كان قد فعل خطية تغفر له(يعقوب ٥:٤١).. و الزيت يعد وسيلة شفاء و عطر طيب يطيب الجسم به و في عاموس النبي الذي يدهنـــون بأفضل الأدهان (عاموس ٦:٦) و الزيت يقوي الأعضاء و كان الناس يمسحون بالزيت حممتك بالماء و غسلت عنك دمائك و مسحتك بالزيت (حزقيال ٩:١٦).

(١٠) الزيت و تكريم الضيف: كان من العادات القديمة ان الضيف يستقـــبل بأن تغسل رجليه و يصب زيت طيب علي رأسه.. و قد عاتب السيد المسيح سمعان الفريسي لأن المرأة الخاطئة عاملته معاملة أحسن من معاملة صاحب البيت و قال السيد : أنت لم تدهن رأسي بالزيت و أما هي فقد دهنت بالطيب قدمي (لوقا٤٦:٧) و نحن نعلم ان ثلاث نساء هن ساكبات الطيب عند قدمي السيد المسيح ،المرأة الخاطئة .. و المرأة التي سكبت الطيب كعلامة أكفان و استعداد للموت و مريم أخت لعازر التي امتلأ بيتها من رائحة الطيب مثلما امتلأت كنيستنا من رائحة الطيب ..(لوقا ٧ متي ٢٦ يوحنا ١٢) و لهذا يقول المزمور مسحت بالدهن رأسي (مزمور ٥:٢٣).

(١١) الزيت رمز البهجة و الفرح: في المزامير كلام عن خمر روحية تفرح قلب الانسان لالماع وجهه اكثر من الزيت (مزمور ١٥:١٠٤) و في النشيد: لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق لذلك أحبتك كل العذاري (نشيد ٣:١) احببت البر و ابغضت الاثم لذلك مسحك الله ألهك بدهن الإبتهاج أكثر من رفقائك (مزمور ٧:٤٥) .. (عبرانيين ٩:١).

(١٢) في الهيكل المقدس هناك زيتونتان تمدان بزيتهما المنارة ذات الفروع السبع و هما تمثلان الملك و رئيس الكهنة و رسالتهما لتنوير الشعب.

(١٣) الزيت رمز للإنسان الصالح المبارك من قبل الله.. أما أنا فمثل زيتونة

خضراء في بيت الله (مزمور ٨:٢٥) .. و الزيتونة هي مصدر الزيت .. و طوبي لكل من يتقي الرب إمرأتك تكون مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك مثل غروس الزيتون علي مائدتك (مزمور ٣:٨٢١) .. و الزيت رمز للحكمة الإلهية التي تجعل الانسان صالحاً و تكشف أمامه طريق البر و السعادة (سيراخ ٤١:٤٢، ٩١، ٣٢)

هذه هي الخلفية الكتابية للزيت فالزيت بشير خير للنفس المؤمنة .. و الملوك يمسحون بالزيت و المؤمن في الكنيسة يمسح بـزيت الميرون كدليل علي التثبيت في الرب .. و كانت امرأة من نساء بني الأنبياء صرخت الي اليشع و هي لا تملك سوي دهنة زيت و معها ديون كثيرة عليها و حدثت البركة في دهنة الزيت و تغطـــت منها كل الديون.. و دهنة الزيت في كنيسة الشهيدين هي بركة سوف تنمو و سوف تساعدنا علي الانسكاب امام الرب الذي دفع كل ديوننا علي خشبة الصليب . و يبقي الزيت علامة منظورة به نحصل علي بركة غير منظورة و ندخل الي اعماق روحية مجيدة.

الخلفية التاريخية:- و ليس غريباً ان ينضح زيت او يتدفق دم أو تتساقط دموع من الأيقونات فهذا أمر حدثتاريخياً مرات عديدة و في كنائس متنوعة و هذه بعض الاحداث:-

(١) في سنكسار ٢١ هاتور تذكار نياحة البابا قسما الثاني أو قزمان الثاني الذي رحل عن عالمنا في ٨٥٩ أي في آواخرالقرن العاشر كان قد عاش تجربة مرة مع حاكم مستبد هو المتوكل الذي ضيق علي المسيحيين و اذاقهم صنوف العذاب و أصدر قوانين صارمة ضد المسيحيين و استيقظت الكنائس القبطية ذات يوم لكي يعاين المؤمنون دموع الأيقونات حيث وجدت كلها مبللة بالدموع مشاركة من الأيقونات في آلام هذا الزمان الحاضر.

(٢) يذكر المؤرخ غريغوريوس مؤرخ الفرنجة المشهور (٥٤٠-٥٩٤م) صورة للسيد المسيح كان قد طعنها يهودي حاقد و كانت طعنته كأنها موجهة الي السيد المسيح شخصياً حيث نبع دم مقدس من الأيقونة المقدسة.

(٣) تكررت حوادث خروج الدم من الأيقونات و قد ذكر الأنبا لونديوس أسقف نيابوليس في قبرص عدة حوادث لخروج الدم من الأيقونات المقدسة(٥٩٠م).

(٤) في حبرية البابا قزمان الثاني ظهرت معجزة عجيبة و هي ان أيقونة السيدة العذراء الموجودة في كنيسة القديس ساويرس بالبرية نبع منها دماً شاهده الكثيرون و نالوا بركته و سجله سنكسار الكنيسة.

(٥) و من البركات الحديثة الدم الذي نضح من صورة السيدة العذراء بالوكارية مدخل أديرة وادي النطرون و قد تم تحليل هذا الدم و وجد أنه دم آدمي غير معروف الفصيلة و الكنيسة تابعة لمطرانية البحيرة لنيافة المطران المكرم الانبا باخوميوس.

(٦) في ذكري استشهاد القديس ديمتريوس التسالونيكي يذكر السنكسار في اليوم التاسع و العشرين من شهر بابة ان هذا القديس بعد استشهاده و لما طرحت جثته المقدسة أخذها بعض المسيحيين و وضعوها في تابوت من الرخام و لم يزل مخفياً حتي انقضي زمن الاضطهاد الذي كان موضوعاً عنده و بنيت له كنيسة عظيمة بتسالونيكي إحدي مدن اليونان و وضعوا جسده فيها و كانت تجري باسمه عجائب كثيرة و يسيل منه كل يوم دهن طيب فيه شفاء لمن يأخذه بأمانة و خاصة في يوم عيده فإنه في ذلك اليوم يسيل منه أكثر من كل يوم آخر إذ يسيل من حوائط الكنيسة و من الأعمدة ومع كثرة المجتمعين فإنهم جميعاً يحصلون عليه بما يرفعونه عن الحوائط و يضعونه في أوعيتهم و من عاين ذلك من الكهنة الأبرار حكاه و شهد به.

(٧) في تذكار تكريس القديسيين سرجيوس و واخس ذكر عن القديس سرجيوس ان قوماً من المؤمنين أخذوا جسده و كفنوه و أخفوه عندهم و كانوا يوقدون أمامه القناديل و الشموع حتي انقضي زمن الاضطهاد فأظهروه و بنيت كنيسة باسمه و قد حضر تكريسها خمسة عشر اسقفاً و جمع كثير من الشعب ثم احضروا جسد القديس اليها .. و حال حضور الجسد سال منه دهن شفي الذين تناولوه بإيمان.

(٨) في الكنيسة القبطية بأمريكا: و في ولاية تكساس كان الصبي ثروت اسحق أيوب قد أصيب بمرض سرطان الدم هذا في عام ١٩٩١م و ذات يوم كان وحدة مع صورة السيد المسيح فلاحظ حركة في الصورة و أن عيـــني السيد تنظر اليه و تتحرك عيناه و شفتاه و كان يصرخ أمام الصورة التي خرج منها دموع من العين و تنزل منها زيت بغزارة و إستدعي الأب الكاهن الذي عندما حضر و بدأ يصلي زادت غزارة الزيت و ظهرت معها رائحة بخور زكية و شفي اسحق من مرضه تماماً و

عرض الأمر علي قداسة البابا الذي أمر ان تنقل الصورة الي الكنيسة .. و قد اهتزت المدينة كلها لهذه المعجزة و كتب عنها في الجرائد الامريكية .. و زار الكنيسة كثيرون و أخذوا البركة و قال البعض انها دليل علي عطف الله العميق علينا نحن شعبه سواء مباشرة أو من خلال قديسيه أما أم الطفل فقالت ان هذا تأكيد من الله علي معجزة شفاء ابنها.

(٩) المسيح يبكي في بيت لحم: في أواخر شهر فبراير ١٩٩٦م شاهد كثيرون من زائري القدس ايقونة السيد المسيح تبكي دموعاً حمراً هذا في كنيسة المهد فوق المغارة التي ولد فيها السيد المسيح و كتبت عن هذا الاعـــجاز الجرائد اليومية.. و الأيقونة التي ظهر منها الدم هي ايقونة قديمة ترجع الي القرن الثاني عشر..

(١٠) و أخبار أخري مثل:-

أ- تمثال العذراء في سيفيشا فيشا بايطاليا و الذي سال دماً في ١٩٩٥م و قد تم تحليل الدم و ثبت انه دم بشري.

ب-و تمثال العذراء في كوريا الجنوبية و الذي كان يبكي دموعاً و دما و ينضح زيتاً لمدة ٧٠٠ يوماً بدأت منذ ٣٠ يونيو ١٩٨٥م و كان ينساب من التمثال زيت ذو رائحة زكية بلا توقف.

جـ- ظهور العذراء لفتاة تسمي ميرنا الاخرس في سوريا من خلال الصورة التي ظلت تنضح زيتاً من عام ١٩٨٢م الي عام ١٩٩٠م.

رمزية الاحداث:- و هذه الظاهرة الروحية لها رمزها المعين و لها معناها أنها صحوة إيمان .. و دعوة الي الله.. و حديث للايقونات.

(١) صحوة إيمان :- ما حدث هو بكل المقاييس صحوة إيمان.. الله يريد ان يوقظ فينا روح الإيمان.. القديسون هم سحابة من المؤمنين الذين وصلوا الي السماء و هم يريدون ان يؤازروا إيماننا .. و يشجعوا يقيننا في الله و إذا كان الإيمان هو الثقة بما يرجي والإيقان بأمور لا تري فإننا قد رأينا بعين الإيمان قبس من نور أعمال الله.. لقد كان السيد المسيح بيننا هنا علي الأرض يراقب إيمان الناس و يقول ان كان لكم إيمان مثل حبة الخردل تقولون للجبل إنتقل فينتقل (متي ١٧:٢٠) و عندما تعجب التلاميذ بسبب التينة غير المثمرة التي عندما عاينها السيد لانها غير مثمرة يبست في الحال قال لهم: الحق أقول لكم ان كان لكم إيمان و

لا تشكون فلا تفعلون أمر التينة فقط بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل إنتقل وإنطرح في البحر فيكون و كل ما تطلبونه في الصلاة مؤمنين تنالونه (متي ٢١:٢١) و عاتب التلاميذ ايضاً قائلاً: كيف لا إيمان لكم (مرقس ٤:٤٠) و لقد تعرضت معجزة الزيت في كنيسة الشهيدين لإعتراض غير مؤمن.. و نحن نري أن هذه حقيقة إيمانية و الإيمان دوماً يتعرض لظلمة الشك و لكنه ينتقل الي نور اليقين و المطلوب من غير المؤمنين أن لا يتسرعوا في أحكامهم و لا يزيدوا الإتهامات بل يبحثوا عن الإيمان و سوف تجدونه لأن الزيت في الكنيسة كلها لا ينضح في وقت الذبيحة أو بعد رفع الذبيحة.. و في الكنيسة.. و علي شكل صليب و نحن نعلم أن الشيطان يمكن أن يخدع الإنسان و لكن لا يمكن الا أن يحترق أمام قوة الصليب و الأفضل لأهل الشك ان لا يسلموا أنفسهم للشك لأن الشك هو أسلوب الشيطان الذي إستخدمه مع السيد المسيح نفسه في التجربة علي الجبل عندما أراد ان يشككه في بنوته لله و قال له إن كنت إبن الله فقل ان تصير الحجارة خبزاً.. ان كنت إبن الله فاطرح نفسك إلي إسفل.. (متي ٤) و لكن السيد المسيح غلب الشيطان و نحن بالسيد المسيح نغلب الشيطان و نتقوي في الإيمان ونحيا إيمان الإنجيل .. إيمان بلا رياء إيمان قوي يهز الجبال إيمان بضمير صالح.. إيمان ينمو كل يوم .. أيمان يتضع قائلاً: أومن يا رب فأعن ضعف ايماني.. و نداء الرب يسوع لتوما هو نداء لنا لكي تؤمن يا توما لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً(يوحنا ٢٠:٢٧) و سوف يظل البار بالإيمان يحيا .. يظل الإيمان تعزية لكي نتعزي معاً تعزية الإيمان مع كنيسة روما.. أي لنتعزي بينكم بالإيمان الذي فينا جميعاً إيمانكم و إيماني (رومية ١:١٢) .. و نحن لم نتضايق بسبب هجمات الشك لأننا متأكدون ان الذين يشكون سوف ينضمون الي موكب الإيمان و يكون لهم ايمان أقوي و أقوي.. فهم منا ونحن نحبهم و الله يهبنا جميعاً نعمة الإيمان لأن الإيمان هو هبة من الله .. و الألم أيضاً هبة من الله و قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط بل أن تتألموا أيضاً لأجله.. و نشكر الرب الذي أعطانا هذه النعمة لكي يزيد إيماننا فيه و يزيد إيماننا ببركة القديسين الذي لهم وجود حي في كنيسة الرب المقدسة.. و نحيا محروسون بإيمان لميراث لا يتدنس و لا يضمحل بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد ان يعلـــن في الزمان الأخير (بطرس الأولي ١:٤ !٥) و تظل تزكية الايمان أفضل و

أثمن من الذهب الغالي مع أنه يمتحن بالنار.. والنار ليست نار التجربة فقط إنما نار الشك و لكن هذه النار بكل أنواعها للصالح لأنها تنقي وتطهر وتدخلنا إلي أعماق الإيمان.

(٢) دعوة الي الله :- إن هذه الظاهرة هي دعوة إلي الله .. أنها دعوة حركت قلوب كثيرين و أعادت إليهم دفء العلاقة الروحية مع الله .. ان الله يكلمنا بأنواع و طرق كثيرة و من خلال أشياء كثيرة حولنا .. فهو يكلمنا مع نسمات الهواء و مع شروق الشمس و مع نور القمر و في ضوء الكواكب .. و هو الآن يتكلم معنا من خلال بركة الزيت و رائحته الطيبة .. انه يدعونا الي الحياة معه.. يدعونا الي حضور الكنيسة و عدم الغياب عن جماعة القديسين فعندما غاب توما عن جماعة التلاميذ سقط في حفرة الشك و صار الشك علامة توما حتي بعد أن سمع لكلام السيد لا تكن غير مؤمن بل مؤمنا.. ان ما حدث هو دعوة للحديث مع الله .. لكي نتكلم معه .. لكي نطرق أبواب مراحمه.. لأن كل من يسأل يأخذ و من يطلب يجد و من يقرع يفتح له .. والرب يقول : أنا أحب الذين يحبونني و الذين يبكرون الي يجدونني(أمثال ١٧:٨) والحكمة تنادي وتعلمنا الكلمات وتدعو في رؤوس الأسواق في الشوارع تعطي صوتها و في حالة عدم القبول منا تقول لأني دعوت فأبيتم و مددت يدي وليس من يبالي (امثال ٢٤:١) .. و يد الرب ممدودة إلينا لكي نضع أيدينا في يد الله .. و عندما نسمع صوت قارع علي ابوابنا و نفتح نجد يسوع هو الواقف بالباب يقرع و يطالبنا ان نفتح لكي يصنع معنا منزلاً و تكون إقامتنا فيه .. في قلوبنا و في بيوتنا و في كنائسنا.

(٣) حديث الايقونات:- لقد أثبت الزيت الطيب الذي نضح علي الأيقونات في كنيسة الشهيدين ان لنا مع الايقونات حديث و أن الايقونة هي وجود حي في كنيسة حية هي كنيسة القديسين و لقد فطن شعبنا لحديث الأيقونات و فهم اللغة التي يتكلم بها مع الأيقونات التي تجاوبت مع الحديث ففي بطن التاريخ و في القرن العاشر وقف البابا الأنبا ابرآم أمام أيقونة العذراء يتكلم و يطلب معونتها وتحدثـــت العذراء من الأيقونة معه و نظمت له موكب الإنتصار.. و كان البابا كيرلس السادس و هو أستاذ في الحديث مع الأيقونات يدخل الكنيسة صباحاً و يوزع طلباته عليهم و يودع أمام كل قديس مشكلة ما بعينها و يطالبه ان يهتم بها.. و يوزع طلباته عليهم كما يوزع الشماس المزامير .. و الذين يفهمون

حديث الايقونات لهم نظرة أعمق من نظرتنا ..أنهم ينظرون إلي ما وراء المادة و يرون ما لا يراه غيرهم.. و تستقر نفوسهم مع الأيقونات لأنها في الكنيسة هي ميناء للخلاص والثبات.. و يخرج القديسون من الأيقونة ليتحدثون معنا و ليجلسون إلينا و يتحدثون معنا حديث الرجاء والامل و يشاركوننا أفراحنا و أحزاننا..

شهادة و بلاغ:- و ما كتبته هذا هو شهادة حق و بلاغ لكل الناس و تقرير شاهد شهد بنفسه ما حدث .. وعاش الأحداث لحظة بلحظة عاشها بقلبه و بفكره و بروحه.. وها أنا قد رأيت و شهدت (يوحنا٣٤:١) .. و أنني أشهد بالحق شهادة حق.. و نحن مطالبون بأن نكون شهود حق لله.. أنتم شهودي يقول الرب وعبـدي الـذي اخترته لكي تعرفوا وتؤمنوا بي و تفهموا أني أنا هو قبلي لم يصور إله و بعدي لا يكون(أشعيا١٠:٤٣) و كان داؤد شاهداً أميناً(مزمور ٩٨:٧٣) و كان بولس شاهداً لكلمة الـــرب (أعمال ٢٢:٥١) و إرتبط الإنجيل بالشهادة و يوحنا الإنجيلي يشهد قائلاً: والذي عاين شهد و شهادته حق و هو يعلم أنه يقول الحق لتؤمنوا أنتم (يوحنا ٩١:٥٣) و يختم إنجيله : هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا و كتب هذا و نعلم أن شهادته حق (يوحنا ١٢:٤٢) . و وعد يسوع لنا مع الرسل: ستنالون قوة متي حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً في أورشليم و في كل اليهودية و السامرة و إلي أقصي الأرض (أعمال ١:٨)..و كل ما رأيت قد كتبت و هذه شهادة و بلاغ أقدمه لكل الناس مع شهادات كثيرين ممن عاينوا هذه البركة العظيمة في كنيســة الشهيدين و ارجوكم ان تصلوا .. صلوا و لا تملوا .. صلوا لكي تستمر البركة .. صلوا لكي تكون هذه فرصة لرجوعنا إلي الله و توبتنا أمامه.. صلوا لكي تمتد البركة إلي الجميع بصلوات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث و شريكيه في الخدمة الرسولية ملاكي كنيسة السودان نيافة الانـــبا دانيال و نيافة الانبا صرابامون .. و صــلوات جميــع الابـــاء الكهنة والشمامسة و الخدام و الخادمات و صلواتك انت ايها القارئ المبارك لكي نتقوي في الإيمان باسم الرب يسوع الذي متعنا بأن ننال هذه البركة.. و طوبي لكم.. و طوبي لهذا الجيل الذي عاين هذه البركة. و نحن في انتظار تكوين لجنة تقصي للحقائق التي سوف يكلفها نيافة الانبا دانيال مطراننا المكرم بمتابعة الحدث و مقابلة الشهود و شهادتي هذه اقدمها هدية للجنة الوقور التي ننتظر عملها الكبير و ليتمجد الرب القدوس في

قديسيه و في حياتنا آمين.

١١٨- كنائس و أديرة دارفور

مسيحية دارفور: تؤكد الإكتشافات الحديثة أن دارفور كانت مسيحية ، و أن المسيحية سارت مسيرة زمنية مداها الف عام يحددها محمدين محمد في كتابه تاريخ الإسلام و المسيحية في دارفور بدءاً بعام ٢٥٠م حتي ١٤٠٠م بل يري أن المسيحية كانت في دارفور قبل دخولها إلي أكسوم و قبل دخولها الرسمي لممالك النوبة لأن دارفور إستقبلت أولاً الهاربين من الضيقة العظيمة في مصر و الذين وصلوا دارفور عن طريق درب الأربعين و أغلبهم رهبانا يحملون سر الكهنوت فدخلوا إلي دارفور و شيدوا الكنائس و الأديرة التي إمتلأت بالرهبان علي غرار الرهبنة القبطية لأن النصرانية في دارفور هي نفسها دين النجاشي ملك الحبشة و التي كانت عليها ممالك النوبة القديمة و التي كانت في مصر القبطية و هي في رأي محمدين أقرب المذاهب إلي الدين الإسلامي بل أقول هنا إن ما ذكره القرآن عن القسيسين و الرهبان و عدد الصلوات اليومية الخمس إجبارياً و إثنان اختيارياً و ما ذكر عن الصوامع و البِيع التي يذكر فيها إسم الله و السائحين و السائحات الذين يتعبدون لله و لا يرتبطون بأي شئ عالمي يعيشون لله يلبسون الليف الخشن و يصبرون علي حر الصيف و برد الشتاء يحتقرون ذواتهم و يزدادون في الفضائل و يتنامون في ممارسة النسك كل هذا يؤكد أن كل ما في الأدب الإسلامي عن المسيحية إنما هو نابع من الكنيسة القبطية الارثوذكسية.

و ما قيل من نظريات حول وجود المسيحية في دارفور قد يعيد خلط الأوراق و المفاهيم التي سادت عن قصر النفوذ المسيحي علي ممالك النوبة في شمال السودان فقد أكّد العلماء بما لا يدع مجالاً للشك إن المسيحية إمتدت إلي دارفور في عصور سابقة و أستدلوا علي بعض الشواهد التي تم إكتشافها في دارفور فآثار عين فرح الموجـــودة حتي الآن في شمال دارفور و من بينها بناء لمسجد أتت الكشوف الجديدة لتؤكد إنه إنما بقايا لكنيسة و من حولها أديرة للرهبان، و قد زارت الليدي رجمان و هي سيدة إنجليزية هذه المنطقة و عادت إلي لندن لتُهدي ما وجدته إلي

الدكتور أركل المحاضر في جامعة لندن و الذي خرج علي العالم بدوره بكشفه المدوي بأن هذه الآثار إنما هي بقايا للنوبة المسيحية فقد كانت إحدي القطع تمثل صحناً رسم عليه سمكة و صليب و قطعة أخري عليها رسم حمامة و صليب و قدر أركل أن هذه المجموعة الأثرية تعود إلي القرن العاشر الميلادي، و بعد هذه القنبلة الإكتشافية مضي العلماء مدي أبعد فإكتشفوا إن أعمدة مسجد عين فرح تحمل شكل حرف إل بالإنجليزية و هذه إحدي مميزات بناء الكنيسة النوبية فكل الكنائس التي كانت قائمة علي السودان النيلي تحمل نفس هذا النسق البنائي، ووجدوا أن القصر المقام في عين فرح يشبه شكل الأديرة النوبية ، إضافة إلي أنهم فطنوا إلي إن كل الأديرة النوبية كانت تقام علي قمم الجبال فوق الكنائس التي تحتها مثل ما هو عليه وضع قصر عين فرح فهو عبارة عن أديرة قائمة فوق كنيسة و هذه بدورها تقع علي قمة جبل، و ليس هذا كل الأمر بل إن الطوب الأحمر الذي شيدت به المنازل في عين فرح أنما كان عبارة عن طوب كبير الحجم يماثل في مكوناته و قياسه الطوب الذي كانت تبني به المدن النوبية.

دارفور و مروي:- ويري عالم الآثار أركل أن هناك رابطة قوية بين دارفور و مروي و يدلل بأن الحضارة المروية إنتقلت لتنهض في دارفور بواسطة الأسرة المروية التي هربت من أمام جحافل الغزو الأكسومي، و عندما نعلم أن مسجد عين فرح إنما هو بقايا لكنيسة و أديرة إنما يؤكد هذا أن درافور لم تشذ عن القاعدة العامة التي صاحبت الفتوحات الإسلامية و هي تحول الكنائس المسيحية عند الفتح إلي مساجد، و هذا ما حدث حينما تحولت كنيسة دنقلا العجوز إلي مسجد و مثلما تحولت كنيسة أجيا صوفيا في تركيا إلي مسجد الأستانة، و إضافة إلي الشواهد التي ذكرها العلماء مثل أركل و بازل دافوش فإن بعض الاهالي يذكرون بأن بعض المباني الشعبية في جبل مرّة كان يوضع علي قمتها ما يشبه الصليب في صورة تشابه ذلك الذي نجده اليوم علي رؤوس الكنائس العصرية.

و يقدم محمدين إجابة لسؤال هو لماذا اختفت المسيحية و إندثرت من دارفور فيقول إن المسيحية لم تنتشر إنتشاراً واسعاً في كل الشعوب الدارفورية إذ ظل هو دين البلاط الملكي و دين عِلية القوم و بعض الأهالي، و إن كنت لا أوافق علي هذا

الرأي لأن المسيحية دخلت إلي أعماق أهل دارفور فدخل الشبان إلي الأديرة و دخلت الفتيات إلي أديرة العذاري، وأعتقد إن سبب إندثارالمسيحية في دارفور هو ما حدث من فطام إجباري بأمر الحكام المستبدين من الأم الحنون الكنيسة القبطية في مصر و غياب المدارس اللاهوتية و لم تُخرج دارفور رجالاً لاهوتيين و كان الكاهن عليه فقط أن يتفرغ يوم الأحد للصلاة و باقي الأيام يعمل في الزراعة مثلما يزرع أهل دارفور و هذا جعل العبادة مجرد ترديد لأشياء محفوظة و قل الإبداع و غابت ثقافة الروح و ضاعت الحوارات اللاهوتية و المدعومة بأيات الكتاب المقدس ، ويقدم محمدين إجتهادات أخري عن أسباب و إندثار المسيحية في دارفور و يبقي القول إن المسيحية دخلت دارفور مع بلاد النوبة و إندثرت لنفس الاسباب التي إندثرت بسببها المسيحية في النوبة و لكن الحمد لله كل دارفوري يولد اليوم يحمل في كيانه تراثاً مسيحياً من تاريخه الذي كان قبل ألف عام.

١١٩- هل سوف تمطر دارفور

جمال الأمطار : إن أجمل أيام دارفور هي أيام الأمطار.. يوم يتطلع الناس إلي الخير القادم من السماء وهم ينشدون و يهتفون و يتهللون و يصرخون كيل كيل يا ميكائيل بالمد الكبير .. و في موسم الأمطار كان يتم تنصيب الملوك... و في جبل ميدوب و عند الصخرة المقدسة يخرج موكب الأهالي و معهم الملك الجديد الذي يتم تنصيبه عندما يذبح الكاهن ضحية من الأضاحي خروفا أو ثوراً و يأخذ من الدم و يرشم منه صليباً علي جبهة الملك وعلي الصخرة ثم يقوم الملك الجديد و الذي بعد تنصيبه صار مسئولا و يرشم من الدم صليباً علي جبينه و صليباً علي الصخرة .. و في موسم الأمطار يصعد الملك إلي تل مرتفع و معه وفد من الأهالي و يذبحون « عنزة « من قطيع الماعز في قريتهم الكبري « تورتي» و يقومون بتنظيف قربة الماء وهي من جلود الحيوانات و يملأونها ماء من عين إسمها «أنويرو» دون سواها ثم يحملون القربة إلي الملك و الذي يأخذ قليلاً من الماء في موكب مهيب إلي كوخ هو قطية الملك و علي ألحان النقَّارة تنشد الأناشيد و يقول الملك ... يا رب جُود علينا بأمطارٍ غزيرة.. ليمنحنا الله المطــر.. و في الطريق يرش الملك أرض مملكة

دارفور بالماء المقدس و عندما يصل إلي الكوخ يدور حوله عـدة دورات و يرشه بالماء. و هذا عين ما يحدث في الكنيسة في دورة الصليب و دورة أحد الشعانين. و يرش النُقارة أيضاً بالماء.. و ينام الملك مع حاشيته بجوار الكوخ و قبلها يرش الناس كلهم بالماء و وجوههم نحو المشرق الذي هو قِبلة المسيحيين حتي الآن حيث تُبني الكنائس نحو الشرق و يدفن الميت ووجهه نحو الشرق في إنتظار المجئ الثاني الذي سوف يشرق فيه شمس البر من ناحية الشرق .. و تعبر البركة من هذا الماء إلي بيوت أهل دارفور شفاء للمرضي و إستجلاباً للبركة... ثم يعود الموكب من التل إلي القرية و الكل مؤمن أنه بهذه الطريقة سوف تأتي الأمطار لا محالة.. فلقد قصدوا الرب .. و صلوا إليه .. و ذبحوا له الذبائح .. و تباركوا برشم الصليب و الذي كما تقول مديحة الصليب لشعراء النوبة إن الصليب هو إرواء الجفاف.. و الأمل لمن ليس له أمل.. و حجر الزاوية للأرباع الأربع.. و لم يزل حتي الآن أهل ميدوب يمارسون هذا الطقس بحسبما أكد لي الأستاذ سليمان الشقيري زميلي السابق في المجلس الوطني المنحل و هو من أهل دارفور و كان يرغب في زيارتي و معه ملك ميدوب ذاته و لكن لم نلتق و سوف أستقبِله يوماً و أفهم منه أسرار هذا الملكوت العظيم الساكن مستقراً في عادات أهل دارفور.. هذا و من المعروف أن أهل ميدوب يعتبرون النقّارة التي تحضر الاحتفال نقّارة مقدسة و يجددون جلدها و يحفظون الجلد القديم لمدة سنة ثم يحرقونه بالنار مثلما يحدث في الكنائس المسيحية عندما يأخذون من الزيت القديم و يصنعون الزيت الجديد و يحرقون ما تبقي من القديم.. ويؤكد هذا ما ذكره سليم الأسواني سنة ٩٧٠م عندما زار السودان و حكي له مواطني دارفور عن طقوسهم هذه و ذكر أنهم يسمون «الأحاديين» و هم من سكان دنقلا و هجروها الي دارفور و ربما تعني الأحديين الذين يحترمون يـوم الأحد و يقدسونه للعبادة و ربما تعني الموحدين الذين يؤمنون بإله واحد.. و البحث ينبغي أن يستمر حتى نتعرف علي جذورنا الروحية في أيامنا الخوالي والحضارية و التي تؤكد أن الحضارة المسيحية لها موقع في قلب الحضارة السودانية.

هل تمطر دارفور : إن دارفور الآن و من خلال أحداثٍ دامية و حروبٍ شرسة لا تُمطر سوي التصريحات غيرالشفافة من كل أصحاب الشأن.. و لكن الأملَ مستمر و باقٍ أن تمطر دارفور خيراً و نعمة تُخرج دارفور من مأزقها التاريخي و تعيد إلي دارفور أيامها الخوالي و زمنها الجميل و تحيا دارفور معنا و بيننا و في سوداننا

الواحد تحيا حياة حضارية و يتسع فيها الرخاء و تكبر الآمال و تتحقق الأحلام السعيدة.. لقد إعتُصرتُ بمرارة الألم عندما زرتُ دارفور و رأيتُ المواطن المهمش المسحوق الذي و هو من إغني الناس يأكل من الإعانات و الذي و هو من أقوي الناس يحيا في قيود خيام لا تتحمل هواء البلاد الذي يمزقها و أرفع قلبي إلي الله أن تُمطر دارفور.. إتفاقية سلام كامل شامل.. أن تُمطر محبة علي قلوبنا تجعلنا نتعايش معاً... أن تُمطر دارفور برداً و خيراً و سلاماً .. أن تتمتع بالمطر المبكر و المتأخر .. و سوف تنزل أمطار دارفور بغزارة .. و بمنسوب مرتفع ينسينا قحط الحروب و بلاياها .. و هذا سوف يأتي عندما نركع جميعاً أمام من لا نركع إلي سواه و الذي له نسجد .. و له نعبد .. و به نحيا و نتحرك و نوجد و نفرح و بهذا سوف تُمطر دارفور خيراً و سلاماً و نمواً و رفاهية في سوداننا العظيم.

١٢٠- دارفور الجذور و العبـور

دارفور الجذور: إن السودان هو أصل الحضارة .. و عندما إشتدت أزمة دارفور بحثت عن الجذور.. ليس جذور المشكلة فكثيرون يغوصون فيها بحثاً.. إنما جذور التاريخ السالف المجيد عندما عاشت دارفور زمنها القديم تحت لواء المسيحية الطاهرة النقية التي غيَّرت المجتمع و وجهته نحو الخير و ردت كرامة الإنسان إلي الإنسان.. و عندما قبل السودان المسيحية قبولاً راضياً عميقاً رفع من مستوي الإنسان السوداني و جعل منه إنساناً حكيماً متطلعاً نحو ملكوت السموات كانت دارفور جزءاً لا يتجزأ من الإيمان المسيحي خلال مملكة النوبة المسيحية أو ممالك النوبة .. فلقد كان السوداني حر الحراك في وطنه .. و هاجر نفر غير قليل من نوبة الشمال إلي نوبة غرب السودان .. ذهبوا إلي دارفور و حملوا هناك إيمانهم المسيحي و ذهبوا إلي جبال النوبة و إحتموا في مرتفعاتها آمنين مطمئنين .. و حمل النوبة معهم إيمانهم البعض حمل معه الكنيسة قسوساً و خداماً فإستمروا زمناً طويلاً في الإيمان و البعض لم يُحمل مع الكنيسة فبقيت الكنيسة في قلبه جذوراً متأصلة.. و يؤكد ما أقول ما وصل إليه الباحث السوداني الدكتور جيوفان فانتيني.. و هو طبعاً إيطالي المنبت و لكنه أحب السودان و غاص في بحره الطائي كرماً و الطامي طمياً و أخرج من أعماقه درراً نتمتع بها الآن.. فلقد لاحظ المؤرخ إنه

في جبال النوبة يرشم الناس علامة الصليب طلباً لدرء أخطار الطريق و المرض و الحسد .. وعندما يشتد المرض علي أحد يرشمون عليه إشارة الصليب بروث البقر .. و عندما تذهب أم تحمل طفلها إلي مكان جديد لم يزره الطفل سابقاً فهي تحصنه حصناً منيعاً برشم إشارة الصليب علي جـــبينه و هي بهذا تتحصن باسم الرب الذي هو برج حصيـــــن يركض إليه الصدّيق و يتمنع.. أما عن دارفور فقد ذكر في مجلة السودان في رسائل و مدونات سنة ١٩٢٨م في الصفحات ٢١١ ، ٣١١ أن أحد الزوار الأجانب ذهب إلي عين فرح بدارفور بصحبة الملك حسن كنجوك « زعيم قبيلة « تنجور» و معه إبنه الفتي و خادمٌ يدعي إبراهيم .. و اللذان سبقا وفد الزوار إلي عين ماء.. و لأحظ الضيف إن الخادم إبراهيم يأخذ من الماء و يضع منه علي عيني الغلام .. و سأل الضيف عن هذا الطقس فأُجيب بأن هذا ما ينبغي أن يحدث عندما يذهب فتي إلي مكان لأول مرة .. و طلب الضيف توضيحاً فكرر إبراهيم الحركة فأخذ أعشاباً بللها بالماء و لمس بها جبهة الصبي و عنقه و خلف كتفيه و أخمص قدميه .. و ذلك طرداً للأرواح الشريرة و هذا الطقس هو علامة صليب و كان الصبي قد خلع قميصه لكي يرسمون له إشارة الصليب علي صدره و يسمي هذه الحركة « برشام» في لهجتهم و ربما تعني برشام هنا أن يغلق الصدر حتي لا يدخله شر الوسواس الخناس .. و رأي الباحث مستر «دوبوي» إن هذه الطقوس ترجع الي تقاليد مسيحية تجمع ذكري المعمودية و إكرام جراحات المسيح..

دارفور العبور: و فيما نحن نصلي لكي تعبر دارفور أيام الآلام إلي أمجاد الحياة الرخية الهنية الجديدة نذكر معاً طقوس الزفاف في بعض بلاد دارفور و طقوس موسم الأمطار .. أما طقوس الزفاف فقد قَضي بأن يتوجه العروسان مع زعيم القرية إلي الصخرة المقدسة .. و هي علي رأس تل و هناك يذبحون ذبيحة حيوانية و يرسم الزعيم من دم الأضحية إشارة الصليب واضحة علي الصخرة ثم علي جبهة العروسين .. و من الممكن أن يستعمل قليلاً من دهن الزيت بدلاً من الدم و لكن كل هذا راسب مسيحي يذكر إعتزاز المسيحيين بدم المسيح الذي سفك علي خشبة الصليب .. و إعتزازاً بالصليب ذاته و الذي هو كما تقول المديحة النوبية فخر المسيحيين .. أمل النصاري.. قيامة الموتي .. عكازة العرج .. قوة الضعفاء .. درب الضالين .. مرشد العميان .. و يأخذ الزعيم و هو بديلاً للكاهن أو هو الكاهن

نفسه حيث كان كل ملك يرسم كاهناً يوم تدشينه ملكاً .. يأخذ من الطين قليلاً و يمسح جبهة العروسين و كتفيهما من الأمام و من الخلف و صرتيهما و ركبتيهما و أخيراً يربط برزمة من الأعشاب عنقيهما و معصميهما و قدميهما و هذا يشبه صلاة الإكليل في المسيحية و لم يوجد عند أي القبائل الوثنية طقس يماثل هذا .. و هذا عين ما يحدث عندما يرزق العروسان بطفل و ربما تختلف المسحات و لكن تكرر علي الوالدة، أما الوليد فإنه يرسم علي جبهته بعلامة الصليب بمراود من الكحل الذي يقوي عيني الطفل و يجلب له البركة بعلامة الصليب .. هذا ليس ما كان يحدث إنما هو ما يحدث الآن عند بعض القبائل و الجماعات السودانية و بمشيئة الله تعبر دارفور من نفق الحرب المظلم من خلال جذورها الأصيلة.

١٢١- دارفور بين الشقاء والرخاء

إقليم العذاب : دارفور وصفوها بأنها إقليم العذاب و يأتي هذا الوصف عنواناً لكتاب .. و هذا الكتاب من تأليف الدكتور عبد الغفار محمد أحمد والدكتور لايف مانقار .. و ترجمهُ إلي العربية محمد علي جادين منشورات رواق ٢٠٠٦م ... و الكتاب طبعاً جديد جداً و لكن الأحداث التي تلت كتابة الكتاب أحداث كثيرة و كبيرة.. حيث تتسارع الخطي و يتنامي العذاب و تشتد أوزار الحروب و يحيا أبناء دارفور في نار يزداد سعيرها لهيبا كل يوم .. حتي يتساءلون سؤالاً موجعاً هو لماذا و كيف إشتعلت كل تلك النيران .. و في مقدمة الطبعة العربية يقول المترجم إن النسخة الإنجليزية ظهرت في بداية أبريل عام ٢٠٠٦م من معهد دراسات التنمية بجامعة بيرجن.. و كنت شخصياً أتمني أن يكون ما يحدث هو كذبة أبريل و لكن الأحداث المتدافعة نحو حرب طاحنة كان كذب أبريل فيها هو تصريحات فقدت شفافيتها، بعض المسئولين يقولون أنه لا توجد مشكلة و أن الأمن مستتب و هذا هو الكذب بعينه والهـروب من الواقع المرير .. و كل فريق يدعي الإنتصار علي الآخر و نحن نعلم أنه ليس في الحروب منتصر و مهزوم لأن الضحايا كثيرون .. و الهزيمة تلحق بالجميع .. و الخسائر لا تعوّض .. و هوذا حتي الآن المجموعات المتحاربـة تتصـارع في قسوة وتزج بالأبرياء من أبناء الوطن في محنٍ تزدادُ كل يوم .. و هوذا قد إنفض سامر « أبوجا» و لم يزل الأمر علي ما هو عليه من شِقاق و تناحر

و إشعال متكرر لحرائق ليست حرائق حرب فقط إنما حرائق متعمدة تحرق الزرع والفرع الإنسان و الحيوان و تقضي علي كل مدخر نفيس لأناس بسطاء بلا ذنب لهم إلا أنهم تواجدوا في هذا المكان البركان.. و يصحو أهل درافور ليجدوا أنفسهم بلا مأوي .. بلا ثروة حيوانية .. بل بلا رفيق علي الطريق حيث يموت الرفقاء ... و تقول مقدمة الترجمة العربية أن المشاركون في صفحات الكتاب ينفذون إلي أعماق المشكلة ، ينبشون جذورها .. و يفسرون أسبابها المعقدة المتشابكة كما إنهم يطرحون مقترحات يرون أنها الكفيلة بوقف هذا النزيف الدامي .. و الذين شاركوا في حوار الكتاب هم من صفوة أبناء هذا الإقليم المسفوك الدم .. ساهم بعضهم في زمن سابق في إدارته .. و قضي نفر منهم جل سنين عمــــره يدرس مجتمعــه و يحاول عبر البحث الجاد العميق معالجة المشكلات المزمنة التي تواجه إنسان تلك الأرض المهملة .. مهضومة الحقوق .. و يقول المترجم إن هؤلاء الصفوة قد حُرموا لأسباب شتي من أن تسمع أصواتهم.. بينما لجأ المهرولون من شذاذ الآفاق الي حلول ليست هي الحلول .. زادت الحريق إشتعالاً و كبدت الناس و الأرض ما لا يطاق .. علي مرأي و مسمع من العالم .. و صار مشهد نزيف دارفور حدثاً يومياً علي الشاشات و صفحات الجرائد و الإذاعات حتي إن البعض رفعه الي درجة أكبر الأحداث خطراً في العالم .. و طغت طموحات البعض فصاروا طغاة في الأرض .. و تحولوا إلي إسود ضارية بدرجة يصعُب وصفها .. و فتح الطموح طمعاً و تفريطاً و باباً علي مصراعيه يجذب أطرافاً من وراء الحدود .. تمرن أسنانها علي قضم كل طرئ في ذلك الجسد المستباح ..

من الشقاء إلي الرخاء : و حاول أصحاب الضمائر الطاهرة أن يحفظوا حدة هذا الشقاء في مأســاة دارفــور ... و يستعيدوا أيام الرخاء فيها يوم أن كانت ثرية.. في خير جواً و براً .. يوم أن كانت دارفور منطقة ثرية فيها الخير .. و الخضرة .. فيها جبل مرة .. و الذي من يذهب إليه مرة لا بد أن يعيد الكرة لكي يتمتع بجمال الطبيعة و روعة الطقس .. لقد كانت دارفور وطن حر علي مدي الأيام .. و لم يقدر الإستعمار أن يخطو علي أرضها الحُرة .. و لم يقو أحد علي تدنيس ترابها المقدّس .. لقد كانت جنة الله علي الأرض .. و كان مواطنوها يختلفون معاً بسبب الماء و الكلأ و لكن هــذا الأختلاف لم يكن يرقي إلي درجة الحرب كان الكبار يجلسون

و يتسامرون و يتحاورون و يضعون الحلول التي يلـــتزم بها الكل و كانت الإدارة الأهلية قادرة علي فك بؤر التوتر و إعادة الهدوء للناس .. و تعددت المبادرات من خارج البلاد و من الداخل و لو كانوا منذ بدء الصراع قد لجأوا إلي أبناء دارفور لوجدُ الحل و هدأت الحرب .. و رأت جماعة ذات يوم صوم من أيام الأسبوع أنها لا ينبغي أن تترك الأمر هكذا بل تعمل شيئاً من أجل رخاء دارفور المفقود .. و إتفقوا معاً .. و أسموا أنفسهم جماعة توحيد الصف الوطني برئاسة رجل عظيم لا يتحيز لأحد .. و لاينتمي لحزب.. و ليست لديه مطامع و هو المشير عبد الرحمن سوار الذهب .. و بدأت حركة جمع الصف الوطني .. حركة فيها بركة .. و لم تخل من إنتقاد متطرف حيث إعتقد البعض أنهم يريدون أن يقيموا حكومة جديدة و يرفعون البساط من تحت أقدام الحكومة و هم غير هذا .. إنهم شرفاء أنقياء عاهدوا الله و عاهدوا الوطـــــن و هم حتي الآن يبحثون .. و يتحاورون .. و يفكرون في حل شامل كامل يتحقق فيه الإجماع .. و ينقل دارفور العزيز من الشقاء الي الرخاء.

١٢٢- دارفور الصِراع والحُلول

مأساة الـــــدم : تحيا الآن دارفور مأساة الصراع و تبحث عن الحلول .. و المأساة هي الدم المسفوك الذي ترفض الأرض أن تبتلعه .. و يرفض أصحاب الضمير الحي أن يوافقوا عليه .. و في كتاب عنوانه دارفور إقليم العذاب إشكالية الموقع و صراع الهويات إصدار منشورات رواق ٢٠٠٦م حديث مستفيض عن مأساة دارفور.. و التي أدي تفاقمها إلي جذب إهتمام المجتمع الدولي بأسره .. حيث تزايدت خسائر الأرواح و الممتلكات .. و تناثرت الإتهامات بإبادة جماعية و إنتهاكات لحقوق إنسان دارفور الذي رأيناه مواطنا ممزقاً.. سجين معسكرات لا تحقق حتي أقل القدر الإنساني من الإحتياجات .. مواطن فقد كل شئ .. و بعد أن كان حراً طليقاً في البوادي صار سجيناً أسيراً في معسكر و بعد أن كان ركناً داعماً لإقتصاد البلاد صار يتضرر جوعاً و ينتظر الإعانات .. بل كُممت الأفواه عن الكلام وتدخلت جهات مؤثرة ذات ثقل و دعت إلي نشر مراقبين من الأمم المتحدة و الإتحاد الأفريقي .. و صدر العديد من قرارات مجلس الأمن .. وتم توقيع إتفاقية أبوجا والتي كانت أملاً كبيراً و لكنها لم تسع كل الحركات المتحاربة مما جعلها تحتاج الي المزيد من الوقت لكي

تجتمع كل الفصائل معاً في إتفاقية كاملة .. و الوقت ليـــس في مصلحتنا و لكن الجهود مستمرة .. وعلي المستوي الشعبي قامت جماعة جمع الصف الوطني بقيادة المشير عبد الرحمن سوار الذهب .. و في وزارة الخارجية في المجلس الإستشاري أُوكلت المهمة إلي لجنة العشرة و هي من عشرة أشخاص طُلب مِنهُم دراسة مشكلة دارفور و تقديم الحلول و اللجنة برئاسة الدبلوماسي المخضرم و الأديب بشير البكري و قد تشرفت بعضويتها.. و قامت هذه اللجنة بعدة إجتماعات مع المسئولين و صانعي القرار و أعدت مذكرة قيمة فيها الحل المرضي و قدمتها لوزير الخارجية النشط لام أكول و لم يزل الأمل كبيراً في إنهاء المعاناة لأبناء دارفور و يمكن أن ندرك بالدبلوماسية المتزنة الرزينة غير المتطرفة في التصريحات غير المتوترة في البيانات الشئ الكثير و الحل الناجع .. هذا عدا مبادرة الشيخ الياقوت مع إتحاد عمال السودان و التي كان الأستاذ جمال عنقرة الوطني المهذب منظماً لها والتي حاولت إضفاء الروح الصوفية علي التحرك السياسي و كنت قد إقترحت لجنة الإثني عشر من إثني عشر شخصاً للتحرك و تقديم الحل الوطني للقضية .. و الكل في السودان يسعي نحو حلول الكِبار الحُكماء الذين يرتقون النسيج دون أن يمزقوه.. و يوقفون النزيف حتي لا يصل المجتمع إلي الموت المحتوم .

دارفور الأصيلة : و كان لابد أن يحدث هذا الزخم من المبادرات .. و أن يحدث هذا التدافع نحو الحلول وعندما كنت في الفاشر مع جماعة وحدة الصف الوطني .. تحدثت عن هذه الجماعة و قلت إننا لسنا من الحكومة و لسنا ضد الحكومة .. و إننا مع أبناء دارفور قلباً و قالباً لأن دارفور الغالية جزء من جسد الوطن و جزء من دم المواطن وعندما يتألم عضو في الجسد تتداعي له سائر الأعضاء أو ما يسمي بالنظرية العضوية والتي كان أول من نادي بها الفيلسوف بولس الرسول : و الذي إعتبر أن المواطن غير المقيد هو مقيد مع المواطن المقيد .. إذكروا المقيدين كانكم مقيدون معهم و المذلين كأنكم أنتم ايضاً في الجسد (عبرانيين ٣١:٣) لأنه كما أن الجسد هو واحد و له أعضاء كثيرة و كل أعضاء الجسد هي جسد واحد .. إن قالت الرِّجل لأني لست يداً لست من الجسد أفلم تكن لذلك من الجسد و إن قالت الأذن لأني لست عيناً لست من الجسد أفلم تكن لذلك من الجسد .. لو كان كل الجسد عيناً فأين السمع .. لو كان الكل سمعاً فأين الشم .أعضاء كثيرة و لكن جسد واحد لا تقدر

العين أن تقول لليد لا حاجة لي إليك أو الرأس أيضاً للرجلين لا حاجة لي إليكما .. بل بالأولي أعضاء الجسد التي تظهر أضعف هي ضروريـــة و أعضاء الجسد التي تحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل .. فإن كان عضو يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه و إن كان عضو يُكرم فجميع الأعضاء تفرح معه (كورنثوس الاولي ٢١).. و هذا يعني أننا كلنا في السودان جسد واحد و لا يهنأ لنا بال و أجزاء من جسدنا تعاني و تتعذب و تشقي في دارفور .. و قلت أيضاً إنني أعتز بدارفور فلقد كانت بلداً مسيحياً يشار إليه بالبنان و هذا من منطلق أن كل السودان كان مسيحياً و لمدة ألف عام و لأن دارفور حتي الآن لديها رواسب من عادات مسيحية باقية حتي الآن ... و إستيقظ أحد الحاضرين و قال كلا لم تكن دارفور مسيحية و كان رد وزير الثقافة إن كلام أبونا صحيح .. و بعد إنتهاء الحديث دخلت الي فيطونتي الجميلة في الفاشر و خرجت بعدها لأجد إجماعاً من الحاضرين بأن دارفور كانت فعلاً مسيحية .. و إن مداعبة أبونا كانت في محلها .. و الدليل أن كُتب الإدريسي و إبن سعيد تحدثت عن هجرة بعض الأمراء من وادي النيل الي الغرب و أن الطقوس المعمول بها في دارفور حتي الآن طقوس ترجع الي العصر المسيحي .. و لقد قصدت أن أُنبه الأذهان إلي أصالة دارفور و أنها جزء لا يتجزأ من تاريخنا السوداني المجيد و أننا مطالبون بأن لا نفرط فيها مثلما نرفض ان نفرط في لؤلوة كثيرة الثمن .

١٢٣- كيف دخلت المسيحية الي دارفور

دارفور العظيمة: توجد ملامح خاصة لدارفور و لها أيضاً تاريخ خاص، و لقد كانت محطة تواصل حضاري بين الشرق والغرب، و لقد سكن فيها أبناء كوش و كانت ممالك أثيوبيا القديمة ممالك و دويلات متعددة، و قد أطلق لقب أثيوبيا ليس علي حدود جغرافية معينة إنما علي لون البشرة و لهذا فإن أثيوبيا المعنية في العهد القديم والحبشة المذكورة في العهد الجديد إنما كانت منطقة كبيرة تشمل السودان النيلي والسودان الأوسط و السودان الغربي و هذه منطقة تمتد من البحر الأحمر شرقاً إلي المحيط الأطلسي غرباً و هذا مادلت عليه الكشوفات الجديدة من وجود الآثار المسيحية في دارفور، و إن كانت الآراء تختلف حول موعد معين لدخول المسيحية إلي السودان و لكن المؤكد أنها دخلت عن طريق مصر في زمان الملك

جوستنيان ٧٢٥-٥٦٥م و كان يدين بالمذهب البيزنطي و الذي يسمي الملكاني و كانت زوجته تدين بالمذهب القبطي الأرثوذكسي أو ما يسمي اليعقوبي و بنفوذ قوي للأمبراطورة ثيئودوره دخلت المسيحية الي النوبة و رأس أول وفد كنسي الراهب القبطي يوليانوس ثم رسم بعد هذا الأسقف لونجينوس رئيساً و أسقفاً لكنائس النوبة.

و في كتاب تاريخ الإسلام والمسيحية في دارفور يعرض المؤلف وجهة نظره أن قبول المسيحية كان بإدعائهم لفظياً أن الله واحد و لكن في إعتقادي أن الأمر كان غير ذلك فلقد تمكن يوليانوس من إقناع الشعب النوبي بالمسيحية حيث إستمر زمنا طويلاً يشرح فيه المسيحية يومياً من الساعة التاسعة صباحاً حتي الرابعة بعد الظهر او قل حتي غروب الشمس، و يحدد محمدين محمد مؤلف الكتاب أن المسيحية دخلت بلاد النوبة عام ٥٤٣م.

كيف دخلت المسيحية الي دارفور؟

و يطرح مؤلف تاريخ المسيحية و الإسلام في دارفور إحتمالان عن دخول المسيحية إلي دارفور.

(١) الإحتمال الأول : أن المسيحية قد دخلت في نفس الوقت الذي بدأت فيه توغلها في بلاد النوبة و يمكن أن تكون في مرحلة سابقة لهذا فقد ذُكر بأن أهل مصر حينما إعتنقوا المسيحية واجهوا بطشاً من حكامهم الرومان مما حدا بالبعض منهم للهجرة إلي تخوم بلاد النوبة السفلي فيما نزح البعض نحو الصحراء الغربية و إستقروا في الواحة الخارجة و التي تقع علي درب الأربعين الذي يربط دارفور بمصر، و يمكن أن يكون دخول المسيحية إلي دارفور قد تم عبر هذا الطريق و لذا فحينما تعرضت بلاد النوبة لهجمات من قبل العرب فضلت الأُسر الحاكمة الهجرة إلي دارفور لعلمها بوجود مجموعات فيها تعتنق نفس عقيدتها.

(٢) الإحتمال الثاني :هو أن تكون المسيحية دخلت إلي دارفور بواسطة نفس هذه الهجرات و التي أتت نتيجة للضغط العربي علي بلاد النوبة ففضلت هذه الجماعات الهجرة بعيداً فراراً بدينهم و إختاروا دارفور دار هجرة لهم، و قد يكون هذا الإختيار بسبب أن الشعوب الدارفورية هي نفسها شعوب نوبية الأصل نزحت من بلاد النوبة في فترة تاريخية سابقة، فهي شعوب نوبية

الأصـــل مـــثل الزغـــاوة و الميدوب و الفور، لأن دارفور كانت منطقة لجوء سياسي للكثير من الأسر التي حكمت النيل الأوسط مثلما حدث حينما هاجمت أكسوم الحبشية مملكة مروي و هزمتها فاضطرت الأسرة الحاكمة من مروي إلي الإلتجاء لدارفور، و يقال هنا أنها كونت سلطنة دارفور في عصر ما قبل الإسلام، و تدل علي ذلك الشواهد الحضارية لمروي التي وُجدت في جبل مرة كالزراعة علي سفوح الجبال أو التي تم إكتشافها في منطقة جبل أوري بشمال دارفور من آثار معمارية تشبه تلك التي كانت في مروي كما أن الرسوم التي يرسمها أهالي دارفور علي حيواناتهم إنما هي في الأصل كتابات هيروغليفية جاءت من مصر عبر ملوك مروي، ليس هذا فحسب بل إن عملية صناعة الحديد التي اشتهرت بها مملكة مروي الأفريقية و علي نحو متقدم ليس له مثيل في ذلك الوقت إنتقلت لتصل حتي غانا في غرب أفريقـــيا، و علي نحو ما أكده ماك مايكل من أن قبائل النوبة في كردفان و قبائل الميدوب و التنجور و البرقد في دارفور ما هي إلا شعوب نوبية الأصل لتشابه مفردات لغاتها و لغة النوبة في شمال السودان، و في رأي محمدين أن هذا يقودنا الي إعتماد أن التنجور لم يكونوا عنصراً عربياً و إنما هم بيتاً من بيوتات الفور التي حكمت سلطنة دارفور في عصر ما قبل الإسلام و هذا بدوره يربطنا بما تمت الإشارة إليه سابقاً من هجرة مسيحية من بلاد النوبة إلي دارفور، و هنا يمكن الجمع بين إحتمال أن المسيحية دخلت دارفور في نفس الوقت الذي كانت تنتشر فيه بمصر وبلاد النوبة أي ما بين القرن الثالث و السادس الميلادي و الإحتمال الثاني القائل بدخولها بواسطة هجرات تمت نتيجة ضغط العرب علي النوبة و يمكن الجمع بين هذا و ذاك بإعتماد الإحتمال الأول بداية و بعده يأتي دور الإحتمال الثاني، ويمكن الجمع بين هذا و ذاك و إعتماد المدة من عام ٢٥٠م إلي العام ١٤٠٠ م أي ألف عام هو تاريخ المسيحية في دارفور وهناك كشوف أثرية تؤكد دخول المسيحية كنائس وأديرة و رعاية و رهباناً إلي دارفور و نمواً روحياً فيها إمتدت روحانيته إلي الحاكم و المحكوم و آمن أهل دارفور ملوكاً و شعباً.

١٢٤- محمدين محمد والمسيحية في دارفور

محمدين محمد : أصدر مركز دارفور للدراسات والبحوث الإسلامية والأفريقية سلسلة كتب عن الإسلام في أفريقيا صدر منها تاريخ الإسلام و المسيحية في دارفور تأليف محمدين محمد إسحق نشر دار العلوم العربية للطباعة والنشر ٢٠٠٢م و عند قراءتي لهذا البحث القيم تذكرت عندما ذهبنا منذ شهور من عامنا هذا ٢٠٠٧م إلي دارفور في صحبة هيئة وحدة الصف الوطني التي يرأسها الرجل الوطني الوقور عبد الرحمن سوار الذهب و نائبه اللواء الوقور عثمان عبد الله و مع نخبة من الحريصين علي وحدة الوطن من أبناء الوطن و هناك تحدثت في أمسية أمام فعاليات دارفور و قلت إن دارفور تهمني جداً لأسباب عديدة أولها أنه ليس بها مسيحيين، ثانيها إنها جزء لا يتجزأ من الوطن ، ثالثها إنني أعتز بدارفور لأنها كانت في وقت من الأوقات كلها مسيحية و هذا ما أعتز به بإعتباري رجل لاهوت، و كان الكلام الأخير سبباً في العديد من المشاكل فقد إعترض أحد الحاضرين و بصوت عالي جداً بأن دارفور لم تكن مسيحية و في نفس الوقت تحدث وزير الثقافة هناك و بصوت عالي ايضاً و قال إن كلام أبونا صحيح و أن دارفور كانت مسيحية و إنتهت الجلسة و دخلت إلي حجرتي لأغير ملابسي الكثيـــرة و خرجت و وجدت مجموعة من علماء دارفور يحيطون بالمعترض و يوبخونه علي كلامه و قال له أحدهم إن أبونا لا يتحدث بشي إلا بعد دراسته و قال آخر لقد كان السودان كله مسيحياً و طبعاً دارفور جزء من السودان و الآن وجدت ضالتي المنشودة فيما كتبه الباحث محمدين محمد إسحق لقد كنت سابقاً أعتمد علي ما كتبه الباحث الأب جيوفان فانتيني عندما تحدث عن رواسب المسيحية في دارفور و عن رشم الصليب و تتويج الملك الجديد في جبال ميدوب حيث يذبح الكاهن الضحية و يرسم بدمها إشارة الصليب علي الملك و علي الصخرة، وعندما يرش الملك المواطنين معه بالماء و يتجهون نحو الشرق و هذا طقس مسيحي و ترتيب في الكنيسة القبطية و هم علي يقين أن الصلوات علي قمة التلال تنزل الأمطار و هو يري ان الأحديين الذين تحدث عنهم الأسواني هم علي الأرجح أهالي ميـــدوب و إنهم يعتقدون أن أجدادهم قدموا من دنقلا خلال العصر المسيحي الي دارفور و إنه حتي الآن في دارفور يتوجه العروسان مع زعيم

القرية إلي الصخرة المقدسة التي تظهر علي رأس تل و يذبحون ضحية و يأخذ الزعيم من الدم و يرشم صليباً علي الصخرة و علي العروسين ثم يأخذ الزعيم من طين الأرض و يمسح جبهة العروسين و كتفيهما و صرتيهما و ركبتيهما فيما يشبه سر الميرون في الكنيسة القبطية حيث نرشم بالزيت المقدس كل أجزاء الجسد في ٦٣ رشماً.

دارفور المسيحية : و يري محمدين إن تاريخ السودان قبل الإسلام دائماً ما يقسم جغرافياً هكذا شمال مسيحي يمتد من حلفا شمالاً و حتي سوبا جنوباً، و سودان وثني تسوده المعتقدات الأفريقية التقليدية مثل عبادة مظاهر الطبيعة و روح الأسلاف و غير ذلك، و هذه صورة خاطئة تماماً علي ضوء ما أفرزته الكشوفات التاريخية المعاصرة، ففي الشرق فإن البجة مثلاً و هم قبائل أفريقية حاميّة إستوطنت شرق السودان منذ أزمان سحيقة لم تكن قبائل وثنية كما يشاع عن تاريخهم، فقد دخلت المسيحية الأرثوذكسية مناطق البجة في فترة قد تكون سبقت دخول المسيحية بلاد النوبة في شمال السودان، و بالنسبة للنوبة في كردفان فإن الآثر المسيحي لا يزال موجوداً حتي اليوم في بعض مناطق جبال النوبة فهذه المناطق كانت ملاذاً للأسر النوبية التي فرت من شمال السودان من جراء الضغوطات التي تعرضت لها من قبل قوي كثيرة و مختلفة .

و يقول محمدين أما بالنسبة لدارفور فقد تجنب كتاب التاريخ من السودانيين خاصة بألا يشيروا إلي التاريخ المسيحي في دارفور و لو من باب الآية الكريمة أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم – كانوا أشد منهم قوة و آثاروا الأرض و عمروها أكثر مما عمروها، و في رأي محمدين محمد أن المؤرخون يلجأون إلي وصفة جاهزة حينما يكون الحديث عن تاريخ دارفور قبل الاسلام بأنه تاريخ مجهول، و كأن المجهول هو منطقة محرّمة ، بل العكس إذ ما أكثر ما حض القرآن الكريم المؤمنيين بالسير والتنقيب في البلاد و كشف المستور من تاريخ الامم السابقة لأخذ العبر و الدروس بغية الوصول للدين الحق، هذا من جانب أما من الناحية الأخري فإن الدين المسيحي الذي ساد في السودان كان علي المذهب اليعقوبي الأرثوذكسي مثل الذي كان عليه النجاشي في الحبشة و الذي جاءت الآيات القرآنية لتشهد بصحة العقيدة التي كان عليها قومه حيث قال تعالي:

و لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصاري ذلك بأن منهم قسيسين و رهبانا و أنهم لا يستكبرون، و يؤكد محمدين أن أهل الحبشة كانوا علي أصح المذاهب المسيحية و إن حدود الحبشة المذكورة تتجاوز الحدود المعروفة بأثيوبيا اليوم لتشمل شمال السودان و غربه بل وصولاً إلي تخوم غرب أفريقيا، و يعتقد دكتور عبد الله الطيب إن الحبشة المذكورة في السِيـــر النبوية إنمـــا هي فـــي شمال السودان الحالي و يشاركه في هذا الرأي عبد الهادي الصديق فيذكر أن أثيوبيا المعنية في العهد القديم و التي ترفع يديها الي الرب (مزمور ٨٦:١٣) إنما هي كوش، و أضيف إلي ما قال أن بروفسور حسن الفاتح غريب الله مع هذا الرأي لأن كلمة أثيوبيا كانت تُطلق علي السودان و عندما كتب نعوم شقير كتابة جغرافية و تاريخ السودان و الذي يشمل علي ١٠٤٠ صفحة كان عنوانه عن السودان تاريخ الممالك الأثيوبية.

الإنتاج الأدبي والثقافي للمؤلف

صدر منها :-

١- القادرون يحبون .

٢- المؤمنون يتنافسون .

٣- حصاد السنين .

٤- روحانية الروح والجسد .

٥- المسيحية في عيون المسلمين .

٦- حديث الأيقونات ..

٧- رجل روحاني على تلال من ذهب .

٨- خواطر قلم .

٩- دراسات قطبيه.

١٠- شمس الأمل .

١١- سبعون مقالاً عن الملائكة .

١٢- مساحات الود والاحترام بين المسيحية و الإسلام .

١٣- اطروحات سودانية .

١٤- النوبة ملوكاً وشعباً.

١٥- الواقفون على خط النار.

١٦- النوبة وطن الذهب.

١٧- النيل والسودان الأصيل.

١٨- الأحوال الشخصية لغير المسلمين.

١٩- جامعة الحياة.

تحت الطبع:-

١- النيل أبونا والجنس سوداني.

٢- النعمة امرأة.

٣- أنا سوداني أنا.

٤- السودان زمان

٥- سر الإبتسامة.

٦- الهادئون في الارض.

٧- وكان السودان للحضارة بستاناً.

٨- المبتسمون مطمئنون.

٩- السودانوية كرامة وأصالة وشهامة

١٠- أحلام إقتصادية

E-mail:fatherfilotheos@gmail.com

رقم الإيداع (٢٠٠٧-٤٢٩)

من أيوب ميخائيل عبد الملاك

خريج جامعة الحياة إلى أساتذة وطلبة جامعة الحياة

ISBN 978-99942-890-9-7: ردمك